RAĞIP P.
Ka. Nu. 66
T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: ٥٢

انوار التنزيل
للقاضي البيضاوي

RAGIP P.
Ks. Nu.
66

اسماء القراء السبعة ورواتهم

نافع	ابن کثیر	ابو عمرو	عاصم	ابن عامر	حمزه	کسائی
قالون ورش	بزی قنبل	دوری سوسی	حفص ابو بکر شعبه	هشام ابن ذکوان	خلف خلاد	حفص دوری ابو الحارث

واورد المتقی اماما آخر فیذکر قراءته فی مواضعها کما ذکر قرآت السبعة المذکورة
هو ابو محمد یعقوب الحضرمی البصری وله راویان مشهوران ایضا
روح ورویس ...

فاتحه ٥	بقره ٩	آل عمران ١٠٣	نسا ١٣٥	مائده ١٧٠	انعام ١٩٦	اعراف ٢٢١
انفال ٢٤٧	توبه ٢٦١	یونس ٢٨٢	هود ٢٩٨	یوسف ٣١٤	رعد ٣٣٠	ابراهیم ٣٣٦
حجر ٣٤٤	نحل ٣٥٠	اسری ٣٦٥	کهف ٣٨٠	مریم ٣٩٧	طه ٤٠٨	انبیا ٤٢٣
حج ٤٣٥	مؤمنین ٤٤٧	نور ٤٥٧	فرقان ٤٧١	شعرا ٤٨٢	نمل ٤٩٣	قصص [illegible]
عنکبوت ٥١٤	روم ٥٢٢	لقمان ٥٢٩	سجده ٥٣٣	احزاب ٥٣٦	سبا ٥٤٧	ملائکه ٥٥٥
یس ٥٦٠	صافات ٥٦٦	ص ٥٧٥	زمر ٥٨٢	مؤمن ٥٩٠	فصلت ٥٩٩	شوری ٦٠٥
زخرف ٦١١	دخان ٦١٨	جاثیه ٦٢١	احقاف ٦٢٣	محمد ٦٢٧	فتح ٦٣٠	حجرات ٦٣٤
ق ٦٣٨	ذاریات ٦٤١	طور ٦٤٤	نجم ٦٤٦	قمر ٦٤٩	رحمن ٦٥٢	واقعه ٦٥٥
حدید ٦٥٨	مجادله ٦٦٣ حشر ٦٦٦	ممتحنه ٦٧٠	صف ٦٧٢	جمعه ٦٧٤	منافقین ٦٧٥	تغابن ٦٧٦
طلاق ٦٧٧	تحریم ٦٧٩	ملک ٦٨١	ن ٦٨٤	حاقه ٦٨٧	معارج ٦٨٩	نوح ٦٩٢
جن ٦٩٣	مزمل ٦٩٦	مدثر ٦٩٨	قیامه ٧٠١	انسان ٧٠٣	مرسلات ٧٠٦	نبا ٧٠٨
نازعات ٧١١	عبس ٧١٣	تکویر ٧١٥	انفطار ٧١٦	تطفیف ٧١٧	انشقاق ٧١٨	بروج ٧١٩
طارق ٧٢١	اعلی ٧٢٢	غاشیه ٧٢٢	فجر ٧٢٣	بلده ٧٢٥	شمس ٧٢٦	لیل ٧٢٧
ضحی ٧٢٨	الم نشرح	تین ٧٢٩	علق ٧٣٠	قدر ٧٣١	بینه	زلزله ٧٣٢
عادیات ٧٣٢	قارعه ٧٣٣	تکاثر ٧٣٣	عصر ٧٣٤	همزه ٧٣٤	فیل ٧٣٥	قریش ٧٣٥
ماعون ٧٣٥	کوثر ٧٣٦	کافرون ٧٣٦	تبت ٧٣٧	اخلاص ٧٣٨		
فلق ٧٣٩	ناس ٧٣٩					

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من
سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته
من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم
حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف
قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا
وتفسيرا وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت
وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص
الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع
وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفأ نبراسه يعش
ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود
صل عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض
علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا وبعد
فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم
الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم
فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات

العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن
كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم
من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا
ومن قبلي من افاضل المتأخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة
المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان
قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح
لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا
ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التأويل فها انا الآن اشرع وبحسن
توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل مسؤول

سورة فاتحة الكتاب

وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدؤه فكأنها اصله ومنشؤه ولذلك تسمى اساسا
او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده
او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك طريق المستقيم
والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية
والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها
والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه الصلوة
والسلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان
منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة
او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت
القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص

بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة
وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها

ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد
بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عليه
الصلوة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية
ومن اجلهما اختلف في انها آية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله
والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة
بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ
له وذكره اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه
وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل
على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تع مقدم على القراءة كيف
لا وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تع لقوله عليه الصلوة
والسلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا
بسم الله وهذا وما بعده مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه
ويسأل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم
الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينها وبين لام
التأكيد والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت
اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدئوا بالمتحرك
ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء
سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب
بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين
واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على

ما حذف

ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سِم وسُم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان
اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات متقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم
والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه
لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تع سبح اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته
وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او
الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما
هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى
ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة
بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال
وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل
يا الله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق والاله في اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود
بحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله
اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته او من ألهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب
تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه
غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع
بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان
اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل
اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه
ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل
شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر شعر كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار
وقيل علم للذات المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته

ولا يصلح له ما يطلق عليه ولانه لو كان وصفا لم يكن قوله لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا
الرحمن لانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل
في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه وامتناع
الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار
امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد
ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تع وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان
معنى الاشتقاق كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل
بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة
وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف
الفه لحن يفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر
شعر الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال والرحمن الرحيم اسمان بنيا
للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة
القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما
فيها واسماء الله تعالى انما توخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي
التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة
المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك انما توخذ تارة باعتبار الكمية و
الاخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم
الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان
النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس
يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث
انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك

حقيقي بغيره

لا يصدق

لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب
او جميل ثناء او مزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك
لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليها والتمكن من
الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد
غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها
فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف
وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا بالاغلب له
في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان
به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولي النعم كلها عاجلها
وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل
التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على
الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول
حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان
والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلثة يدي
ولساني والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من
شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب
الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلوة والسلام
الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر
ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى
الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي
تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة

الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو و للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ
ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير واسطة كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
وفيه اشعار به تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ
الحمدِ لِله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة
واحدة رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا
فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو
رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق
على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب
غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها
وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته
من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم
وقيل وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع
وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر
ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم
فلذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين
بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات
كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها
الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قراءة عاصم
والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ
لله وقرا الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من
التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف يشاء من الملك والملك هو المتصرف

بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب
على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع
والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة شعر ولم يبق سوى
العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به
على الاتساع كقولهم شعر يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على
طريقة ونادى اصحاب الجنة اوله الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون الاضافة
حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين
وتخصيص اليوم بالاضافة اما للتعظيم او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف
على الله من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها
وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به
منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار
من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون
دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني
والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب
عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه
مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين اياك نعبد
واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات
وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة
ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى
الشهود فكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو
مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال

بصنايعه علي عظيم شانه وباهر سلطانه ثم ترقى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول
ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى
العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب
الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم
وبالعكس كقوله تع حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير
سحابا فسقناه وقول امرء القيس شعر تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن ابي
الاسود واياضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف حروف زيدت
لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك
وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه
واياالشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضماير واياعمدة فانها لما فصلت عن
العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ
اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه
طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل
الا في الخضوع لله تع والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية
ما لا يتاتي الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها
وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل
ما يتيسر به الفعل ويتسهل كالراحلة في السفر للقادر علي المشي او يقرب الفاعل الى
الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في
المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقاري ومن معه
من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة او له ولساير الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف

عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة
وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة علي الحصر ولذلك قال نعبدك ولا نعبد
غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره
الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت
عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف
انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا
يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك
فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال
ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة
على الاستعانة ليتوافق رؤس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى
الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما
يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل علي ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب
له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر
النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما
بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا
اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير
وقوله تع فاهدوهم الى صراط الجحيم علي التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها
والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معه معاملة اختار في قوله
تع واختار موسى قومه وهداية الله تعالي تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر
في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه
كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة

بين الحق والباطل والصلاح والفساد والرشاد حيث قال وهديناه النجدين
وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بإرسال الرسل
وإنزال الكتب وإياها عنى بقوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله إن هذا
القرآن يهدي للتي هي أقوم والرابع أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء
كما هي بالوحي والإلهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الأنبياء
والأولياء وإياه عنى بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب إما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات
عليه أو حصول المراتب المرتبة عليه فإذا قاله العارف الواصل عنى به أرشدنا طريق
السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط غواشي أبداننا لنستضيء بنور قدسك
فنراك بنورك والأمر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء
والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام إذا ابتلعه فكأنه يسترط
السابلة ولذلك سمي لقما لأنه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق
الطاء في الإطباق وقد تشم الصاد صوت الزاي ليكون أقرب إلى المبدل
عنه وقرأ ابن كثير ورويس عن يعقوب بالأصل وحمزة بالإشمام والباقون
بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الإمام وجمعه سرط ككتب وهو
كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق
وقيل ملة الإسلام صراط الذين أنعمت عليهم بدل من الأول بدل الكل وهو في حكم
تكرير العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص
على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه لأنه
جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذي لا خفاء فيه أن الصراط المستقيم
ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين أنعمت عليهم الأنبياء وقيل أصحاب موسى

بروايه قنبل

وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من أنعمت عليهم والإنعام
إيصال النعمة وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان فأطلقت لما يستلذه من
نعمة وهي اللين ونعم الله وإن كانت لا تحصى كما قال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
تنحصر في جنسين دنيوي وأخروي والأول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان
روحاني كنفخ الروح فيه وإشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق
وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال
الأعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق والملكات الفاضلة
وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني أن
يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين والمراد
هو القسم الأخير وما يكون وصلة إلى نيله من القسم الآخر فإن ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن
والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى أن المنعم عليهم هم
الذين سلموا من الغضب والضلال أو صفة له مبينة أو مقيدة على معنى أنهم جمعوا بين
النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك إنما يصح بأحد
أمرين إجراء الموصول مجرى النكرة إذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد أمر على اللئيم
يسبني وقولهم إني لأمر على الرجل مثلك فيكرمني أو جعل غير معرفة بالإضافة لأنه أضيف
إلى ما له ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على
الحال عن الضمير المجرور والعامل أنعمت أو بإضمار أعني أو بالاستثناء إن فسر النعم بما يعم
القبيلين والغضب ثوران النفس إرادة الانتقام فإذا أسند إلى الله تعالى أريد به المنتهى
والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لأنه نائب مناب الفاعل بخلاف الأول ولا مزيدة لتأكيد
ما في غير من معنى النفي فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب
كما جاز أنا زيدا لا ضارب وإن امتنع أنا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال

الاسلام

العدول عن الطريق السوي عمدا أو خطأ له عرض عريض والتفاوت ما بين أدناه
وأقصاه كثير وقيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين
النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه أن يقال المغضوب
عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لأن المنعم عليهم من وفق للجمع بين معرفة الحق
لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل إحدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق
مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى
فماذا بعد الحق إلا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء
الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد ألفه وقصرها قال
لكن يسن ختم الفاتحة به لقوله عليه الصلوة والسلام يا رب لا تسلبني حبها أبدا ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال
أمين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم الفاتحة به
لقوله عليه الصلوة والسلام علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال
إنه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين
ختم به دعاء عبده يقوله الإمام ويجهر به في الجهرية لما روي وائل بن حجر أنه عليه
الصلوة والسلام كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن
أبي حنيفة رضي الله عنه أنه لا يقوله والمشهور عنه أنه يخفيه كما رواه عبد الله
بن مغفل وأنس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه الصلوة والسلام إذا قال الإمام ولا الضالين
فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم
من ذنبه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبي ألا أخبرك بسورة لم تنزل
في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع
المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذ أتاه ملك فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة
البقرة لن تقرأ حرفا منهما إلا أعطيته وعن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب
الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم

الم وسائر الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم
لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير
ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وأبو علي وما روى ابن مسعود أنه عليه الصلوة والسلام
قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف
بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فإن تخصيصه به
عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا
وهي مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى أول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة
مكان الألف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الإعراب
لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة إياه ومعرضة له إذ لم تناسب مبني الأصل ولذلك
قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة أين وهؤلاء ثم إن مسمياتها لما
كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تتركب منها افتتحت السور بطائفة منها إيقاظا لمن تحدى
بالقرآن وتنبيها على أن المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير
الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه وليكون أول
ما يقرع الأسماع مستقلا بنوع من الإعجاز فإن النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط
ودرس فأما من الأمي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة
والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق في فنه وهو

انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها
الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف
انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه
نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع
امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة
عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والطا والضاد والظا نصفها
ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها
قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين اليا لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد
الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطا والخا والغين والضاد
والظا نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره
سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين
وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط
والفا في اجداف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والبا في باسمك ومما يدغم في مثله
ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والها والعين والصاد والطا والميم
والخا والغين والضاد والفا [illegible] والشين والزاي والواو نصفها الاقل ومما يدغم
فيهما وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحا والقاف والكاف والرا والسين واللام
والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم
فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفا نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد
عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحا والخا والعين
والغين والها والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز
عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على

ذكر

ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة
ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من
كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر
ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع
ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف
كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه
ففي الاسما من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على
لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلث عشرة سورة
تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسما وثلثة للافعال
ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد
وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القران لهذه الفائدة مع
ما فيه من اعادة التحدي به مولف من جنس هذه الحروف او المولف منها كذا وقيل
هي اسما السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب
فلو لم تكن وحيا من الله لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم
تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران
باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور
التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما
وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القران
نزل على لغتهم لقوله تع بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون
مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات
هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روي

اي على انها اسماء السور

عن ابن عباس انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون
مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف
من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القرآن نزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما
السلام او الي مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه
عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته
احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال
المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب
عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها
فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دلالة
على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله ومادة خطابه
هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلاثة
اسماء فصاعدا مستنكر عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تأخر الجزء عن
الكل من حيث ان الاسم متاخر بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه
والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور
ولا تقتضي ذلك الا ان يكون لها معنى في حيزها ولم يستعمل للاختصار من كلمات
معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع
الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات
متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى
ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم
وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية
بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك واما اذا نثرت

نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة
من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو متقدم من
حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق
واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من
واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن
ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تع ويدل عليه ان عليا رضي
الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى
الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة
وهي آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره
ذكر الله تع وقيل انها سر استاثره الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم
من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تع ورسوله ورموز
لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تع او القرآن
او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل
القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم
ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية
ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تع وان ابقيتها على
معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما
مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن
ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة
حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة
ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية

عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم
آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه
ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان أول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او
القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه اشير اليه بما يشار الى البعيد
وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته او خبره الذي هو هو او الى الكتاب
فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في
الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق
على المنظوم عبارة قبل ان تكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة **لا ريب فيه** معناه
انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا
بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فاتوا بسورة من مثله فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان
يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق
لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال
من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر
رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق
النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة
والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه **هدى للمتقين** يهديهم الى الحق والهدى
في الاصل مصدر كالتقى والسرى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل
مقابل الضلال في قوله تعالى انك لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى
الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته
عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس او لانه لا ينتفع به الا من

صقل

صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح
لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح الظالمين
الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعيين
المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف
الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي من العذاب
المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل
ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع
وهو المعني بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره
عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق
تقاته وقد فسر المتقون ههنا على الاوجه الثلثة واعلم ان الآية تحتمل اوجها من الاعراب
ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره
وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به
المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب
صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته
ولا ريب في المشهور مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس
العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا
التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص
نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى
نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه
خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك

مبتدا والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا
او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة
تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على
ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب
جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال
اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدا رابعة تؤكد كونه
حقا لا يحوم الشك حوله او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل
للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم
وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك
ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان
كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى
الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة
تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر
للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية
المشارف للتقوى متقيا على انه صفة للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين
يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى
بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل
او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال
واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال
النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب
عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله

عليه الصلوة

عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين [والزكوة] قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح وتخصيص
الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على ساير ما يدخل تحت اسم التقوى
او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء
خبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة التصديق ماخوذ من
الامن كان المصدق آمن من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد
يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا
الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين
محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق
والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده
فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج
عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف
الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم
وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم
يلبسوا ايمانهم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين للارادة في الآية
اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق القلبي هل هو كاف
لانه المقصود او لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم
المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب
مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن
من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه
الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب

لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به
في الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير
ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفا والمعنى انهم يومنون غايبين عنكم لا كالمنافقين
الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المومن
به لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا
هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يومنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للالة **ويقيمون الصلوة**
اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه
او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال
اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق
الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير
فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد
او يودونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود
والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق
بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرايض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع
والاقبال بقلبه على الله لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح
والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة
من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعا وقيل
اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في
الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في
تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون

رزقكم

رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشي بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به
والمعتزلة لما استحالوا على الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر
عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم
ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض
ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا
جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم
بالحلال للقرينة وتمسكوا بشمول الرزق له بقوله عليه الصلوة والسلام في حديث عمرو بن قرة
لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله
وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشي وانفده اخوان ولو استقريت
الالفاظ وجدت كل ما يوافقه في الفا والعين دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر
من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر
افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول
للاهتمام به وللمحافظة على روس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف
المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله من النعم الظاهرة
والباطنة ويويده قوله عليه الصلوة والسلام ان علما لا ينتفع به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب
من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون **والذين يومنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك** هم مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون
على الذين يومنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت
اعم اذ المراد باوليك الذين امنوا عن شرك وانكار وبهولاء مقابلوهم فكانت الايتان تفصيلا
للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين

آمنوا من أهل الكتاب ويحتمل أن يراد بهم الأولون بأعيانهم ووسّط العاطف كما وسّط في قوله: إلى
الملك القرم وابن الهمام، وليث الكتيبة في المزدحم، وقوله: يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب، على معنى أنهم الجامعون بين الإيمان بما يدركه العقل جملة والإتيان بما
يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الإيمان بما لا طريق إليه غير السمع وكرر
الموصول تنبيها على تباين السبيلين أو طائفة منهم وهم مؤمنوا أهل الكتاب ذكرهم مخصصين
عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا لأمثالهم والإنزال
نقل الشيء من أعلى إلى أسفل وهو إنما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل
نزول الكتب الإلهية على الرسل بأن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا أو يحفظه من
اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول فيلقيه عليه والمراد بما أنزل إليك القرآن بأسره و
الشريعة عن آخرها وإنما عبر عنه بلفظ الماضي وإن كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود
على ما لم يوجد أو تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى
فإن الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما أنزل من قبلك سائر الكتب
السابقة والإيمان بهما جملة فرض عين وبالأول دون الثاني تفصيلا من حيث إنا متعبدون
بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لأن وجوبه على كل أحد يوجب الحرج وفساد
المعاش **وبالآخرة هم يوقنون** أي يوقنون إيقانا زال معه ما كانوا عليه من أن الجنة
لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة واختلافهم
في نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا أو غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة
وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب وبأن اعتقادهم في أمر الآخرة
غير مطابق ولا صادر عن إيقان واليقين إتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظرا
واستدلالا ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر
صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع أنه خففها بحذف الهمزة

والقاء

وإلقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها إجراء لها مجرى المضمومة
في وجوه ووقتت ونظيره: لحب المؤقدان إلى مؤسى، وجعدة إذ أضاءهما الوقود
أولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع إن جعل أحد الموصولين مفصولا عن المتقين
خبر له وكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فأجيب بقوله الذين يؤمنون
إلى آخر الآيات وإلا فاستئناف لا محل لها وكأنه نتيجة الأحكام والصفات المتقدمة
أو جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره أحسنت
إلى زيد صديقك القديم حقيق بالإحسان فإن اسم الإشارة ههنا كإعادة الموصوف
بصفاته المذكورة وهو أبلغ من أن يستأنف بإعادة الاسم وحده لما فيه من بيان
المقتضي وتلخيصه فإن ترتب الحكم على الوصف إيذان بأنه الموجب له ومعنى الاستعلاء
في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد
صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك إنما يحصل
باستفراغ الفكر وإدامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس
في العمل ونكر هدى للتعظيم فكأنه أريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره
ونظيره قول الهذلي: فلا وأبي الطير المربة بالضحى، على خالد لقد وقعت على لحم
وأكد تعظيمه بأن الله مانحه والموفق له وقد أدغمت النون في الراء بغنة وبغير
غنة **وأولئك هم المفلحون** كرر فيه اسم الإشارة تنبيها على اتصافهم بتلك الصفات
يقتضي كل واحدة من الأثرتين وأن كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط
العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك
هم الغافلون فإن التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة
الثانية مقررة للأولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد
النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر

اولیک والمفلح بالحاء والجیم الفایز بالمطلوب کانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا
الترکیب وما یشارکه في الفاء والعین نحو فلق وفلذ وفلي یدل علی الشق والفتح وتعریف
المفلحین للدلالة علی ان المتقین هم الناس الذین بلغک انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة
الی ما یعرفه کل احد من حقیقة المفلحین وخصوصیاتهم تنبیه تأمل کیف نبه
سبحانه علی اختصاص المتقین بنیل ما لا ینال له احد من وجوه شتی بناء الکلام علی اسم
الاشارة للتعلیل مع الایجاز وتکریره وتعریف الخبر وتوسیط الفصل لاظهار قدرهم
والترغیب في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت به الوعیدیة في خلود الفساق من اهل
القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحین الکاملون في الفلاح ویلزمه عدم کمال الفلاح
لمن لیس علی صفتهم لا عدم الفلاح له راسا ان الذین کفروا لما ذکر خاصة عباده
وخالصة اولیائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدی والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة
الذین لا ینفع فیهم الهدی ولا تغني عنهم الآیات والنذر ولم یعطف قصتهم علی قصة
المؤمنین کما عطف في قوله ان الابرار لفي نعیم وان الفجار لفي جحیم لتباینهما في الغرض فان
الاولی سیقت لذکر الکتاب وبیان شانه والاخری مسوقة لشرح تمردهم وانهماکهم
في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء علی الفتح
ولزوم الاسماء واعطاء معانیه والمتعدي خاصة في دخولها علی اسمین ولذلک اعملت
عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني ایذانا بانه فرع في العمل دخیل فیه وقال
الکوفیون الخبر قبل دخولها کان مرفوعا بالخبریة وهي بعد باقیة مقتضیة للرفع
قضیة للاستصحاب فلا یرفعه الحرف واجیب بان اقتضاء الخبریة الرفع مشروط
بالتجرد لتخلفه عنها في خبر کان وقد زال بدخولها فتعین اعمال الحرف وفایدتها تاکید
النسبة وتحقیقها ولذلک یتلقی بها القسم ویصدر بها الاجوبة وتذکر في معرض الشک
مثل ویسألونک عن ذي القرنین قل سأتلوا علیکم منه ذکرا انا مکنا له في الارض وقال موسی یا

فرعون اني رسول من رب العالمین وقال المبرد قولک عبد الله قایم اخبار عن قیامه وان
عبد الله قایم جواب سایل عن قیامه وان عبد الله لقایم جواب منکر لقیامه وتعریف الموصول
اما للعهد والمراد به ناس باعیانهم کابي لهب وابي جهل والولید بن المغیرة واحبار الیهود
او للجنس متناولا لمن صمم علی الکفر وغیرهم فخص منهم غیر المصرین بما اسند الیه والکفر لغة
ستر النعمة واصله الکفر بالفتح وهو الستر ومنه قیل للزارع واللیل کافر ولکمام الثمرة
کافور وفي الشرع انکار ما علم بالضرورة مجيء الرسول صلی الله علیه وسلم به وانما عد
لبس الغیار وشد الزنار ونحوهما کفرا لانها تدل علی التکذیب فان من صدق الرسول
علیه الصلوة والسلام لا یجترئ علیها ظاهرا لا لانها کفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما
جاء في القرآن بلفظ المضي علی حدوثه لاستدعایه سابقة المخبر عنه واجیب بانه مقتضی
التعلق وحدوثه لا یستلزم حدوث الکلام کما في العلم سواء علیهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم
خبر ان وسواء اسم بمعنی الاستواء نعت به کما نعت بالمصادر قال تعالی تعالوا الی کلمة
سواء بیننا وبینکم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به علی الفاعلیة کانه قیل ان الذین
کفروا مستو علیهم انذارک وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنی انذارک وعدمه سیان علیهم والفعل انما یمتنع الاخبار عنه اذا
ارید به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول علیه ضمنا
علی الاتساع فهو کالاسم في الاضافة والاسناد الیه کقوله واذا قیل لهم آمنوا یوم
ینفع الصادقین صدقهم وقولهم تسمع بالمعیدي خیر من ان تراه وانما عدل
ههنا عن المصدر الی الفعل لما فیه من ایهام التجدد وحسن دخول الهمزة
وام علیه لتقریر معنی الاستواء وتاکیده فانهما جردتا عن معنی الاستفهام لمجرد الاستواء
کما جردت حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصیص في قولهم اللهم اغفر لنا ایتها
العصابة والانذار التخویف اريد به التخویف من عذاب الله وانما اقتصر علیه
دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تاثیرا في النفس من حیث ان دفع الضرر

أهم من جلب النفع فإذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع أولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق
الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها ألفا وهو لحن لأن المتحركة لا تقلب ولأنه يؤدي
إلى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية
بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون
جملة مفسرة لإجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها أو حال مؤكدة أو بدل
عنه أو خبر إن والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من
جوز تكليف ما لا يطاق فإنه سبحانه أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان
فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان
والحق أن التكليف بالممتنع لذاته وإن جاز عقلا من حيث إن الأحكام لا تستدعي
غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والإخبار بوقوع الشيء أو عدمه
لا ينفي القدرة عليه كإخباره تع عما يفعله هو والعبد باختياره وفائدة الإنذار
بعد العلم بأنه لا ينجع إلزام الحجة وحيازة الرسول صلى الله عليه وسلم فضل الإبلاغ
ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الأصنام سواء عليكم أدعوتموهم
أم أنتم صامتون وفي الآية إخبار بالغيب على ما هو به إن أريد بالموصول أشخاص
بأعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة
تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء
بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له والبلوغ آخره نظرا إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه
والغشاوة فعالة من غشاه إذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة
ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم
على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم
في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق وأسماعهم

تعاف

تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة في
الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين فتصير كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الإبصار
وسماه على الاستعارة ختما وتغشية أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها بأشياء ضرب حجاب
بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله
تع أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وبالإغفال في قوله ولا تطع من أغفلنا قلبه
عن ذكرنا وبالإقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث إن الممكنات بأسرها
مستندة إلى الله واقعة بقدرته أسندت إليه ومن حيث إنها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله
بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية
عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل
الأول أن القوم لما أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف
الخلقي المجبول عليه الثاني أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن
الفطن أو قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي إذا هلك وطارت به العنقاء
إذا طالت غيبته الثالث أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان أو الكافر لكن لما كان صدوره عنه
بإقداره تع إياه أسند إليه إسناد الفعل إلى المسبب الرابع أن أعراقهم لما رسخت في الكفر و
بحيث لم يبق طريق إلى تحصيل إيمانهم سوى الإلجاء والقسر ثم لم يقسرهم إبقاء على غرض
التكليف عبر عن تركه بالختم فإنه سد لإيمانهم وفيه إشعار على تمادي أمرهم في الغي وتناهي
انهماكهم في الضلال والبغي الخامس أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في أكنة
مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تع لم يكن
الذين كفروا الآية السادس أن ذلك في الآخرة وإنما أخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه
ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع أن المراد بالختم
وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج
وكلامهم فيما يضاف إلى الله تع من طبع وإضلال ونحوها وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله

وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب
وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة
بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم
ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبارا الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على
تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا
على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بها في الآية العضو لانه اشد
مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما
قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة
تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند
الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة
او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وبالضم
والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة
ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه
والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه العذب
لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح
وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب
الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير
وكان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر
ما يجانسه قصر عنه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم غشاء
ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه الا
الله **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر** لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق
لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم باضدادهم الذين

محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفته راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين
وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله
لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم
وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم
انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك
لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع
كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او آنس
لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس
ومن موصوفة اذ لا عهد وكانه قال ومن الناس ناس يقولون وقيل للعهد والمعهود هم
الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا
على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على
الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات تختلف فيها ابعاضها
فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر
تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه
واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون
به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ايمانا كلا ايمان
لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم
في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن
ايمانا كيف وقد قالوا تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد

على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعني المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي والى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة **وما هم بمؤمنين** انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم **يخادعون الله والذين آمنوا** الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو بصدده او يوقعه فيه من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا تخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول عليه الصلوة والسلام معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال ومن يطع الرسول فقد اطاع الله الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه

كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد **وما يخادعون الا انفسهم** قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يتخدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير اليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم **وما يشعرون** لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا** المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة من نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول عليه الصلوة والسلام واستعلاء شأنه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله

عليه وسلم ونحوها فزادهم الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف
النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تع من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة
في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن
والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم
وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسول صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد
ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف به العذاب للمبالغة
كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون قراها عاصم
وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرا الباقون
يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول عليه الصلوة والسلام بقلوبهم واذا خلوا
الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من
كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب
هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث
رتب عليه وما روي ان ابرهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه
الكذب في صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او
يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الآية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله
ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها
بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان
كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة
الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب
والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما
يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تع او الرسول او بعض المؤمنين

قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح
مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب
الفساد لان انما تفيد قصر ما دخل على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد
وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما
قال تع افمن زين له سوء عمله فراه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق
ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا
ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى
به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر
وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك
بلا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان
بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما
ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن الناس في حيز النصب على المصدر
وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون
في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا
يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره
فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تع صم بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر
في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول عليه الصلوة
والسلام ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى
آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل
به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد

قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس
باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير
شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة
بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة
راي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع
اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه
الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر
طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل
مما يفتقر الى نظر وفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى
تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا
آمنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة مساقة
لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم
نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف اردّ هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ
بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله
عليه الصلوة والسلام في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال
مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول
الله صلعم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله عليه الصلوة والسلام فنزلت
واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته
اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى وإذا خلوا الى شياطينهم من خلوت

بفلان واليه

بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية
او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا
الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون
صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح
ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا إنا معكم اي
في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان
لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن
لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال
في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار إنما نحن مستهزءون
تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر
الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف وكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما
لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال
هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال
هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم
على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ
او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم
الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء او الغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما
في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي
في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا
اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تع فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استونف
به ولم يعطف ليدل على ان الله تع تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان

يستهزئ بهم أي ثوبه في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء
بان الاستهزاء يحدث حالاً فحالاً ويتجدد حيناً بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال
او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** من مد الجيش
وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد
لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة
لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين
وخذلهم بسبب كفرهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان
من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى
المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق
ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي فقال واخوانهم يمدونهم في الغي او اصله
يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي ينتبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت
اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك
يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو
في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة والعمى في البصر
وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين
العمه **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل
الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب
بعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر
وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره
سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة

عن الشي طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس
عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى **فما ربحت**
تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رأيت
النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع والشرى والربح
الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها
بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران **وما كانوا مهتدين** لطرق
التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس
مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم
واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين
آيسين عن الربح فاقدين للاصل **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** لما جاء بحقيقة حالهم
عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه
يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام
الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من
التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله مثل الجنة التي
وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا
والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم
وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي
هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان
لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة
زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه

مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام
في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذى استوقد
والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق
النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله اي النار
حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان يكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله
اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة
وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب
لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه
المراد من ايقادها او استيناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال
مستوقد انطفأت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين
للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تع فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس واسناد
الاذهاب الى الله تع اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر
او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك
يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل
عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم
احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى
كيف قرر ذلك واكد بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور
وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يترا أي فيها شبحان
وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب
كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة
من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الروية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة

النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات
متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والآية
مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا
متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنه الآية الاولى ويدخل تحت عمومه هولاء المنافقون
لانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى
شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما آمن
ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة
او مثل لايمانهم من حيث انه يعود اليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة
المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره
باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تع اياها واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا
مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الآيات بابصارهم
جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان
ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد
واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له
بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح
مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه
صفحا كما قال ابو تمام الطائي ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا
وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب
نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة
التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله

بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم
وثلثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه
قيل حجر اصم وقناة صما وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون
باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى
عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة **فهم لا يرجعون** لا يعودون الى
الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون
ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم
بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم **او كصيب من السماء** عطف على الذي استوقد
اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها
فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تع ولا تطع منهم آثما او
كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب
ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت
مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول ويقال للمطر
وللسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به
نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان
كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء وقال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في
صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف
الماهية **فيه ظلمات ورعد وبرق** ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر
وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان
اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على
موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها

اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في
الاصل ولذلك لم يجمعا **يجعلون اصابعهم في آذانهم** الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف
لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى
ماء بردى والجملة استئناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك
فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة **من الصواعق** متعلق بيجعلون
اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا
تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد
ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو
ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب
مصقع وصقعته الصاقعة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة
كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة **حذر الموت** نصب على العلة كقوله واغفر
عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تع خلق الموت
والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة **والله محيط بالكافرين** لا يفوتونه
كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها **يكاد**
البرق يخطف ابصارهم استئناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق
وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما
لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة
بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من
غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف
عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء

ويخطف بنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الخاء التاء
الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف
ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد
والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح
نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول
وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من
المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة
كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف
ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض
البرق لذهب بها فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد
حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ؛ ولو من حروف
الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء
لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه
الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب
في مسبباتها مشروط بمشيئته تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله ان
الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل
مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر
شهادة قل الله وبمعنى مشي اخرى اي مشي وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود
في الجملة وعليه قوله ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما
بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن

او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين
بدليل العقل والقدرة هي التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل
قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه
والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء
ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر
يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث
حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدور وان مقدور العبد مقدور الله تعالى
لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان
تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا
واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الآية فانه
تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من
اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من
انطفت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع
رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل
التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي
الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه
في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا
به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين
وزواله عنهم على القرب باهلاكهم او بافشاء حالهم وابقاؤهم في الخسار الدائم
والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب

وإيمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا
في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما طرقوا
به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله
تع شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما
صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم
اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان
من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتبكت بها من شبه
المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد
بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامّهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد
فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين
واهتزازهم لما لمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق
كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم
عليهم ونبه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تع جعل لهم السمع والابصار
ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة
ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا أيها الناس اعبدوا ربكم لما عدد
فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا
للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة
ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي
يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له
وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة
الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين

واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه
المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه
وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التأكيد وكل ما نادى له عباده
من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها
غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد
ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تع فسجد الملائكة كلهم اجمعون
واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا
ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلوة والسلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل
للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء
نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه
بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها
والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة
والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب
الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين
ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم
صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب
اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم
كل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب
في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى

نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم
تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه **لعلكم تتقون** حال عن الضمير في اعبدوا
كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدي والفلاح المستوجبين
لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شي سوى
الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجا كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا
وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم
ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين
على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل الخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على
ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال
بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه
من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل **الذي جعل لكم الارض فراشا** صفة ثانية
او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من افعال العامة يجي على ثلثة اوجه
بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب
وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير و
يتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او
العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة
بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهياة لان يقعدوا وينامو
عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها
واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها **والسماء بناء** قبة مضروبة عليكم والسماء
اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماة والبناء مصدر سمي

والاشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله**
استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان
صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك
انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب
مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات
ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي
حال تكفرون **وكنتم امواتا** اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا
ومضغا مخلقة وغير مخلقة **فاحياكم** بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه
متصل بما عطف عليه بخلاف البواقي **ثم يميتكم** عند تقضي آجالكم **ثم يحييكم** بالنشور يوم
نفخ الصور او للسؤال في القبور **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون
اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم
كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من
العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية
تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان
بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل
التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم
العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان
عظم النعم توجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر
قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار
الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع
من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض

به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء
جديدا **وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم** عطف على جعل وخروج الثمار
بقدرة الله تع ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة
للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او اودع في الماء
قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد
الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا
من حال الى حال صنايع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظم قدرته ليس في ايجادها
دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ
من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية
تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض
بدليل قوله تع فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا
من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل
من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا
بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة
لانه اراد بالثمر جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من الثمرة
على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وقوله ثلثة
قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق
ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله اندادا** متعلق باعبدوا على
انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب فلا تجعلوا انتصاب
فاطلع في قوله تع لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها
في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استانفت به على انه

وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم
وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم
من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون
فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة
الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من
طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث
انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة كما قال الله تع
قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تع اريد بها صحة
اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على
الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن **هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا** بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى
وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم
باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار
والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل
به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة
ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل
واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء
جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني **ثم استوى الى السماء** قصد اليها بارادته من
قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء
واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا

نهي وقع جوابا على تاويل متولد منه فلا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا
معنى الشرط والمعنى من خلقكم بهذه النعم الجسام والآيات ينبغي ان لا يشرك به والند المثل
المناوي قال جرير أتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر
وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في
القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته ولا
انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال
من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله
بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد
الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل أربا واحدا ام الف رب أدين اذا تقسمت الامور تركت اللات
والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير **وانتم تعلمون** حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون
مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم
الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي
وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى
هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن
من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله تع والنهي عن الاشراك
به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا
بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم
من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب
ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك
به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة
الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل

البدن

البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العلمية والعملية
المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات
المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان
لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة**
لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد
عليه الصلوة والسلام وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق
وافحام من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في
المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن
انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على
ما ترى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة
واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد
محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث آيات وهي ان جعلت
واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على
حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي
الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل
والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف
وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة
من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم
وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالمسافر
اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما

ونماز بطائفة معدودة مستقلة بنفسها فيعظم ذلك عنده ويبتهج به الى غيرها من الفوائد **من مثله**
صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة
عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء
اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة
فأتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر
آيات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب
والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي
من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله
تعالى لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله **وادعوا**
شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد
بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكأنه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم
بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات واما بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل
الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء
ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان
منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع
فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس
ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا
الى المعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر على
ان يأتي بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما أتيتم به مثله ولا

تستشهدوا

تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم
من دونه اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله
على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان
يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي
من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما آتيتم به مثله
فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله **ان كنتم صادقين**
انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل
مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول
الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما
علمه وهم ما كانوا عالمين به **فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس**
والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول عليه الصلاة والسلام وما جاء به وميز
لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته
وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا
به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان
وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشأن
العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التي للشك والحال يقتضي
اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا
بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التأمل لم يكن
محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول
ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكأنه قال
فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف

متنتصب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله الا ان وعند
الفراء لا فابدلت الهاء نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح
وقال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما
قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى
حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل
غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها
والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون
زيادة في تحسيرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن
لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص
بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا تتقد به
كل نار وان ضعفت نار صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار
كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة
التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها
يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ
اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير
الذي في وقودها وان جعلته صلة للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من
وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع
والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن
ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة
والتجؤوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم

لو عارضوه

لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل
عصر والثالث انه عليه الصلوة والسلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة
مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم
الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة
والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما
جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا
عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي
فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر
ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف
هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول صلى الله عليه وسلم او عالم كل عصر او كل احد يقدر
على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم
احقاء بان يبشروا ويهنئوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون
استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء
البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه
فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم
او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات
الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل
الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا
بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان
الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس

لانبناء عليه ولذلك قل ما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا عن ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد هنا استغناء بها تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا

هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما رأت فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره وتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه عليه الصلاة والسلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير

وعلى الثاني الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا
والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما
حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان
للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف
والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد هذا الذي رزقنا
انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد
نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء
ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل
في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء
فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت
نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء
وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن
وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لماله قرين من جنسه
كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح
التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها
انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل
الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد
عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام
او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله
ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا
واستعماله حيث لا دوام فيه كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما

بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان
مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور
لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية
معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها بالجنان
قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة
في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة
لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم
واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان
معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه
الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف
الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم
في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل
على كمالهم في التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما
كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه
وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي
تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان
التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه
في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان
المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان طبعه الميل الى الحس وحب
المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء
واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من

كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة
السفها باثارة الزنابير وجآء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة
واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين
بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف
ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل
من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل
على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من امن بعد
ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب
المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها والحيا انقباض
النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراة على
القبايح وعدم المبالاة بها والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا
واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها
فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري
تع كما جآء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي
كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به
الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه
اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الما يعرض نفسه
كرعن بسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة
ويحتمل الاية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب
المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شي على اخر وان بصلتها مخفوض المحل
عند الخليل باضمار من منصوب بافضا الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه

وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اى
كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيد اللغو الضايع فان القران
كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيره فتفيده وثاقة
وقوة وزيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال
تقدمت عليه لانه نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى
هذا يحتمل ما وجوها اخر ان يكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذى احسن
وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه
لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان
يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وديناران والبعوض فعول
من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها
عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه
قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في
المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه الصلوة والسلام ضربه
مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عايشة رضي
الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له
بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما جاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها
في القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلوة والسلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة
لخطاياه حتى نخبة النمل فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف يفصل ما اجمل
ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه
مهما يكن من شي فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفا
على الجملة لانها الجزا لكن كرهوا ايلاها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط

للنظار في تصوير الجملتين به اجادة امر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم
والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة
والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق
محكم النسج وأما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق
قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل
الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما
وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي
شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب
على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه
ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور
اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل علمه باشتمال الامر على النظام
الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه
على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار
فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال
كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال
كثير وهداية كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين
المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده
والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم
لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل
من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار
الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا

كما غيرهم قليل وان كثروا وما يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان لقوله تعالى ان
المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق
الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع
الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها
احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة
الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع
ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب
عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر
تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد
منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي
اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم
بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم
وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ ويضل على البناء للمفعول والفاسقون
بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض
فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد
يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل
كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد
حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف
منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد
الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من

حيث انها تراعي بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه** الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوا به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية المفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض** بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه **اولئك هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها

يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى اي استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستانف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه اانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر **فسواهن** عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا **سبع سموات** بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية نفي الزايد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف **وهو بكل شيء عليم** فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعدما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع

والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير
واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار
الى وجه اثباتهما بانه تع قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا
فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت
واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال
حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو
فهو وهو تشبيها له بعضد **واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة**
تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته
بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية
وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك
يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا
للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير
المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تع واذكر اخا عاد اذ انذر ونحوه فعلى تاويل اذكر
الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية
قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر
دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة
معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع
ملاك على الاصل كالشمائل جمع شمال والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة
وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم
واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها
فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين

بان الرسل

بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة
البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة
في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه
عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا
يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على
ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب
الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة
الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تع اسكنهم في الارض اولا
فافسدوا فيها فبعث الله اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزاير
والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما
لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة
من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان
خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم الله في عمارة الارض وسياسة الناس
وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تع الى من ينوبه بل لقصور المستخلف
عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تع
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت
قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى
رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء
من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تع بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما

ليأخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم خلفوا
من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني
بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلف او خلفا يخلف وفائدة قوله هذا
للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة
قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة
تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها
من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من
الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم
معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تع ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة
فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تع بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره
يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تع او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم
ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح في
الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على
البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك
الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى
اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعني انستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك
والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف
لا التعجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية
وغضبية تؤديان الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة
ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تلك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده

فضلا

فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم بما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد
وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير
كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد
كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي
هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تع اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله
عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر
الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا
لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب
لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال
الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق
علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب
عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة
او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه الصلوة انه تع قبض قبضة من جميع
الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك ياتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة
تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم
باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال
عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا
في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو
يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تع خلقه
من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات
والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات

وكنفيه الالهام ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا لان العرض للسوال عن اسما المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسما سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرى عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانبا اخبار فيه اعلام ولذلك يجري كل واحد منهما مجرى الآخر ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقا بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بعرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاآت قالوا سبحانك اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سوالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرى بقلب الهمزة يا وحذفها بكسر الها فيهما فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون

لا علم لنا الا ما علمتنا

استحضار

استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقا بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر ابليس منهم من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسما تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكما منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه كقوله تعالى هل يستوي الذين والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشيا قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انباهم باسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طاطا راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى

لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني
والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا
فيه بالمراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته
وشكرا لما انعم عليهم بواسطته واللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم
واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي
وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي
في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم
او طائفة منهم ما سبق **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر** امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه
وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه
والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع
وكان من الكافرين اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا
بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله
انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين
لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له
ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امره ولم يصح استثناؤه منهم
ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة
نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس
ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا
بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة
عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا
مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلتين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود

الا ابليس

الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس
معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما
يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس يشملهما وكان ابليس من هذا
الصنف كما قال ابن عباس فلذلك صح عليه التغير من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه
بقوله عز وجل الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن
من نار لما روت عائشة رضي الله عنها انه عليه الصلوة والسلام قال خلقت الملائكة من النور
وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار
كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة
والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة
الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه
بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية استقباح
الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار بامره وترك الخوض في
سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على
الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى
شيخنا الاشعري **وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة** السكنى من السكون لانها
استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها
على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود
غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس
وكرمان خلقه الله امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى الهند كما في قوله
تعالى اهبطوا مصرا **وكلا منها رغدا** واسعا رافها صفة مصدر محذوف **حيث شئتما**
اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة

المنى عليهما من بين اشجارها الغاية للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه
ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا
ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم
فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا
من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي وبنقص حظهما بالاتيان بما يخل
بالكرامة والنعيم فان الفا تفيد السببية ان تكونا من الظالمين الذين ظلموا سواء
جعلت للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او
شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم
توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التا وهذي فازلهما
الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه
في قوله تع وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة
فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل
ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل
لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما
بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما
كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحوا وقيل قام عند الباب
فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت
به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تع فاخرجهما مما كانا فيه اي من
الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحوا لقوله اهبطا منها جميعا وجمع

الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان
يدخل للوسوسة او دخلها مسارقة او من السما بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها
عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض
مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او
القيمة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها
وقرا ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تع ربنا
ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت
ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني
بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك
قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة
الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب
عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفا على تلقي الكلمات لتضمنه
معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى
بذكر آدم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النسا في اكثر القرآن
والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة
واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف
بها الباري تع اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة
وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد
او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا
يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك
والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم

قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى

ان تعوقهم عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كان
واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها
الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون
ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا **فاما يأتينكم مني**
هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط
الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم معنى الطلب فيه والمعنى ان
يأتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لا محالة
لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول
وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف
عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه والخوف على المتوقع والحزن
على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل
ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** عطف على
فمن تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته او كفروا بالآيات
جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل
العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته
ولكل المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه واصلها
اية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او آيية كقائلة
فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت
الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم عليه السلام
كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين ملعون لقوله
الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى

والرابع

والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا
مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس
انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب
بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك
الاولى له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى
وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما
قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب
بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال
عليه الصلاة والسلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى
ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشانه
لا يقال انه باطل بقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله
حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة
لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه الصلاة والسلام اقدم
عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من
غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان
حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها
دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة
وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم
انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا
فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن
حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها

يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل
على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان
يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلعم
وما انزل عليه فقال **يا بني اسرائيل** اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك
ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلم ومعناه
بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرايل بحذف الياء واسرائل بحذف الياء
واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي بالتفكر فيها
والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله
على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب
النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن
العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلعم وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا
ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها **واوفوا
بعهدي** بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم** بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد
ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تع عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح
بنصب الدلايل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض
فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله حقن الدم والمال وآخرها
منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله الفوز باللقاء
الدايم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال
وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا
بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسايط وقيل
كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف

بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تع ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى
قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة **واياي فارهبون** فيما تاتون
وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه
مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل
ان كنتم راهبين شيا فارهبون والرهبة خوف مع تحرز والآية متضمنة للوعد
والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله
وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود
والعمدة للوفاء بالعهد وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث
انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر
بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات
الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة
الى زمانها مراعى فيه صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل على وفقه
ولذلك قال عليه السلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان
به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا اول كافر به** بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به لانهم
كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر
وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به
كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت
المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا
اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي
مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير
قياسي او اول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت **ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا** ولا

بالايمان والاتباع لحظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت
عليكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم
فخافوا عليها لو اتبعوا الرسول صلعم فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون
الحق ويكتمونه **وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ** بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت
الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي
مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ
السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه
وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء
مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تكتبونه حتى لا يميز بينهما
او ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في
تاويله **وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ** جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال
ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او
نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده
انه في مصحف ابن مسعود رضه وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار
بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق **وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** عالمين بانكم لابسون
كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** يعني صلوة
المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم
باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكا الزرع اذا نما فان
اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكا بمعنى الطهارة
فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل **وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** اي في جماعتهم
فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر

النفوس

النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع
والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما
والدهر قد رفعه **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ** تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر
وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر في عبادة الله تع وبر في مراعات
الاقارب وبر في معاملة الاجانب **وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ** وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن
عباس رضي الله عنه انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد عليه السلام
ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون **وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ** تبكيت كقوله
وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل **أَفَلَا تَعْقِلُونَ**
قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل
الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي
بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء
صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما
تابى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل
فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال
بالآخر **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة
وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار
النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة
وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية
والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة
واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق
وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب

ويجبر المصايب روي انه عم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها
اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا
من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تع كبر على المشركين ما
تدعوهم اليه الا على الخاشعين اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة
والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله ونيل
ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تع فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود
يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال
اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم
تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر
لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه الصلوة والسلام وجعلت قرة
عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتوكيد وتذكير
التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل
بحقوقها واني فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل
آبائهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم من العلم والايمان
والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف
واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي
عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر ويجوز لا تجزي من اجزأ
عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم و
الاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد منها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز
حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف

كما حذف من قوله او مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية
العاصية او من الاولى وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون
قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء
ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع
له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية
سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت
عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد
او الاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه
الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث
الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان
اباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل
لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك
العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا
وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان
وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم
الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سايره والسوء مصدر
ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون
او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان يسومونكم
ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام
او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم

بلاء محنة ان اشير بذلك الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما اختبار
الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد
به الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم
او بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من
الله تع فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين وإذ فرقنا
بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او
بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرّقنا على بناء التكثير
لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون
وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان
يقول اللهم صل على آل محمد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون
ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي
قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انه تع امر موسى عليه السلام ان يسري
ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه
ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا يابسا
فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا
حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم
واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الآيات
الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس
وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة
يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره وإذ واعدنا موسى اربعين

ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع وعاصم
وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تع وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور
ثم اتخذتم العجل الها او معبودا من بعده من بعد موسى او مضيه وانتم ظالمون باشراككم
ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اى الاتخاذ لعلكم
تشكرون لكي تشكروا عفوه وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع
بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق
والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي
فرق بين نبيه وبين عدوه كقوله تع يوم الفرقان يريد يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا
بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم
العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم برآء من التفاوت ومميزا
بعضها عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على
سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله
آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم
يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من
لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روى ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لامر الله فارسل
ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى
وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب
والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة
الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام
لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله

لهم على طريقة الالتفات كأنه قال ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الأمر عليه
إشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم إلى عبادة البقر التي
هي مثل في الغباوة وأن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن يسترد منه ولذلك أمروا بالقتل وفك
التركيب إنه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة أو قبولها من المذنبين ويبالغ في الإنعام
عليهم وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لأجل قولك أو لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا
وهي في الأصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لأنها
نوع من الرؤية أو الحال من الفاعل أو المفعول وقرئ جهرة بالفتح على أنها مصدر كالغلبة أو جمع
كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة
آلاف من قومه والمؤمن به أن الله الذي أعطاك التوراة وكلمك أو أنك نبي فأخذتكم الصاعقة
لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فإنهم ظنوا أنه تعالى يشبه الأجسام فطلبوا رؤيته رؤية الأجسام
في الجهات والأحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك
للمؤمنين في الآخرة ولأفراد من الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم
وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وأنتم تنظرون
ما أصابكم بنفسه أو أثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لأنه قد يكون
عن إغماء أو نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث أو ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله
بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه
وأنزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى
الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم
لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على إرادة القول وما ظلمونا فيه اختصار
وأصله فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفران لأنه
لا يتخطاهم ضرره وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل أريحا أمروا به بعد التيه

فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر أو الحال من الواو وادخلوا الباب
أي باب القرية أو القبة التي كانوا يصلون إليها فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة
موسى عليه السلام سجدا متطامنين مخبتين أو ساجدين لله شكرا على إخراجكم من التيه وقولوا حطة
أي مسألتنا أو أمرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الأصل بمعنى
حط عنا ذنوبنا حطة أو على أنه مفعول قولوا أي هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أي أن
نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء و
ابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا أصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه أبدلت الياء
الزائدة همزة لوقوعها بعد الألف واجتمعت همزتان فأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفا
وكانت الهمزة بين الألفين فأبدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر
وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن وأخرجه
عن صورة الجواب إلى الوعد إيهاما بأن المحسن بصدد ذلك وإن لم يفعله فكيف إذا فعله
وأنه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما أمروا به من التوبة
والاستغفار طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا فأنزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة
في تقبيح أمرهم وإشعارا بأن الإنزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه أو على
أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الأصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ
بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي أنه مات به في ساعة واحدة أربعة وعشرون
ألفا وإذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه
للعهد على ما روي أنه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلاث أعين
يسيل كل عين في جدول إلى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا أو
حجرا أهبطه آدم من الجنة ووقع إلى شعيب فأعطاه مع العصا أو الحجر الذي فر بثوبه

لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه من الأدرة فأشار اليه جبريل بحمله او للجنس
وهذا اظهر في الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا
الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه به
اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة
وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا
عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة **فانفجرت منه
اثنتا عشرة عينا** متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت
كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه **قد علم كل اناس**
كل سبط **مشربهم** عينهم التي يشربون منها **كلوا واشربوا** على تقدير القول **من رزق الله** يريد به
ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به
ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد
قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل
الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر
امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون
من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب
الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك **واذ قلتم
يا موسى لن نصبر على طعام واحد** يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته
انها لا تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انها لا تتغير الوانه ولذلك
اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم
واشتهوا ما ألفوه **فادع لنا ربك** سله لنا بدعائك اياه **يخرج لنا** يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه
جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة **مما تنبت الارض** من الاسناد المجازي واقامة

القابل

القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض **من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها**
تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض
من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا
لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه **قال** اي الله تعالى او موسى **أتستبدلون
الذي هو ادنى** اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير
للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ
ادنأ من الدناءة **بالذي هو خير** يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع
وعدم الحاجة الى السعي **اهبطوا مصرا** انحدروا اليه من التيه يقال هبط
الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم
واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على
تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب
فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة
بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران
النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة
ان تضاعف جزيتهم **وباءوا بغضب من الله** رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء
فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة **ذلك** اشارة الى
ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب **بانهم كانوا يكفرون بآيات
الله ويقتلون النبيين بغير الحق** بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد
عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر
او بالكتب المنزلة كالانجيل والقرآن وآية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه الصلاة
والسلام من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم

بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع
الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم
العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار
الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية
الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او
تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق :.
كانه في الجلد توليع البهق :. والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات
وجمعها وتانيثها ليس على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين آمنوا
بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين
لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل
في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة
العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع
نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح
او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او باسم من اسسها والصابئين
قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة
وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرا نافع وحده بالياء
اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم
او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان منهم
في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل
من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم
عند ربهم الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين

يخاف

يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا
خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه
معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد
بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم
باتباع موسى والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى
عليه السلام لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر
جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به
لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يعلق بالقول
المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك ثم اعرضتم عن
الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلعم
يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي
او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشي فاذا دخلت على لا افاد
اثباتا وهو امتناع الشي لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدا خبره واجب
الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد
علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم
في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على
الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه
فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت
فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء

وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا
بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد
به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الرا وخاسين
بغير همز **فجعلناها** اي المسخة او العقوبة **نكالا** عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل
للقيد **لما بين يديها وما خلفها** لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين
واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد
عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها **وموعظة**
للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها **واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة**
اول هذه القصة قوله تع واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله
بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى
الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على
باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله بان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر
بقاتله **قالوا اتتخذنا هزوا** اي مكان هزؤ او اهله او مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه لفرط
الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرا حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون
وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا **قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين**
لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفي عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج
ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي** اي ما حالها
وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة او كيف هي لان ما يسال به عن الجنس غالبا لكنهم
لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شي من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته
ولم يروا مثله **قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر** لا مسنة ولا فتية يقال فرضت
البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة

والباكورة **عوان** نصف قال نواعم بين ابكار وعون **بين ذلك** اي بين ما ذكر من الفارض والبكر
ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجرا تلك الصفات
على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك
زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه
النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد
الراي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عم لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله **فافعلوا ما تؤمرون**
اي ما تؤمرونه يعني تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى
مامورکم **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها** الفقوع
نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده
الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة
صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تع جمالات صفر قال
الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن
السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى
لا يؤكد بالفقوع **تسر الناظرين** اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول
نفع او توقعه من السر **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي** تكرير للسؤال الاول واستكشاف
زايد وقوله **ان البقر تشابه علينا** اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة
كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه
بالتاء والياء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا و
مشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشبه **وانا ان شاء الله**
لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد

واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تع وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن
للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار
التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب
وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى
والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث
هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها
الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية
فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا
خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ
الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار
والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم
او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له
عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت
وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت
البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل
عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي
قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان
يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجا الى الفعل واذ
قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شانها اذ المتخاصمان
يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله
تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون

مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال
ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير
على تاويل الشخص او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل
بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على حذف وهو
فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله
على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر
على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه
ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة
على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه
كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تع والاسباب
امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي
فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبي ولم يلحقها
ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية
بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فتحيى حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف
الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة
عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد
القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما توجب
لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل
الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال
المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى
منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء

منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفصيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها
ما يتشقق فينبع منه الماء وينفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا
لما اراد الله به وقلوب هولا لا تتاثر وقرئ ان على انها المخففة من المثقلة وتلزمها
اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على
ذلك وقرا ابن كثير ونافع بالياء ضما الى ما بعده وقرا الباقون بالتاء افتطمعون الخطاب
لرسول الله صلعم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل
دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني
التورية ثم يحرفونه كنعت محمد صلعم وآية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون
وقيل هولا من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا
سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا وان شئتم
فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون
انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هولا ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما
طمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا
الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية
واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلعم او الذين نافقوا
لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابدا ما وجدوا في كتابهم فينافقون
الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم
ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده
كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم
او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعه افلا

تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او
خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم
وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هولا المنافقين او اللائمين او كليهما
او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر
واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه
ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا
التورية ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني استثنا منقطع والاماني جمع
امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك
تطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرا والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها
تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤون قراءة
عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود
الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون
ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل راي و
اعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق
بشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها
موضعا يتبوا فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر
لا فعل له وانما ساغ الابتدا به نكرة لانه دعا للذين يكتبون الكتاب يعني
المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد كقولك
كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به
عرضا من اغراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العذاب

الدايم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد الرشي
وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشئ بالبشرة بحيث تتاثر
الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسته فلا اجده الا اياما
معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل
اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل
الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا ووعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير
وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط
مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف
في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام
بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى
بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا
مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب
النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها تقال فيما
يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب
استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم و
احاطت به خطيئته اى استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط
بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان غيره ان لم يكن
سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف
بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة
مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى يستولي عليه الذنوب و
تاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا

ان اللذة

ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا
السوأى ان كذبوا بايات الله وقرأ نافع خطيآته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام
فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم
فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب
الكبيرة وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
جرت عادته سبحانه على ان يشفع وعده بوعيده ليرجي رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على
الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار
في معنى النهي كقوله لا تضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان
المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على
ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايها الزاجري احضر
الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه
جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال وحلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو
وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا
متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين
ويتامى جمع يتيم كندامى ونديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا
للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرئ حسنا بضمتين
وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات
ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد الرسول عليه الصلوة والسلام ومن قبلهم على التغليب
اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل
النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض

الذهاب الاعراض عن المواجهة الى جهة العرض وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا
تخرجون أنفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل
والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه
قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم
ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي
هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وأنتم تشهدون توكيد
كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم
اسناد الاقرار اليهم مجاز ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة
عليه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل
الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا
وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال و
العامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى
الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالإثم
والعدوان حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرا
عاصم والكسائي وحمزة بالتخفيف بحذف احدى التائين وقرئ باظهارها وتظهرون بمعنى
تتظهرون وإن يأتوكم أسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها
واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان يأتوكم اسارى في ايدي
الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرا حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه
كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرا ابن كثير

وابوعمرو

وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم إخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا
من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم ويفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون
من المصدر واخراجهم تاكيدا وبيان أفتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض
يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيوة الدنيا
كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيي منه
ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله
بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم في رواية
المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر ويعقوب
عما يعملون على الضمير لمن أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة آثروا الحيوة الدنيا
على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الآخرة ولا هم
ينصرون بدفعهما عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل
اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه
به اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات
الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى
بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة
قلت لزير لم تصله مريمه وزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وأيدناه قويناه وقرئ آيدناه
بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل وقيل
روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى
نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي
كان يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن أفكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى أنفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا

بالضم سقط و وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا
وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان
واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون
كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس
فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد لولا
اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية
لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف
جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن
مستغنون بما فيها من غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة
والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تاب قبول ما تقوله
لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين
لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة
في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله
يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف
وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت
في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة
والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا
وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا
لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام
فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته

ومعناه

ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا
بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا
للفصل ان ينزل الله لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على اختياره للرسالة فباؤا بغضب
على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد عليه الصلوة والسلام
بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم خلاف عذاب العاصي
فانه طهرة لذنوبهم واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل
علينا اي بالتورية ويكفرون بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل
ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه
وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن مصدقا
لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية والتورية لا تسوغه
وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات
يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل
الها من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل
ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية
ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول صلعم طريقة اسلافهم
مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع
طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته
لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان
لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك انهم كانوا

بجثته او حلوليته فلم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سوّل لهم السامري قل
بئسما يأمركم به ايمانكم اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه
وغيره من قبايحهم المعدودة في الآيات الثلاث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في
دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لما امركم بهذه القبايح ولا رخص لكم
ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى
الا ما تقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار
الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها
على الحال من الدار من دون الناس سايرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات
الشوايب كما قال علي لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين
الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من
ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم
من موجبات النار كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة
بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة
اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمني ليس
من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت لي كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلعم
لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض والله
عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بمعنى الجاري مجرى علم ومفعولاه هم
احرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن
الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم

بالذكر للمبالغة بان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع
فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صايرون
الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون
خبر مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا
عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق
الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر
فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب
ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره
او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم
سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون
والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل
في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلعم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا
عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا
من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم
عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا
ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكايل صاحب
الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكايل عن يساره وبينهما
عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما
فهو عدو لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عم لقد وافقك ربك يا عمر
وفي جبريل ثماني لغات قرئ بهن اربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قرا حمزة والكسائي
وجبريل بكسر الرا وحذف الهمزة قراة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراة عاصم وجبريل كقنديل

قرأه الباقون واربع في الشواذ جبرائل وجبرئل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله
فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه
وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ
وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره
او بتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر
ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبرائل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما
معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب
المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك
وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدو له من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او
معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد
الملكان بالذكر لتفضيلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر
واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانما عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم و
عداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على
انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع وميكائل كميكاعل وابو عمرو
ويعقوب وحفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكاءل ولقد انزلنا اليك آيات
بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع
من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آيات فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا
وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا
وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال

فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم
ينبذ جهارا فانهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق
لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع
الرسل كالقرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر
لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون
عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا
بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة
جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم
وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا
ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين
عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها وتتبعها الشياطين من
الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون
السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس
وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم
بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك
وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين
كفروا باستعماله يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر
ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا
لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا
تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية

ويريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل
لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار
او به نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين
المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله
لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر
وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين
او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين
ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية
ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناهما على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه
ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان
فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير
محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان
فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه
اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من
الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد
وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان
العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان
التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله
والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا
به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين

او حقيقته ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم
الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من
لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ
كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا
مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة
والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان
المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما
سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير
جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا اي راقبنا وتأن
بنا فيما نلقنه حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى
الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون
عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا
من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على
لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه
قولهم راعنا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة
او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او اسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم
عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا
من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين
ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما
ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من

من خير من ربكم مفعول ينزل ومن الاولى مزيده للاستغراق والثانية للابتدا وفسر الخير بالوحي
والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شي منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما
يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شي
وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان
بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها
نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر
بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشي واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل
ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ
الآية بيان انتها التعبد بقراتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساوها اذهابها عن
القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرا ابن عامر ننسخ من انسخ
اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننساها اي نوخرها
من النسا وقرئ تنسها اي تنس احدا اياها وننسها اي انت وتنسها على البنا للمفعول
وننسكها باظهار المفعولين نات بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب
او مثلها في الثواب وقرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شي قدير فيقدر على
النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص
ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات
نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار
والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ
بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الماتي به بدلا والسنة ليست
كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره
والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة

على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة
بالمعنى القايم بالذات القديم الم تعلم الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما
افرده لانه اعلمهم ومبدا علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شي قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على
ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير
قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام
معادلة للهمزة في الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشيا كلها يامر وينهى كما اراد
ام تعلمون وتقترحون بالسوال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم
بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل في اهل الكتاب حين سالوا ان ينزل عليهم كتابا من
السما وقيل في المشركين لما قالوا لن نومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقروه ومن يتبدل
الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها
واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الآية
لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويودي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر
بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم ان
يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال
من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا
ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا
من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة
فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره
الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزيه عليهم او قتل قريظة واجلا بني النضير

وعن ابن عباس انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل
شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه
امرهم بالصبر والمخالفة واللجا الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير
او صدقة وقرى تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير
لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب
من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين
قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود
جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك
امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم
كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف اي امثال تلك
الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل
هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول
لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله
اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له
على عمله والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف
عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلعم
واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب
للجنس كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم
على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ

ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله
والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله
يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق
ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن
منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة
وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا
رسول الله صلعم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني
مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم
ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان
يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا
ان يمنعوهم منها او كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص
المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف
الائمة فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم
في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم
وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به
مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض
مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي
جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم
مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة
على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في
صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة

لئلا اصبحوا ليتبينوا خطاهم وعلى هذا اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك
وقيل هي توطية لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة **وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا** نزلت
لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملايكة بنات الله وعطفه
على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرا ابن عامر بغير واو **سُبْحَانَهُ** تنزيه له عن ذلك
فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفنا الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنايها
لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا
بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في
السموات والارض الذي من جملته الملايكة وعزير والمسيح **كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ** منقادون لا يمتنعون
عن مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون
له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على
تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان
يراد كل من جعلوه لله ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة
والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقها على ان من ملك ولده
عتق عليه لانه تع نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**
مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو
بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله
سبحانه مبدع الاشيا كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع
اختراع الشي لا عن شي دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب
الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرى بديع مجرورا على
البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح **وَإِذَا قَضَى أَمْرًا** اي اراد شيا واصل القضا
اتمام الشي قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على

تعلق الارادة الالهية بوجود الشي من حيث انه يوجبه **فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**
من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما
تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء
الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تع يستغني عن ذلك وقرا
ابن عامر فيكون بالنصب واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة كان
يطلقون الاب على الله تع باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله
سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك
تقليدا ولذلك كفر قايله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** اي جهلة المشركين
او المتجاهلون من اهل الكتاب **لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ** هلا يكلمنا كما يكلم الملايكة او يوحي الينا بانك رسوله
أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود ان ما آتاهم آيات الله استهانة
به وعنادا **كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** من الامم الماضية **مِثْلَ قَوْلِهِمْ** فقالوا ارنا الله جهرة وهل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مايدة من السماء **تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ** قلوب هولاء ومن قبلهم في العمى
والعناد وقرى بتشديد الشين **قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** اي يطلبون اليقين او يوقنون
الحقايق لا تعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفا في الآيات او لطلب
مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ** متلبسا مويدا به **بَشِيرًا وَنَذِيرًا**
فلا عليك ان اصروا وكابروا **وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** ما لهم لا يومنون بعد ان بلغت
وقرا نافع ويعقوب ولا تسال على انه نهي للرسول عليه الصلوة والسلام عن حال ابويه او
تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا تقدر ان تخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها
فنهاه عن السوال والجحيم المتاجج من النار **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ**
مِلَّتَهُمْ مبالغة في اقناط الرسول عليه الصلوة والسلام عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه
حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال **قُلْ**

تعليما للجواب إن هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى
الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم الزائغة والملة ما شرع الله لعباده
على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى راي يتبع الشهوة بعد الذي
جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع
عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه
حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو
حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون
به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون
حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل
ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها
والحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة
في النصح وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود من القضية واذ ابتلى ابراهيم ربه
بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه
لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن
لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على
المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة في قوله التائبون الحامدون العابدون
وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون
كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه وبمناسك
الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن
وبما تضمنه الآيات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني

كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام فأتمهن
فأداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير
لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمر ناصب
اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون
الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال
فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم
من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباعه
قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك
والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيته من الذر بمعنى
التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي
لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته
ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهده والظالم لا يصلح لها وانما ينالها
البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق
لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا
البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان
الزوار وامثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة
كل واحد وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله لقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم
او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني
الملتجي حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة
القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا
اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلعم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم

الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع
بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه الصلوة والسلام اخذ بيد عمر فقال
هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت
وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روي جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه
عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي
في وجوبها قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى
فيها ويتقرب الى الله تع وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ
الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها **وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل**
امرناهما **ان طهرا بيتي** بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه
من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه **للطائفين** حوله **والعاكفين** المقيمين عنده
والمعتكفين فيه **والركع السجود** اي المصلين جمع راكع وساجد **واذ قال ابرهيم رب اجعل**
هذا يريد البلد او المكان **بلدا آمنا** ذا امن كقوله في عيشة راضية او آمنا اهله كقوله ليل نائم
وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ابدل من آمن من اهله بدل
البعض للتخصيص **ومن كفر** عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس الرزق على الامامة
فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين
او مبتدأ تضمن معنى الشرط **فامتعه قليلا** خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب
تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه
ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم
وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره
وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من
يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها

ما يجاورها

ما يجاورها دون العكس **وبئس المصير** المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب **واذ يرفع**
ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة
غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء
عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها ساقات البناء فان
كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه
بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها **واسمعيل**
كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين
او على التناوب **ربنا تقبل منا** اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما **انك انت**
السميع لدعائنا **العليم** بنياتنا **ربنا واجعلنا مسلمين لك** مخلصين لك من اسلم وجهه
او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات
عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع **ومن ذريتنا**
امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة
ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان
الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش ولذلك المعاش
قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عليه الصلوة والسلام ويجوز ان
يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف
والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن **وارنا** من رأى بمعنى ابصر
او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين **مناسكنا** متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل
غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب
ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل
عليها **وتب علينا** استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما

ني الامة المسلمة

وارشادا الذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلعم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى
عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم آياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلايل التوحيد والنبوة
ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك
والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب
عن ملة ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي
لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال
المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان
تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو
غبن رايه والم راسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له
سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا
من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح
يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل و
الاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه
او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح
المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين
دعاه ربه واخطر بباله دلايل المودية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت
لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابا مهاجر
ووصى بها ابرهيم بنيه التوصية هي التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها
الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل

الوصي

الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر اوصى
والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على
انه ممن وصاه ابرهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع
منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل
واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر
وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون وزوني
وتفتوني وكودي واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام
الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف
حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الا
كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت
لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية
يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية
عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شاهدين وقيل الخطاب للمومنين
والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه
بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام
واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسال به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص
العقلاء بمن اذا سيل عن تعيينه وان سيل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد
الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب
عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه الصلوة والسلام

سلام

ثم الربط صنو ابيه كما قال عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على انه
جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم وحده
عطف بيان الهًا واحدًا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفايدته التصريح
ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على
الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون
اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود
وسمي به الجماعة لان الفرق تامها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان
انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال
عليه الصلوة والسلام لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا
يعملون ولا تواخذون بسيآتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى
الضمير الغايب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت
اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل
ملة ابرهيم اي بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ بالرفع
اي ملته ملتنا او عكسه او ملتنا يعني نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق
حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من
المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا
آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا القرآن
قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا وسبب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا
متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل
الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم

فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالحكم ابلغ
لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي
النبيون جملة المذكورين ومنهم غير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق
بين احد منهم كاليهود نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ
ان يضاف اليه بين ونحن له مسلمون مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به
فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن
به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا
الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق
او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل
مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة
من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان
او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من
المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ
والنصرة على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم
اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون
وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغة وهي فطرة الله التي فطر الناس
عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا
وطهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ
وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون
اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم
ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم

ومن أحسن من الله صبغة لا صبغة أحسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم أي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الإغراء أو البدل أن يضمر قولوا معطوفا على الزموا أو اتبعوا ملة إبرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل أتحاجوننا أتجادلوننا في الله في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي أن أهل الكتاب قالوا الأنبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا كأنه ألزمهم على كل مذهب ينتحونه إفحاما وتبكيتا فإن كرامة النبوة إما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء وإما إفاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالإخلاص فكما أن لكم أعمالا ربما يعتبرها الله في إعطائها فلنا أيضا أعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالإيمان والطاعة دونكم أم تقولون إن إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى أم منقطعة والهمزة للإنكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل أن يكون معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعنى أي الأمرين تأتون المحاجة أو ادعاء اليهودية أو النصرانية على الأنبياء قل أأنتم أعلم أم الله وقد نفى الأمرين عن إبرهيم بقوله ما كان إبرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما أنزلت التورية والإنجيل إلا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه أتباعه في الدين وفاقا ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لإبرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا أحد أظلم من أهل الكتاب لأنهم كتموا هذه الشهادة أو منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالأمة في الأول الأنبياء وفي الثاني أسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من

آخر الجزء الأول

الناس الذين خف أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الإخبار به توطين النفس وإعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الأصل الحالة التي عليها الإنسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه وإنما العبرة بارتسام أمره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه إلى بيت المقدس والكعبة أخرى وكذلك إشارة إلى مفهوم الآية المتقدمة أي كما جعلناكم مهديين إلى الصراط المستقيم أو جعلنا قبلتكم أفضل القبل جعلناكم أمة وسطا أي خيارا أو عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الأصل اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط كالجود بين الإسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم أطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الأسماء التي توصف بها واستدل به على أن الإجماع حجة إذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطلا لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل أي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل إليكم من الكتاب أنه تعالى ما بخل على أحد وما ظلم بل أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والإعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي أن الأمم يوم القيمة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو أعلم بهم إقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بأمة محمد صلعم فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسأل عن حال أمته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وإن كانت لهم لكن لما كان الرسول عليهم كالرقيب المهيمن على أمته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها أي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة [illegible]

على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب على عقبيه اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كانت زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روى انه عم لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل قد نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلعم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله

وحكمه فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور اي منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه الصلوة والسلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيد الامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالياء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين اكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب

عن الانبيا الذين آتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلعم وان لم يسبق ذكره لدلالة
الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم
ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلعم فقال انا اعلم به مني
بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما
مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول صلعم او الحق الذي يكتمونه او للجنس
والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما
خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من
الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس
المراد به نهي الرسول صلعم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق
الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ
ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة
هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ لكل وجهة بالاضافة
والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبر الضعف العامل وقرا ابن
عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة
الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا اي في اي موضع
تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم
الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء
والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا
صليت وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه

تعالى

تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي
كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه و
قرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها
شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى
لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة يدفع احتجاج
اليهود بان المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين
بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون
لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه
وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمي هذه حجة كقوله
حجتهم داحضة لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة
الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استئناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوا
فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون
علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل
واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة
وعن علي كرم الله وجهه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله
اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما
ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار
القصد واخره في دعوة ابرهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر
فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان
الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام

العبادات ومعراج المؤمنين ومناجات رب العالمين إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ بالنصر واجابة الدعوة
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ اى هم اموات بَلْ أَحْيَاءٌ اي بل هم احيا وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ
ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي
امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهدا احيا عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل
اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت
في شهدا بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قايمة بانفسها مغايرة لما يحس به
من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى
هذا فتخصيص الشهدا لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ولنصيبنكم
اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلا وتستسلمون للقضا بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم
وبالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم
وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ عطف على شي او الخوف وعن الشافعي رض الخوف
خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس
الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلعم اذا مات ولد العبد قال الله تع للملايكة اقبضتم
ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تع ماذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ
إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ الخطاب للرسول عليه السلم ولمن يتاتى منه
البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلوة والسلام كل شي يؤذي المؤمن
فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه
راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه
ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ الصلوة في الاصل

الدعا ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة
اللطف والاحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله
مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ
للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ هما علما
جبلين بمكة مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ
أَوِ اعْتَمَرَ الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته
على الوجهين المخصوصين فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا كان اساف على
الصفا ونايلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام
وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع
في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس
لقوله فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز
الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة رحمه الله انه واجب يجبر
بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وَمَنْ
تَطَوَّعَ خَيْرًا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض الله عليه من حج
او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة
محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى
او فعل وقرا حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف
فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ مثيب على الطاعة لا تخفى عليه إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ كاحبار اليهود
مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ كالآيات الشاهدة على امر محمد صلعم وَالْهُدَى وما يهدي
الى وجوب اتباعه والايمان به مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ لخصناه فِي الْكِتَابِ في
التورية أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم

من الملائكة والثقلين إلا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب أن يتاب عنه وأصلحوا
ما أفسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما أحدثوه من التوبة
ليمحوا سمة الكفر عن أنفسهم ويقتدي بهم أضرابهم فأولئك أتوب عليهم بالقبول و
المغفرة وأنا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة إن الذين
كفروا وماتوا وهم كفار أي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات أولئك عليهم لعنة
الله والملائكة والناس أجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه و
قيل الأول لعنهم أحياء وهذا لعنهم أمواتا وقرئ والملائكة والناس أجمعون عطفا على
محل اسم الله لأنه فاعل في المعنى كقولك أعجبني ضرب زيد وعمرو أو فاعلا لفعل مقدر
نحو وتلعنهم الملائكة خالدين فيها أي في اللعنة أو النار وإضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها
وتهويلا أو اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون
أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة وإلهكم إله واحد خطاب عام أي
المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح أن يعبد أو يسمى إلها لا إله إلا هو تقرير
للوحدانية وإزاحة لأن يتوهم أن في الوجود إلها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن
الرحيم كالحجة عليها فإنه لما كان مولي النعم كلها أصولها وفروعها وما سواه إما نعمة
أو منعم عليه لم يستحق العبادة أحد غيره وهما خبران آخران لقوله إلهكم أو لمبتدأ
محذوف وقيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا إن كنت صادقا فائت بآية نعرف
بها صدقك فنزلت إن في خلق السموات والأرض وإنما جمع السموات وأفرد
الأرض لأنها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الأرضين واختلاف
الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر
بما ينفع الناس أي بنفعهم أو بالذي ينفعهم والقصد به إلى الاستدلال بالبحر وأحواله
وتخصيص الفلك بالذكر لأنه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه

على ذكر

على ذكر المطر والسحاب لأن منشأها البحر في غالب الأمر وتأنيث الفلك لأنه بمعنى
وقرئ بضمتين على الأصل أو الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما أنزل الله
من السماء من ماء من الأولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب
وجهة العلو فأحيا به الأرض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على أنزل
كأنه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الأرض أو على أحيى فإن
الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في
مهابها وأحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الإفراد والسحاب المسخر بين السماء والأرض
لا ينزل ولا ينقشع مع أن الطبع يقتضي أحدهما حتى يأتي أمر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه
في الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لأن بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون
فيها وينظرون إليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي لم
يتفكر فيها واعلم أن دلالة هذه الآيات على وجود الإله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها
مفصلا والكلام المجمل أنها أمور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وأنحاء
مختلفة إذ كان من الجائز مثلا أن لا تتحرك السموات أو بعضها كالأرض وأن تتحرك بعكس حركاتها
وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة وأن لا يكون لها أوج وحضيض أصلا وعلى هذا الوجه لبساطتها
وتساوي أجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته
متعاليا عن معارضة غيره إذ لو كان معه إله يقدر على ما يقدر عليه فإن توافقت إرادتهما فالفعل إن كان
لهما لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد وإن كان لأحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر
لإلهيته وإن اختلفت لزم التمانع والتطارد كما أشار إليه بقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله
لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من
دون الله أندادا من الأصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله إذ تبرأ
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد أعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم

ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة
والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها
ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه
واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا تنقطع محبتهم لله
بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون
عن آلهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين
ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيامة واجري
المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي
يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم
وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا
ان القوة لله جميعا لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب
للنبي صلعم اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان
بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء
ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب
يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والواو للحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع
والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ
تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا لو للتمني ولذلك
اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم
حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين
من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص

والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة
والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا
يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا
خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو
وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت
ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة
عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت
انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه
وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه
الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه و
قيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني
ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات
وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك
شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا
الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين
امروا باتباع القرآن وساير ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا نتبع ما الفينا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم
ما انزل الله التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال
او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين
ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع

الغي في الدين اذا علم بدليل ما انه حق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل
اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف
ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة
لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم
التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم
في اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او
تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار
ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم
بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين
منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحله
لكم ان كنتم اياه تعبدون فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه فان
عبادته لا تتم الا بالشكر ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلعم يقول
الله تعالى اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة
اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك و
الجراد اخرجهما العرف عنها واستثنى الشرع عنها والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف
فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه
معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند
ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤي
سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر
اخر ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا

قرأ عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون والباقون برفع النون ح

لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله
ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم
يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار
كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم
اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة
بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا ياكلون يوم القيمة الا النار
ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا
ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة
والزلفى من الله ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية
فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة
مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر
او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب
بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب والكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب
اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة
اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله
مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير
الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين
حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه

فانه منسوخ ولكن البر ما بيّنه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا
بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص
البر بالنصب **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** اي ولكن الذي
ينبغي ان يهتم به بر من آمن بالله او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرا ولكن البار والـ
الاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر
وآتى المال على حبه اي على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل قال ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور
في موضع الحال **ذوي القربى واليتامى** يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم
ذوي القربى لان ايتاءهم افضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان
صدقة وصلة **والمساكين** جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير
لدائم السكر **وابن السبيل** المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف
لان السبيل يرعف به **والسائلين** الذين الجاهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق
وان جاء على فرسه **وفي الرقاب** وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب
لعتقها **واقام الصلوة** المفروضة **وآتى الزكوة** يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله آتى المال
الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها و
يحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث
نسخت الزكوة كل صدقة **والموفون بعهدهم اذا عاهدوا** عطف على من آمن **والصابرين في
البأساء والضراء** نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري
البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض **وحين البأس** وقت مجاهدة العدو
اولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر **واولئك هم المتقون** عن الكفر وسائر الرذائل
والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها

وتشعبها

وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير
الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى
الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا
الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته الخلق ومعاملته مع الحق واليه
اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان **يا ايها الذين آمنوا كتب
عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى** كان في الجاهلية بين
حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم
بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلعم فنزلت وامرهم ان يتباوءوا
ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث
لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك
والشافعي رضي الله عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما علي رضي الله
عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول صلعم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه
انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي
الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف
ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية
فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف
اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب
وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل
فعل جاء في القرآن **فمن عفي له من اخيه شيء** اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته
الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك
وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفى يعدى

بمعنى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به
الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من
جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام
ليرق له ويعطف عليه **فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان** اي فليكن اتباع
او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف
والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان
الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي
رضي الله عنه في المسئلة قولان **ذلك** اي الحكم المذكور في العفو والدية **تخفيف من
ربكم ورحمة** لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى
النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم
على حسب مراتبهم **فمن اعتدى بعد ذلك** قتل بعد العفو واخذ الدية **فله عذاب
اليم** في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية
ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل
ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من
الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا
يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم
الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل
المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يواخذ به في الآخرة ولكم
في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا
من الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل او في القرآن
حيوة للقلوب **يا اولي الالباب** ذوي العقول الكاملة ناداهم للتامل في حكمة القصاص

من استيفاء

من استيفاء الارواح وحفظ النفوس **لعلكم تتقون** في المحافظة على القصاص والحكم به
والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل **كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت** اي
حضر اسبابه وظهر اماراته **ان ترك خيرا** اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي ان مولى
له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير
وعن عائشة ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة آلاف فقالت كم عيالك قال
اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك **الوصية للوالدين
والاقربين** مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء و
لذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها
وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات
الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ
بآية المواريث وبقوله صلعم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث
وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية
مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز
عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم
الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم **بالمعروف** بالعدل فلا يفضل
الغني ولا يتجاوز الثلث **حقا على المتقين** مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **فمن بدله** غيره
من الاوصياء والشهود **بعد ما سمعه** وصل اليه وتحقق عنده **فانما اثمه على الذين
يبدلونه** فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه لانهم الذين خانوا وخالفوا
الشرع **ان الله سميع عليم** وعيد للمبدل بغير حق **فمن خاف من موص** اي توقع وعلم
من قولهم اخاف ان ترسل السماء **جنفا** ميلا بالخطا في الوصية **او اثما** تعمدا للحيف **فاصلح
بينهم** بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع **فلا اثم عليه** في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى

خوف بخلاف الاول ﴿ان الله غفور رحيم﴾ وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون
الفعل من جنس ما يؤثم ﴿يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾
يعني الانبياء والامم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على
النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك
عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس ﴿لعلكم تتقون﴾ المعاصي فان الصوم يكسر
الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال
بادائه لاصالته وقدمه ﴿اياما معدودات﴾ موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل
من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا
لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء
وثلثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انها مفعول ثان لكتب عليكم على السعة
وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع
في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك
لموتان اصابهم ﴿فمن كان منكم مريضا﴾ مرضا يضره الصوم ويعسر معه ﴿او على سفر﴾ او
راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر ﴿فعدة من ايام اخر﴾ اي فعليه
صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف
اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب
واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ وعلى المطيقين للصيام
ان افطروا ﴿فدية طعام مسكين﴾ نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق
ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم
لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ
يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه ويتطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه على ان

اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراآت يحتمل معنى ثانيا
وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد
اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ﴿فمن تطوع خيرا﴾ فزاد في الفدية ﴿فهو﴾ فالتطوع
او الخير ﴿خير له وان تصوموا﴾ ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار
ليندرج تحته المريض والمسافر ﴿خير لكم﴾ من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء ﴿ان كنتم
تعلمون﴾ ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه
ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك ﴿شهر رمضان﴾ مبتدا خبره ما بعده او خبر
محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام
صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف
او بدل من اياما معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اي احترق فاضيف
اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما
للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما
سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام
رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة ﴿الذي انزل فيه القرآن﴾ اي ابتداء فيه انزاله وكان
ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القرآن
وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلعم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان و
انزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول
بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار
بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه ﴿هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾
حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدي الى الحق
ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ فمن حضر في الشهر

ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول
للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد
منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ومن كان
مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل
تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان
ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم
ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد
بصوم الشهر والمرخص بالقضا ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخرها
على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضا و
بيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعل او معطوفة على علة
مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم
لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثنا عليه ولذلك عدي بعلى
وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هديكم اليه وعن عاصم برواية ابي بكر
ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال
علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع
اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة
كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين
اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تع لما امرهم بصوم الشهر و
مراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه خبير باحوالهم
سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال احل

لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلوا العشا او يرقدوا وان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشا فندم واتى النبي صلعم
واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشا فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح
منها صايما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه
وعدي بالى لتضمنه معنى الافضا وايثاره هيهنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث
هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة
اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما
على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان
كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها
للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب
عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه
دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا
ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون
غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل
وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه
من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط
الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو
بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون
ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت [illegible] فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت
الحاجة جايز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة
باجتهادهم

الى الصبح الدال على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم أتموا الصيام إلى الليل بيان آخر
وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد معتكفون
فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان
الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف
يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات
يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز
بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى عنه كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان
حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان
يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون
مخالفة الاوامر والنواهي ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل اي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي
لم يبحه الشرع وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها إلى الحكام عطف على المنهي
او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة
من أموال الناس بالإثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وأنتم تعلمون
انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ
القيس الكندي قطعة من ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ
القيس فهم به فقرأ عليه رسول الله صلعم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن
اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده
قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له
على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من النار يسألونك
عن الأهلة سأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى
يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج انهم سألوه عن الحكمة

في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون
معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا
الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه
وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان
مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقى كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون
ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى
المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت
الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما لا يعنونه ولا يتعلق
بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنونه ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها
على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم
السؤال وتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من وراءه والمعنى وليس البر بأن تعكسوا في
مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من أبوابها اذ ليس في العدول
برّ وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون
لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم
القتال ويتوقع منهم دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة كلهم
فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلعم عام
الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون
ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال
المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله إن الله لا يحب المعتدين

ولا يريد بهم الشر واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق
في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني
فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم
يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن
اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه
اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال
وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته
وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم
قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا
عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك
ويكون الدين لله خالصا لله ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على
الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء
الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين
وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون
عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل
هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو
ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا
عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو
فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار فلا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين
فيحرسهم ويصلح شأنهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم

على اهلاككم

على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله
رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى
الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء
وعدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك
واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها
آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم
او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي
المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما
روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك فعارضه
بما روي ان رجلا قال لعمر اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت
لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب
اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل
اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما
بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره
اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله تعالى
فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او
مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف
مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي
حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر والهدي
ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة
او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث

به وبعث المبعوث بيده يوم أمارة فإذا جاء اليوم وظن أنه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤوسكم
حتى يبلغ الهدي محله أي لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدي المبعوث إلى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب أن
ينحر فيه وحمل الأولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان أو حرما واقتصاره
على الهدي دليل على عدم القضاء وقال أبو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان
والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم
مريضا مرضا يحوجه إلى الحلق أو به أذى من رأسه كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية إن حلق من صيام
أو صدقة أو نسك بيان لجنس الفدية وأما قدرها فقد روي أنه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك
آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة
مساكين أو انسك شاة والفرق ثلاثة آصع فإذا أمنتم الإحصار أو كنتم في حال أمن وسعة فمن تمتع
بالعمرة إلى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب إلى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في
أشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج
فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم الجبران يذبحه إذا أحرم بالحج
ولا يأكل منه وقال أبو حنيفة إنه دم نسك فهو كالأضحية فمن لم يجد أي الهدي فصيام
ثلاثة أيام في الحج في أيام الاشتغال به بعد الإحرام وقبل التحلل وقال أبو حنيفة في أشهره
بين الإحرامين والأحب أن يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر
وأيام التشريق عند الأكثر وسبعة إذا رجعتم إلى أهليكم وهو أحد قولي الشافعي
أو نفرتم وفرغتم من أعماله وهو قوله الثاني ومذهب أبي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب
عطفا على محل ثلاثة أيام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها أن لا يتوهم أن الواو
بمعنى أو كقولك جالس الحسن وابن سيرين وأن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فإن أكثر العرب
لم يحسنوا الحساب وأن المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فإنه يطلق لها كاملة
صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد أو مبينة كمال العشرة فإنه أول عدد كامل

اذ به الآحاد وتتم مراتبها أو مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك إشارة إلى الحكم المذكور
عندنا والتمتع عند أبي حنيفة إذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل
ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن أهله حاضري المسجد وهو من كان من الحرم على مسافة القصر
عندنا فإن من كان على أقل فهو مقيم الحرم أو في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده
وأهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على أوامره ونواهيه
وخصوصا في الحج واعلموا أن الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن
العصيان الحج أشهر أي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي
شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند أبي حنيفة وذو الحجة
كله عند مالك وبناء الخلاف أن المراد بوقته وقت إحرامه أو وقت أعماله ومناسكه أو ما
لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فإن مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وأبو حنيفة
وإن صحح الإحرام به قبل شوال فقد استكرهه وإنما سمى شهرين وبعض الشهر أشهرا
إقامة للبعض مقام الكل أو إطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن
أوجبه على نفسه بالإحرام فيهن عندنا أو بالتلبية أو سوق الهدي عند أبي حنيفة
وهو دليل على ما ذهب إليه الشافعي وأن من أحرم بالحج لزمه الإتمام فلا رفث
فلا جماع أو فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب
وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في أيامه نفي
الثلاثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على أنها حقيقة بأن لا تكون وما كانت منها مستقبحة
في أنفسها ففي الحج أقبح كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لأنه خروج
عن مقتضى الطبع والعادة إلى محض العبادة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو الأولين بالرفع
على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الإخبار بانتفاء الخلاف
في الحج وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف

بان امروا بان يتقوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب
النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا
لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون و
يقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في
السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله
وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرءوا عن كل شئ سواه
وهو مقتضى العقل المعرى عن شوايب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب
ليس عليكم جناح ان تبتغوا اى في ان تبتغوا اى تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا
منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية
يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم
من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم
فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات
وانما نون وكسر وفيها العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن
ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا
ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما
هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها
لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمونث كتاء بنت وانما
سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان
يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا
او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان
يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا يكون الا بعده وهي

مامور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به
غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام
جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول
ما روى جابر انه عليه الصلوة والسلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى
اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم
العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه
افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه
حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من
قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تع وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث
افاض الناس اى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر
الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين
كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة
من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اى الناسي يريد آدم من قوله تع فنسي
والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في
تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم
فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره
بالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف
على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد
منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب
بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر

عليه المعنى بتدبره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لاباكم **فمن الناس من يقول** تفصيل
للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث
على الاكثار والارشاد اليه **ربنا آتنا في الدنيا** اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا **وما له في الآخرة
من خلاق** نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق **ومنهم من يقول ربنا
آتنا في الدنيا حسنة** يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير **وفي الآخرة حسنة** يعني
الثواب والرحمة **وقنا عذاب النار** بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا
المراة الصالحة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب
المؤدية الى النار امثلة للمراد بها **اولئك** اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما **لهم نصيب مما كسبوا**
اى من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه
ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال **والله سريع الحساب** يحاسب العباد على كثرتهم و
كثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب
الحسنات **واذكروا الله في ايام معدودات** كبروه ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي
الجمار وغيرها في ايام التشريق **فمن تعجل** فمن استعجل النفر **في يومين** يوم القر والذي بعده اي
فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده **فلا اثم عليه** باستعجاله **ومن
تاخر فلا اثم عليه** فمن تاخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم
رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجل والتاخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم
من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر **لمن اتقى** اي الذي ذكر من التخيير ومن الاحكام لمن اتقى لانه الحاج
على الحقيقة والمنتفع به او لاجل ان لا يتضرر بترك ما يهمه منهما **واتقوا الله** في مجامع اموركم ليعبا بكم
واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق **ومن الناس من يعجبك
قوله** يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه **في الحياة الدنيا**
متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مرادة من ادعاء

المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة
لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام **ويشهد الله على ما في قلبه** يحلف و
يستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه **وهو الد الخصام** شديد العداوة والجدال للمسلمين و
الخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل
نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلعم ويدعي
الاسلام وقيل في المنافقين كلهم **واذا تولى** ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا
سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق
زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه
القطر فيهلك الحرث والنسل **والله لا يحب الفساد** اي لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه **واذا قيل
له اتق الله اخذته العزة بالاثم** حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا
من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه **فحسبه جهنم** كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار
العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب **ولبئس المهاد** جواب قسم مقدر والمخصوص
بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطا للجنب **ومن الناس من يشري نفسه**
يبيعها ببذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل **ابتغاء مرضات الله** طلبا
لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال
اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي
فقبلوه منه واتى المدينة **والله رؤف بالعباد** حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرى وكلفهم بالجهاد
فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء **يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة** السلم بالكسر والفتح
الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره
الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب
قال الشاعر السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه

جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب
لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان
بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء و
الخطاب للمسلمين **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** بالتفريق والتفرق **انه لكم عدو مبين**
ظاهر العداوة **فان زللتم** عن الدخول في السلم **من بعد ما جاءتكم البينات** الآيات والحجج
الشاهدة على انه الحق **فاعلموا ان الله عزيز** لا يعجزه الانتقام **حكيم** لا ينتقم الا بحق **هل ينظرون**
استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده **الا ان ياتيهم الله** اي ياتيهم امره او باسه كقوله او ياتي امر ربك
فجاءهم باسنا او ياتيهم الله ببأسه فحذف الماتي به للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز حكيم **في ظلل** جمع
ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال **من الغمام** السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب
فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان
اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير **والملائكة** فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون
على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام **وقضي الامر** اتم امر اهلاكهم وفرغ منه ووضع
الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة **والى الله
ترجع الامور** قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من الرجع وقرأ
الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء
المفعول **سل بني اسرائيل** امر للرسول عليه الصلوة والسلام او لكل واحد والمراد بهذا السؤال
تقريعهم **كم آتيناهم من آية بينة** معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب
على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية والرفع بالابتداء
على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل **ومن يبدل نعمة الله** اي آيات الله فانها سبب
الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل الزائغ
من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما

عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل **فان الله شديد العقاب** فيعاقبه اشد عقوبة
لانه ارتكب اشد جريمة **زين للذين كفروا الحيوة الدنيا** حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم
حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل
عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الامور
البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض **ويسخرون من الذين آمنوا** يريد فقراء المؤمنين كبلال
وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء
كانهم جعلوا مبدأ السخرية منهم **والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة** لانهم في عليين وهم في اسفل
السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم
في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم
للتقوى **والله يرزق من يشاء** في الدارين **بغير حساب** بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا
تارة وابتلاء اخرى **كان الناس امة واحدة** متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح
او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح **فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين** اي اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب
الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور
في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون **وانزل معهم الكتاب** يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل
مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم
بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به **ليحكم بين الناس** اي الله او النبي المبعوث
او كتابه **فيما اختلفوا فيه** في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم **وما اختلف فيه**
في الحق او الكتاب **الا الذين اوتوه** اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا
ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه **من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم** حسدا بينهم
وظلما لحرصهم على الدنيا **فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه** اي للحق الذي اختلف فيه من

اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه بإذنه بأمره أو إرادته ولطفه والله يهدي من يشاء إلى
صراط مستقيم لا يضل سالكه أم حسبتم أن تدخلوا الجنة خاطب به النبي والمؤمنين بعد ما ذكر
اختلاف الأمم على الأنبياء بعد مجيء الآيات تشجيعاً لهم على الثبات مع مخالفيهم وأم منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الإنكار ولما يأتكم ولم يأتكم وأصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل
مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان
له على الاستئناف وزلزلوا وأزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع
يقول بالرفع على أنها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له
لتأخره ألا إن نصر الله قريب استئناف على إرادة القول أي فقيل لهم ذلك إسعافاً لهم إلى طلبتهم من
عاجل النصر وفيه إشارة إلى أن الوصول إلى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات و
مكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس أن عمرو بن الجموح الأنصاري كان شيخاً ذا مال عظيم فقال يا رسول
الله ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى
والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فأجيب ببيان المصرف لأنه أهم فإن اعتداد النفقة باعتباره ولأنه
كان في سؤال عمرو وإن لم يكن مذكوراً في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما أنفقتم من خير وما
تفعلوا من خير في معنى الشرط فإن الله به عليم جوابه أي إن تفعلوا خيراً فإن الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه و
ليس في الآية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعاً وهو مصدر
نعت به للمبالغة أو فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على أنه لغة فيه كالضعف والضعف أو بمعنى الإكراه
على المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وعسى أن تكرهوا شيئاً
وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فإن الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى أن تحبوا
شيئاً وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فإن النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها إلى الردى وإنما ذكر عسى لأن

النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وأنتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على أن الأحكام
تتبع المصالح الراجحة وإن لم يعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روي أنه عليه الصلاة والسلام بعث
عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيراً لقريش فيهم عمرو بن
عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان
ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف
ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم وشق على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول
الله صلعم العير والأسارى وعن ابن عباس لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهي أول
غنيمة في الإسلام والسائلون هم المشركون كتبوا إليه في ذلك تشنيعاً وتعييراً وقيل أصحاب السرية قتال
فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير أي ذنب كبير والأكثر على أنه
منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافاً لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والأولى
منع دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقاً فإن قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم
وصد صرف ومنع عن سبيل الله عن الإسلام أو ما يوصل العبد إلى الله من الطاعات وكفر به والمسجد الحرام
أكل امرئ تحسبين امرأً ونار توقد بالليل ناراً ولا يحسن عطفه على سبيل الله لأن عطف قوله
وكفر به على وصد مانع منه إذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في
به فإن العطف على الضمير المجرور إنما يكون بإعادة الجار وإخراج أهله منه أهل المسجد وهم النبي
والمؤمنون أكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الأشياء الأربعة المعدودة
من كبار قريش وأفعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة أكبر من القتل أي
ما يرتكبونه من الإخراج والشرك أفظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى
يردوكم عن دينكم إخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل
كقولك أعبد الله حتى أدخل الجنة إن استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته
على قرنه إن ظفرت بي فلا تبق علي وإيذان بأنهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر

فأولئك حبطت قيد الردة بالموت عليها في إحباط الأعمال كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه والمراد
بها الأعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للإسلام
من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة إن
الذين آمنوا نزلت أيضاً في السرية لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر والذين هاجروا
وجاهدوا كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء أولئك يرجون
رحمة الله ثوابه أثبت لهم الرجاء إشعاراً بأن العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة
بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم بإجزال الأجر والثواب يسألونك عن الخمر
والميسر روي أنه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً فأخذ المسلمون
يشربونها ثم إن عمر ومعاذاً في نفر من الصحابة قالوا أفتنا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل
فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوا
وسكروا فأم أحدهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فأنشد سعد شعراً
فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه فشكا إلى رسول الله صلعم فقال عمر اللهم بين
لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا
يا رب والخمر في الأصل مصدر خمره إذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر إذا اشتد وغلا كأنه
يخمر العقل كما سمي سكراً لأنه يسكره أي يحجزه وهي حرام مطلقاً وكذا كل ما أسكر عند أكثر العلماء
وقال أبو حنيفة رضي الله عنه نقيع الزبيب والتمر إذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه
ما دون السكر والميسر أيضاً مصدر كالموعد سمي به القمار لأنه أخذ مال الغير بيسر أو سلب يساره
والمعنى يسألونك عن تعاطيهما قل فيهما أي في تعاطيهما إثم كبير من حيث إنه يؤدي إلى الانتكاب
عن المأمور وارتكاب المحظور ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة
الفتيان وفي الخمر خصوصاً تشجيع الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة وإثمهما أكبر من نفعهما

أي المفاسد التي تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل إنها المحرمة للخمر فإن المفسدة
إذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والأظهر أنه ليس كذلك لما مر ويسألونك ماذا ينفقون
قيل سائله أيضاً عمرو بن الجموح سأل أولاً عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الإنفاق قل العفو
العفو نقيض الجهد ومنه يقال للأرض السهلة وهو أن ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي روي أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها في بعض
المغانم فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه حتى كرر مراراً فقال هاتها مغضباً فأخذها فحذفها
حذفاً لو أصابه لشجه ثم قال يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة
عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات أي مثل ما بين أن العفو أصلح من الجهد أو ما ذكر
من الأحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف أي تبييناً مثل هذا التبيين وإنما وحد
العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والأحكام في الدنيا والآخرة
في أمور الدارين فتأخذون بالأصلح والأنفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم ويسألونك عن
اليتامى لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام
بأمرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلعم فنزلت قل إصلاح لهم خير أي مداخلتهم لإصلاحهم
خير من مجانبتهم وإن تخالطوهم فإخوانكم حث على المخالطة أي أنهم إخوانكم في الدين ومن حق
الأخ أن يخالط الأخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم
لإفساد وإصلاح أي يعلم أمره فيجازيه عليه ولو شاء الله لأعنتكم أي ولو شاء الله إعناتكم لأعنتكم أي كلفكم
ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم إن الله عزيز غالب يقدر على الإعنات حكيم يحكم ما تقتضيه
الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن أي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم أي ولا
تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لأن أهل الكتاب مشركون لقوله وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات
من الذين أوتوا الكتاب روي أنه عليه الصلوة والسلام بعث مرثداً الغنوي إلى مكة ليخرج منها أناساً

من المسلمين فأتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت ألا تخلو فقال إن الإسلام حال بيننا فقالت
هل لك أن تتزوج بي فقال نعم ولكن أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولأمة
مؤمنة خير من مشركة أي ولامرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة فإن الناس عبيد الله وإماؤه
ولو أعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى إن وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم تعليل
للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين أولئك إشارة إلى المذكورين من المشركين والمشركات
حتى يؤمنوا يدعون إلى النار أي الكفر المؤدي إلى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله أي وأولياؤه
يعني المؤمنين حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه تفخيما لشأنهم يدعو إلى الجنة والمغفرة أي
الاعتقاد والعمل الموصلين إليهما فهم الأحقاء بالمواصلة بإذنه بتوفيق الله وتيسيره أو بقضائه
وإرادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا أو ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر
لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روي أن أهل الجاهلية
كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك إلى أن سأل أبو الدحداح
في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه إنما ذكر يسألونك
بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لأن السؤالات الأول كانت في أوقات متفرقة والثلاث الأخير
كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو أذى أي الحيض مستقذر مؤذ من
يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه الصلاة والسلام إنما
أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم
وهو الاقتصاد بين إفراط اليهود وتفريط النصارى فإنهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض
وإنما وصفه بأنه أذى ورتب الحكم عليه بالفاء إشعارا بأنه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد
للحكم وبيان لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم
في رواية ابن عياش يطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فإذا تطهرن فأتوهن فإنه يقتضي

تأخر جواز الإتيان عن الغسل وقال أبو حنيفة رح إن طهرت لأكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل
من حيث أمركم الله أي المأتي الذي أمركم به وحلله لكم إن الله يحب التوابين من الذنوب
ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والأقذار كمجامعة الحائض والإتيان في غير
المأتي نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف
بالبذور فأتوا حرثكم أنى شئتم أي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن
من حيث أمركم الله أنى شئتم من أي جهة شئتم روي أن اليهود كانوا يقولون من جامع
امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر لرسول الله صلعم فنزلت وقدموا
لأنفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطي واتقوا الله
بالاجتناب عن معاصيه واعلموا أنكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين
الكاملين في الإيمان بالكرامة والنعيم الدائم أمر الرسول صلعم أن ينصحهم ويبشر من صدقه
وامتثل أمره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
نزلت في الصديق لما حلف أن لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة أو في عبد الله
بن رواحة حلف أن لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته والعرضة
فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للأمر ومعنى الآية
على الأول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من أنواع الخير فيكون المراد بالأيمان الأمور
المحلوف عليها كقوله عليه صلعم لابن سمرة إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها
فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وأن مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها
من معنى الاعتراض ويجوز أن يكون للتعليل ويتعلق أن بالفعل أو بعرضة أي ولا تجعلوا
الله عرضة لأن تبروا لأجل أيمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لأيمانكم فتبتذلوه
بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وأن تبروا علة للنهي
أي أنهاكم عنه إرادة بركم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس فإن الحلاف مجترئ على الله

والمحث عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم
بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره
ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب
لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم
الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من
الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل
على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب
فيها والله غفور حيث لا يؤاخذ باللغو حليم لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة
للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته
بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن تربص اربعة اشهر مبتدا ما قبله
خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف
على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك
قال الشافعي رحمه الله لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاءوا اي رجعوا
في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء
من ضرار المراة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده
فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما دونها
وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطي ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطي ان يكفر والا
بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم
والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن
خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع
الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه

على المبتدا

على المبتدا يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء
طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب على الظرف
او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلوة
والسلام دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء
نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه الدال على
براءة الرحم لا الحيض كما قال الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن
والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه الصلوة والسلام طلاق الامة
تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره
فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان
شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس
ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل
واحد من البناءين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن
معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من
الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها
مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن
بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل
اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق
رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع والرجعة اليهن
فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة
او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي و
اهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا

بالرجعة لاضرار المراة وليس المراد به شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه
والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال
مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن
درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف
وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في
غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن
خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنان
لما روي انه عليه الصلوة والسلام سئل اين الثالثة فقال عليه الصلوة والسلام او تسريح
باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت
الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن
المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها
حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب تعليمهم كيفية التطليق
ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا اي من الصدقات روي ان جميلة بنت اخت
عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلعم
وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره
الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو
اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها
والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل
انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة
الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود
الله بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول

وابداله

وابداله ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها
الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به
نفسها واختلعت وعلى المراة في اعطائه تلك حدود الله كل اقامة احكامه اشارة الى ما حد من
الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب
للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة
وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه الصلوة والسلام ايما
امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه الصلوة والسلام
قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور
استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه
افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله
فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع
طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها
متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان
الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد
ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق
بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي
ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلعم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير
تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلعم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى
تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة
ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود
الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة

وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلِّل والمحلَّل له فإن طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما أن يتراجعا
أن يرجع كل من المرأة والزوج الأول إلى الآخر بالزواج إن ظنا أن يقيما حدود الله إن كان في
ظنهما أنهما يقيمان ما حدّه الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد
لأن عواقب الأمور غيب تظن ولا تعلم ولأنه لا يقال علمت أن يقوم زيد لأن أن الناصبة للتوقع وهو
ينافي العلم وتلك حدود الله أي الأحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون
بمقتضى العلم وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن أي آخر عدتهن والأجل يطلق للمدة ولمنتهاها
فيقال لعمر الإنسان وللموت الذي ينتهي به قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود إذا انتهى أجله
والبلوغ هو الوصول إلى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح أن يرتب
عليه فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف إذ لا إمساك بعد انقضاء الأجل والمعنى فراجعوهن
من غير ضرار أو خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو إعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام
به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف
الأجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهي عنه بعد الأمر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة أو الحال
بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل أو الإلجاء إلى الافتداء واللام متعلقة بالضرار إذ المراد
تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالإعراض عنها
والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الأمر إنما أنت هازئ كأنه نهي عن الهزؤ وأراد به الأمر
بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت ألعب فنزلت وعنه عليه الصلاة
والسلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم التي
من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن
والسنة أفردهما بالذكر إظهارا لشرفهما يعظكم به بما أنزل عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله بكل
شيء عليم تأكيد وتهديد وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن أي انقضت عدتهن وعن الشافعي رحمه الله
دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن الخطاب للأولياء

لما روى

لما روي أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته جملاء أن ترجع إلى زوجها الأول بالاستئناف
فيكون دليلا على أن المرأة لا تزوج نفسها إذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض
بإسناد النكاح إليهن لأنه بسبب توقفه على إذنهن وقيل الأزواج الذين يعضلون نساءهم
بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لأنه جواب قوله وإذا طلقتم وقيل
الأولياء والأزواج وقيل الناس كلهم والمعنى أنه لا يوجد فيما بينكم هذا الأمر فإنه إذا وجد
بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت
الدجاجة إذا نشب بيضها ولم يخرج إذا تراضوا بينهم أي الخطاب والنساء وهو ظرف
لأن ينكحن أو لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروءة حال من الضمير
المرفوع أو صفة مصدر محذوف أي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على أن العضل عن التزوج
من غير كفؤ غير منهي ذلك إشارة إلى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تأويل القبيل أو كل واحد
أو أن الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين أو للرسول
على طريقة قوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء للدلالة على أن حقيقة المشار إليه أمر لا يكاد يتصوره
كل أحد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لأنه المتعظ به والمنتفع ذلكم أي العمل
بمقتضى ما ذكر أزكى لكم أنفع وأطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح
وأنتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن أولادهن أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه
الندب أو الوجوب فيخص بما إذا لم يرتضع الصبي إلا من أمه أو لم يوجد له ظئر أو عجز الوالد عن
الاستئجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل تختص بهن إذ الكلام فيهن حولين
كاملين أكده بصفة الكمال لأنه مما يتسامح فيه لمن أراد أن يتم الرضاعة بيان للمتوجه إليه
الحكم أي ذلك لمن أراد إتمام الرضاعة أو متعلق بيرضعن فإن الأب يجب عليه الإرضاع كالنفقة
والأم ترضع له وهو دليل على أن أقصى مدة الإرضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وأنه يجوز
أن ينقص عنه وعلى المولود له أي الذي يولد له يعني الوالد فإن الولد يولد له وينسب إليه

وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن
أجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او
معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل
لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تع لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا
تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس
في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن
قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول
وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر الوالدة بالولد فتفرط في
تعهده وتقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع
التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما
عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او
يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله
اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه الصلوة والسلام واجعله الوارث منا وكلا
القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب
من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا عن التراضي منهما
والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج الرأي من شرت
العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذارا
ان تقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع
اولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف
المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه اطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد

ويمنع

ويمنع الزوجة عن الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تع اذا قمتم الى الصلوة
وقرأ ابن كثير ما أتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه
من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح
للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله
بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر اي وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم
كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث
العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط
ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم
الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا
ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف
حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله
الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة
للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تع واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن
علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب
وسائر ما حرم عليها بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكر فعليهم
ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم
فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ابهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة
ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه

كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالكسر والضم اسم الحالة غير ان المضمومة
خصّت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنسا المعتدات للوفاة وتعريض
خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ
اي اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ولا تصبرون
على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا استدراك عن
محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبّر بالسر
عن الوطي لانه يسرّ ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى
بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا
والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول
معروف وقيل انه استثنا منقطع من سرّا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض
وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة
وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ ذكر العزم
مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان
اصل العزم القطع حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ حتى ينتهي ما كتب من العدة وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
فِي أَنفُسِكُمْ من العزم على ما لا يجوز فَاحْذَرُوهُ ولا تعزموه وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لمن عزم ولم
يفعل خشية من الله حَلِيمٌ لا يعاجلكم بالعقوبة لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا
بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلعم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى
إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ اي تجامعوهن أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً الا ان تفرضوا او حتى
تفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتا لنقل
اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا
كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسمّ لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت

غير ممسوسة

غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى
ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين وَمَتِّعُوهُنَّ عطف على مقدر اي فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده
قوله عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ اي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال
ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام لانصاري طلق امراته المفوضة قبل
ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان
يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر مثلها ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة
التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا
وهو مقدم على المفهوم مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ تمتيعا بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حَقًّا صفة
لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا عَلَى الْمُحْسِنِينَ الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او
الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن
تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم
لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها
إِلَّا أَن يَعْفُونَ اي المطلقات فلا ياخذن شيا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق
ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل
مبني ولذلك لم يؤثر فيه أن ههنا ونصب المعطوف عليه أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ
اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو
مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخيّر للزوج غير مشطّر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية
وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي
رحمه وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى
الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون

المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو **ولا تنسوا الفضل بينكم** اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض **ان الله بما تعملون بصير** لا يضيع تفضلكم واحسانكم **حافظوا على الصلوات** بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها **والصلوة الوسطى** اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه الصلوة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه الصلوة والسلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها ما بين صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة انه عليه الصلوة والسلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص **وقوموا لله** في الصلوة **قانتين** ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح **فان خفتم** من عدو او غيره **فرجالا او ركبانا** فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف **فاذا امنتم** وزال خوفكم **فاذكروا الله** صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن **كما علمكم** ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة **ما لم تكونوا تعلمون** مفعول علمكم **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم** قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر

وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية لازواجهم او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها **متاعا الى الحول** نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية او بمتاع على قراءة من قرأ لانه بمعنى التمتيع **غير اخراج** بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة **فان خرجن** عن منزل الازواج **فلا جناح عليكم** ايها الائمة **فيما فعلن في انفسهن** كالتطيب وترك الحداد **من معروف** مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها **والله عزيز** ينتقم ممن خالفه منهم **حكيم** راعى مصالحهم **وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين** اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد او لتكرر القصة **كذلك** اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد **يبين الله لكم آياته** وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا **لعلكم تعقلون** تفهمونها فتستعملون العقل فيها **الم تر** تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب **الى الذين خرجوا من ديارهم** يريد اهل داوردان

قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا
ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر
الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل
ثلاثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو
للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله
كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيئته وقيل ناداهم
ملك وانما اسند الى الله تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان
وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا
باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة
تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء
ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا
ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار
والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر
لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا
ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي
يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله
واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص
وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل
الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب
على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض
الله احد وقرا ابن كثير يضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة

كثيرة

كثيرة لا يقدر قدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال
من الضمير او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف
اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض
حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون
فيجازيكم على حسب ما قدمتم الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا جماعة يجتمعون
للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن
للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل
في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم
نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء
مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب
عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو عنده تقريرا وتثبيتا قالوا وما لنا الا
نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال
وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك
ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين
وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك
اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد
اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان
الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول
تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من
يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك

ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة
ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء
او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد يهودا
وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم
والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم
ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان
الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون
اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم
وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك
على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه
عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه
سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت الصندوق
فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو
سلس وقلق ومن قراه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما
في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاذ مموها بالذهب
نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه
سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان
موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل هو
صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها و
جناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل
النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليهم الصلوة والسلام وقيل التابوت هو

والله واسع عليم

القلب

القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن
وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة
هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما وانبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله
الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم
يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم
ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى
طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي وان يكون ابتداء
خطاب من الله فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه
عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم
نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني
فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه
ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل
او باخبار النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية
كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون
الكثير فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط
وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله
فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة آلاف وقيل
الف روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت
شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه
اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده

لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلّص منهم الذين تيقنوا لقاء الله
وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه
والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر
بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الخبر والاستفهام
ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت راسه اذا شققته او من فاء اذا
رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده
اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي
هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما
غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل
داود جالوت قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم و
كان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد
كلمه في الطريق ثلثة احجار وقد كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت
فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته واتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم
يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولو
لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين اي ولولا انه
تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في
الارض او لفسدت الارض بشؤمهم تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك
طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه
المطابق الذي لا يشك فيها اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها
من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة

آخر الجزء الثاني

للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة
ليست لغيره منهم من كلم الله تفضيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة
وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله و
كالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات
بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عليه الصلوة والسلام فانه خص
بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل
العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني
عن التعيين وقيل ابرهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله ورفعناه
مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس
خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله
لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل
الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحات لاختلافهم في
الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء ومنهم من
كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء
فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على
بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان او
شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتي
يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص
من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه
اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع
لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلثها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او

ستغاثة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون
الزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون
موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات
الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه
المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان
يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة
والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه
سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في
عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخا اعصاب الدماغ من رطوبات
الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه
وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان
من اخذه نعاس او نوم كان موف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف
فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده
في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من
قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه
وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه
عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل
المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه
او ما يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة
والانبيا ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان
مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات

والارض

والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن
علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط
بالسموات السبع لقوله عليه الصلوة والسلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي
الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور
بفلك البروج وهو في الاصل لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى
الكرسي وهو الملبد ولا يوده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظه
السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد
والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسايل الالهية
فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد
لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب
الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش
الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له العالم وحده بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها
واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يوده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه
وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه الصلوة والسلام ان اعظم اية في القران اية الكرسي
من قراها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سياته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرا اية
الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد
ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه
في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان
من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي
يودي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة

والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام
بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان
له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا
فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام
او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه
ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه
بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح والراي
القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال
عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امورهم والمراد بهم
من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات
الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى
الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استئناف
مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى
والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى
الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات
وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلق
قدرته تعالى وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد
المؤمنين تعظيم لشانهم الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمروذ وحماقته
ان آتاه الله الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة
العكس كقولك عاداني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع
ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من ان آتاه على الوجه الثاني

ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرا حمزة رب بحذف الياء قال انا
احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر
فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من
مقدورات الله التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمروذ زعم انه يقدر ان يفعل
كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول
وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه
فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او
سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره او ارايت مثل الذي فحذف
لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان
يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي
مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا
لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر
او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمروذ والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل القرية
التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع وهي خاوية على عروشها
خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالعجز عن معرفة طريق
الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب
على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته
فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا
لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقوله

الطاقة وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما
ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر
الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء
اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن
من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازي وانما افرد الضمير
لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او
لبنا وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في
مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء ولا علف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول
ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك آية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي
انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله
فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا
حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او اموات الذين
تعجب من احيائهم كيف ننشزها نحييها او نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه
وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرأ
ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها
من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده
تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ
حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على
طريقة التبكيت واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سأل ذلك ليصير
علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد

الروح

ايمانه وجعله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاما هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل
نفس على المعنى لان في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من
خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله
امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن
التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول
عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم
وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان
بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض
اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع
فيه اذ روي انه عليه الصلوة والسلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا
يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلعم يخبره
فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها والله لكان
مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها
انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة
فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون
الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم
انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق
من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة
وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه

والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب والزيادة
والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان
من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله
او عن الاستعانة بهم في الغزو وساير الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء
بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالات الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس
من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال
تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة
الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا
وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت
المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا
ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه
وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب
يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله
اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات
وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم
عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم
ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه
اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل
نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك

اليوم

انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله
رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضاء
الله ولا ثواب الآخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او
الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء فمثله
فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم
القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون
بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس
او الجمع كما في قوله ان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير
والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن
ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم و
تثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت
بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدا
من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال
كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره
يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها
لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد
بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا
فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها و
برودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية

عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون
التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزايدتين في زلفاهم
بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص أيود احدكم
الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل
الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من ساير الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر
ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على ساير انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات
المنافع واصابه الكبر كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب وله ذرية
ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه
او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود
والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة و
الاسف اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم
به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور
والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون
اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او
جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمر والمعادن
فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه اي لا تقصدوا الردي منه اي من المال
او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون
حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه
ولستم باخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا
فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين
وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم

وانما امركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في
الاصل شايع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويأمركم بالفحشاء
ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم
في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الاخرة والله واسع
اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان
العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول
لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير اذ حيز له
خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما
اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة عن شوايب
الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او
باطل او نذرتم من نذر بشرط او غير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه
وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون
بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي
فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع
ومن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر
في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها
بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأه ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي الله
يكفر او الاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا
على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرأ نافع و
حمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات

والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هديهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين
وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن المقابح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن
الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا
من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث
وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا
ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون
بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا
مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه والسلام اللهم
اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود
وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب
فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اى لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق
بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا
في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب
وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون
اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلعم يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السوال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة
الحال والخطاب للرسول صلعم او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول
حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اى اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسالون
وان سالوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره و
نصبه على المصدر فانه كنوع من السوال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم
ترغيب في الانفاق وخصوصا على هولاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا

وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر رض تصدق باربعين الف دينار
عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رض لم يملك
الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل
في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفا للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف
اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربوا اى الآخذون له
وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شايع في المطعومات وهو
زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان
يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت
الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون
ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء
من المس اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك
قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب
اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا
عقلهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا
انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد
لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس
للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين بان من اعطى درهمين
بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة
اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم

وابطال القياس لمعارضة النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من
الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم
ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتدا ان جعلت
شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه
على انتهائه ان كان عن قبول الموعظ وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض
لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل
فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه الصلوة
والسلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه الصلوة والسلام
ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار
مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسله وبما
جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما عليها
يعمها لانافتهما على ساير الاعمال الصالحات لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
من آت ولا هم يحزنون على فايت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا
ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين
بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض الناس من
قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب
من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشي اذا علم به وقرا حمزة وعاصم في
رواية ابن عياش فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من
طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى
يفي الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا
بحرب

بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون
باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس
مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة
وان وقع غريم ذو عسرة وقرى ذا عسرة وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم
نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر اي فالمستحق
ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب وفناظره على الامر اي فسامحه
بالنظرة الى ميسرة يسار وقرا نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ
بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
وان تصدقوا بالابراء خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة
ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل دين
رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل
والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا
لمصيركم اليه وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت
من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها
اخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول
الله صلعم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل
ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اي اذا داين بعضكم بعضا تقول
داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفايدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين
المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير
فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه
اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال

الما حرم الله الربا اباح السلف **وليكتب بينكم كاتب بالعدل** من يكتب بالسوية لا
يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجي مكتوبه
موثوقا به معدلا بالشرع **ولا يأب كاتب** ولا يمتنع احد من الكتاب **ان يكتب كما علمه**
الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله
واحسن كما احسن الله اليك **فليكتب** تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء
عنها تأكيدا ويجوز ان تتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم
الامر بها مقيدة **وليملل الذي عليه الحق** وليكن المملل من عليه الحق لانه المقر المشهود
عليه والاملال والاملاء واحد **وليتق الله ربه** اي المملي او الكاتب **ولا يبخس** ولا ينقص
منه شيئا اي من الحق او مما املي عليه **فان كان الذي عليه الحق سفيها** ناقص
العقل مبذرا **او ضعيفا** صبيا او شيخا مختلا **او لا يستطيع ان يمل هو** او غير
مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة **فليملل وليه بالعدل** اي الذي يلي
امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع
وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل **واستشهدوا**
شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان **من رجالكم** من رجال المسلمين وهو دليل
اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة يسمع شهادة الكفار
بعضهم على بعض **فان لم يكونا رجلين** فان لم يكن الشاهدان رجلين **فرجل وامرأتان**
فليشهد او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود
والقصاص عند ابي حنيفة رحمه الله **ممن ترضون من الشهداء** لعلمكم بعدالتهم **ان تضل**
احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة
بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته
كقولهم اعددت السلاح ان يجي عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى

ان ضلت

ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر
بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار **ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا** لاداء
الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة **ولا تسأموا ان تكتبوه**
ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كني بالسأم عن الكسل لانه صفة
المنافق ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لا يقول المؤمن كسلت **صغيرا او كبيرا** صغيرا كان الحق
او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا **الى اجله** الى وقت حلوله الذي اقر به المديون
ذلكم اشارة الى ان تكتبوه **اقسط عند الله** اكثر قسطا **واقوم للشهادة** واثبت لها واعون
عليها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم
وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده **وادنى الا ترتابوا** واقرب في ان لا تشكوا
في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك **الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها**
بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء من الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة
بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا
تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره
الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب
اشنعا ورفعها الباقون على انه الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة **واشهدوا اذا تبايعتم**
هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل
انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها **ولا يضار كاتب ولا شهيد** يحتمل البنائين ويدل
عليه ان قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في
الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى
الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان **وان تفعلوا** الضرار وما نهيتم عنه **فانه**
فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم **واتقوا الله** في مخالفة امره ونهيه **ويعلمكم الله**

احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلث لاستقلالها فان
الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم
لشانه ولانه من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة
فالذي يستوثق به رهان اي فليوخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في
الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه الصلوة والسلام رهن درعه في المدينة من يهودي
بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتبة في السفر
الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرا ابن كثير وابو
عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن
بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد
الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذيتمن
بقلب الهمزة ياء وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون
والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي ياثم قلبه او قلبه ياثم والجملة
خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية
او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه
واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون
عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او
تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله
يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته
ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر ويعقوب
على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فا جعلها بدلا
عنه بدل البعض من الكل والاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا

وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحا
آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به
وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من
ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول
والمؤمنون او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا
ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال
وقرا حمزة والكسائي وكتابه يعني القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في
وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد
من رسله اي يقولون لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون
حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله
فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب
وقالوا سمعنا واطعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك
المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه
قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله
يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت
من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص
الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب
اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا
اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطا من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا تمتنع
المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطا
فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة ولكنه تعالى وعد التجاوز

عنه رحمة وفضلاً فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتداداً بالنعمة فيه ويؤيد ذلك
مفهوم قوله عليه الصلوة والسلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصراً
عبأ ثقيلاً يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمّل بالتشديد
للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملاً مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته
اياهم فيكون صفة لاصراً والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع
النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة وما اصابهم من
الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف
التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل
التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا
واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمواخذة وارحمنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا
فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة
الكفرة روي انه عليه الصلوة والسلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه
الصلوة والسلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي
سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه الصلوة والسلام
من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال
سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلوة والسلام
السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة
ولن تستطيعها البطلة قيل يا رسول الله وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو

انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها لتدل على انها
في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان

لالتقاء

لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك في لام وقرئ بكسرها على
توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم
روي انه عليه الصلوة والسلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا
اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي
القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوماً بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة
انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقاً لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل
جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف
لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب من
قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد
به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل
ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه تعالى قال وانزل سائر ما يفرق
به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحاً وتعظيماً واظهاراً
لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحياً منزلاً ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل
او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب
كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة
عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة
الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيماً للامر وزجراً عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كلياً كان او جزئياً ايماناً او كفراً فعبر عنه بالسماء
والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقياً من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر
ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حياً وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق

المعنى وتصويره ونوعي تصويركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا إله إلا هو اذ لا يعلم غيره
جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته
قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلعم
نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم
هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من
الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تأويل كل
واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة وأخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها
لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم
على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم التي تتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها
وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات
واما قوله الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ
وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر
جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الأخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه
ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم
زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل
ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم
بالمتشابه وابتغاء تأويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع
مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل
وما يعلم تأويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي
الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء
الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره

غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال
منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر
الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا
به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث
انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب
عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم
لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة
اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا
من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع
المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه الصلوة والسلام قلب ابن آدم بين اصبعين من
اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ
فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ
في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك
ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب
لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده
ولا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه
في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين
ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه
وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد
الفساق مشروط بعدم العفو لدليل منفصل كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان
الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغني

عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من
عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل
فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد
باولئك او استيناف مرفوع المحل تقديره دأب هولاء كدأبهم في الكفر والعذاب
وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين من
قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم
حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم
والله شديد العقاب تهويل للمواخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا
ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر
وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم
ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا
لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني
النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة
والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه
وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه
لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين
التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى
المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكانوا قريبا من الف او مثلي عدد المسلمين
وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعدما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم
وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى
المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا

بالنصر

بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة
نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة
بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين
رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل
والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملها
ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول عليه الصلوة والسلام لعبرة لاولي الابصار
لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها
شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير
والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة
الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع
وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف
في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة
المعلمة من السومة هي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام
الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب
اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات
المخدجة الفانية قل اونبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات
الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما
هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من جرها
بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم بضم

الرأي وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال
الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبّه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا
واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون
ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب
او مرفوع وترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد
لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك
على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو
منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو
الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق
في سبيل الخير واما الطلب فهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها
وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين
بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس
اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون
ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بيّن وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات
الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان
والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال
من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او
على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة
او حالا من الضمير نصبا على المدح وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف
لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة

وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته
ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه الصلوة و
السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى
بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله
الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد
والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلعم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل الكل ان فسر الاسلام
بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على
وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام
فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه الآخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت
النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى
اختلفوا في امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم
بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات
الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما
اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين
القويم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه
اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن
للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ءاسلمتم
كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم
بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال
وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد

الروح الى بدنها فقال نمروذ هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير
آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم
تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم انه اعرف
الناس فى الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن
قلبى اى بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى
الوحى والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة
ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحياة الابدية انما
يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذى هو صفة الطاوس والصولة المشهور
بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بها الغراب والترفع والمسارعة
الى الهوى الموسوم بها الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص
الحيوان والطير مصدر سمى به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن
اليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب
فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير
الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد
وكسرها مشددة الراء من صره يصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهى الجمع ايضا
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اى ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التى بحضرتك
قيل كانت اربعة وقيل سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا
مسرعات طيرانا او مشيا روى انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك
رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم ناداهن فجعل كل جزء يطير
الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد
احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها

وعد وعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين فى عصره قتل اولوهم الانبياء
ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبى صلعم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق
مثله فى سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء فى خبر ان كليت
ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل
صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض
او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعى محمد صلعم
وكتاب الله القرآن او التورية لما روى انه صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو
والحارث بن زيد على اى دين انت فقال على دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال
هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول
فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة فى الاصول ثم يتولى فريق منهم
استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض
والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة الى التولى والاعراض بانهم
قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد
الزائغ والطمع الفارغ وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما
قلائل او ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده
الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم فى الآخرة وتكذيب
لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روى ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية
اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت
جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية

بعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او
الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم ويمن الضراعة في الدعا وحسن الادب
في السوال انه تع اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد
ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما
يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اى مثل نفقتهم
كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف انبتت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض
والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق تتشعب منها سبع شعب
لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن
وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله على حسب
حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله
واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في
عثمان رضه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف
فانه اتى النبي صلعم باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه
والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه
وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف
بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاجة او
نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة
يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتدا بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن

اليوم وبقوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء
وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا
يصح ان يكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق
للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتاكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة
الى انه تع انما نهاهم وحذرهم رافة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب
فيرجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء
لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله
وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله
وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت
مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
جواب للامر اى يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من
جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة
والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت لما قالت اليهود
نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل
في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا
من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا
فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة
على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين
ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص
الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها
الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة

ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلعم وآل عمران موسى وهرون ابنا
عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن
العازر بن ابي يوذ بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن اوشا بن اموذ بن ميشك بن حازقا
بن احاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشا
بن عوبد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارض بن يهوذ ابن
يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من
الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها
من بعض في الدين والذرية الولد تقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء
ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي
من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران
رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل نصب باضمار اذكر وهذه حنة بنت
فاقوذ جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هارون فظن ان المراد
زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى
وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا
يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا
في عهدهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله
بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم لقولي ونيتي
فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتأنيثه لانه كان
انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد
او على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو

ان تلد

ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استئناف
من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب
وضعتُ على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ
وضعتِ على انه خطاب الله تعالى لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله تعالى والله اعلم اي وليس الذكر
الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس
الذكر والانثى سيين فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها مريم عطف على ما قبلها
من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها
ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل
على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها
من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من
مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه
ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله عصمهما
ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن
بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان
تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب
قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي
خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم
فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي
بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها
حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها

وكفلها زكريا بتشديد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية
ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة
التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة
الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب
كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان
يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا
الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء
وجعل ذلك معجزة لزكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل
تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله
يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو
يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت
لرسول الله صلعم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت
عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء
بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو
ما وسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا
وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية
طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على
جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه
المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم

كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرا حمزة والكسائي فناداه بالامالة
والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او
حال اخرى او حال عن الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرا نافع
وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائي
يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل
مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه
البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته
وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا
مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان
فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من
عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث
العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني
كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون وامراتي عاقر
لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء
اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز
عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك
الله يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك والله مبتدا وخبر اي والله على مثل هذه
الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر كذلك والله يفعل
ما يشاء بيان قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة
والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام ان لا تقدر على
تكلم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء

لحبس اللسان وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق
من السوال الا رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثنا
منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقري رُمُزا كخُدَّم جمع رامز ورُمْزا
جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف
روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو موكد لما قبله مبين
للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال
الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر
الى الضحى وقري بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله
اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر
الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى عم فان الاجماع على انه تع
لم يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفا الاول تقبلها من امها
ولم يتقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها
عما يستقذر من النسا والثاني هدايتها وارشاد الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد
من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي
لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة
عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب
او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد
بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقايما وبالسجود الصلوة
كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي
ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير

كونه

كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم
لا شبهة فيه عندهم وبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولم يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق
بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون
تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون
على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله
بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة
او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض
تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسما نظمت في سلكها ولا ينافي
تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن
غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا
محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ
الاولاد تنسب الى الآبا ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال
مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره وتذكير الضمير للمعنى والوجاهة
في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته
في الجنة او رفعه الى السما وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه
طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه
رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن
الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي
ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال
كذلك الله يخلق ما يشاء القايل جبريل او الله وجبريل حكى لها قوله تع اذا قضى امرا فانما يقول

او يكون اشارة الى انه تع كما يقدر ان يخلق الاشيا مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها
دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة
لما اهمها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب
الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل اني قد
جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني
قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا باني قد
جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني
اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على
هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير
للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان
احياءه من الله لا منه وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه
ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي
الا بالدعا واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من
جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي
لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات
او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا على الوجهين
او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود
على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض
الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت
وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان
وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم

باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل
الفارقة بين النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت
لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي
لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والايات القاهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم
اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة
النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة
العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين
ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عم قل آمنت بالله ثم استقم
فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله
ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة
اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصري وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال
الحواريون حواري الرجل خاصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات
لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون
البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها
نحن انصار الله اي انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين يشهد
الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين
بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عم فانهم شهداء على الناس
ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع
عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها
غيره الى مضرة لا يسند الى الله تع الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا
واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او

المضمر مثل ومنع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك
من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن
الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء
واليه ذهب النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا
من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم
بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن
لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به
وغلب المخاطب على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
تفسير للحكم وتفصيل له والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى
وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه
حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر
الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان
مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل
مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو
اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن اي انشأه بشرا
كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر
فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك
خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة
التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك
من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم

ونساءنا

ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى
المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل
اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت
الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى
المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد
عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا
الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلعم وقد غدا محتضنا الحسين وفاطمة
تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى
اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا
لرسول الله صلعم وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عم والذي نفسي
بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله
حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص
من نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شأن
عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلته لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر و
اصلها ان تدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على
النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة
البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع
المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى
فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد نجران
او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها
ان لا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا في

استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول
عزير ابن الله ولا المسيح بن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا
بشر مثلنا روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم
ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال
هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه
انظروا الى ما راعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدريج في الحجاج بين
اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم
فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض
الانقياد عاد عليهم بارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل
وساير الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض
عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم وزعم كل فريق انه منهم ترافعوا الى
رسول الله صلعم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على
موسى وعيسى وكان ابرهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون
فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه
نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله
ءانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء
الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون
وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين
وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله ءانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء

والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح
بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقايد الزايغة مسلما منقادا لله وليس
المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون
لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم ان اولى الناس بابرهيم
ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي و
الذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقري والنبي بالنصب عطفا على
الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم
ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا
ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود
وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص
ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة
محمد صلعم وانتم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمونه
بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته
او بالتقصير في التمييز بينهما وقري تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع
الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد صلعم ونعته وانتم تعلمون عالمين
بما تكتمونه وقالت طايفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار
اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا به آخره
لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطايفة كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى
الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد
رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول

النهار وتقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية
لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل
دينكم ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم
قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء من الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد
حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم
ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام و
قوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان
على ان هدى الله بدل عن الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع
تؤيد الوجه الاول اي ألأن يؤتى احد دبرتم وقرئ بالكسر على انها النافية فيكون من
كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه
حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ
المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص
برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة
ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه
قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك
كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير
النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم
الخيانة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته
بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله

ولا يؤده

ولا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شأن من ليسوا من
اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون
انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل
عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم
وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله
ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات
لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف
مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع
من الجزاء ومن واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات
والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من
الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به
ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم
او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر
انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به
اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه
ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية
وبدلوا نعت محمد عليه الصلوة والسلام وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة
وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به
وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي
وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته
فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوّن على قلب الواو

المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بيلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير
ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تأكيد لقوله وما هو من الكتاب
وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا
يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تأكيد وتسجيل
عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة
ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا
رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله
ان نعبد غير الله وان نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل
قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي
ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين
ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني
والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب
كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق
والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين
وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز
ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان
تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول
ويكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس
بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا وغير مزيدة على معنى انه ليس له ان
يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على

الاستيناف

الاستيناف ويحتمل الحال ايأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون
دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على
ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من
النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى
الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين
على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى
بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ
الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط
ويحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب
ثم مجيء رسول مصدق له اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى
اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم
على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا قال أأقررتم واخذتم
على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع
اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار
وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد
وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك
هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة
متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول
لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب
وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي

طايعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجي الى الاسلام كنتق الجبل وادراك
الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملايكة والمومنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون
ان يمتنعوا عما قضى عليهم واليه يرجعون وقرى بالياء على ان الضمير لمن قل امنا بالله وما
انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى
والنبيون من ربهم امر الرسول عليه الصلوة والسلام بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان و
القران كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد
ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي
الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه عليه السلام على المنزل على ساير الرسل
لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون
منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله
فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام
والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل
به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا
قبول كل ما يغايره فلعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان
الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحايد عن الحق بعد ما وضح له
منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد
وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من
كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي
القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه
الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه
على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون

على الهدى

عن الهدى مأيوسون عن الرحمة وانما خلاف غيرهم والمراد بالناس المومنون او العموم فان
الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة
او النار وان لم يجر ذكرها لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين
تابوا من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح
فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته
فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فرجع الى المدينة فتاب
ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية
ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران او كفروا بمحمد بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا
كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا
بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل
توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا
في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الايسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم
وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع
قبول الفدية ادخل الفاء هنا للاشعار به وملء الشيء ما يملاه وذهبا نصب على التمييز وقرى بالرفع
على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من
احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء
الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله
كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين
في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء
ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا

آخر الجزء الثالث

لا وصول الى المطلوب الا بانفاق المحبوب

البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى
والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس
والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيل الله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله
ان احب اموالي الي بيرحى فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح واني ارى ان
تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل
عليها رسول الله صلعم اسامة بن زيد فقال انما اردت ان اتصدق به فقال ان الله قد قبلها
منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الاية تعم الانفاق
الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما
تنفقوا من شيء من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام
اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تع لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه
كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك
احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع
ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة
على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما
نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذي ظفر الايتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده
حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول
صلعم موافقة ابرهيم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر
بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه الصلوة
والسلام لما قاله لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله

الكذب

الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك
من بعد ما لزمتهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما
وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة
ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية
التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله
لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف
والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع
للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تع يدل عليه انه قرئ على البناء
للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم و
لازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها
تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد
الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه
قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل
كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط آدم امر بان يحجه ويطوف
حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية
وقيل المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف
دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان
فيه آيات عجيبة كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار
وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره
كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتدا خبره محذوف اي منها
مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم

في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون
سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده ان قرئ آية بينة على التوحيد وسبب
هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه
قدماه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام ابرهيم
لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله
اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه الصلوة والسلام حبب الي
من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين
بقاء الاثر مدى الدهور والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين
بعث يوم القيمة آمنا وعند ابي حنيفة رحمه من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض
له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ
حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل
من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلعم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول
الشافعي رحمه انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال
مالك رحمه انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رحمه
عنه انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن
كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك
قال عم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية من وجوه
الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد
انه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام
وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه
في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة

التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر
النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله تعالى روي انه لما نزل صدر
الآية جمع رسول الله ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة
وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بآياته السمعية
والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب
دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله
شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار
قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع
ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب
وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون
بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا
لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا
على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلعم ونحوهما او بان
تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال
واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما
تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد
ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله
بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم
كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس
اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث
وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا

وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلعم
وقال أتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية
والّف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا
وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول صلعم انما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول
بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا انهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم
وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم
الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه
في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب
والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى
ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة
عليها وفي هذا الامر تأكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة
تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى
حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو
الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه
الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك
به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي والوثوق به
والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع
الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او ولا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما
يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام
المؤدي الى التألف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فألف بين قلوبكم بالاسلام

فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين
لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأها الله
بالاسلام والف بينهم برسوله صلعم وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم
لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة
او النار او للشفا وتأنيثه لتأنيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها
طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم
فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض
لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي
له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها
والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل
حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية
او للتبيين بمعنى وكونوا امة آمرين كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف
والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون
بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر
واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به
والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى
عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال
الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق

عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام
اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك
لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور
بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة و
اشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ
والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلعم بعد ايمانهم
به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان
بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او
جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن
ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته
وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم ولكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه
حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل
كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده
نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل
الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق
كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد
له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان
الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس
اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر

ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به
اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة
على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل
بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ
اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب
ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن
سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان
على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع
باسكم عنهم نفي اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة
عليهم ثم اخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان
ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع
اذ كان ذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس
والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من
الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين
او ملتبسين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين
وباءوا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم
احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى
ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون
الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل بما
عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر

والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا

يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب
الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم
مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب
امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام
وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم
عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة
العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه الصلوة والسلام اخرها ثم خرج فاذا
الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة
غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن
الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته
مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك
الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه
فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى
مفعولين لتضمنه معنى الحرمان والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدا
الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار
ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او
المنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه
للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة
كما في قولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم

لان الاهلاك

لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر
فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك
لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث
وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم
بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان
يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله * ولكن من يبصر جفونك يعشق *
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه
ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم
من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة
من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والألو التقصير واصله ان يعدى
بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص
ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم
اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه
ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين
ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل ويجوز
ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون
في موالاة الكافرين وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم او هو خبر ثان او خبر
لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز
ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب
كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم
تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا

آمنا نفاقا وتغريرا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ من أجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا
إلى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله
حتى يهلكوا به إن الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون
من المقول أي قل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وأن يكون خارجا
عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم إن
تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من
خير ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للإصابة وإن تصبروا على
عداوتهم أو على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم أو ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل
الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون
قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للإتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وأبي عمرو و
يعقوب لا يضركم من ضاره يضيره إن الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط أي
محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله وقرئ بالياء أي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه وإذ غدوت
أي واذكر إذ غدوت من أهلك من حجرة عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم أو تسوي و
تهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام
بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق وقوله قبل أن تقوم من مقامك والله سميع لأقوالكم
عليم بنياتكم روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة
فاستشار رسول الله صلعم أصحابه وقد دعا عبد الله بن أبي ولم يدعه قبل فقال هو وأكثر الأنصار
أقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو إلا أصاب منا ولا دخلها
علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم
الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم إلى الخروج
فقال عليه السلام رأيت في منامي بقرة مذبوحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته

هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة
وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا وبالغوا
حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت
فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة وأصبح
بشعب أحد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوى
صفهم وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا إذ
همت متعلق بقوله سميع عليم أو بدل من إذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج و
بنو حارثة من الأوس وكانا جناحي العسكر أن تفشلا أن تجبنا وتضعفا روي أنه عليه
السلام خرج في زهاء ألف رجل ووعدهم النصر إن صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل عبد الله
ابن أبي في ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري وقال
أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله
فمضوا مع رسول الله صلعم والظاهر أنها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما أي عاصمهما عن
اتباع تلك الخطرة ويجوز أن يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون
أي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير
ببعض ما أفادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وأنتم
أذلة حال من الضمير وإنما قال أذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف
الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما أنعم به عليكم بتقواكم
من نصره أو لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سببه إذ تقول
للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من إذ غدوت على أن قوله لهم يوم أحد وكان مع
اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول لم تنزل
الملائكة ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين إنكار أن لا يكفيهم ذلك وإنما

جنى بلى اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم
الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرا ابن عامر منزلين
بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى
حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا
من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق
للحالة التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف
من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار
سيماء الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم
بمعنى الاسامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما
جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به لتسكن اليه من
الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم
الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى
الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم
الذي ينصر ويخذل بوسط او بغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين
كفروا متعلق بنصركم او بغير ~~وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة~~ وما النصر ان كان اللام فيه
للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين و
اسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب
واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء
اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم
فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم
شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون عطفا على الامر او شيء باضمار

ان اي

ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او
التوبة عليهم او تعذيبهم وان تكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان
يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد
وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون
قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها
كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا
الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ
كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال
المديون وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله مما نهيتم عنه لعلكم
راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم
وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل و
عسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا وسارعوا بادروا واقبلوا الى
من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر
سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض
للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع
سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل
على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين
او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالي الرخاء والشدة او الاحوال كلها

اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل
او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت
القربة اذا ملأتها وشددت راسها وعن النبي صلعم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ
الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مواخذته وعن
النبي صلعم ان هولاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت
والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هولاء والعهد فيكون الاشارة اليهم
والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا
اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما
يتعدي وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم
فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي
معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على
الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير
مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم
يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة
مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد
الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين
جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين
الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه
فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود
الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هولاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك

لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب
والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقايع سنها الله في
الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين
الناس من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى و
موعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا
للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين
وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا
تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم
لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر
مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة
ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق
على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرا حمزة والكسائي
وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم الالم والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم
يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما
لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر
الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهولاء تارة ولهولاء اخرى
كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت
الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر وقد لها يحتمل الخبر والحال والمراد بها

او تارات النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها
ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة غير واحدة وان ما يصيب المؤمن
فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على
الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقايضه ليس الى اثبات
علمه تع ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم
علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم
بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات
والصبر على الشدايد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون
او الكافرين وهو اعتراض فيه تنبيه على انه تع لا ينصر الكافرين على الحقيقة
وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم
ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان
كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم
ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا بعضكم وفيه دليل على
انه فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم
على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو
للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون
ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب
للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلعم مشهدا لينالوا ما نال شهداء
بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه
وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم
من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا

عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من
قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل
قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله
سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول
الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية
حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل النبي فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا
قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه
وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا
امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم و
دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت
وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون
وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس
واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيئته تع او باذنه لملك الموت
في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تع وقضائه لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال
ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا
صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم
الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى
الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم

ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الله الشاكرين الذين شكروا
نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى
كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه
انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأن ثم حذف الياء
الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قاتل
معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب
الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده
الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ
ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا
لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما
ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن
من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتح
او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم
عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول
وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالهم
والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع
وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته
على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله
يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز

وحسن

وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله
وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم
فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم
ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم
الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل
الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين
فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف
في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو
سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل
لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى
الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن
بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها
حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة
القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس
مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم
الله وعده اي وعده اياكم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة
فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى
انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل
حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف
العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا
ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة

وتفرد الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة
وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون
المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم
كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها
ولقد عفا عنكم تفضلا لما علم من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم
بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون
متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكر والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال
اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول
يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم
في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم
والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر
المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت
ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من
الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فاغتم
بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم
من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عليم باعمالكم وبما قصدتم بها
ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة
غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه والامنة الامن
نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له
او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون

الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالياء ردا على
الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في
الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى
لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون
بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية
واهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما
امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال
ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل
يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله و
لاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض
وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير
يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين للانكار والتكذيب
يقولون لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد وزعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا
اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن ابي وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا ولما قتل من قتل
منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين
قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة
ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله
ما في صدوركم ليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل
محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة
وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس
والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء

وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم
ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بمخالفة النبي بترك المركز والحرص على
الغنيمة او الحيوة فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب
ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب
سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم
واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم
في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها
وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به
ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم
عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في
قلوبهم خاصة وذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا
مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي
ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر
والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم
وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم
في سبيله وقرا نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما
يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت
ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون

من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون
الى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم
ويعظم ثوابكم وقرا نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما
مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه
للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه
لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم
فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا
برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء
بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ
فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه
احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم
بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده
من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل
وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح
لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل
اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة
حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة
يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا
يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله
فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا

ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغلّ على البناء للمفعول والمعنى
وما صح له ان يوجد غالّاً او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيمة يأت بالذي
غلّه يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت
يعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمّم الحكم ليكون
كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغالّ مع عظم
جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم
افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم
وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا
كذلك المرجع هم درجات عند الله شبّهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب
او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم
على حسبها لقد منّ الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع
ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن منّ الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل
منّه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه
بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفَسهم اي من
اشرفهم لانه عليه الصلوة والسلام كان من اشرف القبائل وبطونهم يتلو عليهم آياته اي
القرآن بعد ما كانوا جهّالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد
والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي
المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال
ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو
عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم كذا ولما ظرفه
المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا

اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك
المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن
علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى
ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد
يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم الذين
نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على
نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم
وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم
بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا
لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة
او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر
اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم
بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به
بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع
بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جرّ بدلا من الضمير في افواههم
او قلوبهم كقوله على جوده لضنّ بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من
اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود
ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم
تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم

والمعنى ان التعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود
سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت
في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلعم او لكل احد وقرئ بالياء
على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف
لانه في الاصل مبتدا جائز الحذف عند القرينة وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين
بل احياء بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون
من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة
والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون
بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم
اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى
انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم
اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات
محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته
لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في
آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس انه عم قال ارواح الشهداء
في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في
ظل العرش ومن انكره ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما
وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب
في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى
للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتاكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز
ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة

عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرا الكسائي بالكسر على انه استيناف
معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة
واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة
للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدا خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر
عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد
لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا
فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلعم فندب اصحابه
للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلعم
مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح
فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين
فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس
او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب
الخيل وماله الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه
من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عم ان شاء الله فلما كان
القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلوبه وبدا
له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من
زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك
والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في
دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففروا

فقال عليه والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم
يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله
ان اريد به نعيم وحده والبارز للقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل
ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده
وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله
الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه
النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين
يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه
اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا
رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة
من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة فانهم لما
اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو
واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله
ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى
الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم
واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف
وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط
نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما
بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول
الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم
اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول

الايمان يزيد وينقص

والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم
مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن
الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا
اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول
والمصدر يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل
على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية
حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه
لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة
بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي
لهم خير لانفسهم خطاب للرسول او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه
وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين
كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم
وما مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه
مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر
وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا
اثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة
وقرئ انما بالفتح ها هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان

عون

اشتروا

املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا
لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا
من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى
يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا
يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى
نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون
منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وما كان
الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب
فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره
ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فامنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه
وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون
الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن
يكفر فنزلت وقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت
وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين
يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء جعل
الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة
يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب
العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وباله
الزام الطوق وعنه عليه الصلوة والسلام ما من رجل لا يؤدي زكوة الا جعل الله شجاعا
في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء
يبخلون عليه بماله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بخلا لهم ويبقى عليهم الحسرة

والعقوبة

والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان
الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله وروي انه عليه السلام كتب
مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا
الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه ابو بكر
رضي الله عنه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت و
المعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي
سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله و
استهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة
ارتكبوه وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول ذوقوا عذاب
الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق
ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات وذكره ههنا
لان العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان
اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة
الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم عبر بالايدي
عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته
للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا
هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا
في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول
حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم
النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم و

اباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات شرع في
ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان
رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم
فلو كان [الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا] بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا
بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور
وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن
الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ
والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات
بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين
وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا
تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور
ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح
عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد
فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح
عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب
ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به
على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع
بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما
يصيبها من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض
والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول
والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر و

تكرير اللفظ للمبالغة تكرير العين كالقلقلة والصلصلة
الى ان اي الى ان احب [illegible] خلاء

الاحتمال

الاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امره
فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما
عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء نحو امضائه واذ
اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد العلماء لتبيننه للناس ولا
تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقراءة ابن كثير وابي عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب
واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي
الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد
وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه واشتروا به واخذوا
بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي صلعم
من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ
على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا
بمفازة من العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول
الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما
فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق و
اظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير
وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان
يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة
او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب
اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سال اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان
فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم
اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون

بما نفعتهم ويستمدون الى المسلمين بالامان الذي لم يتعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات و
الارض فهو يملك امرهم والله على كل شي قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب لدلايل واضحة
على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوايب
الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الاية لان
مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشي كتغير
الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل
اوضاعها وعن النبي صلعم ويل لمن قرءها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
اي يذكرونه دايما على الحالات كلها قايمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع
في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام
لعمران بن حصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة
للشافعي رحمه الله في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في
خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة
كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينا رجل مستلق على فراشه
اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له
وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون
قايلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او
اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان
يكون مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة
الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو
اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفايدة الفا هي الدلالة

على علمهم بالاجلة خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزا ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به
تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب
الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة
على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي
النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل
على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس
المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول وقيل
القرآن والندا والدعا ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتها والاختصاص ان
آمنوا بربكم فامنا اي بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر
عنا سيئاتنا صغايرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكباير وتوفنا مع الابرار مخصوصين
بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله
احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي
ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من
اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا و
استكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل
معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة
المومن واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال
والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الاثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه
الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني
لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل

بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال
والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النسآء مع الرجال
فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر
النسآء فنزلت فالذين هاجروا الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل
المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير للدين واخرجوا من
ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد و
قرا حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل
منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيآتهم
ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة
من عند الله تفضلا منه فهو مصدر موكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه
لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه
كقوله فلا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب
منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر
ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المومنين كانوا يرون
المشركين في رخآء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع
والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته
في جنب ما اعد الله للمومنين قال عليه الصلوة والسلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم
اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين
اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد
للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا
القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر

موكد

موكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار
لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه
وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا
نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخرج وصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط
وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما
انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يومن وجمعه باعتبار المعنى لا
يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم
ما خص بهم من الاجر ووعده في قوله تع اولئك يوتون اجرهم مرتين ان الله سريع
الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنايه عن التامل والاحتياط
او المراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب يستدعي سرعة
الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدايد
وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدايد الحرب واعدى عدوكم في الصبر
على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم
في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلوة والسلام من
الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل
صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم
تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبايح لعلكم تفلحون
بنيل المقامات الثلث المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس
في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها
بالشريعة والطريقة والحقيقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة آل عمران

أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران
يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس والله أعلم سورة النساء مدنية
وهي مائة وخمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم
وخلق منها زوجها عطف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد وخلق
منه أمكم حوا من ضلع من أضلاعها أو محذوف تقديره من نفس واحدة وبث منهما
رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج
المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها
إذ الحكمة تقتضي أن يكون أكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الأمر بالتقوى على هذه
القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى والنعمة الباهرة
التي توجب طاعة موليها أو لأن المراد به تمهيد للأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل
منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على
حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به أي يسأل
بعضكم بعضا فيقول أسألك بالله وأصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين
وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والأرحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا
تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة وقرئ
بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به
وقد نبه سبحانه إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم
معلقة بالعرش تقول ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله إن الله كان
عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى أموالهم أي إذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي

مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة إما على أنه لما جرى مجرى الأسماء
كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو على أنه جمع على يتمى كأسرى لأنه من
باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى وأسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على
الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورده في الآية إما للبلغ على الأصل
أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول
عنهم هذا الاسم إن أونس منهم الرشد ولذلك أمر بابتلائهم صغارا أو لغير البلغ والحكم
مقيد فكأنه قال وآتوهم إذا بلغوا ويؤيد الأول ما روي أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير
لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله ورسوله
نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم
بالحلال من أموالكم أو الأمر الخبيث وهو اختزال أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها وقيل
ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا
أموالهم إلى أموالكم ولا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم أي لا تنفقوهما معا ولا تسووا
بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف إنه
الضمير للأكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال
قولا وقالا وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء أي إن
خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن إذ كان
الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا
يقدر على القيام بحقوقهن أو إن خفتم أن لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا
أيضا أن لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لأن المتحرج من الذنب
ينبغي أن يتحرج من الذنوب كلها على ما روي أنه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم
وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء وإضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى

لا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما طاب
لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن
ونظيره او ما ملكت ايمانهم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم
ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلث ثلث واربع
اربع وهي غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن
لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل
طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين
كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الاختلاف
في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب
ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف
وخبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج
والعدد من السراري لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار
الواحدة او التسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من عال الميزان اذا مال وعال
الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال
الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا
تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري
مظنة قلة الولد بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح
الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد
وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب
نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضع اللفظ
ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات وقيل ديانة من

قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله
شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن
شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة لقول رؤبة في
قوله كانه في الجلد توليع البهق اردت كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس
ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس
للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب
فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام
ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من
الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما تحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون
ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي
للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء
لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل
احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم
سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله التي جعل الله
لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما
وسمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به
وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من
نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف
ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم
قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل
اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة رحمه الله بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا

النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمسة عشر سنه عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل
المولود النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم
منهم رشدا وقرئ فان احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ
ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلا فكانه قيل
وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم و
هو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يونس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ
سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويومر بالعبادة دفع
اليه المال وان لم يونس الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين
كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا
فليأكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر
بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل منه قال بالمعروف
غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه
نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا
عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل
على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة
وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين
بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر
مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص
بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط
حقه روي ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى ابنا

عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النسا
والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلعم
في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا
من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة
الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب
واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم
شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر
وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا
وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم
ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم
ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصا بان
يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم
بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى متصورين
انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا
للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم
وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة
الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده
وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى الذي هو غاية
الخشية بعدما امرهم بما هو مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا
لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف
في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا

ووعدا حسنا وان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون
أموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون في بطونهم ملأ بطونهم نارا ما يجر الى النار
ويؤول اليها وعن ابي بردة انه عليه السلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من
هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا
وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء
مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته القيته فيها والسعير
فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم في
شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع
الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان
القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد
اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء
خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل المولودات فوق اثنتين
خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى
وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان
التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما
وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه
انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة
العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث
مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد
فرض لهما الثلثين بما ترك ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل
وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيد السدس مما ترك

ان كان له للميت ولد ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفريضة وما بقي
من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث
مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم
ان الباقي للاب وكأنه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث معهما احد
الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قال الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل
الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة
فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون
مع الاب وعن ابن عباس انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة
عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس لا يحجب
الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلامه
بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة
المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال بـ او التي للاباحة
دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم
الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها
الجميع والدين انما يكون على الندور آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون
من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا
الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان
يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته
ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من
الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح
والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فلكم الربع مما تركن

فان كان لهن ولد

اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من
غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم
ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج
ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب
ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع
والثمن وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبره
او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد
بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث
وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني
الثلثة وعلى الاول كمفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال وقال
الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة
اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امراة
عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه
اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه
ذكر آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا
فرض الام وانه ذكر آخر السورة ان للاختين الثلثين فيناسب ان يكون اولادها فلكل واحد
منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان
الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت
وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته
بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل
يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن

عامر وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار
وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه
بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته
تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه
التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله
نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ
نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به
غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له
واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها
اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن
قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن
في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن
ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به
التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال
ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عنه
او النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية فآذوهما بالتوبيخ
والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا
عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه
الاية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات
وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة

وقرا ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف

كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة
متلبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو
جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اى قبل حضور الموت
لقوله تع حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه
قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله تع قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه
فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب
الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد
بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم
في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا
حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة
الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة
في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل
المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف
كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول
توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من
العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته
وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها
وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن
على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرا حمزة والكسائي
كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن

لتذهبوا

لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزوج
واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا
يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام
بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالنشوز
وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن
للافتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة الا لان ياتين بفاحشة وعاشروهن
بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو
اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير
وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امراة وتزوج
اخرى وآتيتم احديهن اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس
قنطارا مالا كثيرا فلا تاخذوا منه شيئا اي من القنطار اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام
انكار وتوبيخ اى اتاخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت
عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا
اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه
الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه وقد
يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى
بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملابسة ودخل بها وتقرر المهر
واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما وثق الله عليهم في
شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلعم بقوله اخذ

بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم
وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من
النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثنا من المعنى اللازم للنهي وكانه
قيل تستحقون العقاب بنكاح آبائكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم
والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل
آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثنا منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مواخذة
عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه
لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء
سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات
الاخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى
الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او
من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم
الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة
كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى
وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة
اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه
اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثنا اخت ابن الرجل وام اخيه
من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات
نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاع
لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب
جمع ربيبة والربيب ولد المراة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول

عم وخاله

وانما لحقه التا لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا
يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات لم
يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادبا اللهم
الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النسا وبناتهن
متصلات بهن لكن الرسول صلعم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امها واليه ذهب عامة
العلما غير انه روي عن علي رضه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين
لان عاملهما مختلف وفايدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم
بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده تقوى الشبهة بينها وبين اولادكم فصارت احقا
بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلما وقد روي عن علي رضه جعله
شرطا والامهات والربائب تتناولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن
الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر فيها ليس بزنا كالوطي بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة رحمه
لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار
دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين
من اصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن ابنا الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا
على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة
في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية واحلتهما
آية يعنيان هذه الآية وقوله وما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي
اظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه الصلوة والسلام ما اجتمع الحلال و
الحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف
مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النسا ذوات الازواج احصنهن
التزويج او الازواج وقرا الكسائي بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم

امراة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس
ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج

فهن

يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي
لقول ابي سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا
النبي صلعم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا
حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق
الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ
كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل
المضمر الذي نصب كتاب الله وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا
على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات
كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين
مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن
في حال كونكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على
ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم
والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن
فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن
مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة
مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة
فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت
الآية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عم اباحها ثم اصبح يقول
يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النسا الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي
النكاح الموقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمراة او تمتيعها بما تعطى وجوزها
ابن عباس ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم

طولا

طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب
بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع
غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحراير لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
يعني الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق
حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن
على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات
المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية
دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه
من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسراير
وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل
النسب والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض
انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار
اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن
اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف
المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدي اليه وقال مالك رضه المهر للامة ذهابا
الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفايف غير مسافحات غير مجاهرات
بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج فان اتين بفاحشة زنا
فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحراير من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طايفة
من المؤمنين وهو يدل على ان العبد حده نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا ينتصف ذلك اي
نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد
الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبايح وقيل المراد به

المحدود هذا شرط اخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين
خير لكم لما عليه الصلوة والسلام الحراير صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر
رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من
مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم
للارادة كما في قول قيس بن سعد * اردت لكيما يعلم الناس انه * سراويل قيس والوفود
شهود * وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين
من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم
او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم
بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون
الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الايتمار لها والتعاطي لما سوغه الشرع منها دون
غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب
وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا عظيما بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال
المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف
عنكم فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة
وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ثمان ايات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث
وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل
سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب
والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض
غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض
المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانه اغلب وارفق لذوي

المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا
يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة و
اضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند
او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تاوله في التيمم لخوف البرد فلم
ينكر عليه النبي صلعم او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي
للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية
بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما
تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما
اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني
اسرائيل بقتل الانفس ونهيكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات
عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان
التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها
وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء
والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه
ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله
عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف
في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما
علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي
حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق
الوالدين وعن ابن عباس الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به هاهنا انواع
الشرك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها

ترتب المغفرة

بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها واكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط
يصدق عليها الامران فمن عنّ له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما
كفّر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار
الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة
فضلا ان يواخذه عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرا
نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد
والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب
وهو مذموم تمني ما لم يقدر له بغير كسب ضائع وعاطل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء
نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب
ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل
المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب
ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب واسئلوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما
للناس واسئلوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا
واسئلوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه
كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال
ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك
الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحوزونها ومما ترك بيان
لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه
في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه
خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي

حظ مما

حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلناهم موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى
هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث
السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رح
انه لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان
العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره
ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة
المتقدمة موكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم
فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان
الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن
قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على
بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال
والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع
القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث و
الاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن
الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق
بها ابوها الى رسول الله صلعم فشكى فقال عليه الصلوة والسلام لتقتص منه فنزلت فقال
اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله
قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج
ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك
وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم
بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق

له او بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما
حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر
الذي حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن
عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع
في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع
المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلثة مترتبة
ينبغي ان يدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن
التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان
عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن
سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص
حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء وزوجه اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل
عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او
الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى
اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح
من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على
وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل
به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع
والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك رحمه الله لهما ان يتخالعا ان وجد الصلاح فيه ان
يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح
اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح
يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح

وزوال

وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما
تحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق
ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا
او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة و
اليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب
واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب
البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه الصلوة والسلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق
حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار
له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر
حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل
المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا
يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع على اي هم الذين او مبتدأ
خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة و
الكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم فهم احقاء
بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا
شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمته فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل
والاخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم
فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلعم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس
عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف
الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب

الذم أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله
واليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على أن الشيطان قرينهم فحملهم على
ذلك وزينه لهم كقوله إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين والمراد إبليس وأعوانه
الداخلة والخارجة ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن يقرن بهم الشيطان في النار
وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله أي وما الذي
عليهم أو أي تبعة تحيق بهم بالإيمان والإنفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل
بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب
الجواب لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه
على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطا فكيف إذا تضمن المنافع
وإنما قدم الإيمان ههنا وأخره في الآية الأخرى لأن القصد بذكره إلى التحضيض
ههنا والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم إن الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص
من الأجر ولا يزيد في العقاب كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من أجزاء
الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره إيماء إلى أنه وإن صغر قدره عظم جزاؤه
وإن تك حسنة وإن يكن مثقال الذرة حسنة وأنث الضمير لتأنيث الخبر أو
لإضافة المثقال إلى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ
ابن كثير حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن
عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على
سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل أجرا عظيما عطاء جزيلا وإنما سماه أجرا
لأنه تابع للأجر مزيد عليه فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة
من اليهود والنصارى وغيرهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد على فساد عقائدهم وقبح

يعني نبيهم يشهد

أعمالهم

أعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر وتعظيم الشأن و
جئنا يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع
شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء إشارة إلى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل إلى المؤمنين
لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا
وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض بيان لحالهم ثمة أي يود الذين جمعوا بين
الكفر وعصيان الأمر أو الكفرة والعصاة في ذلك الوقت أن يدفنوا فتسوى
بهم الأرض كالموتى أو لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا هم والأرض سواء ولا يكتمون
الله حديثا ولا يقدرون كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أي يودون
أن تسوى بهم الأرض وحالهم أنهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم
والله ربنا ما كنا مشركين إذ روي أنهم إذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد
عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض وقرأ نافع وابن
عامر تسوى على أن أصله تتسوى فأدغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى
على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة
وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لا تقوموا إليها وأنتم سكارى من نحو نوم أو خمر حتى
تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة
ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت
صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت وقيل أراد
بالصلاة مواضعها وهي المساجد والمراد منه نهي السكران عن قربان الصلاة وإنما
المراد النهي عن الإفراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى
بالفتح وسكرى على أنه جمع كهلكى أو مفرد بمعنى وأنتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على
أنها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وأنتم سكارى إذ الجملة في موضع النصب

على الحال والجنب الذي اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع
لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثنا من اعم الاحوال اي لا تقربوا
الصلوة في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الما وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر
التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث
ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه
قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الما او الطريق حتى
تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما
يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف
معه من استعمال الما فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر
لا تجدونه فيه او جا احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين و
اصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النسا او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل
الشافعي رحمه الله على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرا حمزة والكسائي لمستم
واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ما فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع
عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحالة
المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث
لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله
بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين
جئتم من الغائط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم
يده على حجر صلد ومسح اجزاه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شي من التراب لقوله
في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وجعل من لابتدا الغاية تعسف اذ

جنابة

تيمم

لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روي انه صلى الله عليه وسلم تيمم
ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان
الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر
اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا
من علم التورية يريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم
وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا
يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال
الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او
بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا او خبر محذوف صفته
يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه
التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل
الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا
قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع
غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك
تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما
قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما
يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع
لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعا والتوقير الى ما يضمرون من السب
والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا
ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوا لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل
وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم

ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به
وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه
او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم
من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها و
نجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة و
اصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة ولمطلق
القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها و
نكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني
اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال المراد بالوجوه الرؤسا او من قبل ان نطمس
وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها
عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب
السبت او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على
طريق الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان
المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد
مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء
او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا وكائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا
ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه وان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا
للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء
تفضلا عليه واحسانا وعلقه المعتزلة بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء
وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات
الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعلق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب

قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب
شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه
الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق
على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلعم فقالوا هل على هؤلاء
ذنب فقال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه
واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم
بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين
واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير
حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة
انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا
او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه ماثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله
مما يدعو اليه محمد صلعم وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا
الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلعم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد
منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم
صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت
سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم
وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم
نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت

لما زعمت اليهود ان الملك سيصير اليهم فاذن لا يوتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك
فاذن لا يوتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان
شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء اذلاء متفاقرين ويجوز ان
يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يوتون الناس شيئا واذن
اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يوتوا
على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله صلعم واصحابه او العرب او الناس
جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد
كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتيهم الله من فضله يعني
النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابرهيم الذي هم
اسلاف محمد صلعم وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يوتيه الله
مثل ما آتاهم فمنهم من يهود من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم من صد عنه
اعرض عنه ولم يومن به وقيل معناه فمن آل ابرهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك
توهين امره فكذلك لا يوهن كفر هولاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها
اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا باياتنا سوف
نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد
ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق
ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه
جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان
الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر
المومنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المومنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا

ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل
صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان
تودوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان
بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت
انه رسول الله لم امنعه فلوى علي رضه يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلعم وصلى ركعتين
فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامره الله
ان يرده اليه فامر عليا بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة
في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية
اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب
لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة
بيعظكم او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات
والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم و احكامكم وما تفعلون
في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء
المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم
بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تع ولو
ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم
في شيء في امور الدين وهو يويد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف
المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله
الى كتابه والرسول بالسوال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا
القياس وقالوا انه تع اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان
رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويويد ذلك

الامر بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب و
مثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان
الايمان يوجب ذلك ذلك اي الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من
تاويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى
النبي صلعم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي
رسول صلعم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال
مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد
وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق
بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه
من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله فسمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبيهه بالشيطان او لان
التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل له عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا
به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع
لقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت
المنافقين يصدون عنك صدودا وهو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق
بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف يكون
حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم
الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل
على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما
اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل

جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا و
يوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان
والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن
قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم
او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن
ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة
الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان
معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله
المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره
المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام
كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه
ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ
ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان و
اذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك
حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول
ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب
لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف
كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا
مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله لا
اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا

من ابيله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم
وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بهم للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل
بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم
حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون
على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا
الفضل بينكم وقرا حمزة وعاصم بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى
الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين
ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم
والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب
على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول
ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم
لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية
ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن
ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم
ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه الصلوة والسلام
اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم
من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال
واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذن جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون
بسلوكه الى جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه
الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب
في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين بيان للذين حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم
في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال
العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت
نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات
الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين
ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة
الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول
المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين
في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون
كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء بعيدا وهم الصديقون
والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم
شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون
وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال
للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى
رسول الله صلعم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع
غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت
الآخرة اني لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت
في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما (مبتداء)
للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم
الفضل صفة من الله خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله
عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم

تيقظوا واستعدوا للأعداء والحِذر والحَذر كالإثر والأثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح
فانفروا فاخرجوا إلى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيتا إذا
ذكرت متفرق محاسنه ويجمع أيضا على ثبين جبرا للحذف من عجزه أو انفروا جميعا مجتمعين
كوكبة واحدة والآية وإن نزلت في الحرب لكن يقتضي إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى
الخيرات كلها كيف ما أمكن قبل الفوات وإن منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد
من بطأ بمعنى أبطأ وهو لازم أو ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن أبي ناسا يوم أحد من بطأ
منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الأولى للابتداء دخلت اسم إن للفصل بالخبر والثانية
جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع إليه ما استكن في ليبطئن والتقدير
وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال أي المبطئ قد
أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما أصابهم ولئن أصابكم فضل من الله
كفتح وغنيمة ليقولن أكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام إعادة للضمير على معنى
من كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم
فأفوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وأن قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم
وبينه وإنما يريد أن يكون معكم لمجرد المال أو حال عن الضمير في ليقولن أو داخل في
المقول أي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا
كأن لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم
وقيل إنه متصل بالجملة الأولى وهو ضعيف إذ لا يفصل أبعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا
ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص
عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف
أي يا قوم وقيل يا أطلق للتنبيه على الاتساع فأفوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع

على تقدير فأنا أفوز في ذلك الوقت أو العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون
الحياة الدنيا بالآخرة أي الذين يبيعونها بها والمعنى إن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل
المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة أو الذين يشرونها ويختارونها على الآخرة
وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب
فسوف نؤتيه أجرا عظيما وعد له الأجر العظيم غلب أو غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا
لقولهم قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا وإنما قال فيقتل أو يغلب تنبيها على أن المجاهد
ينبغي أن يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة وأن لا يكون
قصده بالذات إلى القتل بل إلى إعلاء الحق وإعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون
في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف
على اسم الله أي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الأسر وصونهم عن العدو أو
على سبيل بحذف المضاف أي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فإن
سبيل الله يعم أبواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من أيدي الكفار أعظمها وأخصها من
الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين
أو ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وإنما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على
تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان وأن دعوتهم أجيبت بسبب مشاركتهم
في الدعاء حتى تشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد و
الإماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا
من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بأن يسر لبعضهم الخروج إلى
المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل
عليهم عتاب بن أسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها والقرية مكة والظالم صفتها
وتذكيره لتذكير ما أسند إليه فإن اسم الفاعل أو المفعول إذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر

ويؤنث على حسب ما عنا به الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء
الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله
ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف
لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين
قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم
به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار
ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدأ
منهم صفته يخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر
او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله او اشد خشية
عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب
ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية
منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون
الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا
لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال
حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا
قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون ادنى شيء
من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون
لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل
الحسنات الله يشكرها وعلى انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة
في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصور من تبرجت

المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة
من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية
وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط
اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد صلعم المدينة
نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما
لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا
معانيه لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا
فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن
الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي
غيره ولذلك قال عليه الصلوة والسلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال
ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي
وهو لا ينافي قوله قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان
وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب
حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان
كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التأكيد ان علق
الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة
للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وكفى بالله شهيدا
على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والآمر
هو الله روي انه عليه الصلوة والسلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله
فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى

عيسى نزلت ومن تولى عن طاعته فما أرسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها
إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون إذا أمرتهم بأمر طاعة أي أمرنا
طاعة أو منا طاعة وأصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فإذا برزوا من
عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول أي زورت خلاف ما قلت لها أو ما قالت لك
من القبول وضمان الطاعة والتبييت إما من البيتوتة لأن الأمور تدبر بالليل أو من بيت
الشعر أو البيت المبني لأنه يسوى ويدبر وقرأ أبو عمرو وحمزة بيت طائفة بالإدغام لقربهما
في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة أو مما يوحي إليك لنطلعك على
أسرارهم فأعرض عنهم قلل المبالاة بهم أو تجاف عنهم وتوكل على الله في الأمور كلها سيما في
شأنهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم أفلا يتدبرون القرآن يتأملون في
معانيه ويتبصرون ما فيه وأصل التدبر النظر في أدبار الشيء ولو كان من عند غير الله
أي ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت
النظم فكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه تسهل
ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض أحكامه
دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على أن
اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح
وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف مما يوجب الأمن أو الخوف أذاعوا به أفشوه كان يفعله
قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلعم أو أخبرهم الرسول بما أوحي
إليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة أذاعوا به لعدم حزمهم وكانت إذاعتهم مفسدة
والباء مزيدة أو لتضمن الإذاعة معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر إلى الرسول
وإلى أولي الأمر منهم إلى رأيه ورأي كبار أصحابه البصراء بالأمور أو الأمراء لعلمه لعلم على أي
وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم وقيل كانوا يسمعون

أراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر
منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا أنه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر
أي يستخرجون علمه من جهتهم وأصل الاستنباط إخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر أول
ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بإرسال الرسول وإنزال الكتاب لاتبعتم الشيطان
بالكفر والضلال إلا قليلا إلا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به إلى الحق والصواب
وعصمة عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل أو إلا اتباعا قليلا
على الندور فقاتل في سبيل الله إن تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف إلا نفسك إلا فعل نفسك
لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإن الله ناصرك
لا الجنود روي أنه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج فكرهه بعضهم
فنزلت وما تبعه إلا سبعون لم يلو على أحد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على
بناء الفاعل أي لا نكلف إلا فعل نفسك لا أنا لا نكلف أحدا إلا نفسك لقوله وحرض
المؤمنين على القتال إذ ما عليك في شأنهم إلا التحريض عسى الله أن يكف بأس الذين
كفروا يعني قريشا وقد فعل بأن ألقى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله أشد بأسا
من قريش وأشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة
حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا أو جلب إليه نفعا ابتغاء لوجه الله
ومنها الدعاء لمسلم قال عليه السلام من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك
ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب إلى الخير الواقع بها
ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها
في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من أقات على الشيء إذا قدر قال
وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على مساءته مقيتا أو شهيدا حافظا واشتقاقه
من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها

الجمهور على انه في السلم ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة
الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول
الله صلعم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي
فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول
المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي تمامها
وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن
وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من
الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية
العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي ان الله كان على كل
شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم
ليجمعنكم الى يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او
في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس
من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر
ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اصدق منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره
بوجه لانه نقص وهو على الله تعالى محال فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين
فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلعم
في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا
بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا
ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او في قوم اظهروا الاسلام وقعدوا

عن الهجرة

عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي
متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين
والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس
رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل
الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم
فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب
على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم
حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله
ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم
راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم
ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه الصلوة والسلام وادع
وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ
اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي او
الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من
ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول صلعم وكف عن قتال الفريقين او على
صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال
لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد
صفة او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه
ان قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي

جاءكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه
وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن
ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط
صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم
يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم
هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا
المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين
اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم
وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم
سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم
ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن
وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه
على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة
الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى
النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه
القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد به زهوق روح غالبا او لا يقصد به محظور
كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد
وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام
لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ

فتحرير

فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من
الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة
كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة
الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب اليّ رسول الله
صلعم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى
بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة
حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلعم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة
اي يجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على
الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
اي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله
الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة
فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث
مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب
عليه صيام شهرين توبة من الله نصب على المفعول له اي شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه اذا قبل
توبته او على المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف المضاف اي فعليه صيام شهرين ذا
توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال
ابن عباس لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور
على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل
له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في

جب

بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته
فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل
متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله
سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلم لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف اي
الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ
مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو
حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك
التثبت فعند الله مغانم كثيرة يغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم
في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان تعلم مواطاة
قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا فافعلوا
بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء
وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب
الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في
القتل ولتحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلعم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس
ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا
كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت
في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه
دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون عن
الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع
صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائي

بالنصب

بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت
انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول
الله صلعم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه
فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل
الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته
تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط
منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء
فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او
على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي
درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة
لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لقولك ضربته اسواطا
واجرا على الحال لان فضل بمعنى اجر والمفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم
زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحدة منها بدل من
اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها
تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين
وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا
من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع
منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول من جاهد الكفار
والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلوة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى
الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفيهم الملائكة

يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة
انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت
الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين
في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء
كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر
اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم
الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار
قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة
منه وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن
الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان
كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد صلعم الا
المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول
وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان
فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة
فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة
ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه وا
الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او
بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة
امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله
عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب
وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة.

حيلة

في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ
يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق
بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب
متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والاية نزلت في جندب بن ضمرة
حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على
شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات
واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها
ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه الصلوة والسلام اتم في السفر وان
عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت
وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر صلوة السفر ركعتان تمام غير
قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة ركعتين ركعتين
فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الاية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام
في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الاية بانهم ألفوا الاربع
فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على
ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة
عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا
من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك
لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما
فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان
يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت

فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة
وعامة الفقهاء على انه تع علّم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم
كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطائفة
الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة
الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير
المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت
طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي
مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه الصلوة والسلام ببطن النخل وان اريد به ان يصلي
بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى
يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية
ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلعم بذات الرقاع وقال
ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتاتي الاخرى فتصلي
معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير
قراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع
بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوؤا الدار والايمان ود
الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا
منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح
ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم
في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ
للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم
العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم

ثم تعود وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها صح

لتقوى

لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا
في الامور على مراسم التيقظ والتدبير فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم
منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا
اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين
وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا
الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء
من الاحوال وهذا دليل على المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة
والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي
المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه
بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من
اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في
الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون
فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان
الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان
في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي
فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر
الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من
اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا

كيف ما

ولا تضعفوا صه

ان لم تفعل هلك وافتضح وبرى اليهود فهم رسول الله ان يفعل بما اريك الله بما عرفك الله
واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولا تكن للخائنين
اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا
رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود
عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه
فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان
خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد
ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتل يستخفون من الناس يستترون
منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو احق بان يستحيى ويخاف
منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون
يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور
وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة
الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم
يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا حاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء
به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك
وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه
رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو
عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان
عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما
مبينا بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف

احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير
للرسول عليه الصلوة والسلام وجمعه للتعظيم اوله ولامته فان عصمة الرسول واطلاعه
على الاحوال لطف في حقهم لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء
بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي تأثيره فيه وما يضلون
الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عصمك وما
خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب
على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من
خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم
من النبوة لا خير في كثير من نجويهم من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم
فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع
بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل
وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين
الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا
عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة
الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه
وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا
رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات في
جنبه من اعراض الدنيا ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين
في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع
غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال
ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت

مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة
واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني
باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان
المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم
واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام
فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلعم وقال اني
شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا
ولم اوقع المعاصي جرأة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي
عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم
انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى
لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ان
يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه
ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كما قال وما ذكر فان يسمن فانثى شديد
الازم ليس لها ضروس فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا يسمى قرادا فاذا كبر يسمى حلمة
او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها
ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل
ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل
المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على
التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبيث وخبث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن
كاسد واسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة وان يدعون وان يعبدون

بعبادتها

بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعتهم في ذلك عبادة
له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام
امرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول
الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل
التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان
الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال
لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته
ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال
واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية
الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض
له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث
ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احله الله وهي عبارة عما
كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق
كاملا بالفعل او بالقوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج
فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق
ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح و
القوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا
لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان
نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره
الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل

منهمك

مكانه من الجنة بمكان من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا
غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه
اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها
حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين آمنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي
وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبلها وعد
والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله
سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا
جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد
الله الصادق لاوليائه والمبالغة في تأكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل
الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل
نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم
ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم
هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال
من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضي فمن ينجو مع هذا
يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى
يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة

ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها
فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل
ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال
شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه
فيه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص
ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك
اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه
لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه
على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات
واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر
الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابرهيم واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه و
خصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له و
تنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل
من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في
الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال
والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية
كمال البشر روي ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت
الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف
وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء
من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت سارة فاخرجت
حوارى فاختبزت فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من

خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال
مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال
وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها
ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصن اتى النبي صلعم
فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد
القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلوة والسلام كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين
لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او
ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله تع والى ما في القران
من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او
استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد
به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم
كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا
ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن
والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى
النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى
جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي
فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن
فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا
يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز
تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين

من الولدان

من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان
تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا
جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان
ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا
لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به
عليما وعد لمن آثر في ذلك وان امراة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل
وامراة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا
لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا
ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا
من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او
حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من
اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد
به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله
واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني
لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد
المراة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي
اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص
الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم
عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة
السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة
وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلعم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك

ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب
عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن
النبي صلعم من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا
ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما
مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله
كلا منهما عن الآخر ببدل له او سلوة من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا
متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن
متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتاكيد الامر بالاخلاص وإياكم عطف على الذين ان اتقوا
الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما
في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله
لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك
بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما
في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه
وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع
الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها
الناس يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ويأت باخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم
او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه
مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفره وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى
رسول الله صلعم من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزلت
ضرب رسول الله صلعم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد

يجاهد

يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه
الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده
لقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي
كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته
شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت
الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين
والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له
غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا وترحما فالله اولى بهما بالغني
والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه
والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد وتشهد
عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان
تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة
العدل وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان
بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمني اهل
الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله
والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم
بالسنتكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول
القرآن والثاني الجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك
فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا

بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده إليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا
بمحمد صلعم أو قوما تكرر منهم الارتداد ثم أصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم سبيلا إذ يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان فإن قلوبهم ضربت
بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا أنهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان
في أمثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بأن لهم عذابا
أليما يدل على أن الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السريرة مرة بعد أخرى ثم ازدادوا
بالإصرار على النفاق وإفساد الأمر على المؤمنين ووضع بشر مكان أنذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين
أولياء من دون المؤمنين في محل النصب أو الرفع على الذم بمعنى أريد الذين أو هم الذين أيبتغون
عندهم العزة أيتعززون بموالاتهم فإن العزة لله جميعا لا يتعزز إلا من أعزه وقد كتب العزة لأوليائه
فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالإضافة إليهم وقد نزل عليكم في الكتاب
يعني القرآن وقرئ نزل والقائم مقام فاعله أن إذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى أنه إذا
سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من يجالسه هازئا معاندا
غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في
آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها إنكم إذا مثلهم في الإثم
لأنكم قادرون على الإعراض عنهم والإنكار عليهم أو الكفر إن رضيتم بذلك أو لأن الذين يقاعدون
الخائضين في القرآن من الأحبار كانوا منافقين ويدل عليه إن الله جامع المنافقين والكافرين في
جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم وإذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر
بعدها الفعل وإفراد مثلهم لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع وقرئ بالفتح على البناء
لإضافته إلى مبني كقوله مثل ما أنكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع أمر بكم وهو
بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين والكافرين أو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ

في سورة الأنعام

خبره فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم مظاهرين لكم فأسهموا لنا فيما غنمتم وإن كان للكافرين
نصيب من الحرب فإن لها سجالا قالوا ألم نستحوذ عليكم أي قالوا للكفرة ألم نغلبكم ونتمكن من
قتلكم فأبقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس أن يقال استحاذ يستحيذ استحاذة
فجاءت على الأصل ونمنعكم من المؤمنين بأن خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في
مظاهرتهم فأشركونا فيما أصبتم وإنما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا
لخسة حظهم فإنه مقصور على أمر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن
يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ أو في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به أصحابنا
على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف
لأنه لا ينفي أن يكون إذا عاد إلى الإيمان قبل مضي العدة إن المنافقين يخادعون الله وهو
خادعهم سبق الكلام فيه أول سورة البقرة وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين
كالمكره على الفعل وقرئ كسالى وهما جمع كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة
مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم أو للمقابلة فإن المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه
ولا يذكرون الله إلا قليلا إذ المرائي لا يفعل إلا بحضرة من يرائيه وهو أقل أحواله أو لأن ذكرهم
باللسان قليل بالإضافة إلى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فإنهم لا يذكرون
فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال عن واو يراؤن كقوله ولا يذكرون أي يراؤنهم
غير ذاكرين مذبذبين أو واو يذكرون أو منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الإيمان و
الكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا وأصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون
قلوبهم أو دينهم أو يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى أخذوا
تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء لا منسوبين إلى المؤمنين
ولا إلى الكافرين أو لا صائرين إلى أحد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا إلى الحق
والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكا

بالفتح

قرئ

أولياء من دون المؤمنين فإنه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا بهم أتريدون أن تجعلوا
لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فإن موالاتهم دليل على النفاق أو سلطانا يسلط عليكم عقابه
إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهي الطبقة التي في قعر جهنم وإنما كان كذلك لأنهم
أخبث الكفرة إذ ضموا إلى الكفر استهزاء بالإسلام وخداعا للمسلمين وأما قوله عليه الصلوة و
السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب
وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وإنما سميت طبقاتها
السبع دركات لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء
وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك أوجه لأنه جمع على أدراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم
منه إلا الذين تابوا عن النفاق وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق
واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه وأخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم إلا وجهه
فأولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فيساهمونهم
فيه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم أيتشفى به غيظا أو يدفع به ضرا أو يستجلب به
نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وإنما يعاقب المصر بكفره لأن إصراره عليه كسوء مزاج
يؤدي إلى مرض فإذا زال بالإيمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وإنما قدم الشكر
لأن الناظر يدرك النعمة أولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان
الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وإيمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من
القول إلا من ظلم إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي أن رجلا أضاف قوما
فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون
الاستثناء منقطعا أي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم
إن تبدوا خيرا طاعة وبرا أو تخفوه أو تفعلوه سرا أو تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو
المقصود وذكر إبداء الخير وإخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فإن الله كان عفوا قديرا

أي يكثر

أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم أولى بذلك وهو حث للمظلوم على
العفو بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الأخلاق إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
أن يفرقوا بين الله ورسله بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا
طريقا وسطا بين الإيمان والكفر ولا واسطة إذ الحق لا يختلف فإن الإيمان
بالله إنما يتم بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا أو إجمالا فالكافر ببعض ذلك
كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال أولئك هم الكافرون هم الكاملون
في الكفر لا عبرة بإيمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا
كفرا حقا أي يقينا محققا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين أحد منهم أضدادهم ومقابلوهم وإنما دخل بين على أحد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث
إنه وقع في سياق النفي أولئك سوف نؤتيهم أجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف
لتوكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون
عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف
حسناتهم يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في أحبار اليهود قالوا
إن كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي
على ألواح كما كانت التوراة أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا إلينا بأعياننا بأنك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد سألوا موسى أكبر من ذلك جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه
منك فقد سألوا موسى أكبر منه وهذا السؤال وإن كان من آبائهم أسند إليهم لأنهم كانوا آخذين
بمذهبهم تابعين لهذيانهم والمعنى أن عرقهم راسخ في ذلك وأن ما اقترحوا عليك ليس بأول جهالاتهم
وخيالاتهم فقالوا أرنا الله جهرة عيانا أي أرناه نره جهرة أو مجاهرين معاينين له فأخذتهم الصاعقة
نار جاءت من السماء فأهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحالة التي

اعتنته إعناتا أوقعه في العنت وفيما يشق عليه تحمله ومنه تعنته في السؤال إذا سأله على جهة التلبيس عليه

كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات
هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على
التورية اذ لم تاتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم
بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا
لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت
على لسان داود عليه السلام ويحتمل ان يراد على لسان موسى عليه السلام وحين ظلل الجبل عليهم فانه شرع
السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عليه السلام وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا
على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم
سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة
للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب
النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فلا يؤمنون لانه رد
لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات
الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او
في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم وخذلها ومنعها
التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا
قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى عليه السلام وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب
الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون
تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى وعيسى عليهما السلام ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اي
بزعمهم ويحتمل انهم قالوا استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا
من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي

ان رهطا

اطل الى الطلل والظل الذي الظل مجنب
ظلله وراقي سكله اي شخصه
ومنه اطل علينا فلان
اوفى بظلله
اشرف
اطل اي اشرف يعني الى عليه بظلله
وحقيقته اشرف عليه
بظلله اي بشخصه ٥

ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت
اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب
ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل
عليه فالقى الله شبهه عليه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقى
الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى عليه السلام فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة
وانما ذمهم الله تعالى بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله تعالى وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم
به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه
بين عيسى عليه السلام والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس
او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى عليه السلام فانه لما
وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال
بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى عليه السلام والبدن بدن صاحبنا
وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه
لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك
اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك
بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا
قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذاك تخبر
عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقنا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ
علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما
فيما دبر لعيسى عليه السلام وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن
به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود
والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه

واليقين ازاحة الشك كاليقين
محركة قاموس

زهق نفسه خرجت روحه
وازهقه الله ٥

ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد
لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا
نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب
الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة
يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم
من الذين هادوا اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى
الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا
وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم
واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما
دون من تاب وآمن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او
من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة
نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبيا
اي يؤمنون بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخين او الضمير في
يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفع لاحد الاوجه المذكورة
والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه
المقصود بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي
كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس
وهرون وسليمن خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين
اشراف الانبياء ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا

نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من
قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى
مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان
اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار
ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا
ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن
ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين
ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه
بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما
دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك
عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السما واحتج عليهم
بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله
يثبته ويقرره بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل
انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص
به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل
نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار و
المجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها
والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى
النبوة على وجه يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل
للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا

حال موطئة

والحال الموطئة بان لا تكون مقصودة لنفسها وانما المقصود وصفها بالصلاحية شيخ زاده

نبوتك ويشهدوا بها كما شهدت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما
اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق
في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته
او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او بما يعم من ذلك والآية تدل على ان
الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم
على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله
يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس
عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا
خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون
لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه
وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض اي وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر
بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم
ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير
رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه
اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح
عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه
وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه

كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة اي الآلهة ثلثة الله والمسيح
ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون
بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه
بما سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون
له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه
فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى
بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه
قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يانف
من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك لئلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون
عبدا له فان عبوديته شرف يباهي به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره
روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلعم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا
عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا
لله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة
المقربون ان يكونوا عبيدا لله واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه
لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف
اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه
ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى
فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم
الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك
لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته

ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث
لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا
واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة
العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد
للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة
يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات و
بالنور القرآن اي جاءكم دلايل العقل وشواهد النقل فلم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين
ورسول الله او القرآن فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره
بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان زايد عليه ويهديهم اليه الى
الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك
اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول
الله صلعم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل في الاحكام قل الله
يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اوايل السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت
فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال عن
المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب
لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت
مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اي والمرء يرث
اختها ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع
مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد
لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله تعالى

يفتيكم

يفتيكم في الكلالة ان تسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث
بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفايدة الاخبار عنه باثنتين على ان الحكم باعتبار العدد
دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله
وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ان تضلوا
ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق و
الصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم
فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء
فكانما تصدق على كل مومن ومومنة وورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ
من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم سورة المايدة مدنية وهي مائة
وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد
الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه
الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود
التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات
والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب
احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع و
اضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية
والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوها مما يماثل الانعام في الاجترار
وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم غير محل الصيد الا محرم
ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير
في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول

وانتم حرم حال عما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل و
تحريم يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر
اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله
لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال
فيه او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا
القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي
او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين
زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه
هدي فلا يتعرض له ولا امين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا
ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في امين وليست صفة له لانه عامل
والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه
على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الاية نزلت
عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح
بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب
المومنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة
ههنا من الامر دلالة الامر الاتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء
حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم
لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنان قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول
او الفاعل وقرا ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا
مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام
لان صدوكم عنه عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض

اغني عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام فاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب
ومن قرا يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا
على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على
الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت
عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله
او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة
التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا
ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت
والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات وهو دليل على ان جوارح الصيد
اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك
وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمحدد
وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون
عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح
مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم
عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب
على احدها امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي و الثالث غفل فان خرج الامر مضوا
على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام
طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل استقسام الجزور بالاقداح على الا
نصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه
فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان

اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم
عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية
وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين
كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم
عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم
دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف
على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال
الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان
وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب
عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام
المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف
لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد
فان الله غفور رحيم لا يواخذه باكله يسالونك ماذا احل لهم لما تضمن السوال معنى القول اوقع
على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسالونك بلفظ
الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم
ما حرم عليهم سالوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم
تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته
وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم
والجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من
سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه وآثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله

عليه صلوة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة
في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استئناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان
العلم بها الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم الله ان تعلموه من
اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه ويمسك عليه
الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه الصلوة والسلام لعدي بن
حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم
لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط
مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن
بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيواخذكم
بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبائح
وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رض نصارى بني تغلب
وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك
وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه الصلوة والسلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب
غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم
ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر العفائف وتخصيصهن
بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات
وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل
باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها محصنين اعفاء
بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن الصديق
يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين
يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا

قمتم الى الصلوة اى اذا اردتم القيام لقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل
بالفعل المسبب عنها للايجاز وتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك
الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له
وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه
لما روي انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم
تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين
وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه
السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم
امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على
دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم
ومعلقه بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد
ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما
دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن
في الآية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها
تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم
اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها
احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قوله
مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق
فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل
وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب
الشافعي رحمه الله اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رحمه مسح ربع الراس

ان يقال

لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رحمه مسح كله اخذا بالاحتياط و
ارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على
وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ
المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله عذاب يوم
اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب
في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب
من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على
وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او
جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم
تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء
تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في
الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من
حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا
تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم
نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والآية
مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب
وغير مستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما
مائع وجامد وموجبهما حدثان اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر
وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام

ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق
الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلعم على السمع والطاعة في العسر واليسر
والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه
ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات
اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان
لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك
العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض
عهد تشفيا بما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى صرح
لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى
واذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون
فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه
في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم
مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول
وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من
عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين
وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين رأوا رسول الله
صلعم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا
ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة
الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عليه الصلوة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة
يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا

القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى
عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلعم منزلا
وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال
الله فاسقطه جبرئيل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك
يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد
اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال
الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا
من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به
روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض
الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها
وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا
فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء
يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا [illegible] قومهم فرأوا اجراما عظيمة وبأسا
شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن
نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصر لئن اقمتم الصلوة واتيتم
الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير
واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن
عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم
منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك

اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا
او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر
وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم
قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ
قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه
لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم
لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية
او من اتباع محمد عليه الصلوة والسلام والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم
فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان
ابن مسعود قال قد ينسى بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على
خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر
من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم
وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او
عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر
بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو
عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم
كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال
قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما
ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم
القيامة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود
وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود و

النصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
كنعت محمد وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه
لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يواخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح
بالاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عليه الصلوة والسلام يهدي به الله وحد الضمير لان المراد
بهما واحد او لانهما في الحكم واحد من اتبع رضوانه سبل السلام طرق السلامة من العذاب
او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته
او توفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه
لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل
لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان
يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن
يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم
وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور
قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات
والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة
في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض و
من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل
يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حوا او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه المسيح وعزير كما قيل
لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك
مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم

من الديانة

فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم
انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن
به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم
عليه ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير
فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باسائته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي
الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على
معنى ويبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من
الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بيبين
حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا
به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر
على الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد ... بين عيسى ... عليهم كان بينهما ستمائة او
خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن
سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا
احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة عليكم اذ جعل فيكم انبياء
فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا
اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا
بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم و
امورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى ونحوها وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض
بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما
حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها

لكم

ممن خلقه

تترى كما فعل بين موسى وعيسى اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والفا نبي وعلى الارسال

الله

ما لم يؤت احدا

لكم او كتب في اللوح المحفوظ ان تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا
فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا
حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا
ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز
في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس
على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم
قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين
من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين
وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم
الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا
عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا
دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام
لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما
من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا
دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل
تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى
بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون

او الرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز
ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم
ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على
الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه
او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة
عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف
اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير موبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويويد ذلك
ما روي ان موسى عليه السلام سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها
ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده
نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني
اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا
وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما
قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من
الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من
نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه و
الاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما
وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة
اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تاس على القوم الفاسقين خاطب
به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبا ابني ادم قابيل
وهابيل اوحى الله تع الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توامة الآخر فسخط منه قابيل
لان توامته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما تقبل تزوجها فقبل قربان

هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم
لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر
محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبا اي ملتبسا بالصدق
موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف النبا او حال منه او بدل على حذف
مضاف اي اتل عليهم نباهما نبا ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من
ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن
وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا وقيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردا قمح
وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص
النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على
تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اوتيت من قبل نفسك
بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه
من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما
يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مومن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا
بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن
تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال
عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب
لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه
ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء
الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان
تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي
ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما

في موضع الحال أي ترجع ملتبسًا بالإثمين حاملًا لهما ولعله لم يرد معصية أخيه وشقاوته
بل قصده بهذا الكلام إلى أن ذلك إن كان لا محالة واقعًا فأريد أن يكون لك لا لي فالمراد بالإرادة
أن لا يكون له لا أن يكون لأخيه ويجوز أن يكون المراد بالإثم عقوبته وإرادة عقاب العاصي
جائزة فطوعت له نفسه قتل أخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع إذا اتسع و
قرئ فطاوعت على أنه فاعل بمعنى فعل أو على أن قتل أخيه كأنه دعاها إلى الإقدام
عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فأصبح من الخاسرين
دينًا ودنيا إذ بقي مدة عمره مطرودًا محزونًا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة
عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض
ليريه كيف يواري سوأة أخيه روي أنه لما قتله تحير في أمره ولم يدر ما يصنع به
إذ كان أول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له
بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة والضمير في ليريه لله أو للغراب وكيف حال من
الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوأة أخيه جسده الميت فإنه مما
يستقبح أن يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والألف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى
يا ويلتي احضري فهذا أوانك والويل والويلة الهلكة أعجزت أن أكون مثل هذا
الغراب فأواري سوأة أخي لا أهتدي إليه وقوله فأواري عطف على أكون وليس جواب
الاستفهام إذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فأنا أواري أو على
تسكين المنصوب تخفيفًا فأصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في أمره
وحمله على رقبته سنة أو أكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرؤ
أبويه منه إذ روي أنه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلًا
فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا
يضحك وعدم الظفر بما فعله لأجله من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل بسببه

قضينا عليهم وأجل في الأصل مصدر أجل شرًا إذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم
من جراك فعلته أي من أن جررته أي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية
متعلقة بكتبنا أي ابتداء الكتب ونشوؤه من أجل ذلك أنه من قتل نفسًا بغير نفس بغير قتل
نفس يوجب الاقتصاص أو فساد في الأرض أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق
فكأنما قتل الناس جميعًا من حيث أنه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس
عليه أو من حيث أن قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم
ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا أي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع
عن القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعًا والمقصود
منه تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ترهيبًا عن التعرض لها وترغيبًا في المحاماة
عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرًا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون
أي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل أمثال تلك الجناية وأرسلنا إليهم
الرسل بالآيات الواضحة تأكيدًا للأمر وتجديدًا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون
في الأرض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والإسراف التباعد
عن حد الاعتدال في الأمر إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أي يحاربون أولياءهما
وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيمًا وأصل الحرب السلب والمراد به هاهنا
قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وإن كانت في مصر ويسعون في الأرض
فسادًا أي مفسدين ويجوز نصبه على العلة أو المصدر لأن سعيهم كان فسادًا
فكأنه قيل ويفسدون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أي قصاصًا من غير صلب
إن أفردوا القتل أو يصلبوا أي يصلبوا مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال وللفقهاء
خلاف في أنه يقتل ويصلب أو يصلب حيًا ويترك أو يطعن حتى يموت أو تقطع أيديهم
اليمنى وأرجلهم اليسرى إن أخذوا المال ولم يقتلوا أو ينفوا من الأرض ينفوا

من خلاف

من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع وان اقتصروا على الاخافة ونفي وفسر ابو حنيفة
النفي بالحبس واو في الآية هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه
العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة
عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما
هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا
فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل
على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين
لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل
الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة
منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون
بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف
الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب
يوم القيمة اللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض
وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى
عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما
في خبره خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص
منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار
وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين
بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند
سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء

السببية

السببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ
بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة
اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار
او ما يساويه لقوله عليه الصلوة والسلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء
خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح
المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ
وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد
اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه
الرسغ لانه عليه الصلوة والسلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا
نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله
عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن
التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل
توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق
منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي صلعم (او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير وقدم التعذيب) على المغفرة اتيانا
على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد
به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنيع
الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا
آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا و
الواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا
سماعون للكذب خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون
ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي من اليهود قوم سماعون واللام في للكذب

اما زيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة و
المفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك
اي لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء
والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء
اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون
ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله
فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده
والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع
له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه
اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا
اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين
فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عنه وقالوا
ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن
صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع
فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل
تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل
علينا العذاب فامر رسول الله صلعم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله
فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر و [illegible] كما ترى نص على فساد قول
المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف عن المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم
وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون

للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح
السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلعم اذا تحاكموا
اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول
للشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع
الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك
شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط

بالعدل الذي امرت به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله

تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم
وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون
عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها
مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة
ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك
داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه
انا انزلنا التوراة فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون
يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية
تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا
باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا زهادهم وعلماؤهم السالكون
طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا
كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا
يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون
نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا

بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا وهو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحد من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التورية ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرا الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق فيكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقري فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينتقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى بن مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل وقري بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعلقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل

الله فيه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقري وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتملة على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقري على بنية المفعول اي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقري بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا

اي انزلنا اليك والحكم او على الملتي اي انزلنا الحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وانا
ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي ان يضلوك
ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذر فتنتهم او مفعول له اي
احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه
عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم
وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى
رسول الله صلعم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم
ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة و
مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد
او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر المعتدون
فيه افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية
التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلعم ان يحكم
بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ
ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا
واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام
الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرا ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون
ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت
لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون
الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء
بعض ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم

في الدين واجماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا
تشديد في وجوب مجانبتهم كما قال صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما ولان الموالين لهم كانوا
منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين
بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي
في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم
دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار روي ان عبادة بن الصامت
قال لرسول الله صلعم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من
ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي
فنزلت فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسول الله صلعم على اعدائه واظهار المسلمين او امر من
عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم
فيصبحوا اي هؤلاء المنافقون على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من
الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا
بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن
عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة
ابي عمرو ويعقوب عطفا على ان ياتي باعتبار المعنى فكانه قال عسى ان ياتي الله بالفتح
ويقول الذين آمنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه
من الحدث او الفتح بمعنى عسى الله ان ياتي بالفتح ويقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان
به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال
المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم
بالمعاضدة كما حكى الله عنهم بقوله وان قوتلتم لننصرنكم وجهد ايمانهم نصب على الحال والفعل جار مجرى
المصدر حبطت اعمالهم فاصبحوا مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا

خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه
قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قراه على الاصل
نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله
عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلعم ثلث فرق بنو مدلج
وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتل فيروز
الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة
فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ و
كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان
الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان
الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله
وحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلعم خالدا
فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر رضي الله عنه سبع فزارة
قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع
قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم
الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة
عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الروم فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
قيل هم اليمن لما روي انه عليه الصلوة والسلام اشار الى ابي موسى وقال قوم هذا وقيل
الفرس لانه عليه الصلوة والسلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه
وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلثة
آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم
ومحبة للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة

العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين
لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن معنى العطف والحنو
او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة على
الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في
سبيل الله صفة اخرى للقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف
على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال
بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين
خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة
المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف
فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما
وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها
وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله و
للمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا فانه جرى
مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون في
صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم
في صلوتهم حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله
سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين
ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل
الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب
الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة
لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا

ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر
موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هولاء فهم حزب الله وحزب
الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا
بمن يوالي غير هولاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون
لامر حزبهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث
اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم
على اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة
جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو
والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف
كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا
سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين
واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين
بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة
او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان
اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه
ذات ليلة بنار واهله نيام فتطايرت شرره في البيت فاحرقته واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون
فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل
تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه و
قرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل
من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان

المستثنى

المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان و
انتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما
منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان
آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان
اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن
حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سالوا رسول الله عمن يؤمن
به فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم
دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء
ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة
قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه
وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او
بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من
رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة
وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت
شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء
للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرا
وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على انه جمع
كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرا وعبد الطاغوت بالجر
عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعه في معصية الله اولئك
اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا و
اضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي

التفضيل الزيادة مطلقا لا الاضافة الى المؤمنين في الشرارة و الضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت
في يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد
خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل
قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال
ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم
وكان الرسول صلعم يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى
كثيرا منهم اي من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم
الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى
الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا
عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي
عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض
لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان
بعد تدرب فيه وتروّ وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة
المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم
وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل و
الجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله
جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة
شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن
اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي
حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار بها في الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ
وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد

فائدة لولا

ونفي

ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها
على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك
اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على
تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها
مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص
بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا
صلى الله عليه وسلم واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن
كما يزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذا
الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق
اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول صلعم
واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب
احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط فطرس
الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا
او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة
الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب
آمنوا بمحمد صلعم وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي
فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها و
فيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان
الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما من نعت الرسول عليه السلام والقيام
باحكامها وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بها

ارجلهم

بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم
بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان
اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما
كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا ما امروا به لوسع
عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا
بمحمد صلعم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه
وفيه معنى التعجب اي ما اسوء عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط
في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف
مكروها وان لم تفعل اي وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها
لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به
او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل
سواء في الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة
روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما
يريدون بك وعن النبي صلعم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم
تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلعم يحرس حتى
نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس
وظاهر الآية توجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد
بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء
اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم
من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد صلعم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان
لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها

وليزيدن

وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة
طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المومنين مندوحة لك
عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة
والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين
آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب
وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل على انه لما كان الصابئون
مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم
اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه
ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان
واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا
فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين
هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل والصابئون منصوب بالفتحة
وذلك كما يجوز بالياء يجوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتدا
وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اي
من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر
والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت
لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا
اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى بما يخالف هواهم من
الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جوابا الشرط والجملة صفة رسلا و
الراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء بيقتلون
موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك

ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآي وحسبوا ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو
اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب
ان لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان
عليها وهي للتحقيق تنزيلا له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه
فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم
تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على
ان الله عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير
منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف
اي العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقدم الخبر في مثله ممتنع
والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم
وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي
وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله
عليه الجنة يمنعه من دخولها كما يمنع المحرم من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة
للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع
المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام
كلام عيسى وان يكون من كلام الله نبه به على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم
بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اي احد ثلثة وهو
حكاية عما قال النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية
القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث
انه مبدأ جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة
للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن

الذين بقوا على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على
كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرونه
بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر
لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم
الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم
بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب
وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر
النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار
الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس
يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي من الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد
المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة
فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله
وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى عليه السلام وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه
لا يملكه من ذاته ولا يضر الله به من البلايا والمصايب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما
نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان
له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم
من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا
فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له
الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا

أهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني أسلافهم وأئمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه
وسلم في شريعتهم وأضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد
السبيل الذي هو الإسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الأول إشارة إلى ضلالهم
عن مقتضى العقل والثاني إشارة إلى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني إسرائيل
على لسان داود وعيسى ابن مريم أي لعنهم الله في الزبور والإنجيل على لسانهما وقيل إن أهل أيلة لما
اعتدوا في السبت لعنهم داود ومسخهم الله قردة وأصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى و ايلة
لعنهم فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون أي
ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه أي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن
منكر أرادوا فعله وتهيؤوا له أو لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا
امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من أهل الكتاب
يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة أن سخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في
العذاب أو علة الذم والمخصوص محذوف أي لبئس شيئا ذلك لأن كسبهم السخط والخلود
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وإن كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا و
ما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء إذ الإيمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن
دينهم أو متمردون في نفاقهم لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين
أشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم إلى
التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الأنبياء ومعاداتهم ولتجدن أقربهم مودة وكونهم
للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا

وكثرة

آخر الجزء السادس

وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل وإليه أشار بقوله ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا
يستكبرون عن قبول الحق إذا فهموه أو يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على أن
التواضع والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات محمودة وإن كانت في كافر وإذا
سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان
لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب
عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها
مما عرفوا من الحق من الأولى للابتداء والثانية للتبيين ما عرفوا أو للتبعيض فإنه بعض
الحق والمعنى أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك
أو بمحمد صلى الله عليه وسلم فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بأنه حق أو بنبوته أو من أمته
الذين هم شهداء على الأمم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين استفهام إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام الداعي وهو
الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم أو جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن
حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله أي
بوحدانيته فإنهم كانوا مثلثين أو بكتابه ورسوله فإن الإيمان بهما إيمان به حقيقة وذكره
توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن أو خبر محذوف والواو للحال أي ونحن نطمع
والعامل فيها عامل الأولى مقيدا بها أو نؤمن فأثابهم الله بما قالوا أي عن اعتقاد من قولك
هذا قول فلان أي معتقده جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين
الذين أحسنوا النظر والعمل أو الذين اعتادوا الإحسان في الأمور والآيات الأربع روي
أنها نزلت في النجاشي وأصحابه بعث إليه رسول الله صلعم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن
أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر الرهبان والقسيسين فأمر جعفرا أن يقرأ عليهم القرآن
فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين أو سبعين رجلا

من قومه وفدوا على رسول الله صلعم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه
لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب
والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه
كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض
الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما
فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل
لكم الى ما حرم عليكم فيكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد
بينهما روي ان رسول الله صلعم وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا
واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا
يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا
الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله
فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني
اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس
مني ونزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله
فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية
متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او
صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة
واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من
المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن
انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر

اوحال

او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي و
ابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر عاقدتم برواية ابن ذكوان وهو من فاعل بمعنى
فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز
التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه الصلوة والسلام من حلف على
يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت بالذي هو خير اطعام عشرة مساكين من
اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف
صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة
مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون
وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل
كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من
اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم
الكاف وهو لغة كقدوة وقدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون
بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او
تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب
احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلثة
ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات
والشواذ ليس بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم
وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم
ولم تفت بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته
اعلام شرايعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل

[illegible] على التعقيب [illegible] ... والله اعلم

حاصل الكلام ان الاسوة بمعنى المثل والكاف زائدة وفي الكلام حذف مضاف اي طعام مثل طعام اهليكم [illegible] فعلى هذا لو جعل الكاف في محل النصب عطفا على [illegible] من اوسط [illegible] والله اعلم سعد چلبي

لكم الجرح منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة
والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر
للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل
الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي
لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وانه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية
بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان
تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا
يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية
للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على
انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة و
الشرارة لقوله عليه الصلوة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر
بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده
والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على
ما تقدم من انواع الصوارف وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير
بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به
واحذروا ما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين
اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به
انفسكم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما
اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم عليهم وثبتوا على الايمان والاعمال
الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على

اعلم صح

جناح

اتقاء المعا

اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قال
الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر
فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث
استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه و
بين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلوة والسلام
في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه
ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام و
بعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين
فلا يواخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين امنوا
ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد
وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا
برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض
الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو
اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر
ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره
او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد
لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس
اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع
حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد
ما يوكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام خمس يقتلن في
الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى

لذلك صح

ان تعبد الله كانك تراه

ومن صار محسنا صح

دحضت قدمه زلقت دحضا ودحوضا

لقوة ايمانه

اي العقاب

[illegible]

الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف في ان هذا النهي
هل يلغي حكم الذبح فيلتحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة
المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه
قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ
واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ
روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحشي وطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت
فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او
فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان
متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون
على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه
ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء
يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي
وفي القيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان
يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر
او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ تخير بين الاطعام و
الصوم واللفظ للاول يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من
ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ونعته بغير مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج
الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ
ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه
بالصفة او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان
اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة يذبح

ب القيمة

يعني م

بالحرم

بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام
مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام
بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر بالطعام مساكين ما يساوي
قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من
الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر
العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الجمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز
للعدل ليذوق وبال امره متعلق بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق
ثقل فعله وسوء عاقبته هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل
الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم
او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة
على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد
البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه الصلوة والسلام في البحر هو
الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل السمك وما يؤكل نظيره
في البر وطعامه وما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا
لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما
صيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال ما لم تصطادوه او يصد لكم
ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل
الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة
المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم
يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار
او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه

او الصيد فيه

وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم م

اذا التبس قوما بالواو كونی وكذا القيام بالياء سعدي چلبي

كما اعل في نقله ونصبه علي المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلايد سبق تفسيرها
والمراد بالشهر الشهر الذي يودى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقربانه وقيل الجنس
ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم
ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة
عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شي عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد
اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه
ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب
القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذرا في التفريط والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوى الخبيث و
الطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال
وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة
والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل
معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر
واثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في
حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين
امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم الشرطية
وما عطف عليها صفتان لاشيا والمعنى لا تسالوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم و
ان تسالوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السوال وهو انه
مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفا غير انه قلبت لامه فجعلت
لفعاء وقيل افعلا حذفت لامه جمع لشي علي ان اصله شيّئ كهيّن او شيء كصديق فخفف
وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة

اخرى اي عن اشيا عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج
البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلعم حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو
قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استيناف اى عفا الله
عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما تفرط
منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس انه عليه الصلوة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان
من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسال عن شي الا اجبت فقال رجل اين انا
فقال في النار فقال اخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سالها قوم
الضمير للمسئلة التي دل عليها تسالوا ولذلك لم يعد بعن او لاشيا بحذف الجار من قبلكم
متعلق بسالها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا
منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم ياتمروا بما سالوا وجحدوا ما جعل
الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو
انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا
سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو
لالهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب
الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوا من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى
ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهي البحيرة ومن مزيدة ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون
اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر والناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم
من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الاباء ان يعترفوا به
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا

صلى الله عليه وسلم

لتصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل
الله والى الرسول اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت
عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة
ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي
التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع
المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال
عليه الصلوة والسلام من رأى منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة
ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل
الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت
الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح
ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما
كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا
شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتساع
وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته
وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي
ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف
ذوا عدل منكم من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على
اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم
ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما

تقفونهما

تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او
آخران من غيركم اعتراض فايدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما
في السفر فمن غيركم او استئناف كأنه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما
من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار
وقيل اي صلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه
وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله
عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا
وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا باقامتها
وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف
الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمنا وقرئ
لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على
انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما
من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل
وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف
اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ
حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اي من [illegible] الذين
استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان
فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما
تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم
ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي
نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر

فآخران من غيرهم آخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان
بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من
اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض
يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين
فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي
بن بدي خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان
مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما
به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه
ثلثماية مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا
فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله
بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا قد
اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله فنزلت فان عثر
فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص
الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها
على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين
على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم
الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين
اي ان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم
الى حجة او الى طريق الجنة يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل
الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب
باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر

اوباي

او باي شي اجبتم بحذف الجار وهذا السوال لتوبيخ قومهم كما ان سوال الموؤدة لتوبيخ الوايد
ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلمه مما اجابونا
واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا
منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ
علام بالنصب على ان الكلام تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام
منصوب على الاختصاص او النداء اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل
من يوم يجمع وهو على طريقة نادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسوال
الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون
فاتخذوه الهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك ظرف لنعمتي او حال منه
وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيا به الدين او النفس
حيوة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد
والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولة بحال الكهولة
في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك
الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها
فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره
في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت
بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال
الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي
الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السن
رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان يكون ان مصدرية وان تكون مفسرة قالوا آمنا و
اشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم منصوب باذكر او ظرف

وقرا ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع

بعطف ... واشهد بالواو دون الفاء وكانه قوله تعالى ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ... فاشهد باننا ... مؤمنون واشهد باننا ...

لقالوا لا يكون تنبيها على ان ادعاهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة
من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة
والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع
بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرا الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل
تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء اذا
تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا
الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في
ادعاء الايمان قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان
يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته
ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين
نشهد عليها عند من لم يحضرها او لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها اذا استشهدتنا
او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى بن مريم لما رأى ان لهم غرضا
صحيحا في ذلك او انهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا
مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور
العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا واخرنا بدل من
لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك
اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة
او الطائفة واية عطف على عيدا منك صفة لها اي اية كائنة منك دالة على كمال قدرتك
وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه
خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر
بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير

العيد السرور

الاصل اعذبه بعذاب فحذف الجار واوصل الفعل

للمصدر

للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من
عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم
روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم
فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة
وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا
سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون و
على الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون
يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته
كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه
الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما
كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم
اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء
الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ
ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء
والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله
انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل
ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق
المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا
في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا
التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل

وبالتشديد بمعنى الفصا

استعفوا

انهم احبهم فيبين الله تع ان امر السهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف
له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يتحمله ولا يستقر فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى
ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة
وتبكيتهم ومن دون الله صفة الهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون
فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما
ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما
زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تع فكانه قيل اعبدوني وامي الهين توصلين
بنا الى الله قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما
ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه
من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام
الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح
بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير
في به او بدل منه وليس شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول
بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر
لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول
اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر فكان
قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا
عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني
بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشي وافيا والموت نوع
منه قال الله تع الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم

المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلايل والتنبيه عليها
بارسال الرسل وانزال الآيات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم
فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما
يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب
الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان
عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه
لذاته ليمنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ
نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا
والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن
بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق
الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان النفع لله ملك
السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد
دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن اتباعا
لهم غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية
واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس
كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلعم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر
عشر حسنات ومحي عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي
ونصراني يتنفس في الدنيا سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلث من
قوله تعالى تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له
على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات
دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها
لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين الخلق
والجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك
عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا تقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية
وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى
والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة
عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا
يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق
بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم
تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على
قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء
منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون
محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى
ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم
منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف
ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاول ما بين الخلق والموت
والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول
النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن ياتي واجل نكرة
خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر و

ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره
فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم
وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها
وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد
والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع
وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق
للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم
والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت
الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى
لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان
صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر
والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من
آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من
الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه
غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم مما قبله كانه قيل
انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم
لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك
رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن
عند نزول العذاب بهم في الدنيا او الآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون
سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت

واستشهادا لله من قرنٍ مكّنّاهم في الأرض جعلنا لهم فيها مكانا ما لم نمكّن لكم ما لم نجعل لكم في السعة وطول
المقام يا أهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب و
أرسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا
الأنهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فأهلكناهم بذنوبهم اي
لم يغن ذلك عنهم شيئا وأنشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر
ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزّلنا
عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بأيديهم فمسّوه وتخصيص اللمس لان التزوير
لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكّرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده
بالايدي لدفع التجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
تعنتا وعنادا وقالوا لولا أنزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع
مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم
فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول
فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل
ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل
في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على روية الملك في صورته وانما رآهم كذلك
الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا
للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا
بلام واحد وللبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية للرسول صلعم على
ما كان يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فأحاط بهم الذي

كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الأرض
ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا و
الفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا
كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين
قل لمن ما في السموات والأرض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه
على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة
التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته
والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم
القيمة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين
الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل
البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين
خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين
نصب على الذم او رفع على الخبر اي انتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون و
الفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس
والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع
عن الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في
قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما
او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم
فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل أغير الله
اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد
بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والأرض مبدعهما وعن

ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها
اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب
على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه
وقرئ ولا يطعم بفتح اليا وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك
بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان
الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض
ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن من
المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب
والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه
يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يَصرف
على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف
فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله
بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له الا هو فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة
وغنى فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته ولا يقدر غيره على دفعه لقوله
فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم
في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قال
قريش يا محمد لقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا
صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة
البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدا شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله
شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن لانذركم

به اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم
به يا اهل مكة وساير من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون
ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن
بعدهم وانه لا يواخذ بها من لم تبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع
انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا
هو وانني بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون
رسول الله بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين
خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب بآياته
كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين
تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح
الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم
نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقرا يعقوب يحشر
ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام
التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء
فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا
ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من
فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا
به الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم
ونافع وابو عمرو بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت
امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم

بأن انتبه من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل
معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك
عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظيره قوله يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء والمدح وضل
عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران والمراد ابو سفيان
والوليد والنضر ما تقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك
لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع
كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنع من
استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول سورة البقرة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط
عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الآيات الى
انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه
وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث
خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة
واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول مفسر له والاساطير الاباطيل
جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصل السطر بمعنى الخط وهم ينهون
عنه اي ينهون الناس عن القران او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او
ينهون عن التعرض لرسول الله وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون
وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى
اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها
او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا
على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا

ولا نكذب

ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم
دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيكون
في حكم المتمني وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة
ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرا ابن عامر
برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من
نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا
اي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم
لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون
او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة
وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ
وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال أليس هذا بالحق
كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث
وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم
الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها على الحال او المصدر
فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اي تعالى فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها
في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شأنها والايمان
بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون
بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وما اعمالها الا لعب ولهو

تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي
الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها و
قوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرا ابن عامر و
لدار الآخرة افلا تعقلون اي الامرين خير وقرا نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء
على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان
وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرا نافع والكسائي لا يكذبونك من
اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون
بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودها او جحدوها
لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك
وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلعم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما
كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد
النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن
الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم
بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء
فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين
بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب
الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية
من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي

لو شاء جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه
والمعتزلة اولوه بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه
عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فانه من
دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل لقوله
او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين
لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه اي آية مما اقترحوه
او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله
قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية اخرى تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية
ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب
عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد
وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل يطير بجناحيه
في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها الا امم امثالكم محفوظة احوالها
مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة
تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا
في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق
لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر
الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى
بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون
يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن
عباس حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على
ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات

جبر والمث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد
ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشا الله يضلله من يشا الله اضلاله يضلله وفيه
دليل واضح لنا على رد المعتزلة ومن يشا يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى
ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل
لها من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون
لعديت الفعل الى ثلثة مفاعيل وللزم في الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق او
المفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتيكم عذاب الله كما اتى من
قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين
ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء
كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه
ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الاخرة وتنسون ما تشركون
وتتركون الهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون
غيره او وتنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك و
من زائدة فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر
والضراء الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون
لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت
مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك
على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم
باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء ولم يتعظوا
به فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء و
امتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه عليه الصلوة

والسلام

والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن و
وافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من
النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا
هم مبلسون متحسرون ايسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم
يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان
هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم واعمالهم
نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم و
ختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله ياتيكم به اي
بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات نكررها
تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترهيب والترغيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم
يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها
قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدمها امارة تؤذن
بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط
وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح اليا
وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم
ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف
عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب
جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف
بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه
دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون

عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات
البشر ردًّا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل
للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي
المستقيم كالنبوة وانذر به الضمير لما يوحى الى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم
المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا
فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون
لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما امره بانذار غير المتقين
ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا
لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا
اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروي
ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه
ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلوتا الصبح والعصر
وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين
فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه
يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم
من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم
بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا
بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم
عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب
رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم

يؤاخذون بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم
تبعدهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو
اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا
هؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم
المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير
كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن خذلنا
اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله
واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون
هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن والحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة
وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد
النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب
ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان
قوما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم
شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا
بما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي
الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح
بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على
اضمار مبتدا او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل
الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين
ولتستبين سبيل المجرمين قرأه نافع بالتاء ونصب سبيل على معنى ولتستوضح يا محمد

سبيلهم فنعامل كلاً منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابو عمرو وابن عامر و
يعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتستبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير
السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الآيات ليظهر
الحق وليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي
من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون
الله او ما تدعونها آلهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب
للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى
وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان
اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من
عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين
ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن
والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان
يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة
باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتأخيره
يقض الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا
صنعها فيما يقضي من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم
المنع فكانه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر
وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون
به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما
بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الامر الى الله وهو

اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح
الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بكسر الميم
وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها
الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته و
تعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر
عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما
تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض
ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء
الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت
بالرفع للعطف على محل من ورقة او رفعا على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي
يتوفيكم بالليل ينيمكم ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في
زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه
خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا
للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه
مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى
انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من
القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى
الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ
اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه و
تعرض على رؤوس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده

واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من حفظة المتطلعين عليه حتى اذا
جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون
بالتواني والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا
الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ
بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب
الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل
لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر و
قرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين
او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة
القول اي يقولون لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون
وقرا الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله
ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون
تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها
على ان من اشرك في عبادة الله فكأنه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق
فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم
وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال
وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم
بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك
اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ

وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد به اما
العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في
الدنيا او الآخرة واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن
فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات
لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسة حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر
ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع
الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق
والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين
يجالسونهم من حسابهم من شيء شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان
يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل
النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من
حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد في الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك
حياء وكراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون
على تقواهم ولا ينثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزءوا بالقرآن
لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم و
تحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا
عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم
واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية
السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا
البعث وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن

بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل
الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع
عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى و
ههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف
قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى
العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما
كانوا يكفرون تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل
بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا اتعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على
نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا
الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال
من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب
على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته او على المصدر اي ردا مثل رد
الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى
رفقة يدعونه الى الهدى اي يهدونه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم و
سماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو
الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول
عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء
وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة
الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن
ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول
اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي اليه

تحشرون يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم
يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول
كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ
في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف
دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله
الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم
القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالم الغيب وهو الحكيم
الخبير كالفذلكة للآية واذ قال ابرهيم لابيه آزر عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ
ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف
معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من
الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده
فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه
بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا
ويدل عليه ان قرئ ءازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ
يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني اريك وقومك في ضلال مبين
ظاهر الضلالة وكذلك نري ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية
وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات و
الارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه
للمبالغة وليكون من الموقنين اي ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن
عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم

فكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما راى القمر بازغا مبتديا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية فان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرا منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السما حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال اتحاجوني في الله في وحدانيته وقرا نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان

يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلوة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني في الله اليه حجتنا اتيناها ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرا الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب بن انوص من اسباط عيصا بن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي

المحسنين اي نجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده و
والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت يتناول اولاد البنت
والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من
اسباط هرون اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي
والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرا حمزة والكسائي
والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي دخل عليه اللام كما ادخل اليزيد في قوله رايت الوليد
بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن
هاران بن اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم
من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم
او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا و
اجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما
هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل
على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط
عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم
الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة
فان يكفر بها اي بهذه الثلثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا
بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي
صلعم او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء
المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا الدين
عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا
الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه الصلوة والسلام متعبد بشرع

بشرع والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو
وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر قل لا
اسألكم عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين
وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او القرآن او الغرض الا
ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته لهم
في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي
وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة
البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة
في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء
به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
بالتاء وانما قرا بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمين ذلك
توبيخهم على سوء جهلهم للتورية وذمهم على تجزيتهم اياها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في
ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه
الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر
السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات
الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم و
علمتم على لسان محمد صلعم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما
التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله
او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم
بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد

التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال
من المفعول او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه
مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر
ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر
اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم
واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها اول مكان او لبيت وضع
للناس وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين
يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف
العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير
يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه
احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن
ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين
تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه الصلوة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك
عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت
كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى
اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه ولو ترى الظالمين في غمرات الموت
شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي
المسلط او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم
تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريدون به

وقت الامانة او الوقت الممتد من الامانة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان
يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون
على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون
فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال
والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو
جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فراداً كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى
كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان
جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا
بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا
فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم
شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم
لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل
والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد
له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم
مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون
انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل
المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات
ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك
من النبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان
ذلكم الله اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون
عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق

الظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح
سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل
سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استيناسا
به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى
الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى
فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز
ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما
بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة
يحسب بها الاوقات ويكونان علما على الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر
مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير
بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما
والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات
البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق
وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم
قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي
انشاكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب
او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع
وقرا ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع لان الاستقرار منا
دون الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها
ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين
احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل

من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت
كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفننة بماء واحد كما في قوله يسقى
بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر
يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا
وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان ويجوز
ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو
الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه
اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من
بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب
عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات
ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على
نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من
الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون
والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرا حمزة والكسائي بضم الثاء وهو جمع ثمرة
كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به
وينعه والى حال نضجه او الى نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر
ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه وبانعه
ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي آيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث
الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا
باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه
عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه توبيخ من اشرك به والرد عليه

تعالى وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم
جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار
كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق
بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين
وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن
لا يخلق وقرئ وخلْقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي و
جعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع
بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرّفوا اي وزوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا
حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير
علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة
الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر يعني انه عديم النظير فيهما
وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء
وخبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها
الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل
شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال
على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضين وهي مع انها من جنس
ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني
ان المعقول من الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقة فلا يكافيه
والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق

من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض
بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب على مضمونها فان من استجمع هذه الصفات
استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها
اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار
جمع بصر وهو حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على
امتناع الرؤية وهو ضعيف اذ ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في
الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر
يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف
الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه
الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من
مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع
بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر
اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله
وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا الكلام
ورد على لسان الرسول عليه الصلوة والسلام وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف
وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا
درست اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب
درست من الدروس اي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درُست
بضم الراء مبالغة في درست ودُرِست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست
بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن

اي عفت ودرست اي درس محمد ودارست اي تقادمت او دارس درس كقوله عيشة راضية
ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او
للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي
اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك
يعني منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم
ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم
وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب
الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله اي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا
تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب
عُدُوًّا يقال عدا فلان عَدْوا وعُدُوًّا وعداء وعدوانا روي انه عليه الصلوة والسلام
كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل
كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة
اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة
عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص
العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم
مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر
في موضع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول في طلب الآيات واستحقار
ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله هو قادر
عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام
انكار انها اي الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب

مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل
لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بخلاف عنه عن عاصم ويعقوب انها
بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون
مجيء الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم
انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت
عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون
اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون
بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم
متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول
والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما
اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى
كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى
مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا
ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال
الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم
لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم
مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في
ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان
عداوة الكفار للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا
او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض
يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف

آخر الربع

القول غرورا الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موضع الحال
ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز
ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون
وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق
بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام
العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل
والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من
الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم
ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ
من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا
مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه
وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق تاييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه
ما عندهم مع انه عليه الصلوة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم
بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لا يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مؤمنوا اهل
الكتاب وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون
ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين
او خطاب الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت
على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمة ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه و
مواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز و الحال
والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق او اعدل او لا احد يقدر

ان يحرفها شايعا ذايعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله
بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها
وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم
بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال
او اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه
فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم
ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على
ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد
وجعل عبادة الاصنام والاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون
انهم على شيء وحقيقته الخرص فيما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن
سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل
النصب بفعل دل عليه اعلم لا بانه فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او
استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ
من يضل اي يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم
اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل
في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا
بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال
ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات
حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله و
اجتناب ما حرمه وما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن
اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة و

قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصّل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص
حرّم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة
وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قراه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح
باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين
الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او بالجوارح
وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون
بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك
التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي
بخلافه لقوله عليه الصلوة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرّق
ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوّله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه
لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي
دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم
بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان
اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره
واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي
اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه
من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل
والمحق والمبطل وقرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدا
خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله
للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمن ايمانه
زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار

وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها
ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية
اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف
جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع
الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا
جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا
جهل قال زاحمنا بني عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله
لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة
ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته
من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته
سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل
تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله
ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح
فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه
واليه اشار عليه الصلوة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن
فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر
عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد
في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء
مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود

الى السماء وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه و
اصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى
يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين
لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا
اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان
صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقته الذي اقتضته حكمته مستقيما
لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل
فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل
ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل
بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره
او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو
وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم
ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا
حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم
من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر
الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا
ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس
بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم
في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع
الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم

خالدين

خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما
شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه
قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم
او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي
يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن
في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون
العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل
الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي
وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان
وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رايهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية
واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا
الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل
حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم
يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل الحكم وان مصدرية او مخففة من
المثقلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او ان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى
بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من
ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها
وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من الثواب والعقاب وقرا
ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة

ثم ترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على أن ما سبق ذكره
من الإرسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله إن يشأ يذهبكم
أي ما به إليكم حاجة إن يشأ يذهبكم أيها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من
الخلق كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين أي قرنا بعد قرن لكنه أبقاكم ترحما عليكم إنما
توعدون من البعث وأحوال الآت لكائن لا محالة وما أنتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن أو
على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ أبو بكر عن
عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو أمر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم
إني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الإسلام والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في
الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالأمر على ما يفضي به إليه وتسجيل بأن المهدد
لا يأتي منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتقصى عنه فسوف تعرفون الذي يكون
له العاقبة وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وحسن الأدب وتنبيه على وثوق
المنذر بأنه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي إنه لا
يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لأنه أعم وأكثر فائدة وجعلوا أي مشركوا
العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم روي أنهم كانوا يعينون
شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم
وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم إن رأوا ما عينوا لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم
وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على أن ذلك فرط
جهالتهم فإنهم أشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بأن
جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به

وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر أيضا كالود والود
والود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربات زين لكثير
من المشركين قتل أولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن أو من السدنة
وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد وجر
الشركاء بإضافة القتل إليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود
من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص أبي مزادة وقرئ بالبناء للمفعول
وجر أولادهم ورفع شركائهم بإضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالإغواء
وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل أو ما وجب عليهم
أن يتدينوا به واللام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين وللعاقبة إن كان من
السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم أو الشركاء التزيين أو الفريقان
جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم أو ما يفترونه من الإفك وقالوا هذه إشارة إلى
ما جعل لآلهتهم أنعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد
والكثير والذكر والأنثى وقرئ حجر بالضم وحرج أي مضيق لا يطعمها إلا من نشاء
يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وأنعام حرمت ظهورها
يعني البحائر والسوائب والحوامي وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وإنما
يذكرون أسماء الأصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر
لأن ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا أو بمحذوف هو صفة له أو على الحال
أو المفعول له والجار متعلق به أو بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه أو بدله
وقالوا ما في بطون هذه الأنعام يعنون أجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا
ومحرم على أزواجنا حلال للذكور خاصة دون الإناث إن ولد حيا لقوله وإن يكن
ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والإناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فإن ما

اي معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن
كثير في ميتة فنصب كغيرهما والتاء فيه للمبالغة كما في راوية الشعر او هو مصدر كالعافية
وقع موقع الخالصة وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي
في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوي وعلى
صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على
انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة ما يعم
الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم
والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم
يريد بهم العرب كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا
بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز
نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله
يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو
الذي انشا جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات
ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات
ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة و
الكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا
عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك
عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون
والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك
ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا حقه
يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت

بالمدينة والآية مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والامر باتيانها يوم الحصاد ليهتم به ح
حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع
وحمزة والكسائي حِصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا
تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا
عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما
يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار
الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا مما احل لكم منه
ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا اعتراض
بينهما او فعل دل عليه او حال منهما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه
يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش و
النعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه
ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس
والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب
وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم
ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان
الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن
البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق
والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما يحمل اناثها ردا عليهم
فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين

ان الله حرم هذا ام كنتم شهداء بل أكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين
وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة
والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم
المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس لذلك ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي
القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي
مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم
يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء
لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما
مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا
كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه
قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما
اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم
فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون
والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة
الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور
رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه
وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر
الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر
وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما

الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتملت على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع
وحوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم
الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون
في الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا
تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين
وذو بأس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع
الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره
يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة
ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق
المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض
ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب
لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على
الضمير في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل
عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون
الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله
الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها
صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء
لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم
احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم و
اصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه

الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل
لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله
حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه
لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم
فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة
لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع
المضمر للدلالة على ان مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون
الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون
له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل
فاتسع فيه للتعميم اتل ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية
ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شيء
حرم عليكم متعلق بحرم او اتل الا تشركوا به اي لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه
ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها
ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده
المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا
او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا
بهم احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة
في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشية
املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا
الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم
وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة

الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ
اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كانك واوفوا
الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها
وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم
واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من
ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع
ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر
في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرا حمزة والكسائي
ان بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة
بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي
وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة
للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات
فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم
الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم اتينا موسى الكتاب عطف
على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا
ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن على من احسن القيام به
اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا
لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة
والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء

وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة
اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على
طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ
من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة يعني
انه كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها
او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة
افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد
جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم
ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض وصدف عنها
فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون
باعراضهم او صدهم هل ينظرون يعني اهل اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا
منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة
ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي ربك اي امره بالعذاب او كل
آياته يعني آيات القيمة والهلاك الكلي لقوله او يأتي بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة
وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها آيات الدخان
ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع
الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم
يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان
برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة
نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا

غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان
المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع
باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع
نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون
وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم
الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال
عليه الصلوة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة
وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي
على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا اي
باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم و
تفرقهم او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية
السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من
جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب
عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد
بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة
العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا
بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول
فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم باعتبار
الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر
نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابرهيم عطف بيان لدينا

حنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلوتي ونسكي عبادتي
كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي لله وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان
والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة
والممات انفسهما وقرا نافع محياي باسكان اليا اجرا للوصل مجرى الوقف لله رب
العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول والاخلاص امرت
وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه
في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شي حال في موضع العلة
للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا
عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب
عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم
فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلايف
الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام
او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات
في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو
آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه
الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام
المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة
مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة و
يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر
له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة سورة الاعراف
مكية الا ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكم كلها وقيل الا قوله و

اعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس بسم الله الرحمن الرحيم
المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به
السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق
القلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم
لا ارينك هنا والفاء يحتمل العطف والجواب وكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج
صدرك منه لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار
وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها
اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او
خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير
في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون
اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة
لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرا حمزة والكسائي وحفص
عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي عليه
الصلوة والسلام وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاكها او اهلكناها
بالخذلان فجاءها فجاء اهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع
الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت
واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء
بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص
الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعويهم اي دعاؤهم
واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم

بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة
واجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم
والمنفي في قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب
وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت
علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او
بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن
الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان
ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم
وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون
سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة و
البطاقة في كفة فطاشت السجلات وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه الصلوة و
السلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا
الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته
او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهي جمع موزون او ميزان
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا
انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون
يكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا
لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن ابن عامر انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف
قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور
ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا
آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين

ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل
الذي دخل عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر
الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب
والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا
بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به
فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين
تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار
الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار
الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية و
هو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية
دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى
الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة
فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على
ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك
من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة
فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه
محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم
الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال
فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي
بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل
القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم صراطك

بهم كما يتعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله
كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن
ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات
مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع و
لذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم
يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة
ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل
ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث
لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا
ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء
لانه منهما متوجه اليهم والى الاخيرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار
على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله
ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير
واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤما مذموما من ذامه اذا ذمه
وقرئ مذوما كمسول في مسئول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا
مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين
وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى
لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم
منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا
من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا و
الهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم

على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي
في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية
وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان
يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة و
عند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من
عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في
المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة
والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون
في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب
وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة
والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على
ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن
الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به
على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء
من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او
ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل
منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما و
اختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او
ظفرا وطفقا يخصفان انفسهما اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق
الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان

من خصف ويخصفان واصله يختصفان ونادهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما
ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه
دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج
من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغاير يعاقب عليها
ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير ولذلك قالوا انما قالا ذلك
على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيآت واستحقار العظيم من الحسنات قال
اهبطوا الخطاب لآدم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء
ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين ولكم
في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى ان تنقضي آجالكم
قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اي
خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله
وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي
ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا فيها فنزلت
ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان
من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش
الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب
ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب و
رفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه
خير وقرا نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس
من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون
فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم

كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم
عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج
واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد
للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا تقتضي
امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب
او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة
وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف
العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد
الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر
بالفحشاء لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة
فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة
ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل
لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله
امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا
تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله تعالى قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من
كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين
غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو
الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه
واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بداكم كما انشاكم ابتداء
تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة
عليها وقيل كما بداكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بداكم حفاة عراة غرلا تعودون

وقيل كما بداكم كما انشاكم مؤمنا وكافرا بعيد كم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق
عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم
اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم وتحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون
يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر
في النظر يا بني ادم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن
السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة
وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا
ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال
او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما
شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب
في نصف اية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم
زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان و
الحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل
والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام
في من للانكار قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع
خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرا نافع بالرفع على انها خبر بعد
خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام
لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها
وسرها والاثم ما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده
بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
تهكم بالمشركين وتنبيه على حرمة اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون

بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول
العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا
يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا
يطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي
شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما يظنه اهل
التعليم وضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال
الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب باياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من
الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والاجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا
جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم
وهي التي يبتدا بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون من دون الله اي الالهة
الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة
قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين
فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة في امم قد خلت
من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية
من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء
بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا
او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء
اضلونا سنوا لنا الضلال فاتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا

او اضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم
ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرا عاصم بالياء على الانفصال وقالت
اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه
عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا وایاكم متساوون في الضلال واستحقاق
العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين
كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم
او لارواحهم كما تفتح لاعمال المومنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتانيث
الابواب والتشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التانيث
غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل على ان الفعل للايات وبالياء على ان الفعل
لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو
البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ
الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من
القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم الخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك
ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين
فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك
نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا
بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه
اعظم الاجرام والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين
المبتدا وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف
نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل ونطهرها منه

حتى لا يكون بينهم الا التوادد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه
هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي
وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا بغير واو على انها جملة مبينة للاولى
لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه
يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الاخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد
دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو
حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة
هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا
بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان
ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم
اهل الجنة قالوا نعم وقرا الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو
صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرا ابن كثير وابن عامر
وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول
او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع
او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني
والاعيان ما لم يكن منتصبة كالحائط والرمح وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب اي
بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احديهما
الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب
بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه

يكون بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين
الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء
او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهلي
الجنة والنار بسيماهم بعلاماتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام
ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجباه من الوجه وانما يعرفون
ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا
اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن
الاصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم
بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون
عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله
برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت
الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو
اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد
ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا
اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض
الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره
دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا
علينا اي صبوا وهو دليل على ان الجنة فوق النار من الماء او مما رزقكم الله من سائر
الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله

حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم
البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب
طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل
الناسين نتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم
ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم
بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله
حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ
فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال
من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور
ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي
قد جاءت رسل ربنا بالحق قد تبين انهم جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم
او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى
الاول المسؤول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد
وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد
خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن
يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها
ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار
واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش استوى امره او
استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى
استواء على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر

الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل
الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك
قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر
عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب
لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل
بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه و
تصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع
على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى
بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية ² واحد وهو الله تع لانه الذي له الخلق والامر
فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه
بقوله فقضيهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا
للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار
اليه بقوله خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلثة
بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في
سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك
عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك
وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا
وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين
ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء

والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا
في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا
ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط
رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير
قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي
هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره
وهو الذي يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى
ناشر وقرا ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث
وقع على انه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان
وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى
باشرات للبشارة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تذره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من
القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه اي
السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت
فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه
عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان
لغيره فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى اي كما نحييه باحداث
القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات او كما احيا البلد الميت نخرج الموتى
من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس

لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج
نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارته ونفعه لانه اوقعه في
مقابلة والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال
وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على
المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم
يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن
لم يرفع اليها راسا ولم يتاثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق
هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح
بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم
اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ وقرئ
بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي
الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم
يملؤون العيون رواءهم انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة
اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب
استدرك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول
من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استئناف
ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات
لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه
والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم
وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته

بالوحي انبياء لا علم لكم بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم
ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم
او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا
بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منها بسبب الانذار ولعلكم
بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان
المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن
به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن
آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجينا او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا
الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين
فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا
الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود
بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ
بن ارفخشذ بن سام بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب
في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استئناف به ولم يعطف كانه جواب
سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا
اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه اذ كان في اشرافهم من
آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت
دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب
العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل
منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض
عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح

في قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد
قوم نوح اي في مساكنهم من رمل عالج الى شحر عمان او في الارض بان جعلكم ملوكا فان
شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في
الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي
يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما
كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا
في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او
من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا بما تعدنا من العذاب
المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب
وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان
اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو
الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين
ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد
الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم
هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة
لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد
نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا
دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على
ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله
اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم

من العطش الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما • وقد كانت نساؤهم بخير فقد امست نساؤهم عياما
وان الوحش تأتيهم جهارا ولا تخشى لعادي سهاما • وانتم ههنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم • ولا لقوا التحية والسلاما

وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من
الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك
بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو
بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر
وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى
ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا
به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم
فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا
مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء و
حمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت
السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا
هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه
فأتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم
ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء
القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز و
الشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن
عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من
ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف
لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له
آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة

الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك
كانت آية فذروها تأكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي
هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر
فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في
الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة
الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا تنحتون بالفتح وتنحاتون
بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال
او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال
الملأ الذين استكبروا عن الايمان من قومه للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم
واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه
وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا
انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله
اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي راي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك
قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع
ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل
بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما
بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم
الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين لا يتحركون موتى روي انهم بعد عاد
عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت
من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام
فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا

اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا
اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة فقال له
اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح
مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض
النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون
ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب
بن عمرو والحباب صاحبا اوثانهم ورباب بن صمعر وكان كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها
ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون
ما شاؤوا حتى تمتلي اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب
منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت
عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها
جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب
فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة
وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه
فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع
فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة
ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم
جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب
بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل
التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا
واذ بدل منه اتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم

بها

بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي و
الاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان
الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله
اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار
المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية
الصرف وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع
لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم
الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع
معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه
بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس
يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن به الا امراته استثناء من اهله فانها
كانت تسر الكفر كانت من الغابرين اي من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب
الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روى ان لوط بن هاران بن تارخ
لما هاجر مع عمه ابرهيم عليه السلام الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم
ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم
الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين
اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن
يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي

وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعود
له من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات يحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته
فاوفوا الكيل اي آلة الكيل لقوله والميزان كما قال في سورة هود او اطلاق الكيل
على المكيال كالعيش على المعاش او الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا
يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا
في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعدما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم
بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم
مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا
او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من
طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود
واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد
فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل
كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر
موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه
او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على
اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه
في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء
الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم
بالبركة في النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا
بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا

حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد
للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من
قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن
احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان
الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم
وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون
لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا
في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دل عليه قد افترينا وهو بمعنى المستقبل
لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا
الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا
عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا
وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر
بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل
شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان ومما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا
على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبينهم وميز المحق من المبطل من فتح
المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه
لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلاله بهداكم او
لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم
الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها
كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ
خبره كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا

شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون
في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما
اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم
لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم
ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ
والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ
فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء
بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين
حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا
الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب
في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة
وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله
وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيا
لفتحنا عليهم بركات من السماء لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد
المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا
يكسبون من الكفر والمعاصي أفأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم
لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
بياتا تبييتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا أوأمن
اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى

ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من الغفلة او
يشتغلون بما لا ينفعهم افأمنوا مكر الله تقرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة
لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها
اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى يبين ان
لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من
قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف
على ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا
يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياقه جواب لو لافضائه
الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرها
نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان
جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها
انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند
مجيئهم بها بما كذبوا به من قبل بما كذبوا من قبل مجيء الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا
ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر قط فيهم دعوتهم
المتطاولة والايات المتتابعة واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان
لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب
الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والاية
اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله
اليهم في الايمان والتقوى بانزال الايات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في
ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم

لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز
الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم
بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم باياتنا
يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو
حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك
مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن
الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من
رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب
لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله
حقيق على ان لا اقول كما قرأه نافع فقلب لامن الالتباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق
واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق
معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس
وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم
ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة
التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت جئت باية
من عند من ارسلك فات بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين
في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان
وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون
ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو
فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون

الفا

لنا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل
معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا
هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار
لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه
ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان
هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء
وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان تفعل قالوا ارجه و
اخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا
به الى فرعون والارجاء التاخير اي اخر امره واصله ارجئه كما قرا ابو عمرو وابو بكر ويعقوب
من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت كما
قرا نافع في رواية قالون ارجه بحذف الياء فالاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وعاصم
ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما قراءة
ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة
او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرا حمزة والكسائي بكل
سحار فيه وفي يونس ويؤيده انه يقابل عليم في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط
في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف كانه جواب سائل قال ما قالوا
اذ جاؤوا وقرا ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم
قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم وانكم لمن المقربين عطف على ما سد
مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين
خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا
عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل

فلذلك قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا
اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤوا
بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملات الوادي وركب
بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف
ما يافكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون
ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها
باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت
عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت
لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي
السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود
بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد
كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون
آمنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم
وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرا حفص آمنتم به على الاخبار قبل ان آذن
لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في
قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف
تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل
شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه
الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته

قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا المنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت
بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا
وما تنكر منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى
لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا
صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون
وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله
انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في
الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا او جواب الاستفهام
بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك
ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استيناف او حال وقرئ
بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد
الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى
وقرئ والاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم
انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
ملكنا على يده وقرا ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون
تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا
لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت
في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم
وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس
قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا
باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى

انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم
وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمان داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون
من شكر وكفران وطاعة ومعصية فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون
بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه
ويورخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات
لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشوم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او يرق قلوبهم بالشدائد
فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه
لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا
بهم ويقولون ما اصابتنا الا بشومهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد
ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم
بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق
لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها
وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو
حكمه ومشيئته او سبب شومهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم
ما يسوءهم وقرئ انما طيركم وهو اسم جمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم
من الله او من شوم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد
ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما
الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي ايما شيء تحضرنا تاتنا
به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا
بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما
ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان

ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل
الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها و
الضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من
بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة
ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك
عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت
لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله فلم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم
وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج
الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها
فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم
وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل
الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلي
منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه
وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم
الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه
دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط
عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على انها آيات
الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان
امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة
يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم
الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسل الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى

ادع

ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك
كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد
عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما
عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم
الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو
وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي
فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام
منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا
وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى
صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض
ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في
نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني
اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله
ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا
بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور
والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح
هامان وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم وآخر قصة فرعون وقومه وقوله و
جاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من
الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله ﷺ مما راى منهم و

ايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى
عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا
على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنامهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل
بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل
من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده
كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق
واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة
الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم
اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا
بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم
فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبر ان
للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى
عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم
على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث
قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا
به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا
الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم او حال
من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه
مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا
موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من
ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عليه الصلوة والسلام

وعد

وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون
فلما هلك سأل ربه فامره بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا
نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان
يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه
هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا
ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك سبيل الافساد ولا تطع من دعاك اليه فلما
جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا
وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك
الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال
رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو
دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي
الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على
على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت
قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم
ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا تتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا
تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار
عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا من ان يدل على استحالته
ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي
تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل
جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة

ورؤيته حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ
حمزة والكسائي دكاء اي مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا دكا
جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال تعظيما لما رأى
سبحانك تبت اليك من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين مر
تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك
اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه
ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي
وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه
روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح
من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار
والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح
كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها
الله لموسى فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها على اضمار
القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى
الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها
كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على
الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من
غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم
الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية
على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة
وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده

قوله واورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس الذين يتكبرون
في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها
وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي
يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا
بها لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه
الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ
حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثها لغات كالسقم والسقم والسقام
وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك
الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي
سأصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار
الآخرة او ما وعد الله في الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا
يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم
التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في
ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر
بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم من الذهب خاليا عن الروح
ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه
من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت
وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه
الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط
ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا
على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه

تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير مواضعها فلم يكن
اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم
المتحسر يعض يده غما فيصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض
فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين
وقراهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب
وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم
مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس
والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي
من بعد انطلاقي او من بعد ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم
امر ربكم اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه
من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها
من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة
الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ
والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهارون كان اكبر
منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه
عليه وكانا من اب وام وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم ابن ام بالكسر
واصله يا ابن امي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون
بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا
يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني
وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين

معدودا في عدادهم بالمؤاخذة ونسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي
ان فرط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك
بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل
سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من
ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى
ولعله لم يفتر احد مثلها قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي
ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وامنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال
الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة
العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت وقرئ به عن موسى الغضب باعتذار هرون او
بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالامر به والمغري
عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه
او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول
كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى
الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف
المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي
من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي
انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان
فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع
وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا
فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت

أهلكتهم من قبل وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما رأى أو بسبب آخر وعنى به أنك
قدرت على إهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم وبإغراقهم في البحر وغيرها فترحمت عليهم بالإنقاذ
منها فإن ترحمت عليهم مرة أخرى لم يبعد من عميم إحسانك أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر
على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم
موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم و
أشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين
أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية أو أوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء
ضلالة بالتجاوز عن حده أو باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها إيمانه أنت ولينا
القائم بأمرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وأنت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك
تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده إذا أماله ويحتمل أن يكون مبنيا
للفاعل وللمفعول بمعنى أملنا أنفسنا أو أُملنا إليك ويجوز أن يكون المضموم أيضا مبنيا للمفعول
منه على لغة من يقول عُود المريض قال عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل
شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الآخرة أو فسأكتبها كتابة خاصة منكم
يا بني إسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لإنافتها ولأنها كانت
أشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ
خبره يأمرهم أو خبر مبتدأ تقديره هم الذين أو بدل من الذين يتقون بدل البعض أو الكل و
المراد من آمن منهم بمحمد عليه الصلوة والسلام وإنما سماه رسولا بالإضافة إلى الله ونبيا بالإضافة إلى
العباد الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والإنجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير أو كالربا

والرشوة ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف
الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة
وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله فالذين آمنوا به وعزروه
وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي
أنزل معه أي مع نبوته يعني القرآن وإنما سماه نورا لأنه بإعجازه ظاهر أمره مُظهر غيره
أو لأنه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز أن يكون معه متعلقا باتبعوا أي واتبعوا النور
المنزل مع اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيكون إشارة إلى اتباع الكتاب والسنة أولئك
هم المفلحون الفائزون بالرحمة الأبدية ومضمون الآية جواب موسى قل يا أيها الناس إني رسول
الله إليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلعم مبعوثا إلى كافة الثقلين وسائر الرسل إلى أقوامهم جميعا
علم حال من إليكم الذي له ملك السموات والأرض صفة لله وإن حيل بينهما بما هو متعلق المضاف
إليه لأنه كالمتقدم عليه أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ وخبره لا إله إلا هو وهو على الوجوه
الأول بيان لما قبله فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه
بالألوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ما أنزل عليه وعلى سائر
الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على إرادة الجنس أو القرآن أو عيسى تعريضا لليهود
وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتبر إيمانه وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات
الداعية إلى الإيمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين
تنبيها على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى
يعني بني إسرائيل أمة يهدون الناس بالحق محقين أو بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في
الحكم والمراد بها الثابتون على الإيمان القائمون بالحق من أهل زمانه أتبع ذكرهم ذكر أضدادهم
على ما هو عادة القرآن تنبيها على أن تعارض الخير والشر وتزاحم أهل الحق والباطل أمر مستمر وقيل
مؤمنوا أهل الكتاب متميزا بعضهم عن بعض وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله ليلة

المراد ثم ما نوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول
ثان لقطع فانه متضمن معنى صيّر او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه
ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط وكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة
وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت اسباط وعلى الثاني بدل
من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست
اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم
يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم
وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من
طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ
قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا
حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا منها بالفاء افاد تسبب
سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له هنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال واما تقديم قولوا على وادخلوا
فلا اثر له في المعنى لانه لم يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد
المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة
على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء
والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ان ابن عامر فانه وحّد وقرأ ابو عمرو خطاياكم
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى
تفسيره فيها واسألهم للتقرير والتقريع بتقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا
بتعلم او وحي ليكون لك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة
البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل طبرية اذ يعدون في
السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف

او بدل منه بدل اشتمال اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدّون واصله
يعتدون ويُعِدّون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا
فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول
ان قرئ يوم اسباتهم وقرئ ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يُسبِتون من اسبت
ولا يُسبَتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان و
معناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون
مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم
السبت والباء متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل
القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون
قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة
في ان الوعظ لمن لم يرعووا منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم
ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله
حتى لا تنسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة
اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا
بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل
من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس
بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد
في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل
اسما وقرئ بيّس كريّس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس

بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا
عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
الظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون
الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا
مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين
فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت
تاتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا
ابدانهم واذ تاذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم
على الشيء يوذن نفسه بفعله وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه
وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيامة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من
يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بختنصر
فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم
وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه الصلوة والسلام ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم
الجزية فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور
رحيم لمن تاب وامن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم
تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة
او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون
ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم
والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين
خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في
الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا

الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى حطام
هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا ياخذون من الرشى
في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا
الله بذلك ويتجاوز عنه ويحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور
او مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون
المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في
الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا
والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله
وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه
تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هؤلاء
افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد
وقرا نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب
واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا يعقلون اعتراض او مبتدا خبره
انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان
الاصلاح كالمانع من التضييع وقرا ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها
على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل
النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم
ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق
الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع
الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول
اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه

سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سال عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل ففيم العمل يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار
مفاتيح في حسان ... ٤

وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال
ورذايل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم
على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرا نافع و
ابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي ونصب
لهم دلايل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من
قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف
على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة اي كراهة ان
تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرا
ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا
افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتاسيس الشرك وقيل لما خلق
الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك
لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود
من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق
المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم
على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد
واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبا الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل
او امية بن ابي الصلت فانه كان قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك
الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد عليه الصلوة والسلام حسده وكفر به او بلعم بن
باعورا من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض
عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين

روي ان قومه سالوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه
حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات
وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا و
استرضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل
العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء
المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب وسايط
معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول
ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان
حب الدنيا راس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس
احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دايما سواء حمل عليه بالزجر والطرد
او ترك ولم يتعرض له بخلاف ساير الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان
من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع
موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا
على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا
فاقصص القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم
الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم
الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا
في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها
بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله
فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية
الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني

لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقتهم بخلاف الضالين والاقتصار
في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال
جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان
لها ولقد ذرانا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه لهم قلوب
لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها
اي لا ينظرون ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تأمل
وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاسماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم
متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع
والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلمون انه
معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها
دالة على معاني هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه
بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه
بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا
بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او ذروهم والحادهم فيها باطلاقها
على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه
او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة يلحدون بالفتح
يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكره
بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة
امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في
كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلوة والسلام لا يزال من امتي طائفة على الحق الى ان
يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا

بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال
درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف
من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم
عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين اي اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان
وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه الصلوة والسلام من جنة جنون
روي انه عليه الصلوة والسلام علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى
فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح
انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض و
ما خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة
صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه
وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من
الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم
وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل
مغافصة الموت ونزول العذاب فبأي حديث بعده اي بعد القرآن يؤمنون اذا لم
يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم بعد الزام الحجة
والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب
فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به
فبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير
والتعليل له ونذرهم في طغيانهم يعمهون بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل
لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة اي عن القيامة وهي

من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله
كساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل
وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من أويت لان البعض آو
الى الكل قل انما علمها عند ربي استاثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا
يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتاقيت
كاللام في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها من
الملائكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجاة على غفلة كما قال
عليه الصلوة والسلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته و
الرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسالونك كانك حفي عنها عالم بها
فعيل من حفي عن الشي اذا سال عنه فان من بالغ في السوال عن الشي والبحث عنه استحكم علمه
فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسالونك وقيل هي من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا
قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسالونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم
لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفي من حفي بالشي اذا فرح بالسوال عنها تحبه
لانه من الغيب الذي استاثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسالونك لما نيط به من
الزيادة والمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي
نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم
بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من
الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار
حتى لا يمسني السوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون
فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم
من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل

لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليانس بها ويطمئن اليها اطمينان الشيء الى
جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اي جامعها حملت
حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهي
النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت
وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما
اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله
ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة
فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما
فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل
عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل
لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب
وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله
بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث
وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق
بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له
زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد
مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما
المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك
وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا
اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين
الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير

الأصنام أي إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم
أدعوتموهم أم أنتم صامتون وإنما لم يقل أم صمتم للمبالغة في عدم إفادة الدعاء من حيث أنه مسوّى
بالثبات على الصمات أو لأنهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم إحداثكم دعاءهم
واستمراركم على الصمات عن دعائهم إن الذين تدعون من دون الله أي تعبدونهم وتسمونهم
آلهة عباد أمثالكم من حيث أنها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين
أنهم آلهة ويحتمل أنهم لما نحتوها بصور الأناسي قال لهم إن قصارى أمرهم أن يكونوا
أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه
بالنقض فقال ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون
بها أم لهم آذان يسمعون بها وقرئ إنِ الذين بتخفيف إن ونصب عباد على أنها نافية
عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل
ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي
أنتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلوني فإني لا أبالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه
إن وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين أي ومن عادته تعالى أن يتولى
الصالحين من عباده فضلا عن أنبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم
ولا أنفسهم ينصرون يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا بصورة من ينظر إلى من يواجهه
خذ العفو أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو
الذي هو ضد الجهد أو خذ العفو عن المذنبين أو الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك
قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الأفعال وأعرض عن الجاهلين
فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل أفعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق آمرة للرسول
باستجماعها وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس أي وسوسة تحملك على خلاف
ما أمرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس

اغرائهم

إغرائهم على المعاصي وإزعاجها بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله إنه سميع يسمع استعاذتك
عليم يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه أو سميع بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازيه عليها
مغنيا إياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان
لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر أن
تؤثر فيهم أو من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب
طيف على أنه مصدر أو تخفيف طيّف كليّن وهيّن والمراد بالشيطان الجنس ولذلك
جمع ضميره تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فإذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع
الخطاء ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا
قوله وإخوانهم يمدونهم أي وإخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي
بالتزيين والحمل عليه وقرئ يُمدونهم من أمدّ ويمادّونهم كأنهم يعينونهم ويجوز أن يكون
الضمير للإخوان أي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز أن يراد بالإخوان
الشياطين ويرجع الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له وإذا لم تأتهم بآية
من القرآن أو بما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما
تقرؤه أو هلا طلبتها من الله قل إنما ما يوحى إلي من ربي لست بمختلق للآيات أو لست بمقترح
لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا
لعلكم نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات
له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على
استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف
واذكر ربك في نفسك عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما أو أمر للمأموم بالقراءة
سرا بعد فراغ الإمام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تضرعا وخيفة متضرعا

خايفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع
والاخلاص بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر
آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك
يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون
ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين
ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد
اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود
فعصيت فلي النار وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة
بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة سورة الانفال مدنية وآيها
ست وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم
يسألونك عن الانفال اي الغنايم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من
الله كما سمي به ما يشترطه الامام للمقتحم خطرا عطية له وزيادة له على سهمه قل الانفال
لله والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله
اختلاف المسلمين في غنايم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار
وقيل شرط رسول الله صلعم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين
واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا
عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي وعن سعد
ابن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه
فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك
اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت

الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال
سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي يسألك الشبان
ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم
بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله ورسوله واطيعوا الله ورسوله
فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان هذه الثلثة طاعة
الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون
اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما
له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا
من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته
زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة
او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان
العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون
الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون لانهم حققوا
ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن
افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او
مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات
الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع
عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر محذوف تقديره هذه الحال
في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله
لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك

من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها يخرج كراهتهم وان فريقا من المومنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك

وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون انما تتوجه باعلام الرسول كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون

ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا
ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين
وعن عمر انه عليه الصلوة والسلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل
القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض
فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
فاستجاب لكم اني ممدكم بحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرئ بالكسر على ارادة القول
او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين
متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا
المؤمنين او انفسهم من اردفته اياه فردفه وقرا نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال
اي متبعين او متبعين بمعنى انهم مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء
وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت
الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه
التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم
واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي
الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم
وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب
ونحوها وسايط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس
بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل
او بجعل او باضمار اذكر وقرا نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على
القراءتين هو الله تعالى وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من
الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه

تنعسون

والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة
الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف
فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى
عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء
ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله
او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال
كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله
وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض
على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى
ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم
ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت
في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم
وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا
الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب
الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن
منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي
الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولي هذا
فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس واضربوا منهم كل بنان
اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب
للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما

لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف الآخر كالمعاداة من العدوة و
المخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل
او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات
ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او
عليكم لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه و
المعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة
على ان الكفر سبب العذاب الآجل او للجمع بينهما وقرئ وإن بالكسر على الاستيناف يا ايها
الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو
مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا سمي به وجمع على زحوف فلا تولوهم الادبار
بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض
المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين
يدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا
وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير
العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على
القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون
وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين
اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من
حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو
على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر
والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم

عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه الصلوة
والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء
فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم
المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت
واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي
اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا
حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى
وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء
ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم
احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين نحو الحصن
فاصاب كنانة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم
نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم
عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع
اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي
المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا
عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان

تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء
او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر وحفص
وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان
تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستاثره
الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني
عنكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي لا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر
بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة
الله في طاعة الرسول لقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي
دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا وهم لا يسمعون كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون
سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض
او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم
شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم
او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم
ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل
كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك
والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة
اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول روي انه
عليه الصلوة مر على أبي الخدري وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما
منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول

واختلف فيه فقيل هذا اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر
لم يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم
الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما
يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ
لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه
على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص
القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه
على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته واجرا
ء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة
في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن
اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا
يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه لكنه لما تضمن معنى النهي كقوله ادخلوا
مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا يدخل المنفي في غير
القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رايت
الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل
ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود
عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان
الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا

اذلا في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم
كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآويكم الى المدينة او جعل لكم ماوي تتحصنون به عن
اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات
من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض
والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم روي انه عليه الصلوة و
السلام حاصر بني قريظة احدي وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير
على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد
بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه
اليهم فقالوا ما تري هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه انه الذبح قال
ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه
على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله
علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل
نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه
فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع
من مالي فقال عليه الصلوة والسلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما
ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو
مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او
وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع
في الاثم او العقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة
وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما
يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها

بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا
من الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم
بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز
والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر
لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم
على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده
انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة
ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك
بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح
وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم
او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فرقوا فاجتمعوا في
دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت
اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي
ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى
يموت فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام
بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي
يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما
وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على
حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه
فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله
عنه على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد

مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين
في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد
امثال هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى
عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده
الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره
عليه الصلوة والسلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما
منعهم ان يشاءوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين فلم يعارضوا سورة مع انفتهم
وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين
ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود
روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه
كلام الله تعالى ذكره والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره
او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا
وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق
به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون
مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة
دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي بين اظهرهم
خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم
من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع

تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم
ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية
وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة
البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك
الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم
عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما
كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها
الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا
تفعلة من الصدا او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب
على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها
لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين
اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي
يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر
وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون
اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين
يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي
سفيان استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم
اربعين اوقية او لاصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال
على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله
فسينفقونها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم
فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان عاقبته

وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها كأنها
حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل
ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون
يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام
متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه
على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم
او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك
اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون
في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه
المعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد
سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو
الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء
بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا
يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن
الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون
بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة
الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم
للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا
ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه و

ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا
من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فحق ان
لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين
به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح
المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال
ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية
وعن مالك الامر فيه مفوض الى راي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية
الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه
الصلوة والسلام يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم
الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب
لما روي انه عليه الصلوة والسلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير
بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا
من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه الصلوة والسلام انهم
لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش
والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس
كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص
والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام
للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف
دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم

واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد
لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الآيات و
الملائكة والنصر وقرى على عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه
فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر
على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة
بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو
ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه
قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا
من القصيا والركب اي العير اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل
وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة
على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا
يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد
غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل
ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد اي ولو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم
في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا
صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من
غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه
وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا
والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له
حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من

آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن
حي المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرى ليهلك بالفتح
وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله
لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال
الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من
يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في اعينك في رؤياك وهو ان تخبر
اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اريكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم
في الامر في امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل
والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى
قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا
الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في
اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم
الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد
يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله
الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان
مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المحكي وههنا
اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا
لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء
مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له
بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه

علي ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجي اليه عند الشدايد ويقبل عليه بشراشره
فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ
وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة
بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله
وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة
والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير
بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا مكة قالوا
هزم الناس بجحفة واتاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال
ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من
حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوايح فنهى المؤمنين ان
يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي
عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال
وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم
الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم
اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا
يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات
مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته
وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان
نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم
وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرا منهم وخاف عليهم وايس من حالهم

لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الحرب
وكان ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني
مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحرث بن هشام فقال له الى
اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث
وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت
بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله
اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني مكروها من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت
الموعود اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب
يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون
والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم
به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان
الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل
ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين
كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم والملائكة
فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدا
خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو
على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم او استاههم
ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف
على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم
مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك

الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله
ليس بظلام للعبيد عطف عليه للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان
يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم
شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كداب آل فرعون
اي داب هؤلاء مثل داب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه
والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم
كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما حل
بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا
ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن
تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم و
التكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير
الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته على تغييره متى
يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون
لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كداب آل
فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل
فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان
ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير
في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى
قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا
على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم
مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق

المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم
في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم
رسول الله صلعم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم
فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن
لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون
سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم
فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم
والنكاية فيهم من خلفهم من ورائهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ
فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد
من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون
واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم
فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم
الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض
العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق
سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين
تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف
ولا تحسبن خطاب للنبي صلعم وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر
وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا
والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف
لان ان المصدرية كالموصول فلا يحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون
بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين

والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا
عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به
من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون
لهم لناقضي العهد او للكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن
عامر سمعته عليه الصلوة والسلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعله عليه
الصلوة خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى
مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط
كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف
جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد و
الضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من
غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم
باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله جزاؤه وانتم لا تظلمون
بتضييع العمل ونقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام و
الى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير
لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها
جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان
الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية
مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف وان
يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير اني وجدت من
المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين
جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك

والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته
صلوات الله عليه وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم الى حد
لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن
الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة
لا يعصي عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج
كان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام
حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما في
محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند اذا كانت الهيجاء و
القنا او الجر عطفا على الكاف عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون
والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة
ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على
القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ
حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا
الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا
بعون الله وتاييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في
وان يكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات
المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان
والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان
يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم
وثقل ذلك عليهم خفف الله عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك
ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير

واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح
وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف
لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن
في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله
من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض
الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل ثواب
الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله شعر
اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم
ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين
وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه الصلوة
والسلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشارهم فقال
ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية يقوى بها اصحابك وقال
عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له
ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله وقال ان الله
ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد
من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء
فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني
فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض
علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون
خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح

وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه
او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه
عليه الصلوة والسلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا
اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم
فنزلت والفاء للتسبيب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث
من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين
ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح
لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في
قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه
رسول الله ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد
تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك
وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله و
عبيد الله والفضل وقثم فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد
الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك
نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل من قبل فامكن
منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان عادوا الى الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم
ان الذين آمنوا وهاجروا اوطانهم وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله
وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في

في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الي ديارهم
ونصروهم علي اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون و
الانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتي نسخ بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولي ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شيء حتي يهاجروا اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل
والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين
فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم علي المشركين الا علي قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد
فانه لا ينقض عهدهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض
في الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل علي منع التوارث بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه
ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتي في التوارث وقطع العلائق
بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور
الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلثة اقسام بين ان الكاملين
في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضياته من الهجرة والجهاد وبذل
المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له
ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار
واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او
في اللوح المحفوظ او القرآن واستدل به علي توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء
عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا وباعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلي
الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق

واعطي

واعطي له عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون
له ايام حياته **سورة براءة** مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي
آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة و
المثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما
فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال
المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم
وآيها مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت
لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلي الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او
آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال
وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت
الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة
ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف
تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر
الي الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها علي اسمعوا براءة والمعني ان الله ورسوله
بريئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة
بالمسلمين للدلالة علي انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله و
اتفاق الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا
منهم بني كنانة فامرهم بنبذ العهد الي الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا
اين شاؤا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة
والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر
وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت

ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا راكب العضبآ ليقراها علي اهل الموسم
وكان قد بعث ابابكر اميرا علي الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يودي
عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغآ فوقف وقال هذا رغآ ناقة
رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب
ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس
اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت
باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة
الا كل نفس مومنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يودي عني الا رجل مني
ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يودي عنه كثير لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص
بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه علي القبيلة الا رجل منها
ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي
واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل
والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي
اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطا ورفعه كرفع برآءة علي الوجهين
يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه
ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر
وقيل يوم عرفة لقوله عليه الصلوة والسلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج
الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال
او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب
او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بري من المشركين اي
من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بري او على محل ان واسمها في قراءة

من كسرها اجرآ للاذان مجري القول وقري بالنصب عطفا علي اسم ان او لان
الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله برآءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه
اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم
من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم علي التولي عن
الاسلام والوفآ فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا
وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثنآء
من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الي الناكثين
ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا
منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم
الي مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه علي ان
اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشي
مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل
رجب وذو القعده وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي
بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث
وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم
واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا
ينبسطوا في البلاد وانتصابه علي الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا
الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا
لهم بشي من ذلك دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور
رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب
بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك

جوارك فأجره فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه
موضع أمنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل
ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد
من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم
او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او
للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين
حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان
الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم
فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء
وهو كقوله فأتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية
ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه
مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى
فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم
ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك
ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف
من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير
للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه
من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا
كجبرئل وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف لبيان

حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل
لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان
والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم
والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما يتفوهون به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة
تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر
والتعفف عما يجر الى احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا
وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بعثي
الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون
عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول
عام في المناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان
واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض
للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد
عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح
التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير
للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة
رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احرى به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم
وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح
بالياء لحن انهم لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا
طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف
لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان

بمعنى الامان اولا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا
يوفون بها على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبون لاجله لعلهم ينتهون متعلق
بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين
الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة
في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا
بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر
ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه
من المدينة وهم بدؤكم اول مرة في المعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلوة والسلام بدأهم بالدعوة
والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما
يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه
منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية
الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد
عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم و
التمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا
من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا
منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار
بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان
على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم
آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم
خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى همزتها

التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفي العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم
به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع
منبهة على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم
من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا
من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد و
امامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد
شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى
ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه
لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رض في القول
فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي
الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من
الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
واقام الصلوة وآتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية
ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها
وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تع ان بيوتي في
الارض المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على
المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينته وتمامه
الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في
ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان

يكون نواشي المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم
وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هولاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دايرا بين
عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية
والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا تشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية
الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج
وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم
المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي
القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة فكيف
يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون
بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم
درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية
والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم
بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود
بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه
لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين
فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجاراتنا
وبقينا ضايعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى
لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على
الايمان ان اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الموالاة

في غير محلها قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة
وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم
وقرئ وعشايركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات
وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب
الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه فتربصوا حتى ياتي
الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم
الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز
ان يقدر في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابداله قوله اذ
اعجبتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه
المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة
والطائف حارب فيه رسول الله والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح
مكة والالفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فلما التقوا
قال النبي او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا
شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي
رسول الله في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحرث
وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته عليه الصلوة والسلام فقال للعباس وكان صيتا صح
بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون
لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلوة والسلام هذا حين حمي الوطيس
ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة
شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي سعتها لا تجدون

فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار
ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الي خلف خلاف الاقبال ثم انزل
الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا
واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع رسوله و
لم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية
او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي
وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك
على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم
روي ان ناسا منهم جاؤا الي رسول الله واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير حكاية
الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ
ستة الاف واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سبايكم واما اموالكم
فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ان هولاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب
شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن
قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا
ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا
يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب
عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات
فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن
عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد
في كبد والاكثر ما جاء تابعا لرجس وعن ابن عباس فلا يقربوا المسجد الحرام

لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي
عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد
على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم
هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا
بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق
فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان
ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح
عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها
مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشية لتنقطع الآمال الي الله ولينبه على
انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض في عام دون عام
ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو
الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا
وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها
من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم
ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد
مؤاتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم
ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد
قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة
او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الي يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس

يوخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان
عمر رضي الله عنه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عليه الصلوة والسلام
اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا
بالكتابيين واما ساير الكفرة فلا يوخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة يوخذ منهم الا مشركي
العرب لما روى الزهري انه عليه الصلوة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب
وعند مالك يوخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال
ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب
ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من
متقدميهم او ممن كان بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ
التورية وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا
انه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على
التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف
به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها
للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف
لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا
قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه
والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة هذا القول
اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي
يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهي
قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم
والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او

اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه
قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك
فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل
ما حرم الله او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون
او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا
وهو الله تعالى واما طاعة الرسل وساير من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله
الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون
له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن
الولد او القرآن او نبوة محمد عليه الصلوة والسلام بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويابى الله
الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم
ابطال نبوة محمد بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله
ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكا
فرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير
انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك
بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على ساير الاديان
فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأ
كلون اموال الناس بالباطل ياخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض
الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون

حقه ويكونوا مقرونين بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين
فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي
من اموالكم وقوله عليه الصلوة والسلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه
فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفرا
او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلوة والسلام فيما اورده
الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا
كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فتكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم
بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي
شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى
الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما
قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة
الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما
للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول وللفضة
وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم اياه كان لطلب الوجاهة بالغنى و
التنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه
ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي
الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره و
جنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها
فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة
الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله

في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يوم خلق السموات والارض
متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت
في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب
وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر هو الدين
القويم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم
بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا
الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن
عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول
ما روي انه عليه الصلوة والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي
القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع
مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم
بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء زيادة اي تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا
اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص
الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ
النسي بحذفها والنسء والنساء وثلثتها مصادر نسأه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما
احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا
وقرا حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفاعل الله
يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه
عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل
في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت
عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا

عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم
الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء
للفاعل وهو الله تع والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا
يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل
لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام
للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك
في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقحط وقيظ
مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة
بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة
الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما
بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم
آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم
في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا
تضروه فان الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر
على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه
فسينصره الله كما نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف
الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى
نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه
او قتله تسبب لاذن الله بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص
مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه
بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على

مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رض
لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق
ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم
الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين
فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها
القلوب عليه على النبي او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها
يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون
الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة
الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص
الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن
او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين
والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات
لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا
لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا
وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم أعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل
الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير
او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو
كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك
لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين
وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كا

الا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا
الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما
وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان
الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في
ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان
العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي
شيء اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت
حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول
الله صلعم شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة
المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفون
على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوا في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف
كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما
يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الله واليوم الآخر
في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان
بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا
له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم
استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا
لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل
اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان

بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين
وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا
فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون خبالا حتى لو خرجوا زادوهم لان الزيادة باعتبار
اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك
لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب والهزيمة
والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع
الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون
لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله
عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق
اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد
ما خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا
يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال
امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون
اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله
وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت
الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود
ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي وفيه اشعار بانه
لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل
لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار
اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا
اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور النفاق لا ما احترزوا عنه

وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الان لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك
في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسوهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها
مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا
بانصرافهم واستحمدوا رايهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذكر ومجمعهم له او عن
الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته
وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب اجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ هل
يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب
السهم يصوب واستقامة من الصواب لانه وقوع الشي فيما قصد به وقيل من الصيب
هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلي الله فليتوكل المومنون لان حقهم ان لا يتوكلوا علي
غيره قل هل تربصون بنا هل تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين
اللتين كل منهما حسني العواقب النصرة او الشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين
ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل
علي الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او
كرها لن يتقبل منكم امر في معني الخبر اي لن تقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفايدته
المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا و
ينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينكم بمالي ونفي التقبل يحتمل
امرين ان لا يوخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له
علي سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم
الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة
والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل علي ان الفعل
لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالي متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون

لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون علي تركها عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
فان ذلك استدراج ووبال لما يرون فيها من الشدايد والمصايب وتزهق انفسهم وهم
كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا
لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما
هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين
فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجا حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا او
مدخلا نفقا يحجرون فيه مفتعل من الدخول وقرا يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا
اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا
نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شي كالفرس الجموح وقرئ يجمزون
ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرا يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك
في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل
انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الي صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم
ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلعم
يقسم غنايم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنايم عليه فقال اعدل يا رسول
الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجات نايب مناب الفا الجزائية ولو
انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة والصدقة و
ذكر الله للتعظيم والتنبيه علي ما فعله الرسول كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله
سيوتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخري ورسوله انا الي الله راغبون في ان يغنينا
من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لهم ثم بين مصارف
الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين
اي الزكوات لهولاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل علي ان المراد باللمز لمزهم في قسم

الزكوات دون الغنايم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من
الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز
اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه الصلوة
والسلام كان يسال المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة والعاملين
عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه
فيستالف قلوبهم او اشراف يترقب باعطايهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى
رسول الله عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف
يستالفون على ان يسلموا فانه عليه الصلوة والسلام كان يعطيهم والاصح انه كان
يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عدّ منهم من يؤلف قلبه بشيء منها
على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزّ
الله واكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب
بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد
او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة
لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية
اذا لم لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلوة والسلام
لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او لرجل اشتراها بماله او رجل
له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي
سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل
وفي بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر
لما دل عليه الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ
بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية تقتضي

تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد
منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن
عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة
الثلثة واختار بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله على ان الآية بيان
ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون
هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه
صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا
اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا
بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من
حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده
من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين
ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا
منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم
جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ
بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ
اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب
للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد
الضمير لتلازم الرضاءين او لان الكلام في ايذاء الرسول لذكر ان كانوا مؤمنين صدقا
الم يعلموا انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة
من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير

ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد
الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز
ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء و
محتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت
في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم
استهزاء لقوله قل استهزؤا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون ما تحذرونه
من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن
انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله في غزوة
تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات
هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في
شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا
على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخا على استهزائهم
بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا
لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول
والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم
لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين
مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرا عاصم بالنون فيهما
وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى
كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في
النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم

المنكر وتعميم لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين
وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون
ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم
فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق
عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين
الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته
واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق
كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة
واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا
بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم
المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ
الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء آثارهم وخضتم كالذي خاضوا ودخلتم
في الباطل كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت
اعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين
خسروا الدنيا والآخرة الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد
اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمروذ ببعوض واهلك اصحابه
واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات
قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل
قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعني الكل
بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم

ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر
الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع
عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها
قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه
عليه الصلوة والسلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها
غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تع طوبى لمن دخلك ومرجع العطف
فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه
وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها ليميل اليه طباعهم اول
ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات
التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة
وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان
من الله اكبر لانه المبدا لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه
عليه الصلوة والسلام ان الله تع يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء
افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما
تقدم هو الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم وماويهم
جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه الصلوة والسلام اقام في

غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان
ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره
فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو ان
خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم
العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهما
كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا
او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول
الله وما نقموا وما انكروا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان
اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلعم اثروا بالغنائم
وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء
مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير
في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة بالقتل
والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن اتانا
من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه
وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلوة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير
من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق
حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن
الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد
فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلها الناس بصدقاتهم ومرا
بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه

حتى أرى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه الصلوة والسلام إن الله منعني أن أقبل
منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر في خلافته فلم يقبلها
وهلك في زمان عثمان فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة
الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الإعراض عنها فأعقبهم نفاقا في قلوبهم أي فجعل الله
عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للبخل والمعنى فأورثهم
البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم إلى يوم يلقونه يلقون الله بالموت أو يلقون عمله أي جزاءه
وهو يوم القيمة بما أخلفوا الله ما وعدوه بسبب إخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح
وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فإن خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين
أو المقال مطلقا وقرئ يكذّبون بالتشديد ألم يعلموا أي المنافقون أو من عاهد الله وقرئ
بالتاء على الالتفات أن الله يعلم سرهم ما أسروه في أنفسهم من النفاق أو العزم على الإخلاف
ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الزكوة جزية وأن الله علام الغيوب
فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع أو منصوب أو بدل من الضمير في سرهم وقرئ
يلمزون بالضم المطّوّعين أي المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي أنه عليه الصلوة
والسلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية
آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله صلعم بارك الله لك
فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأتيه عن نصف الثمن
على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري
بصاع تمر فقال بتّ ليلتي أجرّ بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع
فأمره رسول الله أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن و
عاصم إلا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه

ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون إلا جهدهم إلا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو
مصدر جهد في الأمر إذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزئون بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم
كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب أليم على كفرهم استغفر لهم أو لا تستغفر لهم يريد به
التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم كما نص عليه بقوله إن تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله
صلعم في مرض أبيه أن يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه الصلوة والسلام لأزيدن على السبعين
فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لأنه عليه الصلوة
والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لأنه الأصل فجوّز أن يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما
وراءه فبيّن له أن المراد به التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنه العدد بأسره
ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله إشارة إلى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل
منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين
المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فإن مغفرة الكافر بالإقلاع عنه والإرشاد
إلى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في الاستغفار
وهو عدم يأسه عن إيمانهم ما لم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار
بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى
من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم
عن الغزو خلفه يقال أقام خلاف الحي أي بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه
على العلة أو الحال وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله إيثارا للدعة والخفض
على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الأموال والمهج وقالوا
لا تنفروا في الحر أي قاله بعضهم لبعض أو قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم أشد حرا وقد
آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون أن مآبهم إليها أو أنها كيف هي ما اختاروها بإيثار

الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم
في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجب ان يكون الضحك
والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك
الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان
المتخلفون اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي
ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل
له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة
تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا
روي ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره
الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت
وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة
بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد
من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي
على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم
يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون تعليل للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان
يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار
طامحة على الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه في فريق
غير الاول واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله بان
آمنوا ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم
ذووا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع

الخوالف

الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين
آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير
منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة
وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيّرة واولئك هم المفلحون
الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان
لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان
استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل
قالوا ان غزونا معك اغارت طيء على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا
قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال
ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ
يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعّذرون بتشديد العين
والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في
انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في
غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين
فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر
لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التاخر
اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما
قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل
اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم

منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن
ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون
سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير
وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلعم وقالوا
نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال
لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل
ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار
قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعا فان من للبيان وهي
مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان
العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل
دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغازيهم
انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا
بان يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو
رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم
حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف
اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم
لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم
وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام
تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت
عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون

بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم
انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة و
هؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة للاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم
من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة
او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز
ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم
تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا
يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه
وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود
من الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم
الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم
وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر
ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها
وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم
ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله و
يتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما
ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم
فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه
او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من
دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك
رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من

الا يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي
يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه الصلوة و
السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ
صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه الصلوة والسلام اللهم صل على آل ابي اوفى
لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم
وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير
لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه
وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في
عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين
صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار
اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين
والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون
والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان
والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه
بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن
كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم
ممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم
واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف
صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه
قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف
على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم

وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم
مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا
عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب
القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون
اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين
اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله فدخل المسجد
عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم
فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف
وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما
او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم و
هي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل
عليه خذ من اموالهم صدقة روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي
خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم
من الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره و
تطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل
عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم ان صلوتك تسكن اليها
نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب
عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به
التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى
عليها

يعني التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وأن الله هو
التواب الرحيم وإن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى
الله عملكم فإنه لا يخفى عليه خيرا كان أو شرا ورسوله والمؤمنون فإنه تع لا يخفى عنهم كما رأيتم
وتبين لكم وستردون إلى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه
وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون أي موقوف أمرهم من أرجأته إذا أخرته
وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لأمر الله في شأنهم إما يعذبهم
إن أصروا على النفاق وإما يتوب عليهم إن تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على أن كلا
الأمرين بإرادة الله تع والله عليم بأحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم و
المراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله أصحابه أن لا
يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وفوضوا أمرهم إلى الله فرحمهم
والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون أو مبتدأ خبره محذوف أي
فيمن وصفنا الذين اتخذوا أو منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو
ضرارا مضارة للمؤمنين روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول
الله أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا
على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام فلما أتموه أتوا رسول الله صلعم
فقالوا إنا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى
نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر
ابن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه
ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين
يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قباء وإرصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل
يعني الراهب فإنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك

معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب إلى الشام ليأتي من قيصر بجنود
يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الأحزاب فلما انهزموا
خرج إلى الشام ومن قبل متعلق بحارب أو باتخذوا المسجد من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف
لما روي أنه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه فقال
أنا على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن
إن أردنا ما أردنا ببنائه إلا الخصلة الحسنى أو الإرادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة
على المصلين والله يشهد إنهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه أبدا للصلوة لمسجد أسس على
التقوى يعني مسجد قباء أسسه رسول الله وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين إلى
الجمعة لأنه أوفق للقصة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله لأبي سعيد سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من أول يوم من أيام وجوده
ومن تعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر أحق
أن تقوم فيه أولى بأن تصلي فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا من المعاصي والخصال
المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى
عنهم ويدنيهم من جنابه إدناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون
أنتم فسكتوا فأعادها فقال عمر إنهم مؤمنون وأنا معهم فقال عليه الصلوة والسلام أترضون
بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم
قال عليه الصلوة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار إن الله عز
وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله
نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا رجال يحبون أن يتطهروا أفمن
أسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى

من الله وطلب رضائه بالطاعة امّن أسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي
أضعف القواعد وأرخاها فانهار به في نار جهنم فادّى به لخوره وقلة استمساكه
الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو من جرفه الوادي الهائر في تقابل
التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره
به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك امر يحفظه عن
النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم
بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة
وقرا نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرى اساس بنيانه واسّ على الاضافة
وأسس واساس واساس بالكسر وثلثتها جمع أسّ وتقوى بالتنوين على ان الالف
للالحاق لا للتانيث كتترى وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا
يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناءهم
الذي بنوه مصدرا ريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف
بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا
يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك
في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث
لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة
وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة
ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر
وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول
او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم
بناءهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم

الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم
المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند
الى الكل وعدا عليه حقا مصدر موكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية
والانجيل والقرآن مذكور فيهما كما اثبت في القران ومن اوفى بعهده من الله مبالغة
في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية
الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك الفوز العظيم التائبون رفع
على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا
خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله
الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال
وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له
الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه الصلوة
والسلام سياحة امتي الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه
رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون
للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان
والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما
عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون
لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل
وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو
العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية وبشر
المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه

الصفات

على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما
يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين روي
انه عليه الصلوة قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال
استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال
اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل
علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه
دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابرهيم
لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم
اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه
قراءة من قرأ اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان
مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره ان ابرهيم لاواه لكثير
التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله
على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم
بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكانه
بيان عذر الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم
مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل
شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك
وجوب التبري عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى
لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما عداه حتى لا يبقى لهم
مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن للمنافقين

في التخلف او براهم عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل
هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين و
الانصار لقوله وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو
والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين
من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا
في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا
يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات
على الايمان او عن اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه
الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من
بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه
تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رءوف
رحيم وعلى الثلثة وتاب على الثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت
عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا
ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا
او انزل قبول توبتهم ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة
بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة
الرحيم المتفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين
في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في
توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم

من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا
بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من
الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكان له امراة حسناء فرشت له في الظل
وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب
يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل
ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا
براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلعم واستغفر
له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من
النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظما شيء من العطش
ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطئون موطئا لا يدوسون مكانا
يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب
لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع
اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه
سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة
لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة
مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ
فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم
ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء
اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو
وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في

الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه
اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه
ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا
عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر
من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار
ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل
للاية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه
فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه
الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في
ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف
اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول
الله اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة
كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة و
ليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا
ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول
انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته
فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها
الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين
في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا

وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء
انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله فيعاينون ما يظهر عليه
من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم
يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون
انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان
قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته
مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم
قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم
وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص
عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ منهما
وهو الرؤف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك
فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا
اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل
منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة
براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص واما لها الباقون اجراء لالف الرا مجرى المنقلبة
من اليا تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد
من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شيء
منها أكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ

بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم
جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم دون
عظيم من عظمائهم فقيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم
ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي
والنبوة هذا وانه عليه الصلوة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال
وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا
من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي
المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار
اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح
ان يبشروا به ان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق
بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على
انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما
جاء به الرسول صلعم لسحر مبين وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى
الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم
عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات
على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير
النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته
وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اشارة اثبات الشفاعة
لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم
لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون

ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت
او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم
وعد من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم
يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او
بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك
ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا
يكفرون فان معناه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات كفروا بشراب من حميم وعذاب
اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود
بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه يتولى اثابة المؤمنين
بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم
وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود
من الابداء والاعادة مجازاة المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده
قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله
او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع
ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن
على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو
اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك
على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها و
قدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل
او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك
علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم و

تصرفاتكم

وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة
يفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بها بالتأمل وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص
يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع
الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون
العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم
للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها
واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها
سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها
والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات
رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد
بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل
في الآجل والاعداد له اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من
المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي
الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه الصلوة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما
لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان
والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل
الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الانهار استيناف او خبر ثان او حال من الضمير
المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال اخرى منه او من الانهار
او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك
تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم
ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا

عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات
والفوز باصناف الكرامات او الله تع فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة
من المثقلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم
بالخير وضع موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم
به تعجيل لهم وبان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير
الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالهم بالخير
فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرا ابن
عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تع وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولو
لكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا
لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد
تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته
واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف
وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف
ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات
والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين
ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات
بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا
ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه
بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب
تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل

مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه
ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي
اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم
على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما
قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي
من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقران غير هذا بكتاب اخر
نقراه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت
او ما نكرهه من معايب الهتنا او بدله بان تجعل مكان الاية المشتملة على
ذلك اية اخرى ولعلهم سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي
ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى
بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر ان اتبع
الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه
وجواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان
القران كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال
اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم
استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم
به ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولادراكم بلام التاكيد اي لو شاء الله
ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو
لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم ولا ادراكم بالهمزة فيهما على
لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع

وقرا ابن كثير برواية قنبل والبزي مع خلاف عنه ولادريكم ع

اي ولا جعلتكم بثلاوة ترخصا اتدرونني بالجدال والجن ان الامر بمشية الله لا بمشيتي
احد على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر
اربعين سنة من قبله لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن
معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها
علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته
فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علم الاصول
والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ما هي عليه
علم انه معلم به من الله افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر
لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوه
اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك
وذو ولد او كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون
الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي
ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى يعود اليه عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون
هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفي
الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم
حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع العبادة ما نعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع
على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم
وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او بشفعائهم عنده وما لا يعلمه
العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق في السموات ولا في الارض حال
من العائد المحذوف مؤكد للنفي منبهة على ان ما يعبدون من الله اما سماوي
او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق

ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم
ليشركونهم به وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين
على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او
بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع
الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعهم طائفة واصرت اخرى
ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم
الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من
الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال
الايات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا النزول لما اقترحتموه اني
معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما نزل علي من الايات العظام واقتراحكم
غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض
اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع
سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله
ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منهم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم
وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر
اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون
تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا
ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم
يحملكم على المشي ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن
وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكر لغيرهم
ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها

تلك الريح جاءتها جواب لاذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها
ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجئ
الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن
احاطت به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة
وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم
من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول
او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في
الارض فاجؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه
وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم
فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه
على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى
ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف اي
ذلك متاع الحيوة وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي
تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون
الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال
او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم الخبر ثم الينا مرجعكم في القيامة فننبئكم
بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة
تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل
الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض
زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس
اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم

وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت
ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون
من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها
فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كأن لم تغن كأن لم يغن
زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء
على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به
مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد ما كان
غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح
لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات
لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعوا الى دار السلام دار السلامة
من التنغص والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار
يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق
الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم
الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على
الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد
على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم الله من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم
والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من
الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم
لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق
اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا

ونخادعها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين
أحسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو أو الذين
مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها أي أن تجازى سيئة بسيئة مثلها لا تزاد عليها وفيه تنبيه على أن
الزيادة هي الفضل أو التضعيف أو كأنما أغشيت أو أولئك أصحاب النار
وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف أي فجزاء سيئة بمثلها واقع أو بمثلها
على زيادة الباء أو مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله
من عاصم ما من أحد يعصمهم من سخط الله أو من جهة الله أو من عنده كما يكون
للمؤمنين كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها
وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه أغشيت لأنه العامل في قطعا
وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة أو معنى
الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون
وعلى هذا يصح أن يكون مظلما صفة له أو حالا منه أولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب أن الآية في الكفار لاشتمال
السيئات على الشرك والكفر ولأن الذين أحسنوا يتناول أصحاب الكبيرة من
أهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا
ثم نقول للذين أشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم
أنتم تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ
بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل
التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه
من عبادتهم وأنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم لأنها الآمرة بالإشراك لا

ما أشركوا به وقيل ينطق الله الأصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي
توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى
بالله شهيدا بيننا وبينكم فإنه العالم بكنه الحال إن كنا عن عبادتكم لغافلين
إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس
ما أسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي
تتلو من التلاوة أي تقرأ ذكر ما قدمت أو من التلو أي تتبع عمله فيقوده إلى
الجنة أو إلى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وإبدال ما منه والمعنى نختبرها
أي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما
أسلفت من أعمالها ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء أي العذاب كل نفس عاصية
بسبب ما أسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا إلى
الله إلى جزائه إياهم بما أسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي أمرهم على الحقيقة
لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح أو المصدر المؤكد وضل
عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من أن آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا
يدعون أنها آلهة قل من يرزقكم من السماء والأرض أي منهما جميعا فإن
الأرزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل واحد منهما توسعة
عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف أي من أهل السماء والأرض
أمن يملك السمع والأبصار أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما أو من يحفظهما
من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من أدنى شيء ومن يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة
منه ومن يدبر الأمر ومن يلي تدبير أمر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون
الله إذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل

افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم
الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي
انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار
اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال
فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية
لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه
وقرا نافع وابن عامر كلمات هنا وفي اخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا
تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة
او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدا الخلق
ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم
يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب فقال
قل الله يبدا الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج
وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى
الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على
سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق افمن
يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا
ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله
وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش
عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر
والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء

الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم
يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى
للمبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما
يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب
على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع
او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من
الحق شيئا من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به
ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء
بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن و
اعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى افتراء من الخلق ولكن
تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها
ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها
ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق
الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما
حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر
ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول
في المعنى وان يكون استئنافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب
العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل
بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع
الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه
محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن

النظم وفوق المعنى على وجه الافترا فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا
سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه
بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بالقران اول ما سمعوه قبل ان
يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من
ذكر البعث والجزاء وساير ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا
بعد على تاويله ولم اذهانهم معانيه او ولما ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار
بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القران معجز من جهة
اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه
ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي
فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به
طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من
قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب
به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق
ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه
لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة
فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم
جزاء اعمالكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا
تؤاخذون بعملي ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم
قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القران وعلمت
الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم

تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على
ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهايم وهو لا يتأتى
الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مأوفة بمعارضة الوهم ومتابعة
الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ
عليهم غير ما ينتفع به البهايم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك ويعاينون دلايل
نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون
وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار
والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه
البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم
الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون
بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه
ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم
بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا
انفسهم باقتراف اسبابه ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون
مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع
الحال اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعايد محذوف
تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون
بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا
ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان
لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير

يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من
المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى
والعذاب الدائم واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في
حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه
في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله
شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها
ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة ولكل
امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء
رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط
بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه ولكل
امة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم
بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء
بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له و
استهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم
الا ما شاء الله ان املكه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب
لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون
ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان اتاكم
عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا
حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب
يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني

المجرمون موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من
مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او
تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون
الجملة متعلقة بارأيتم او بقوله اثم اذا ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد
وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام
على ثم لانكار التأخير الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب
الآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد
المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك
ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعيد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل
تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله
لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق هو فان فيه تعريضا
بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع
النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت
وقيل كلا الضميرين للقرآن واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل
بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين بفائتين
العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها
واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه و
اسروا الندامة لما رأوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوا من فظاعة الامر
وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها
او لانه يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من

من قولهم سر الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا
لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني في مجازاة المشركين على الشرك او
الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا
ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله
حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون
لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في
الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة
بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا بالموت او النشور يا ايها الناس
قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد
جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن
والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك
وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم
فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات
النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله
وبرحمته بانزال القرآن والباء متعلق بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم
الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا
فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب
اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى
مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا
او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح
وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء

على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون
من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك
فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من
رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب
بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على
التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل
فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة
بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم
القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه
قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على
الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن
اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمزة
من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة القرآن
معظم شان الرسول او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول
تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقرآن واضمار قبل
الذكر تعظيم له ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو
راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل و
الحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه
وتندفعون فيه وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائي

ربك من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء
اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلق
بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية
واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف
على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل
الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه
بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات
مامول والاية مجملة فسرها قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا
يتقون بيان لتوليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين
في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات
وبشرى الملائكة عند النزع وفي الاخرة تتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين
بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح
او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا
تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين
هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه
وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم
وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا
استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم
ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك
عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في

السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان الذين هم اشرف الممكنات
عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا
فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي شركاء على الحقيقة
وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف
دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها
شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على
من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة
والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم
فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما
بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم
وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها
شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق
العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف
الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ
الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب
من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة
له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض
ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا
متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان اتقولون
على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل

قول لا دليل عليه منوجها الى ان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها
غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك
اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا
خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون
الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل
عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم اي
عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي
بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله
توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده
القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه
معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه معطوف على امركم
بحذف المضاف اي ولامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع
على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم
ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه
اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي و
تذكيري ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء
اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا
تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله
عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري على الثواب والتذكير
الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين

المعاندين لحكمه لا اخاف امانى لا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم
الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب
فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين
به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا
من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاءوهم بالبينات
بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا
لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم
لانهماكهم في الضلال واتباع المالوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة
بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل
موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها
وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على
ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك
قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين
اخوانه قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف محكي القول لدلالة ما قبله عليه
ولا يجوز ان يكون أسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم
الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون
للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن
المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان
سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم

ان حصل سحرهم هذا ممكنا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحر
قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا
من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك
بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما
به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار حاذق
فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به
السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو على ان ما
استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف
اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله
سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه
وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته
باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا
ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون
الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به
او مؤمن آل فرعون وامراته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من
فرعون وملئهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في
ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان
يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على
ان الخوف من الملا كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها
وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء
وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا

فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس
هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له
والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه
ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم
ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على
الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوآ ان اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها
للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة
نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلاة فيها امروا بذلك
اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين
بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد
مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة مما ينبغي ان يفعله
كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا
انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا في الحيوة
الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعا عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة
احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت
ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم
لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا
وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على
اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها

او اطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب
للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال
قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما
عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته
روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن عامر
ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا
تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط
حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم
فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي
والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا
الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار
القول او الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه
حين لا يقبل آلآن اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد
عصيت قبل من قبل مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين
عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا
او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك بالحاء اي نلقيك
بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او
عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك
اي اجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون
لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته

ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان
عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امره
ممن شاهده عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه
من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك
اي لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد
منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته
وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوانا انزلنا بني اسرائيل مبوا صدق منزلا صالحا
مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم
العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤوا التوراة وعلموا احكامها او في امر محمد
صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك
فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسأل
الذين يقرؤون الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القيناه
اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق
لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول
صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه
الصلوة والسلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
بامته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك
وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل
العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن

من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا
بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله
فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون
على الكفر او يخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم
كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم
وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى اهلكناها
آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله
الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا
امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون
الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد
من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم
الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان
يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب
الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد
فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا
المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا
بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة
واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء
ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون
فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه
يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله

منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام
للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكن
تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه
شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله
الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب
او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا
يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم
من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب
صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن
العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية
او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل
وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل
فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم
ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا
كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك
حقا علينا ننجي المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين
وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب
لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن
اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف و
انظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن
اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان

تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل
يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولي الى
الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير
فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون
صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي
صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والتاء من
اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف
اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمزة
ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت
في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على
عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث
بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم
يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف
يخفى عليه ما عسى يظهر منه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب
واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا
ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها و
مستودعها اماكنها في الحياة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض
حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد
من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان
كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا
للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام

ولان عرشه قبل خلقهما على الماء ليس كمثله شيء غيره
سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد
في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دل
لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء
اول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل على ان
خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض
لنسبة بينهما
ابو السعود

اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات
دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه
على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل
به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان
الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق
ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك
اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون
بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث
انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق
المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي
دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا
كالسحر في الخديعة او البطلان وقرا حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة
الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى علّ اي
ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل
ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى
جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم
كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس
مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي

موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد بما كانوا به يستهزءون اي العذاب
الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان
استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها
ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة
صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه
نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة
لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم
مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس
تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة
وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق اول ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول
الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات
شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله
الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد
الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك تترك بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم
واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف
عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ههنا مانعا وضائق به
صدرك اي وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لو
لا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل
الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك
ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل

فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه
ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور
ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات
مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل
ما قدرت عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم
من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما
دعوتم اليه وجمع الضمير لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا
لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ
ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلم
الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا
يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه
تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون
مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في فلم
يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور
عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم
داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب
والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف
اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد
وقرئ يوف بالياء اي يوف الله ونوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله
وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم
والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار
لبرهم

مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة
وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في
اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا
يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون
وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة
من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه
هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر
الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو
دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب
موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة و
الشاهد جبريل او لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك
يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب
بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله
وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل
عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن
ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده يردها لا محالة فلا
تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كأن اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله
اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين
او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على

الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله
عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا
بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم
به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون
الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف
لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون
السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة
العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء
فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا
انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها
او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في
الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع
يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله
وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة
كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي
الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتأمل فيها ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول
نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول
مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم

مولم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم
للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا
تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل
فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الراي ظاهر الراي من غير تعمق
من البدو او اول الراي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة
وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك
وانما استرذلوهم لذلك ولفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ منها اشرف
عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة و
استحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك
فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة
شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم
فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها
يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة
منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله
انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون
فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل
والوصل ويا قوم لا اسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا
ان اجري الا على الله فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم +
حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون
بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم
او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم

وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان
عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي
ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني
استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني
يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين
تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله
لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت
شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي
في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية
وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح
قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب
ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال
انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا
ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان
يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي
ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق
وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء
وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم
خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتريه
قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في
اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون

اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا
ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن
المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني
في الذين ظلموا فلا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم
عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملا
من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا
يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم
كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه
وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار
حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي
يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر يفور والتنور تنور الخبز
ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند
او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا
احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين
ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين
اي من كل صنف ذكر وكل صنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته
وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه
واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا
تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة حام وسام ويافث ونساؤهم واثنان
وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج

وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلاثة بطون
فحمل في اسفلها الدواب والوحوش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها
اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها
متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها
وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم
اتيتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او
جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما جملة
مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان اذا اراد ان تجري
قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم
اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وحفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا
من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور
رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما انجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه
قوله اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان
وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان
الماء طبق بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا
شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه
كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة
لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة في الدين وقرئ ابناه
على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه
مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء
ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان

في الموضع الأول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فإنه فتح ههنا اقتصارا
على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد أدغم
الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين والانعزال
قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء أن يغرقني قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم
إلا الراحم وهو الله تعالى أو إلا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك أن يكون اليوم معتصم
اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به إلا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم
بمعنى لا ذا عصمة كقوله عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع أي لكن من رحمه الله يعصمه
وحال بينهما الموج بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين
بالماء وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي نوديا بما ينادى به أولو العلم وأمرا بما يؤمرون به
تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه
المبادر إلى امتثال أمره مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه والبلع النشف والإقلاع
الإمساك وغيض الماء نقص وقضي الأمر وأنجز ما وعد من إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين
واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل
روي أنه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة
وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا إذا بعد بعدا بعيدا
بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها
وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال وإيراد الأخبار على البناء للـ
المفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين في نفسه مستغن عن ذكره إذ لا يذهب الوهم إلى
غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه وأراد نداءه
بدليل قوله فقال رب إن ابني من أهلي فإن النداء وإن وعدك الحق وإن كل وعد تنجزه
حق لا يتطرق إليه الخلف وقد وعدت أن تنجي أهلي فما حاله أو فما له لم ينج ويجوز أن يكون

النداء قبل غرقه وأنت أحكم الحاكمين لأنك أعلم الحكام وأعدلهم أو لأنك أكثر حكمة من ذوي الحكم
على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح إنه ليس من أهلك لقطع الولاية بين
المؤمن والكافر وأشار إليه بقوله إنه عمل غير صالح فإنه تعليل لنفي كونه من أهله وأصله إنه
ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى
إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين
وصفيهما وانتفاء ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله وقرأ الكسائي ويعقوب إنه عمل غير صالح
فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم أصواب هو أم ليس وإنما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد
بنجاة أهله استنجازه في شأن ولده أو استفسار المانع للإنجاز في حقه وإنما سماه جهلا
وزجره عنه بقوله إني أعظك أن تكون من الجاهلين لأن استثناء من سبق عليه القول من أهله
قد دله على الحال وأغناه عن السؤال لكن أشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الأمر عليه وقرأ ابن
كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير أنهما كسرا النون على أن أصله
تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء
بالكسرة وعن نافع إثباتها في الوصل قال رب إني أعوذ بك أن أسألك فيما يستقبل ما ليس
لي به علم ما لا علم لي بصحته وإلا تغفر لي وإن لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال
وترحمني بالتوبة والتفضل علي أكن من الخاسرين أعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام
منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا أو مسلما عليك وبركات عليك
ومباركا عليك أو زيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على
التوحيد وهي الخير النامي وعلى أمم ممن معك وعلى أمم هم الذين معك سموا أمما لتحزبهم أو
لتشعب الأمم منهم أو وعلى أمم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون وقوله وأمم سنمتعهم أي
وممن معك أمم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب أليم في الآخرة والمراد بهم الكفار
من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك

اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها
نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر
ومن الانباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا
خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في
نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه
لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر
على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي
الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله
نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره
وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان
شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني
خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيصا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة
بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب
من الخطاء ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله ثم توسلوا اليها
بالتوبة وايضا التبري من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل
السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم
بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم
القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة
كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه
مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك
وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا

بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن
لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا
اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها
وصدك عنها وفي ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والا لغو لان
الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته
من آلهتهم وفراغه عن اضرارها تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا
عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا
فيه وراوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة
ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة
معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة
دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك
عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية
وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي
ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ
بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي
تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم
ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت
ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف
قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على

على الموضع وكانه قيل وان تتولوا يعذبني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم
شيئا من الضرر ومن جزم ويستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ
رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه
فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين
آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان
ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فيقطع
اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا
في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث
اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا
بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا
فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني
كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى
عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في
الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا
به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم
كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا
لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم
عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود
والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم
من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها ومن

من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها
وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام
اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه
ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا
او مستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع
رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية واننا لفي
شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة
من اربته او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان
كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتاني
منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ
رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير
غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولونه
لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب على الحال وعاملها
معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله
ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا
يتراخى عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم
عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون
ذلك وعد غير مكذوب اي مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له اني بك فان
وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود

والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ
اي ونجيناهم من خزي يومئذ بالفتح على اكتساء المضاف البناء من المضاف اليه
ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها قد سبق تفسير ذلك
في سورة الاعراف الا ان ثمودا كفروا ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم
والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله
الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم
يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى
ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز
نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم
سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات
وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه
به او فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف
وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين
فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة
انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس
الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل
وامراته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال
الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم
اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت كقول

وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ولم تعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة
اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه
ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء
اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه
غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ
خبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد
الولد وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث
انه وراء ابرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما
في التسمية كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة
اليها للدلالة على ان الولد المبشر به منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت
يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل
ءالد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر
شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ
بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا
لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك
قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان
خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات
والبدع ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في
ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم
اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان
فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى

بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها
لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي
كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترا على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به
اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه
اواه كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من
ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط رحمته يا ابرهيم على ارادة القول
اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى
قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف
بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤوا في صورة
غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق
بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة
المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه
قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون اليه دفعا لطلب الفاحشة من
اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا
بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه
كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم و
عدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث
ما يرومونه حتى ان ذاك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا
له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف
ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا كقولك
هذا اخي هولا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش

بابقاء ودهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي
في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق
ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان
الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن شديد الى قوي
اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان
ياوي الى ركن شديد وقرئ آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او
اويا فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل
ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم
ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء
النجاء فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع
بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا
يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امراتك استثناء
من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا
انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك
قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها
مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها
لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله
ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم
من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف
بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح
كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما

جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا
عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسند الى
نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم
ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا
عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين
واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل
العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه
لاما منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال يتابع بعضه بعضا كقطار الامطار
او تنضيد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز
به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم
بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلوة والسلام انه سأل جبريل عليه
السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة
وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على
تاويل الحجر او المكان قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم
بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض
اني اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا
حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة للنهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط
لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب
الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال
والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف
بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة

ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس
اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا
تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد
بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وقيل يدعي الى
اخراج ما ينقص به اصلاح كما فعل الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين
امر دينكم ومصالح آخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم
مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع
الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية
الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي
وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح
مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم
قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به امرهم
بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع
عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة
ولذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرا حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك
تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا
ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف
على ان نترك وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم
الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه
موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى

ما اتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه من المال الحلال
وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما
انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الاباء والضمير في منه لله اي من عنده
وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد
ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال
خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان
اريد الا الاصلاح ما استطعت الا ان اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر
ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة
الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما
ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق
الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة
موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما
استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب
الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز
في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى
مراتب العلم بالمبدأ واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة
على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي ويذر من الله والاستعانة به في
مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة
بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان
يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة

وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير
ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل
دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها
غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا ومكانا فان لم
تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والفساد والمساوي فلا يبعد عنكم
ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى
في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والنهيق واستغفروا ربكم
ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من
اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد
على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة
البخس وما ذكرت دليلا عليها وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك
استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك
فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا ومهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة
حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا
على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا
لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك
لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم
وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضمير حرف النفي
شبه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال
يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء
الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تتقون الله وتتقون رهطي ويحتمل الانكار

والتوبيخ والرد والتكذيب وظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي
بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمه للتصريح
بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها هنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون
بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم
الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب
مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه
كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب
منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا
شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد
يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير
مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح ولذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة
قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في
المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم
لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين من فوقهم وقرئ
بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد
مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتورية او المعجزات
وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما
واحدا ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا
اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع
والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون

فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة
واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده
على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد
او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة الى النار كما كان يقدمهم
في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة
في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود
اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد
والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير
له على ان المراد بالرشيد ما يكون مامون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة
اي يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى
واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في
الدارين ذلك اي ذلك النبا من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم
من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة
مستانفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا
اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم
ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك
حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك
الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا
اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة
لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم
وانذار لكل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو

الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة
او فيما قصه الله من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظمه لعلمه بان ما
حاق بهم انموذج مما اعده الله للمجرمين في الآخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب
من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار
وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك
اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير
للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من
قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود
اي مشهود فيه اهل السماوات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله
في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه
لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل
معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل
لا منتهاها فانه غير معدود يوم يأت اي الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم
بمعنى حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة بإسقاط الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من
جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف
الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا
يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او المأذون فيه هي الجوابات الحقة
والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد
وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله
لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس

والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم
وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم
باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط
دوامهم في النار بدوامها فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامها
بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان
للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما
دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم
المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه
بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب
والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم
وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن
الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة
ايام عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء وهؤلاء وان شقوا
بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد
تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك
الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون
عن القسمين وان حالهم لا تخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص
باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك
اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من
اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار

حين يأتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا او البرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم
وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم
فيها زفير وشهيق وقيل الا هاهنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الالفان القديمان والمعنى
سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال
لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد
من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتابيد وقرا
حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء
نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعدما انزل
عليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال
مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه
من انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي
من المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادة ابائهم او ما يعبدون
شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان
التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة
قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا
لتاخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية
فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف
فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة
الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق
وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريب وان كلا وان كل

المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر
بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا بالاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة
للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة
لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت
اوليهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا
لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي
فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد
امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر بها وهي جامعة للاستقامة في العقائد كالتوسط
بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان
الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها
وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتني سورة هود ومن تاب
معك اي ومن تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم
وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون
بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع
النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا
فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم [illegible]
فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك
بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك
فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من
المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي
افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او على غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء

عليه لغيرهم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء
من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق
في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه
واوجبه ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم و
ان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار
غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات
منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها
اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية صلوة العصر وقيل
الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ
زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة
ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة
كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اني قد اصبت من امراة غير اني لم آتها فنزلت فذلك اشارة الى
قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين و
اصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر
ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء
بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا
بقية من الراي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي
افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون
مصدرا كالتقية اي ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه
قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض

وهو جمع زلفة

الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا
جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات
واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين
ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك
النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن
الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي اتبعوا
جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهور ويعضده تقدم الانجاء وما
كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا
وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق
حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من
كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على
الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة
الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك
وعيده او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين
او منهما لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت
به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة
يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول
وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به
فؤادك بدل من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك
الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده

العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا و
انتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب
السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة
امرهم وامرك اليه فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل
تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي ما تستحق عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء
ان شاء الله

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين
تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر
امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما
سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى
مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في
الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في
نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او
حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه
الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه
عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء
نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن
ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب
واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني السورة

وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول

ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله
لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى
وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص
ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف
وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف
لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابي
فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن
لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي
لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار
التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها
ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله
هذا تأويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر ان يهوديا جاء
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف فسكت فنزل جبريل
فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان
والفليق والمصبح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء
وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم
التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير
ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه
لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون

وقرأ حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء

قوله فيكيدوا لك فإن قيل لم لم يقل فيكيدوك كما قال فكيدوني قلنا هذه اللام تأكيد الصلة كقوله للرؤيا تعبرون وقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك وقيل
هي من صلة الكيد على معنى فيكيدوا كيدا لك وأقول الآن اللام هذه لام الأجل أي فيكيدوا لأجلك كيدا فسقط السؤال عن أصله وجواب الكشاف ضعيف
أيضا يحتالوا لأجلك وجواب الإمام أيضا ضعيف لأن لام تقوية العامل إنما هي عند ضعف الفعل نحو للرؤيا تعبرون شيخ علي

في النوم فرق بينهما بحرفي التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك والصادقة منها إنما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم إن المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم إن كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت إلا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير وإلا احتاجت إليه وإنما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيدا ولذلك أكد بالمصدر وعلل بقوله إن الشيطان للإنسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يألوا جهدا في تسويلهم وإثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك أي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك أو لأمور عظام والاجتباء من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك من تأويل الأحاديث من تعبير الرؤيا لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة وأحاديث النفس والشيطان إن كانت كاذبة أو من تأويل غوامض كتب الله وسنن الأنبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كأباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب ونسله كما أتمها على أبويك بالرسالة وقيل على إبراهيم بالخلة والإنجاء من النار وعلى إسحق بإنقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك أو من قبل هذا الوقت إبراهيم وإسحق عطف بيان لأبويك إن ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الأشياء كما ينبغي لقد كان في يوسف وإخوته أي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته أو علامات نبوتك للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد بإخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب أولا فلما توفيت تزوج أختها راحيل فولدت بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ وأربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من

سريتين زلفة وبلهة إذ قالوا ليوسف وأخوه بنيامين وتخصيصه بالإضافة لاختصاصه بالأخوة من الطرفين أحب إلى أبينا منا وحده لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر والمؤنث بخلاف أخويه فإن الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال أنا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لأن الأمور تعصب بهم إن أبانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول أو لترك التعديل في المحبة روي أنه كان أحب إليه لما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله إذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الأمر إلا من قال لا تقتلوه وقيل إنما قاله شمعون أو دان ورضي به الآخرون أو اطرحوه أرضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإبهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه أبيكم جواب الأمر والمعنى يصف لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا ينازعكم في محبته أحد وتكونوا جزم بالعطف على يخل أو نصب بإضمار أن من بعده من بعد يوسف أو الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه قوما صالحين تائبين إلى الله عما جنيتم أو صالحين مع أبيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه أو صالحين في أمر دنياكم فإنه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فإن القتل عظيم وألقوه في غيابة الجب في قعره سمي به لغيبوبته عن أعين الناظرين وقرأ نافع في غيابات على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الأرض إن كنتم فاعلين بمشورتي أو إن كنتم على أن تفعلوا ما يفرق بينه وبين أبيه قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وإنا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير أرادوا استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالإدغام بإشمام وعن نافع بترك الإشمام ومن الشواذ ترك الإدغام لأنهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء أرسله معنا

غدا الى الصحراء نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ونلعب بالاستباق
والانتضال وقرا ابن كثير بالنون وكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر
والياء فيه وفي يلعب وقرا الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى
يوسف وقرئ يُرتِع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتدا وانا
له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة
صبري عنه واخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذابة وقيل راى في المنام
ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون
وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذابت الريح اذا هبت من كل
جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع او اللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب
ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفا مغبونون او مستحقون
لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب
وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين وعلى ثلاثة فراسخ
من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به
الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا
اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا
قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا
ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ما فسقط
ثم آوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبرئيل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان
ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام
وفي القصص ان ابرهيم حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه
ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبرئيل والبسه اياه لتنبئنهم

بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده
عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين
دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه
وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم
عشاء آخر النهار وقرئ عُشَيًّا وهو تصغير عشي وعُشًا بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من
البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف
قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل
كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق
لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب
اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب
على الحال من الواو اي جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله
البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع
النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما
سمع بخبر يوسف صاح وسال عن قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص
وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت
لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء
فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه
الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه
الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا
من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم
وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما رآه

قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كأنه قال تعالى فهذا
أوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة
وقرئ يا بشريّ بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف وأسروه أي
الوارد وأصحابه من سائر الرفقة وقيل أخفوا أمره وقالوا لهم دفعه الينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر
وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده
فيها فأخبر اخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق فاشتروه وسكت يوسف
مخافة أن يقتلوه بضاعة نصب على الحال أي أخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه
ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه أسرارهم أو صنيع اخوة يوسف بأبيهم و
أخيهم وشروه وباعوه وفيه مرجع الضمير الوجهان أو اشتروه من اخوته بثمن بخس
مبخوس لزيفه أو نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الأوقية
ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين
الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم
فيه لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين
فلأنهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق
بمحذوف يبينه الزاهدين لأن متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر
وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير أو اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد
العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل
قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من
قبيل خطاب الاولاد بأحوال الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث
عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما
اشتراه به من جعل شراءه غير الأول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان أبيضان وقيل

ثلثين وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا أكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى
أحسني تعهده عسى أن ينفعنا في ضياعنا وأموالنا ونستظهر به في مصالحنا أو نتخذه ولدا
نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب
التي قالت يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الأرض وكما مكنا
محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من
تأويل الأحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه
وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او يعبر
المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل
لسنيه والله غالب على أمره اي الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده
منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب
ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تأويل
الاحاديث عطف على مضمر تقديره وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك
جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت
الأبواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت
لك اي أقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين واللام للتبيين
كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها بحيث ونافع وابن عامر بالفتح
كسر الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام
من صلته قال معاذ الله أعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي أحسن مثواي سيدي
قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله
اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون

لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به
اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده
ولكن اكثر الناس لا يعلمون

للحس بالشيء وقيل الزناء ظلم على الزوج باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته
وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد
بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح
والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم
اخف الله لولا ان رأى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا
ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف
هو يدل عليه وقيل رأى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله
وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل
ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا
المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل
القرآن اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن
الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من
دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها
وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم
ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما
نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمؤاتاة
وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد
من اهلها قيل ابن عم لها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة
صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على
لسان من اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل
على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان

وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه
فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها
ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت
الي اليوم فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل
ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا
الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا
او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان
كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال
والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن
هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين
من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار
غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في
مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب
امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياه والعزيز بلسان العرب الملك واصل
فتى فتي لقولهم فتيان والفتو شاذ قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل
الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران
فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن
باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها
استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس واعتدت
لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين
بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها

فبكتن بالحجة أو يهاب يوسف من مكرهما إذا خرج وحده على أربعين نسوة في أيديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما أو مجلس طعام فإنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزا كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء بإشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الأترج أو ما يقطع من متك الشيء إذا بتكه ومتكاء من تكي يتكى إذا اتكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل أكبرن بمعنى حضن من أكبرت المرأة إذا حاضت لأنها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر أو ليوسف على حذف اللام أي حضن له في الخدور العواتق وقطعن أيديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو في الدرج فحذفت الألف الأخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لأن هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في إعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشري أي بعبد مشترى لئيم إن هذا إلا ملك كريم فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة أو لأن جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه إلا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل أن تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني أو فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار إليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة أقرت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كي يعاونها على إلانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره أي ما آمر به فحذف الجار أو أمري إياه بمعنى موجب أمري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين الأذلاء وهو من صغر

بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم وقرئ ليكونن بالتثقيل وهو يخالف خط المصحف لأن النون كتبت فيه بالألف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر أحب إلي مما يدعونني إليه أي آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا إلى العاقبة وإن كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه وإسناد الدعوة إليهن جميعا لأنهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها أو دعونه إلى أنفسهن وقيل إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا وإنما كان الأولى به أن يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر وإلا تصرف عني وإن لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك إلي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة أصب إليهن أمل إلى جانبهن أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبو الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس تستطيبها وتميل إليها وقرئ أصب من الصبابة وهي الشوق وأكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه فإن الحكيم لا يفعل القبيح أو من الذين لا يعملون بما يعلمون فإنهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله وإلا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان إنه هو السميع لدعاء الملتجئين إليه العليم بأحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لأنها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه أو يحسب الناس أنه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على أن بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم أو العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان أي أدخل يوسف السجن واتفق أنه أدخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بأنهما يريدان أن يسماه قال أحدهما يعني الشرابي إني أراني أي في المنام وهي حكاية حال ماضية أعصر خمرا أي عنبا وسماه بما يؤول إليه وقال الآخر أي الخباز

اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتاويله انا نريك من المحسنين
من الذين يحسنون تاويل الرويا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن يذكر الناس
ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رايناه ان كنت تعرفه
قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله اي بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام
يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى
الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سالاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء
في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير
قبل ان ياتيكما اي في اليقظة ذلكما اي ذلك التاويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم
اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت
ملة اولئك واتبعت ملة اباءي ابرهيم واسحق ويعقوب وكلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار
انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف
نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالاخرة ما كان لنا
ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي
وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتنبيههم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم
لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل
وانزال الايات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها
يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل
الدار أارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية
القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل
مصر الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من
غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على

استحقاقه الالهية عقل ولا نقل الهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان
الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل
والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم
الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا
رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها الهة ويعبدونها
لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها
ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي
فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الاخر يريد به الخباز فيصلب
فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي
تستفتيان فيه وهو ما يؤل اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما
ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان
ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني
عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان
يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف
ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني
عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت
محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث
الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع
عجاف لما دنا فرجه راى الملك سبع بقرات سمان وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل
السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات

قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها ولعله استغنى عن بيان حالها
بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع
الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه
جمع عجفا لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا
تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا عابرا ثم اثبت من عبرتها تعبيرا اللام للبيان او لتقوية
العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمين تعبرون
معنى فعل يعدى باللام وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي
مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام
للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل
او لتضمين تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا
قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله
ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف
الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل ولتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل
الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها
تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر في
جهلهم بتاويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد
امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر
الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة
اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون اي الى من عنده علمه او الى
السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه
بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا

صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد
اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام
فيهما لانه لم يكن جازما في الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين
دابا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي
تدابون دابا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل
تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا ياكله
السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين
ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن
فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون وتلك
السنين تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من
الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون
لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المخاطب
وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله
ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر
وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين
مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين
المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة
الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به لما جاءه الرسول
بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر براءة ساحته

وليعلم انه بريء ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان
يجتهد في نفي التهم ويتقى مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت
في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان
يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت
به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن عليم حين قلن
لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف به
والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب امر يحق
ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله تعجب
من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز
الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال
فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا استأصله
بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن
اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول
اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب
المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم
فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته و
لذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه
والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم
قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث
انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات

الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء
منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف
واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم
يغفر هم النفوس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره
واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه
اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة
امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما
دخل على الملك قال اللهم اني اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه و
دعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا
فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال اجب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له
البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي
قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد منها افرائيم
وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها
ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله في امره
لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه
مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق الا بالاستظهار به وعن
مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث
يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء
في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ولاجر
الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة
يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط

الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق منها شيء ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام فلما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاءوا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلد الى اخرى وما تزف به المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب اصغرنا الى البرية وهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على انه جمع الكثرة ليوافق قوله

اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ او يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حافظا على التمييز وحافظا على قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نتزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام

يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رأيت منكم ما رأيت
حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتنني به
جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان
تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة
بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة
بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما
نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف
عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين
حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله صلى الله
عليه وسلم في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات من كل هامة ومن كل عين لامة وما اغني عنكم
من الله من شيء مما قضي عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا
محالة ان قضي عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين
في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب
فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد
ما كان يغني عنهم رأي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ
بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب
استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته من ان يعانوا قضاها
اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم
من الله من شيء ولم تغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا
على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى

مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته
ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون
اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني
انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم
بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل
كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على
حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم
لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين
وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل
التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي
وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل
قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن
الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد
صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة
ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على
جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء
مختص باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على
براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم
كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد
قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين
في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله

الاسترقاق هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفا لتضمنها
معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام
الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدا باوعيتهم
فبدا المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها
اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة
كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان لياخذ اخاه في
دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد
الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا
اي لكن اخذه بمشية الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي
علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تع عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه
والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم
البالغ ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل يعنون به يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابرهيم وكانت تحضن
يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها
فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره
والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف
في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه
وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال
في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها
باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون
وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر

ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس
به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك
قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم
مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن في اخذ من وجدنا الصاع في رحله
لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استياسوا منه يئسوا من يوسف واجابته
اياهم وزيادة السين والتا للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه
مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل
او في الراي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا
وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا
ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب
بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان
وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا
او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه
في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في
الرجوع اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم
لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة
تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان
بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبزرا
من بزر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق اي ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه
الا بما علمنا بان راينا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب اي لباطن الحال حافظين

فلا ندري انه سرق او سُرِّق ودُسّ الصاع في رحله وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك
الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها يعني مصر او
قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا
فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل
سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت لكم زينت وسهلت
لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ برقبته فصبر جميل
اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين
واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم
فاعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفا تعال فهذا
اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف
دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه
ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون
عند المصيبة الا امة محمد الا ترى ان يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفى
وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره
وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك
لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم
لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله
وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ
اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا
تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا

يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا
مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك
لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من
الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله همي الذي لا اقدر الصبر عليه
من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم وغيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه
ورحمته فانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون
من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا
يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه
فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا
تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي العباد انه لا ييأس من
روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال
فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر
شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته
ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء
وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا
او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم
الانبياء او تختص بنبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق
التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من عند الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى لا يستطيع ان
يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم

وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه
كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم
ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا أإنك لانت
يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه
بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه
تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي
من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة
والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله
لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر
قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين
والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم تفعيل
من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض و
يذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا والمعنى لا اثربكم اليوم
الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا
بها وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم
يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن
نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون
سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم
اخوتي واني من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص
المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يرجع بصيرا اي ذا بصر
وأتوني بأهلكم أجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت

من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه
حين اقبل به يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل
يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره
لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك
عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا
روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه ألقاه على وجهه
طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه
من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وانزال الفرج وقيل اني
اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر
لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال سوف
استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة
تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم
شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا
خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم
بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على
يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل
مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى
ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه
وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق
يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من القحط واصناف
المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم

ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه
خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو للابوين والاخوة والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا
للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رءياي من قبل التي رايتها ايام الصبى قد جعلها ربي حقا صدقا
وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية
لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا
وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير
له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير
الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه في خزائنه
فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل
قال امرني جبريل قال او ما تساله قال انت ابسط مني اليه فساله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك
واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر
وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر
السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى براسه انت وليي ناصري
او متولي امري في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين
من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة
ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلاثا
وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر
في مدفنه حتى هموا بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه
الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة
وولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك اشارة الى
ما ذكر من نبا يوسف والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك

خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبا غيب لم تعرفه
الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون
به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه
وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل
هذا وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين
لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسالهم عليه على الانباء او القرآن من اجر من جعل كما يفعله حملة
الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من آية وكم من آية والمعنى وكاي عدد
شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض
يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون
بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على
ويطؤون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة
وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار
اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في
مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة
تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها
غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله
ادعو الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو
او على بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين
وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل
معناه نفي استنباء النساء يوحى اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرا حفص نوحي في كل
القرآن وحمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو

افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا
تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة ولدار الحال او
الساعة او الحيوة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا
انها خير وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم
افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي
ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في
الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم
ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد
كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد
كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا
انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة
هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقراءة غير الكوفيين بالتشديد اي
وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي ظنوا انهم
قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين
وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر
وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم
وفيه بيان للمشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته
عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا
يفترى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل
كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى
من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم

علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات
الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم المر
قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى
آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك
هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين
على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان
دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره
مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه
الله الذي رفع السموات مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد
اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او
استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها
على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون
لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر
من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة
على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم
فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت
يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها
ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها
وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة

والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان
وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على
انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال
اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من
جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير
يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي و
ابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها
بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع
متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح
للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه
لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من
الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب
وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في الاصل
وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان
نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم وهي لغة بني تميم
كقنوان في جمع قنو تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا
ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب
لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب تسقى بالتذكير على تاويل ما
ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان
من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والايات المعدودة كما هي دالة على

وجود المبدئ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول
المواد لانواع تصرفاته ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل
في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود
بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا ما
هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين
فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة
لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته
منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع
والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع
ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل
التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر
او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احدا العيش ولولا وعيده وعقابه
لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لعدم اعتدادهم بالايات
المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك
من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك
ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم
الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما
ينزل من الايات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها
على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد

وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر الله يعلم ما تحمل كل انثى
اي حملها او ما تحمله على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد
وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك
وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى
عدده لا حد له وقيل نهايته ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ
باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده
وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون
مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه
ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين
وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله
باق بالتنوين على الاصل فاذا وقف وقف بالياء في هذه الاحرف الاربعة حيث وقعت لا
غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة
الحاضر له الكبير العظيم الشان المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت
المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل
طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بالنهار بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز
وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال
علمه وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه
جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون
اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد
بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين

من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب
بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به
وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان
يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم
من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل
عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف
مراد الله محال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف
اي ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذو
او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه
وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس
في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون سبحان الله والحمد لله
او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته
وعن ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق
بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه
من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في
الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر
بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله
فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة
فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت

وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لأعدائه من محل فلان بفلان إذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل إذا تكلف
استعمال الحيلة ولعل أصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول أو الحيلة
أعل على غير قياس ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار
فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد له دعوة الحق الدعاء الحق
فإنه الذي يحق أن يعبد ويدعى إلى عبادته دون غيره أو له الدعوة المجابة فإن من دعاه أجابه و
يؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل وإضافة الدعوة إليه لما بينهما من الملابسة أو على
تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق والمراد بالجملتين إن كانت الآية
في عامر وأربد إهلاكهما من حيث لم يشعرا به بمحال من الله وإجابة لدعوة رسوله أو دلالة على
أنه على الحق وإن كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله
بهم وتهديدهم بإجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم
والذين يدعون أي والأصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع أو والمشركون الذين
يدعون الأصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات إلا
كباسط كفيه إلا استجابة كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه يطلب منه أن يبلغه وما هو
ببالغه لأنه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على إجابته والإتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل
شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن أراد أن يغرف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء
وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين إلا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات
والأرض طوعا وكرها يحتمل أن يكون السجود على حقيقته فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من
الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم
بالعرض وأن يراد به انقيادهم لإحداث ما أراده فيهم شاؤوا أو كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه
إياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال أو العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد
والمراد بهما الدوام أو حال من الظلال وتخصيص الوقتين لأن الامتداد والتقلص أظهر فيهما والغدو

جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده أنه
قرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل قل من رب السموات والأرض خالقهما ومتولي أمرهما قل الله
أجب عنهم بذلك إذ لا جواب لهم سواه ولأنه البين الذي لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به قل أفاتخذتم
من دونه ثم ألزمهم بذلك لأن اتخاذهم منكر بعيد عن العقل أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا
لا يقدرون على أن يجلبوا إليها نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون إنفاع الغير ودفع الضر
عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا لهم قل هل يستوي
الأعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود
الغافل عنكم والمعبود المطلع على أحوالكم أم هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ
حمزة والكسائي وأبو بكر بالياء أم جعلوا لله شركاء بل أجعلوا والهمزة للإنكار وقوله خلقوا كخلقه
صفة لشركاء داخلة في حكم الإنكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى أنهم ما اتخذوا
لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما
استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق
قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم الاستحقاق لها
ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد أي المتوحد بالألوهية القهار الغالب على كل
شيء أنزل من السماء ماء من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء نفسها فإن المبادي منها
فسالت أودية أنهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه
وتنكيرها لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله أنه نافع غير ضار
أو بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما
توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها إظهارا
لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي أو متاع كالأواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها
زبد مثله أي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء أو للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي

وصف بالرابي على أن الضمير للسيل لاحكام العلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه
مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة
فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الارض
الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك
مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء
يرمى به السيل او الفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع
الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات
للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له
وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين
استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب
وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد
المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى
عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا
الالباب ذووا العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه
على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق
ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به
ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس
ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا
والذين صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما
واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال

وعلانية لمن عرف به ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او
يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها
وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستئناف
بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها
والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى
انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان
الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من
القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد
الانساب لا تنفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح
والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي
هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم
بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله
يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعدما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء
الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة
الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم
اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر
قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء
باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وسوء

يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال لهم ما أعظم عنادكم إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم
فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية ويهدي إليه من أناب بما جشمه بل بأدنى منه من الآيات
الذين آمنوا بدل من من أو خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله أنسا به واعتمادا عليه ورجاء منه أو
بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعني القرآن
الذي هو أقوى المعجزات ألا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن إليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات
مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز
فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني إرسال الرسل قبلك
أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم تقدمتها أمم أرسلوا إليهم فليس ببدع إرسالك إليها لتتلو عليهم
الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحيناه إليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ
الرحمة الذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما أنعم عليهم بإرسالك
إليهم وإنزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة
حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي أي الرحمن خالقي ومتولي أمري لا إله إلا هو
لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو أن قرآنا سيرت به
الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم أي ولو أن
كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها أو قطعت به الأرض تصدعت من خشية الله عند قراءته أو شققت
فجعلت أنهارا وعيونا أو كلم به الموتى فقرأه أو فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لأنه الغاية
في الإعجاز والنهاية في التذكير والإنذار أو لما آمنوا به كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل
إن قريشا قالوا يا محمد إن سرك أن نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين
وقطائع أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام أو ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا
فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الأرض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن
وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الأمر جميعا بل لله القدرة على كل شيء

وهو إضراب عما تضمنه لو من معنى النفي أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق
بذلك لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم
وذهب أكثرهم إلى أن معناه أفلم يعلم لما روي أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين
قرؤوا أفلم يتبين وهو تفسيره وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم لأنه مسبب عن العلم بأن المأيوس عنه
لا يكون ولذلك علقه بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فإن معناه نفي هدى بعض الناس
لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الأول متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين آمنوا عن
إيمانهم علما منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا أو بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا
من الكفر وسوء الأعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقلهم أو تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير
إليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فإنهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى
الله عليه وسلم فإنه صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم
وعلى هذا يجوز أن يكون تحل خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم فإنه حل بجيشه قريبا من دارهم
عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت أو القيامة أو فتح مكة إن الله لا يخلف الميعاد لامتناع
الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والإملاء أن يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن
ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أي عقابي إياهم أفمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير
وشر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك
وجعلوا لله شركاء استئناف أو عطف على كسبت إن جعل ما مصدرية أو لم يوحدوه وجعلوا
عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على أنه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على أن هؤلاء
شركاء لا يستحقونها وعطف على كسبت إن جعل ما مصدرية أو لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون
الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على أنه المستحق للعبادة والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون
به العبادة ويستأهلون الشركة أم تنبئونه بل أتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في

في الأرض بشركاً يستحق العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لأجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء
أم بظاهر من القول أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا
وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالإعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا
أباطيل ثم خالوها حقا أو كيدهم للإسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
ونافع وابن عامر وصدوا بالفتح أي وصدوا الناس عن الإيمان وقرئ بالكسر وصدٌّ بالتنوين ومن
يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والأسر وسائر ما
يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة أشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه أو من رحمته من واق
حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه
أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الأنهار على طريقة قولك صفة زيد أسمر أو على
حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار أو على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال
من العائد المحذوف من الصلة أكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا
بالشمس تلك أي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى أمرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي
ترتيب النظمين إطماع للمتقين وإقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك
يعني المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون
بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة أو عامتهم فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن
الأحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الأشرف و
أصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم أو ما يوافق ما حرفوه منها
قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به جواب للمنكرين أي قل لهم إني أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله
وأوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى إنكاره وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع
مخالفة الشرائع والكتب الإلهية في جزئيات الأحكام وقرئ ولا أشرك بالرفع على الاستئناف إليه
أدعو لا إلى غيره وإليه مآب وإليه مرجعي للجزاء لا إلى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء

فأما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالأعصار والأمم فلا معنى لإنكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل
ذلك الإنزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها أنزلناه حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه
الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت أهواءهم التي
يدعونك إليها كتقرير دينهم والصلاة إلى قبلتهم بعدما حولت عنها بعدما جاءك من العلم بنسخ ذلك
ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لأطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات
في دينهم ولقد أرسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية نساء وأولادا كما
لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه أن يأتي بآية تقترح عليه وحكم يلتمس منه إلا بإذن الله
فإنه الملي بذلك لكل أجل كتاب لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات
التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره
مثبتا أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع و
ابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده أم الكتاب أصل الكتب وهو اللوح
المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك وكيفما دارت الحال
أريناك بعض ما وعدناهم أو توفيناك قبله فإنما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك
فلا تحتفل بإعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فإنا فاعلون له وهذا طلائعه أولم يروا أنا نأتي الأرض
أرض الكفرة ننقصها من أطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته
الذي يعقب الشيء بالإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى
أنه حكم للإسلام بالإقبال وعلى الكفر بالإدبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على
الحال أي يحكم نافذا حكمه وقد مكر الذين من قبلهم بأنبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا إذ لا يؤبه بمكر
دون مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم
الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله
بهم واللام تدل على أن المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الإضافة إلى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع

قال الامام الرازي رحمه الله في خاتمة تفسير سورة الرعد تم تفسير هذه السورة يوم الاحد الثامن عشر من رمضان سنة احدى وستمائة وانا التمس من كل من نظر في
كتابي واستفاد به ان يخص ولدي محمدا بالدعاء له بالرحمة والغفران وان يذكرني بالدعاء واقول في مرثية ذلك الولد الصالح الخير
ارى معالم هذا العالم الفاني · ممزوجة بمخافات واحزان · خيراته مثل احلام مزخرفة · وشره في البرايا دائم داني

و ابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا
اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف
عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي كفى بالذي
يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ
ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول
ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثانية وقرئ ومن عنده علم على الحرف والبناء
للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن
كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى

سورة ابرهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب
اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى
النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو
صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او
استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين
للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر
مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه
بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور
والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين
يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون
احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو

وسيعرف من صده صدودا اذا انكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها
عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدح فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول
بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال
بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة
او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي الا بلغة قومه
الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم
فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار
عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز
لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها
وما في اتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش
ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم
وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبرئيل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين
لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن
الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم الذي لا يضل
ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك
من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء
في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقائعه التي وقعت على الامم
الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يصبر على بلائه
ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه
من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنه بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن
واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه

اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام
ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة
والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب
او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من
ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من
كلام موسى عليه السلام وتاذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة
لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى
نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين
ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تاذن على انه يجري مجرى قال
لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم
حميد مستحق للحمد في ذاته محمود يحمده الملائكة وينطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران
الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم
نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدا من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا
او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك
قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها
غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء
عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم
وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم
من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي
هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم

ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه
من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن
الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في
الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى
ذلك بقوله فاطر السموات والارض صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه
ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به
من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب
الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت
في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب
عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله
آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله
ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه
الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة
كانهم لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم
رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا
الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح
بعض الجائزات على بعض بمشيئته تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا
الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا حتى ناتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله فيخص
كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم
عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل
على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده

وقرأ أبو عمرو بالتخفيف هنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف أكدوا به توكلهم
وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من
توكلهم المسبب عن إيمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا حلفوا على
أن يكون أحد الأمرين إما إخراجهم للرسل وعودهم إلى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لأنهم لم يكونوا على ملتهم قط
ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى إليهم ربهم أي إلى رسلهم
لنهلكن الظالمين على إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجراه لأنه نوع منه ولنسكننكم الأرض من بعدهم
أي أرضهم وديارهم كقوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها
وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولك أقسم زيد ليخرجن ذلك إشارة إلى الموحى به وهو
إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة
يوم القيامة أو قيامي عليه وحفظي لأعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد أي وعيدي بالعذاب
أو عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين أعاديهم من
الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للأنبياء وقيل للكفرة
وقيل للفريقين فإن كلهم سألوا أن ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الأمر عطفا على لنهلكن
وخاب كل جبار عنيد أي ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح
ومعنى الخيبة إذا كان الاستفتاح من الكفرة أو من القبيلين كان أوقع من ورائه جهنم أي من بين
يديه فإنه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته
ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من
ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود أهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء
أو حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب أن يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول
عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان أي أسبابه
من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره و

والجوارح وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ أي يستقبل في كل
وقت عذابا أشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الأنفاس وقيل الآية منقطعة
عن قصة الرسل نازلة في أهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي أرسل الله عليهم
بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم أن يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد
أهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف أي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي
مثل في الغرابة أو قوله أعمالهم كرماد وهي على الأول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل أعمالهم بدل
من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته وأسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم
عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم
من الصدقة وصلة الرحم وإغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها
على غير أساس من معرفة الله والتوجه بها إليه أو أعمالهم للأصنام برماد طيرته الريح العاصف
لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له أثرا من الثواب
وهو فذلكة التمثيل ذلك إشارة إلى ضلالهم مع حسبانهم أنهم محسنون هو الضلال البعيد
فإنه الغاية في البعد عن طريق الحق ألم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته وقيل
لكل واحد من الكفرة على التلوين أن الله خلق السموات والأرض بالحق بالحكمة والوجه الذي
يحق أن يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات والأرض إن يشأ يذهبكم ويأت
بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والأرض استدلالا
عليه فإن من خلق أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع
قدر أن يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر أو متعسر فإنه
قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بأن يؤمن به ويعبد
رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا أي يبرزون من قبورهم يوم القيامة
لأمر الله ومحاسبته أو لله على ظنهم فإنهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون أنها

انها تحقق على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق
وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتبت بالواو على
لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم
انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب
او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا
من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة
موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اي بعض شيء هو
بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل
انتم مغنون بعض الغناء بعض العذاب قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع
واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللنا
اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا
عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا
الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة
النفار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء
علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة
عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال
الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا
في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا
انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا
فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان فتسلط
تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان

ولكنه على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي
اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم
حيث اطعتموني اذ دعوتكم فلم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال
العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب
الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل
في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة
ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء
او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكه وحذف
الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت
اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة
يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت
بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من
قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول
ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف
للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ
وادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام
باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة
طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ
محذوف اي هي كشجرة وان تكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء
اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها

أي أفنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الإضافة وقرئ ثابت أصلها والأول
على أصله ولذلك قيل إنه أقوى ولعل الأول يرجح نوع اكتها تؤتي أكلها كل حين أقته الله لإثمارها
بإذن ربها بإرادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون لأن في ضربها زيادة إفهام
وتذكير فإنه تصوير للمعاني وإدناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استؤصلت
وأخذت جثتها بالكلية من فوق الأرض لأن عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة
فقيل الكلمة الطيبة كلمة التوحيد ودعوة الإسلام والقرآن والكلمة الخبيثة الإشراك بالله والدعاء إلى
الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح والكلمة
الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وقيل الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا والشجرة الخبيثة
بالحنظل والكشوث ولعل المراد بهما أيضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحياة الدنيا فلا يزلون إذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى عليهما
السلام وجرجيس وشمعون والذين فتنهم أصحاب الأخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون إذا سئلوا عن معتقدهم
في الموقف ولا تدهشهم أهوال القيامة وروي أنه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في
جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني
الإسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون إلى الحق
ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض وإضلال آخرين من غير اعتراض عليه
ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا أي شكر نعمته كفرا بأن وضعوه مكانه أو بدلوا نفس النعمة كفرا فإنهم
لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كأهل مكة خلقهم الله وأسكنهم حرمه وجعلهم
قوام بيته ووسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأسروا
وقتلوا يوم بدر فصاروا أذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم
الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى

حين وأحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان
لها يصلونها حال منها أو من القوم أي داخلين فيها مقاسين لحرها أو مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم
وبئس القرار أي بئس المقر جهنم وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الإضلال غرضهم في اتخاذ الأنداد لكن لما
كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم أو بعبادة الأوثان فإنها من قبيل الشهوات التي يتمتع
بها وفي التهديد بصيغة الأمر إيذان بأن المهدد عليه كالمطلوب لإفضائه إلى المهدد به وأن الأمرين
كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فإن مصيركم إلى النار وأن المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر
مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالإضافة تنويها لهم وتنبيها لهم على أنهم المقيمون لحقوق العبودية
ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه أي قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة
وينفقوا مما رزقناهم فيكون إيذانا بأنهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا ينفك
فعلهم عن أمره وأنه كالسبب الموجب له ويجوز أن يقدر بلام الأمر ليصح تعلق القول بهما وإنما حسن ذلك ههنا
ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيموا
وأنفقوا أقيما مقامهما وهو ضعيف لأنه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولأن أمر المواجهة لا يجاب
بلفظ الغيبة إذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر أي إنفاق سر وعلانية أو على
الحال أي ذوي سر وعلانية أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية والأحب إعلان الواجب وإخفاء المتطوع به
من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة
فيشفع لك خليل أو من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات والأرض مبتدأ وخبر
وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لأخرج
ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز أن يراد به المصدر فينتصب بالعلة أو المصدر لأن أخرج
في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره بمشيئته إلى حيث توجهتم وسخر لكم الأنهار فجعلها

معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان
في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم
ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان
الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج
الناس اليه سئل او لم يسئل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر
بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز
ان يكون ما نافية في موقع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها
ولا تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة
ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران
وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد
بلد مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول في الاول
ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد
الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره
وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته
وزعم ابن عيينة ان اولاد اسماعيل عليه السلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون
بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا
فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله
وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك
غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان
الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول

وهو اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها
حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه
الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء
اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها
من ابرهيم عليه السلام فولدت منه اسماعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما
الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه
فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في البانِنا ففعلت ربنا ليقيموا
الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق
ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة
بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة
الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة
من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس
والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة
وهي تحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت
اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من
افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداداً وقرئ تهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى
من هوي يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم
واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل
شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن
تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا
الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل

وقيل عمّا نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجاء
الى الله وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن
للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما
للنعمة واظهارا لما فيها من الاية على الكبر اسماعيل واسحق روي انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين
سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا
اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله
على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه الولد فوهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل
النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في
اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء
واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل
اراد بهما آدم وحوا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب
على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما عليه من انه مطلع على احوالهم
وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا
بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو
بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين
مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء
مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم
فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء اي خالية عن الفهم كفؤاد ذوي الجزع والدهشة ومنه
يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة قال من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية
عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم العذاب يعني يوم القيامة او يوم الموت فانه

اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل
قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما
نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق
واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ
الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا
وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم
اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر
وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدونه
في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم
انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة
وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو
يجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول
منه الجبال مسوى لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال
الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام
هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من فتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله
مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد
واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه
من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف

وعد ولا يجوز أن ينتصب بمخلف لأن ما قبل إن لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الأرض وتقديره
والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم
جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم
حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود
وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك
الأرض وإنما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى أبو هريرة أنه عليه السلام قال تبدل الأرض غير الأرض
فتبسط وتمد مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا واعلم أنه لا يلزم على الوجه الأول أن يكون
الحاصل بالتبديل أرضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني أن يجعل الله الأرض جهنم والسموات الجنة
على ما أشعر به قوله تعالى كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وقوله إن كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من
أجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على أن الأمر في غاية الصعوبة
كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لأحد
إلى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد
والأعمال كقوله وإذا النفوس زوجت أو قرنوا مع الشياطين أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة
والملكات الباطلة أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال وهو يحتمل أن يكون تمثيلا لمؤاخذتهم
على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم في الأصفاد متعلق بمقرنين أو حال من ضميرهم والصفد القيد وقيل الغل
قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق وأصله الشد سرابيلهم
قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق
الجرب بحدته وهو أسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود أهل النار حتى يكون طلاؤه
لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع إسراع النار في جلودهم على أن
التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل أن يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من
الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب إليها أنواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن

والقطر النحاس أو الصفر المذاب آن انتهى حره والجملة حال ثانية أو حال من الضمير في مقرنين وتغشى
وجوههم النار أي تتغشاها لأنهم لم يتوجهوا بها إلى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم
وحواسهم التي خلقت فيها لأجله كما تطلع على أفئدتهم لأنها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره
قوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله
كل نفس أي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة لأنه إذا بين
أن المجرمين يعاقبون لإجرامهم علم أن المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك إن علق اللام ببرزوا
إن الله سريع الحساب لأنه لا يشغله حساب عن حساب هذا إشارة إلى القرآن أو السورة أو ما
فيه من العظة والتذكير أو ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة
ولينذروا به عطف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ
ويجوز أن يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به أنزل أو تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به إذا علمه و
استعد له وليعلموا أنما هو إله واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه أو المنبهة
على ما يدل عليه وليذكر أولو الألباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم أنه
سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في إنزال الكتب تكميل الرسل للناس
واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع
بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إبراهيم
أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الإشارة إلى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن
وتنكيره للتفخيم أي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما
يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر أو حلول الموت أو يوم القيامة
وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع

التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه
ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة
موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم
لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يبادروا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم
اهوال القيامة فان تحاشهم افاقوا في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة
في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم
لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا
جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان
وان نصحهم بعد اشتغال بما لا ينفعهم وفيه الزام للحجة وتحذير عن التنعم وما يؤدي اليه طول الامل
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة
لقرية والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال
ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اي وما يستاخرون
عنه وتذكير ضميره للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم
على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم انك لمجنون ونظيره قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القرآن لو ما تاتينا بالملائكة
ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على
الدعوى كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل
ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالتاء ومسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا
تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم بصور تشاهدونها
فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان

وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا
الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره
بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى
تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه
بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في
فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو
الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبانا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا
يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه نُدخله
في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير
للاستهزاء وفيه دليل على ان الله يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله
لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا
غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في
المرجع ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها
مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في
قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون
او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا
سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه
قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات
وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر

ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها
بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها و
حفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع
على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم
اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها
وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى صلوات الله عليه منعوا من ثلاث سموات
فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها
اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر
للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها
بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل
شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن
ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم
والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل
لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم
واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع
محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته
وتناهي حكمته والتفرد في الالهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ
في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف
ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة و
اجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالانزال
في بعض الاوقات على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل

شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او
ملقحات للشجر ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح
على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين
متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا
يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به
الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد
الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير
الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال
ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شيء
من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه
وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة
حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض
ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي
لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على انه القادر على
كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في
افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من طين يابس يصلصل اي
يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حمإ طين تغير واسود من طول
مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور
كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف
فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من

سنت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل
ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من
مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان
من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها
في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها
الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله
وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع
والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته عدلت
خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ
اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض
عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضاف
الروح الى نفسه لما مر في سورة النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة
كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة
على انهم سجدوا مجتمعين دفعة واحدة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس
ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان
استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع
الساجدين لآدم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر
جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار
وهي اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج
منها من السماء او الجنة او من زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من رحمة الله فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان
يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين

فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم
ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها
الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة
بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء و
نجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور
ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا
بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل و
ثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق
في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة
والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك
اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله
تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم
عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له
على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان
في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم
اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم
من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا
نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الا
وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج
وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق
لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب

الشيطان عنهم أو تكذيب له فيما أوهم أن له سلطاناً على من ليس بمخلص من عباده فإن منتهى تزيينه التحريض
والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء
منقطعاً وعلى الأول يدفع قول من شرط أن يكون المستثنى أقل من الباقي لإفضائه إلى تناقض الاستثنائين
وإن جهنم لموعدهم لموعد الغاوين أو المتبعين أجمعين تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعد
إن جعلته مصدراً على تقدير مضاف ومعنى الإضافة إن جعلته اسم مكان فإنه لا يعمل لها سبعة أبواب
يدخلون فيها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة
ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون إلى
المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية أو لأن أهلها سبع فرق لكل باب منهم من الأتباع
جزء مقسوم أفرز له فأعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين
والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ أبو بكر جزُؤ بالتثقيل وقرئ
جزّ على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم إجراء الوصل مجرى الوقف
ومنهم حال منه أو من المستكن في الظرف لا في مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها إن
المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فإن غيرها مكفّر في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين
أو لكل عدة منها كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي
وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين
ادخلوها على إرادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على أنه ماض فلا يكسر التنوين بسلام
سالمين أو مسلّماً عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا في الدنيا بما ألّف بين قلوبهم أو
في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه أرجو
أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب إخواناً
حال من الضمير في جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير في آمنين أو الضمير المضاف إليه والعامل فيها
معنى الإضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز أن يكونا صفتين لإخواناً أو حالين من ضميره
لأنه بمعنى متصافين وأن يكون متقابلين حالاً من المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب

تعب

استئنافاً أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فإن تمام النعمة بالخلود نبئ
عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له
وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران
والرحمة دونهما بالتعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف إبراهيم على نبئ عبادي تحقيق
لهما باعتبار ما يعتبرون به إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً أي نسلم عليك سلاماً أو سلّمنا سلاماً قال إنا منكم
وجلون خائفون وذلك لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت ولأنهم امتنعوا من الأكل والوجل اضطراب
النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من أوجله ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله
إنا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فإن المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر
بغلام هو إسحاق عليه السلام لقوله فبشرناها بإسحاق عليم إذا بلغ قال أبشرتموني على أن مسني الكبر تعجب
من أن يولد له مع مس الكبر إياه أو إنكار لأن يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون أي فبأي
أعجوبة تبشروني أو فبأي شيء تبشرون فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء
وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة على إدغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة
على حذف نون الجمع استثقالاً لاجتماع المثلين ودلالة بإبقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك
بالحق بما يكون لا محالة أو باليقين الذي لا لبس فيه أو بطريقة هي حق وهو قول الله وأمره فلا تكن
من القانطين من الآيسين من ذلك فإنه تعالى قادر على أن يخلق بشراً من غير أبوين فكيف من شيخ فانٍ
وعجوز عاقر وكان استعجاب إبراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط
من رحمة ربه إلا الضالون أي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته
كما قال لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم
وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم أيها المرسلون أي فما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة
ولعله علم أن كمال المقصود ليس البشارة لأنهم كانوا عدداً والبشارة لا تحتاج إلى العدد ولذلك
اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم عليهم السلام أو لأنهم بشروه في تضاعيف الحال لإزالة الوجل ولو كا

تمام المقصود لا تبدو قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم
كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والار
سال شاملين للمجرمين ونجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو استئناف
اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا
امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل
انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة
لتهلك معهم وقرأ ابو بكر قدرنا بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى
العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على
مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به فلما جاء
آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل
جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من
عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا
لصادقون فيما اخبرناك به فأسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى
وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب
وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم
وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم
او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على
المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر وعدي وامضوا
الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي
بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر
وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين

داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء
في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال
ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب
الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية
وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا
يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي
يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء
الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط عليه السلام
قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه
كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم وشدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين
خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش
والجملة اعتراض فأخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرائيل مشرقين داخلين
في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان
لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في
نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه
الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين
هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة
المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا
اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح
ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا

من الرسل فكأنما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين
المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم
او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا
آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم
ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من
بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال
هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح
الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية
السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم
فهو حقيق بان تكل ذلك اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم
اصلح وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق
يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات هي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال
وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة
وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني
من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه
بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد
بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او
السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين
على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من
الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي

حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما
وعظم صغيرا وروي انه عليه الصلوة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير
فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا
بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن
عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل
اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين
مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر
الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم
فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل
هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا
القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه مخالف لهما او قسموه
الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن
ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الى آخره اعتراضا
ممدا لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها
اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة
والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره
فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم والنسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام
في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به
بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من
الشرائع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم
قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود

ابن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله عليهما الصلوة والسلام امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انفي الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح براسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه الصلوة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه

كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرا وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلون الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين

مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منهما او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما او مما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفا به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين

تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين
اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاى البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى
الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون
فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن فضلا من ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق
الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع
والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم
وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا
بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان
المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون
علة لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة
لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان
الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل
الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا
بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى
الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه
قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي
يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر
حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود
بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو
شاء لهديكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهديكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء
هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل

او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقدمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون
والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه
المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها ضرر فيه تسيمون
ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات
ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات بعض
كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء
حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك
لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ
فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق
والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع
السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد
والانداد ولعل فصل الآية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم
مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلق له
بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب
واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة
فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف النوع
وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس
والقمر ايضا ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة
لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم في الارض عطف
على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف بالالوان
غالبا ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع

حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتأكلوا
منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته
في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك
واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر
دابة والحالف على ان لا يركب دابة لا يحنث بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان
اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر
فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من
فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها و
لعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع
وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب
وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك
بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلق الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها
وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت
تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل
فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات
ومعالم يستدل بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحوها وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري
والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان
وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء
في مسايرهم بالنجوم واخرج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل
وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق
كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من

مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء وكان حق الكلام
افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها
والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجروها مجرى اولي العلم لانهم
سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا
يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي
يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا
القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد
نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها ولا يقطعها
لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد
وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله اي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ
ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلثتها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق
بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم
يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات غير احياء هم
اموات لا تعتريهم الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون عالما
بالغيب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى
بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد
وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر
بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه
ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك
رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه
مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا

انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله
او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه
والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار
ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال
من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها
الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون
بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم
من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار
سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل
التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب
الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته ويقول اين شركائي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في
توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني
فان مشاقة المؤمنين كمشاقته قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم
الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على
الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم
الملائكة وقرا حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم
بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء
قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الا ستسلام
بلى اي فيجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الاية استئناف
ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا

وامتنانا عليهم نسيئا احتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف
بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين
اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب
واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم
من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا
له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الآخرة خير اي ولثوابهم في الآخرة خير
منها وهي عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب
بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان
يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون من انواع المشتهيات وفي تقديم
الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم
وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة
ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية
الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة
لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار
ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيامة او العذاب
المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما
ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما
عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون و
احاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن
ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما
شاء الله يجب وما لم يشا يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها

محتجين بأنها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا إليه لا اعتذارا إذ لم يعتقدوا
قبح أعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فأشركوا بالله وحرموا
حله وردوا رسله فهل على الرسل إلا البلاغ المبين إلا الإبلاغ الموضح للحق وهو أن لم يؤثر في هدى
من شاء الله هداه لكنه يؤدي إليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه إنما يجب وقوعه لا مطلقا بل بأسباب
قدرها له ثم بين أن البعثة أمر جرت به السنة الإلهية في الأمم كلها سببا لهدى من أراد اهتداءه وزيادة ضلال
من أراد ضلاله كالغذاء الصالح فإنه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في
كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله
وفقهم للإيمان بإرشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة إذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة
الثانية لما فيه من الدلالة على أن تحقق الضلال وثباته بفعل الله وإرادته من حيث أنه قسيم من هدى الله وقد
صرح به في الآية الأخرى فسيروا في الأرض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود
وغيرهم لعلكم تعتبرون إن تحرص على هداهم يا محمد على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو
المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو أبلغ وما لهم من ناصرين
من ينصرهم بدفع العذاب عنهم وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين
أشركوا إيذانا بأنهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد
رد الله عليهم أبلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فإن يبعث
موعد من الله عليه حقا إنجازه لامتناع الخلف في وعده أو لأن البعث مقتضى حكمته حقا صفة أخرى للوعد
ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم يبعثون إما لعدم علمهم بأنه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها وإما
لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم إنه تعالى بين الأمر في البعث فقال ليبين لهم أي يبعثهم ليبين لهم
الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو إشارة
إلى السبب الداعي إلى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب
ثم قال إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وهو بيان إمكانه وتقريره أن تكوين الله تعالى

بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد وإلا لزم التسلسل فكما أمكن له تكوين الأشياء ابتداء
بلا سبق مادة ومثال أمكن له تكوينها إعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول
أو جوابا للأمر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
ظلمهم قريش فهاجر بعضهم إلى الحبشة ثم إلى المدينة وبعضهم إلى المدينة أو المحبوسون المعذبون بمكة
بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وأبو جندل
وسهيل وقوله في الله أي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة أو تبوئة
حسنة ولأجر الآخرة أكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلا
من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة
أفضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم
أو للمهاجرين أي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كأذى الكفرة
ومفارقة الوطن ومحله النصب أو الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين إلى الله مفوضين
إليه الأمر كله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم رد لقول قريش الله أعظم من أن يكون رسوله
بشرا أي جرت السنة الإلهية بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشرا يوحى إليه على ألسنة الملائكة والحكمة
في ذلك قد ذكرت في سورة الأنعام فإن شككتم فيه فاسألوا أهل الذكر أهل الكتاب أو علماء
الأخبار ليعلموكم إن كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة
وأما قوله جاعل الملائكة رسلا فمعناه رسلا إلى الملائكة أو إلى الأنبياء وقيل لم يبعثوا إلى الأنبياء
إلا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل على صورته التي هو عليها
مرتين وعلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر أي أرسلناهم بالبينات
والزبر أي المعجزات والكتب كأنه جواب قائل بم أرسلوا ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا داخلا في
الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط وصفة
لهم أي رجالا ملتبسين بالبينات وبنوحي على المفعولية أو الحال من القائم مقام فاعله على أن قوله

أغراض أو بلا يعقلون على أن الشرط للتبكيت والإلزام وأنزلنا إليك الذكر أي القرآن وإنما سمي ذكرا لأنه موعظة
وتنبيه لتبين للناس ما نزل إليهم في الذكر بتوسط إنزاله إليك مما أمروا به ونهوا عنه أو مما تشابه عليهم والتبيين
أعم من أن ينص بالمقصود أو يرشد إلى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وإرادة أن يتأملوا
فيتنبهوا للحقائق أفأمن الذين مكروا السيئات أي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك
الأنبياء أو الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد أصحابه عن الإيمان أن يخسف الله بهم
الأرض كما خسف بقارون أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل
بقوم لوط أو يأخذهم في تقلبهم أي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف
على مخافة بأن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون أو على أن ينقصهم شيئا بعد شيء
في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفته إذا تنقصته روي أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون
فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك
في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقة تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف
عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه
تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة أولم يروا إلى ما
خلق الله استفهام إنكار أي قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال
قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها من شيء يتفيأ ظلاله أي أولم ينظروا إلى المخلوقات
التي لها ظلال متفيئة عن اليمين والشمائل عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها استعارة
من يمين الإنسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير
وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام
سواء كان بالطبع أو الاختيار يقال سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير إذا طأطأ رأسه
ليركب أو سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها
وباختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب إلى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ

أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد والأجرام في أنفسها أيضا داخرة أي صاغرة منقادة
لأفعال الله فيها وجمع داخرون بالواو لأن من جملتها من يعقل أو لأن الدخور من أوصاف العقلاء وقيل المراد
باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لأن الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع
وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فإن الظلال في أول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي
من الأرض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الأرض ولله يسجد ما في السموات و
ما في الأرض أي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لإرادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وأمره طوعا ليصح
إسناده إلى عامة أهل السموات والأرض وقوله من دابة بيان لهما لأن الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء
كانت في أرض أو سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم أو عطف المجرد
على الجسماني وبه احتج من قال إن الملائكة أرواح مجردة أو بيان لما في الأرض والملائكة تكرير لما في السموات
وتعيين له إجلالا وتعظيما أو المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل
لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان أولى من إطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته
يخافون ربهم من فوقهم أي يخافونه أن يرسل عذابا من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو
القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لأن من خاف الله لم يستكبر عن
عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف
والرجاء وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي
إليه أو إيماء بأن الاثنينية تنافي الألوهية كما ذكر الواحد في قوله إنما هو إله واحد للدلالة على أن المقصود إثبات
الوحدانية دون الإلهية أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الإلهية فإياي فارهبون نقل من الغيبة إلى التكلم
مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كأنه قال فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير وله ما في
السموات والأرض خلقا وملكا وله الدين أي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من أنه الإله وحده والحقيق
بأن يرهب منه وقيل واصبا من الوصب أي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء أي وله الجزاء دائما لا ينقطع
ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر أفغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله

وأي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول
فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون
فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق
منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين
كان من للبيان كانه قال فاذا فريق منهم وهم انتم ويجوز ان يكون للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما
نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة
او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على
ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون
اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها
تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا
مما رزقناهم من الزرع والانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها
وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب
بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء
واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام
النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو
كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به
عرفا أيمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب يخفيه فيه ويئده وتذكير
الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما ألا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم
للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور
استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى

وهم كفاركم بعبادة غيره ٤
وفي نسخة اخرى اذا فريق منكم
وهم كفاركم بربهم يشركون
بعبادة غيره
ليكفروا بما آتيناهم ٤

روى الاصمعي ان اعرابية ولدت بنتا سمتها الذلفاء فهجرها زوجها فقالت
ما لابي الذلفاء لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ان لا نلد البنينا ليس لنا من امرنا ما شينا
وانما نأخذ ما يعطينا

المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة
ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر
لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره
بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا
او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبياء
عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه
لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف ألسنتهم
الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ
الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر
الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من
التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على
قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان
يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان
للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم
والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام
الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين
والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها
ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها
من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده هاهنا

للفظ وانثه في سورة المومنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية
على افعال كاخلاق واكباش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها
او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح من بين
فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو
الاشياء المنهضمة المأكولة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا
اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد
ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل
الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها
فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين
وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق
به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة
على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه
الى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط
والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما
يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها
والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهي
متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا
لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا
للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب
متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا
استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي

ومن ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا استئناف لبيان الاسقاء
او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل ثمر تتخذون منه وتذكير
الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر
سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة
على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام
سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم بالنظر والتامل في الآيات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى
النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير
على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في
كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل
فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق
المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرا
ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها
فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او
فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك
ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير
في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل الى خطاب
الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما
يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في باطنها عسلا ثم
تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها
في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض

واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية
او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض
ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي
بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله
وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن اي فيما بين الله من احوال
النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة
حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم بآجال مختلفة
ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل
وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية خمس و
في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه العمر ع
تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم
ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم
فقير ومنكم موالي ومتولون رزقهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي
رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم
فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان يكون
واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد
وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما
انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم فيساووهم ع
الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود
معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من
جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة

واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان
على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات
من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام
تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام
او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب
به والا فبدل منه ولا يستطيعون ان يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد اذا ع
في معنى الالهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد
فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله
يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما
تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه
فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون
ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء
ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز
عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء
واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين
الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن
الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون
وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من نكرة موصوفة ليطابق عبدا وجمع
الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا
عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله

مثلا رجلين أحدهما أبكم ولد أخرس لا يَفهم ولا يُفهم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله
وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي أمره أينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في أمر وقرئ يوجه على البناء
للمفعول ويوجّه بمعنى يتوجه كقوله أينما أوجه ألق سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم
هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل
الشامل لمجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه إلى مطلب إلا
ويبلغه بأقرب سعي وإنما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لأنهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه
وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها أو للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والأرض يختص به علمه لا يعلمه
غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بأن لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فإن علمه غائب
عن أهل السموات والأرض وما أمر الساعة وما أمر قيام الساعة في سرعته وسهولته إلا كلمح البصر إلا كرجع الطرف
من أعلى الحدقة إلى أسفلها أو هو أقرب أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي
تبتدئ فيه فإنه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن وأو للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه أن قيام
الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب مبالغة في استقرابه
إن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يحيي الخلائق دفعة كما قدر أن أحياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله
أخرجكم من بطون أمهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على أنه لغة أو اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم
والهاء مزيدة مثلها في إهراق لا تعلمون شيئا جاهلين مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع
والأبصار والأفئدة أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها ثم تتنبهون
بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الإحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل
العلوم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما أنعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه ألم
يروا إلى الطير قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على أنه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما
خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الأرض ما يمسكهن فيه
إلا الله فإن ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها إن في ذلك لآيات

تسخير الطير للطيران بأن خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها في الهواء
على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لأنهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه
وقت إقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا هي القباب
المتخذة من الأدم ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فإنها من حيث إنها نابتة على جلودها
يصدق عليها أنها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت
ترحالكم ويوم إقامتكم وضعها أو ضربها وقت الحضر أو النزول وقرأ الحجازيان والبصري يوم ظعَنكم بالفتح
وهو لغة ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها الصوف للضائنة والوبر للإبل والشعر للمعز وإضافتها إلى
ضمير الأنعام لأنها من جملتها أثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به إلى حين إلى مدة من الزمان فإنها لصلابتها
تبقى مدة مديدة أو إلى حين مماتكم أو إلى أن تقضوا منه أوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل
والأبنية وغيرها ظلالا تتقون بها حر الشمس وجعل لكم من الجبال أكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف
والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر
خصه بالذكر اكتفاء بأحد الضدين أو لأن وقايته هي الأهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع
والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كما أتم هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون
أي تنظرون في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تَسلَمون من السلامة أي تشكرون فتسلمون
من العذاب أو تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فإن تولوا أعرضوا
ولم يقبلوا منك فإنما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فإنما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من إقامة السبب مقام
المسبب يعرفون نعمة الله أي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها
وبأنها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم إنها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا أو بإعراضهم عن
أداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم أنكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد
الإنكار بعد المعرفة وأكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الأكثر إما لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان
العقل أو التفريط في النظر أو لم تقم عليه الحجة لأنه لم يبلغ حد التكليف وإما لأنه يقام مقام الكل في قوله بل أكثرهم لا يعلمون

ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار
اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط
الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضا
وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب
عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم
التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا
ندعو من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس ان يشطر عذابهم فالقوا
اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا
اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر
والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا
الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا
يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون
بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة
بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استئناف او حال باضمار
قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس
وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في
الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر
والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين
البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او الكيفية كما قال
عليه الصلوة والسلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى

واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة
القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية
والبغي والاستعلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان
شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي
الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن
غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا
عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله
يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل
كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان
ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض
الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق
بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه
على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل
ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من
الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شانها متخذي
ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة
بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم
وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما
يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء
بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل

للامر بالوفاء وليبيننّ لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء
الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن
عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا
ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحّد ونكّر للدلالة
على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله
بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم
في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت
قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا
والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض
الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل
على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف
باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم
من عمل صالحا من ذكر او انثى بيّنه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة
في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش
عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظ وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ
بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرأت القرآن
اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسئل الله ان يعيذك
من وساوسه كيلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ
في كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه
ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرئيل

عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على
اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة
لئلا يتوهم ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به او بسبب الشيطان
مشركون واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم
بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة
يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة
انما انت مفتر متقول على الله تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض
لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة
الاحكام ولا يميزون الخطاء من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبرئيل عليه السلام واضافة
الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي
ينزل وتركه تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق
ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما
فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين
لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك
لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي
غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد
العزى وقد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي
لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون
بفتح الياء لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة
والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي
لا يفهمه

الابهام مؤولا التهم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وهب انه تعلم
المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار
المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم
فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره
على كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على
غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى
سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اماط شبهتهم
ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون
عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون
على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب
او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه
بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبين
او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ثم فهو مرفوع او منصوب بالذم او شرط محذوف الجواب
الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه
مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر
صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه
روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة
في قبلها وقالوا انك اسلمت لاجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام
واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ
ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز

التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة
الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه
وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق
فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة
بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات
الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فأبت عن ادراك
الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن
تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم
الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم
لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي
اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق
ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم منعم عليهم مجازاة
على ما صنعوا بعد يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها
وتسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما
عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم
انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها
خوف يأتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه
جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع و
الخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت

لعمكه ذهاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى
عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي
عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر
استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد
جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلوات الله وسلامه عليه والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما
ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب
ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل
لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب
الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله ان
كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته انما
حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم
لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن
التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا الاية وسياق ومقتضى الكلام
وصدر الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع والحمر
الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على
ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او معمول
لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام
لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف
السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كان مجهولة والسنتهم
تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها

تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة
وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنه الفلاح وبينه بقوله
متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الاخرة
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
حيث فعلوا ما عوقبوا به وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون
للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه
وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا
ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابرهيم كان
امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله وليس على الله بمستنكر
ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم
الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة
وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة
والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته
لقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك
من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابرهيم صلوات الله عليه شاكرا لانعمه
ذكر بلفظ القلة للتنبيه بانه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه
الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب
الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وانه في الاخرة لمن الصالحين
لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما للتعظيم والتنبيه

ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ملته او لتراخي ايامه ان اتبع ملة
ابرهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلايل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل
احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت
والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا
للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فا
الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا
فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هيهنا لتهديد المشركين
كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة
على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة
المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى
لدعوة خواص الامة الطالبين للحقايق والثانية لدعوة العامة خواص الامة الطالبين للحقايق والكا
لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة
من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتليين شغبهم
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول
الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بالمخالفة
ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات
والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما راى حمزة وقد
مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على
ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا
على الوجه الاكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر به لرسول الله

صلى الله عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله
الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون
في ضيق صدر من مكرهم وقرا ابن كثير في ضيق وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق
تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع
الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان
له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليستفزونك الى اخر ثمان آيات وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال
قد قلت لما جاءني فخره   سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام
به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعده واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفايدته الدلالة بتنكيره على تقليل
مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به لما روي انه عليه الصلاة والسلام
قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او
من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدا المنتهى لما روي انه كان نايما
في بيت ام هاني بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي
النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به
وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه
على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه
وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال
تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر

لم يوصفوا ولو ما هذا الاسم مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف انه في المنام او في اليقظة بروحه
او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السماوات حتى انتهى الى
سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين
طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل
يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض
وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم
او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد
الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام
ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته
بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم
تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم
البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني
اسرائيل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرا ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا
من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء
ان قرئ لا تتخذوا بالتاء على النهي او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا
يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا
وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام في السفينة
انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه
كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل
واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن في الارض جواب قسم
محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين اولاهما مخالفة احكام

التورية وقتل شعيا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا و
لتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا
عليكم عبادا لنا بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب
اهل نينوى اولي باس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم
وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم
وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية
وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة
عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده
كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من
كان فيها من اتباع بختنصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون
للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان اساتم فلها فان وبالها عليها
وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم
ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرا ابن عامر وحمزة و
ابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون
وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة
على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة
وليتبروا اي ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله
عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس قيل دخل
صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما
صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدا الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم

يحيى

فقال لمن بعده انتم ربكم الى ان قال يا يحيى قد علم ربك ما اصابه قومك من اجلك فاهلكوا باذن الله
قبل ان لا يبقى احد منهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة
ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم
فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين
حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم للحالة او للطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة
اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه بشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب
اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله
وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع
الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض
فسقط روي انه عليه الصلاة والسلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب
فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز
ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار
آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل
بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او
مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر
والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او ذوي آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر
جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التي
هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض

النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما
عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا
فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كأنه
طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح
الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه
لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه
المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك
يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير
الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ يخرج اي الله عز وجل
يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه على البناء للمفعول
من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك
والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم و
ضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع
الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال
او على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا
تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت
ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض
ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه
اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد

صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه

ويلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع

وجعلنا الليل والنهار

في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا
فيها كقولك امرته فقرا فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه
والتسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون
له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته
فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج
وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن
ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امُر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص
المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول
يعني كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها
تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون
بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا
يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان
يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل
له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم
ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير
فيه لله حتى يطابق المشهور وقيل الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين
ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا
له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة وسعى لها
سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون
بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك
معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلاثة كان سعيهم مشكورا

من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من
الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفة
مددا السالفة هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء
ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا
فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال و
وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها
بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى
قعدت كانها حربة او فتعجز من قولك قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا
جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان
الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا بان
لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام و
هو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا
وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود و
التعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا يتقدم عليه اما يبلغن عندك
الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون
المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان
الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون
تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما
تستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي
هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير

قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم الاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذللهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه جنايته اولا لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر

عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر فما ينبغي ان يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك تعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وعنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظر للصلوة فلم يخرج فانزل الله سبحانه وتعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء و

يقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك
انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد
فيه ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا
او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل
البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم
اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم
واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع و
الخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب
وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر
خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه
في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطأ بحذف الهمزة مفتوحا
ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة
فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع
المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل
مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو
الوارث سلطانا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله
مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في
القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة
وقتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب
احدهما انه كان منصورا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما الولي

فان الله ينصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما الذي
يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا
مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي
احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء
واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد
كان مسئولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسأل
الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة بأي
ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا
واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو
رومي معرب واجراؤه مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار
عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير واحسن تأويلا واحسن
عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره
اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب
واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد
من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد
وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه
حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البري بغير
ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه
الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها
هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين
جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا في ثلثتها ضمير كل اي
كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في
عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله

غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه ومنه خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم
وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا
بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ
مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض
لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال
وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك
اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الها آخر وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى عليه السلام كان سيئه يعني المنهي
عنه فان المذكورة مأمورات ومناه وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان
والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها
بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز
ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة
والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث
كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من
الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه
على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله
او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة
الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك
مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات
الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة
اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة
الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها وبتفضيل انفسكم عليه حتى
تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا

كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا
القرآن اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا القرآن واوقعنا
التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا
من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه
قل لو كان معه آلهة كما يقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه
وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر
وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما تنزه به نفسه عن مقالتهم
اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن مقالتهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى
من هو مالك الملك سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه
والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون
فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ
الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع و
الارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان
وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم
الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح
الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة
لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز
اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء انه كان
حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت
القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرأه

ابطال م

المعنى م

امر الرسول ان يخاطب المشركين والثانية م

عليهم مستوراً ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستوراً عن الحس او
بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفي عنهم ان يفهموا ما انزل
الله عليهم من الآيات بعد ما نفي عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق
تقريراً له وبياناً لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح بقوله وجعلنا على قلوبهم
اكنة تكنها وتحول دونها عن الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان
يكون مفعولاً لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه
وفي آذانهم وقراً يمنعهم عن ان يفقهوه عن استماعه ولما كان القرآن معجزاً من حيث
اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك
في القرآن وحده واحداً غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد
وحده ولوا على ادبارهم نفوراً هرباً من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان
يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء
بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به
ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلاً
مسحوراً مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير
للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل
الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلاً يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف
ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن
الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلاً الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون
كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاماً ورفاتاً
وحطاماً ائنا لمبعوثون خلقاً جديداً على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة
الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون

لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقاً مصدر او حال قل كونوا حجارة
او حديداً او خلقاً مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد
شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف
اذا كنتم عظاماً مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل لما
عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم تراباً
وما هو ابعد شيء من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجباً واستهزاء
ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريباً فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر
او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم
فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما
وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين
لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم
وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلاً
وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون
من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن
ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة
بهم يفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً ظاهر
العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما
اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فان
ذلك يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك
عليهم وكيلاً موكولاً اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشراً ونذيراً فدارهم
ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره الله بالعفو وربكم
اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو
رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبرء عن العلائق الجسمانية لا بكثرة
الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي
من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود
زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه
بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه
في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول
ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس او الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض
الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قل ادعوا الذين زعمتم
انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر
عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان
يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة
بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في
الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا
عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين
الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا
الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد

من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة
بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح
فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات
اي بالآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل
او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من
بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة او في موضع الحال والمفعول محذوف
واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او
احاط بقريش يعني اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير
بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به
من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية
حين راى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها
حينئذ ولعله رؤيا راها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما
روي انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا
مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما من بني امية
يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه
باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة
الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها
قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا
ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى
الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها
ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل

الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان
ضارا وقد اوّلت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء
والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف
فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض
ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي اسجد
له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت
علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول
الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري
بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتني الى يوم القيمة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم
وجوابه لاحتنكن ذريته اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم
من احتنك الجراد الارض اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد مع التقرير
او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد
وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤهم
فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء
موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار
فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز
واستخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد
واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب
وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلوة والسلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم
جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت

اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانا اعلم ان ذلك يتسهل له

على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص
ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك
ورجّالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على
ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك
فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزايغة والحرف الذميمة و
الافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء
وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده
والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي على
اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم
الذي يزجي لكم هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح
وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون
اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من
تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم ح تجدونه
في حوائجكم لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه
عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم
في كفران النعمة كقول ذي الرمة ∗ عطاء فتى تمكن في المعالي ∗ فاعرض في المكارم
واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفا
للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان
يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب
البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم وبكم حال او صلة ليخسف وقرا ابن كثير وابو
عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا

يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين تخصيصهم

من الكتب التي وقفها الفقير الى الله

الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه
من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا
لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى
بخلق دواع تلجيكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشي الا
قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم
بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا
بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال
القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب
المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب
والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر
دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وهو ان كل حيوان يتناول طعامه
بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن
من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم
الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم والكرامة والمستثنى
جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسألة
موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل
عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو في افعى او على
ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون
محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس
بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها
فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بامهاتهم

تاج التفاسير للامام ع

جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن
والحسين رضي الله عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب
عمله فاولئك يقرءون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون
من اجورهم ادنى شي وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع
على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان
قوله ومن كان في هذه اعمى الاية ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ
الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا
يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة
وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني
للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل
التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه
واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في
التثنية وقد اما لهما حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف
قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا
نجبى في صلوتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا
باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل
ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها
بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك
في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا
اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي
ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الي

في معنى الجمع وتعليق الرواة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي يع

مفهوم في الآخرة اعمى

اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك
عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه
الصلوة والسلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله
وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات
اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين لمثل هذا الفعل
غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الدنيا وعذابا ضعفا في
الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف
موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة
وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا
وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك
منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا
وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا
مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق
بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو
قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على
جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا تعمل اذا كان معتمدا
ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك
وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من
قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك
كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم
ويدل عليها ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس حين زالت

فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا يستقر
يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك
من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها في لثلث
خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقرآن الفجر وصلوة
الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة
فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة
الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قرآن الفجر كان
مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء
والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده
الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات
الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب
وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان
الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود
للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او
فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده
القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة
لما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال هو المقام الذي اشفع
فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه
على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك
ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه
عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من

بلغنا انه مرض للاستاذ ابي القاسم القشيري رحمه الله ولد مرضا شديدا بحيث ايس منه فشق ذلك على الاستاذ فرأى الحق سبحانه وتعالى في المنام فشكى اليه فقال له الحق تعالى اجمع آيات الشفاء واقرأها عليه او اكتبها في اناء واجعل فيه مشروبا واسقه اياه ففعل ذلك فعوفي الولد وآيات الشفاء في القرآن ست • ويشف صدور قوم مؤمنين • وشفاء لما في الصدور • فيه شفاء للناس • وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين • واذا مرضت فهو يشفين • قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء • ورأيت كثيرا من المشايخ يكتبون هذه الآيات للمريض ويسقاها في الاناء طلبا للعافية طبقات السبكي

مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار
واخراجه منه امنا سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه
وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مَدخل ومَخرج بالفتح
على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله
فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الله وقل جاء الحق
الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل
كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد
فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة
فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من
القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي
للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض
كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا
لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى
بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون
كناية عن الاستكبار لانه من عادة المتكبرين وقرأ ابن عامر وناء على القلب او على انه بمعنى
نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل
كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة
او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا
وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذي

يحيى به بدن انسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير
مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال
عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه
عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس
بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم
امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك
وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه
بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات
المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر
الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح
مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب
كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه
الصلوة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل
نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان
الحكمة الانسانية ان يعلم من الحق والخير ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه
ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين
وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة
للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن
ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده
مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان

يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا
بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه
في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران في البلاغة و
حسن النظم وكمال المعنى لا ياتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل
التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولاه لكان جواب
الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان
به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم ان يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا
وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا
القران من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس
فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول
بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما
لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القران وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرا الكوفيون
ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها
يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء و
هو قطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب
في جميع القران الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما
وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى
مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته

ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة
لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من
الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى
في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه
تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم عليه
او يشاركه احد في القدرة وقرا ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي اي قال الرسول هل كنت
الا بشرا رسولا كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات
اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تتخيروها علي هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل
فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس او لو فتحنا عليهم بابا من
السماء وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول
الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه
لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقران الا انكارهم ان يرسل الله بشرا
قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو ادم مطمئنين
ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي
منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع
من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به
وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم باظهار
المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا
نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها
والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار
ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم

يوم القيامة على وجوههم يسحبون عليها أو يمشون بها روي أنه قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على
أن يمشيهم على وجوههم عمياً وبكماً وصماً لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم لأنهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن
استماع الحق وأبوا أن ينطقوا بالصدق ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف
إلى النار مؤفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بأن أكلت
جلودهم ولحومهم زدناهم سعيراً توقداً بأن نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة
مستعرة كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الإعادة
والإفناء وإليه أشار بقوله ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاماً
ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً لأن الإشارة إلى ما تقدم من عذابهم أولم يروا
أولم يعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم فإنهم
ليسوا أشد خلقاً منهن ولا الإعادة أصعب عليه من الإبداء وجعل لهم أجلاً لا
ريب فيه هو الموت أو القيامة فأبى الظالمون مع وضوح الحق إلا كفوراً إلا
جحوداً قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر
نعمه وأنتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة
هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الإيجاز والدلالة على الاختصاص إذاً لأمسكتم
خشية الإنفاق لبخلتم مخافة النفاد بالإنفاق إذ لا أحد إلا ويختار النفع لنفسه
ولو آثر غيره بشيء فإنما يؤثره لعوض يفوقه فهو إذاً بخيل بالإضافة إلى جود
الله تعالى وكرمه هذا وإن البخلاء أغلب فيهم وكان الإنسان قتوراً بخيلاً لأن
بناء أمره على الحاجة والضنة بما يحتاج إليه وملاحظة العوض فيما يبذله ولقد
آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع

والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني إسرائيل وقيل الطوفان
والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الأخيرة وعن صفوان أن يهودياً سأل النبي
صلى الله عليه وسلم عنها فقال أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى ذي
سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود
أن لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات
الأحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لأنها تدل على حال من
يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود
أن لا تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسأل
بني إسرائيل إذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك أو سلهم عن حال
دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضي بغير همز
وهو لغة قريش وإذ متعلق بقلنا أو سال على هذه القراءة أو فاسأل يا محمد بني إسرائيل
عما جرى بين موسى وفرعون إذ جاءهم أو عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك أو
لتتسلى نفسك أو لتعلم أنه تعالى لو أتى بما اقترحوا لأصروا على العناد والمكابرة
كمن قبلهم أو ليزداد يقينك لأن تظاهر الأدلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة
القلب وعلى هذا كان إذ نصباً بآتينا أو بإضمار يخبروك على أنه جواب الأمر أو
بإضمار اذكر على الاستئناف فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً سحرت
فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على إخباره عن نفسه
ما أنزل هؤلاء يعني الآيات إلا رب السموات والأرض بصائر بينات تبصرك
صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً مصروفاً
عن الخير مطبوعاً على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما صرفك أو هالكاً قارع ظنه

بطلقه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين
من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة
فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض
مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا
فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون
واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة
الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين
اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل
شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل
عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول
الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اولا
واخرا وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب
فلا عليك الا التبشير والانذار وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه
الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه
فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقراه على الناس على مكث على مهل وتؤدة
فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على
حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم
عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم
تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قراوا الكتب السابقة
وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او راوا
نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية

كأنه

كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى
عليهم القران يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا
لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل و
انزال القران عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الموعد ان كان وعد ربنا لمفعولا
انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال و
السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران
حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه
الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران خشوعا
كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد
الهين وهو يدعو الها اخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره
الله في التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على
ذات واحد وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي
هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود
وهو اجوب لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الاية بمعنى
التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير و
التنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير
في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعو فهو حسن
فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها
حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك
حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حيث

لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا
فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول
اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان
واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا
وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها
وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه
من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن
غير جنسه اختيارا واضطرارا او ما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه
الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق
وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره
تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة
والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه الصلوة
والسلام اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام
من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة
والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وقيل الا قوله
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على
عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم
نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح
المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف

باختلال في

في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان
قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا
بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره
جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال
دون العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف
عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا
شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق
له من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال كاسكان الباء من سبع مع الاشمام
ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر
ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا
بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم
اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب
او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون
الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه
ولا لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر
لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه
الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية تخرج
من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم
والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص
بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا

كفروا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما داخله من
الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم و
قرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتاسف
عليهم او متاسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على الا فلا
يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان
والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو
من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه
تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد
فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها
من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت
بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من
آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع
الفائتة للحصر على طبايع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة
واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف
الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم
او كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم
في الكهف همدا او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت
على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون
لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال
احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت
اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل

اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت
به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال
ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت
ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء وقال آخر كان في
فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امراة فطلبت مني معروفا فقلت والله
ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال
اجيبي له واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها
ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم
اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا
فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان وكانت لي غنم
وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح
حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما
فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته
لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير
اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس
على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب
لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن
عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا
كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا
على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات
فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امراته في الكهف سنين ظرفان

عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة
لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا
لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم
احصى لما لبثوا امدا ضبط امد زمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق
عنه لنعلم فهو مبتدا واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا
حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا
تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى
للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا
بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان
جمع فتى كصبي وصبية امنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على
قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراة على
اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا
رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله
لقد قلنا قولا ذا شطط ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا
عطف بيانه اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى انكار
لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر
فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود
وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك
اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير
المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون
الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان يكون ما مصدرية على تقدير

واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان يكون نافية على انه اخبار من الله
عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف
ينشر لكم يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم
مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون به وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم
بفضل الله وقرا نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا
كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او لكل احد اذا طلعت تزاور تميل عنه ولا يقع شعاعها
عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله زورها عنهم واصله تتزاور
فادغمت التاء في الزاي وقرا الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور
كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة
اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم و
تصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه
اي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء
ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة
بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس
السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة
لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع
عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من ايات الله اي شانهم وايواؤهم الى الكهف
او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من اياته من يهد
الله بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه
على ان امثال هذه الايات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتامل فيها والاستبصار

بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا
لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين
وذات الشمال كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم
بالياء والضمير لله وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى
تقلبهم بالتاء وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى انا احب
احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده
قراءة من قرأ وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية و
لذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل
العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت
منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال
ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم
وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معوية انه غزا الروم فمر بالكهف
فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه
ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت
منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ
الحجازيان لملّئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا
بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا
بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا
على كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم
كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي
مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون

ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا
ظهيرة وظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم و
اشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا
فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها
وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام
القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين
على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر
ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه
وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن
بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم
او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم
في ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على
دينهم فامنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم
وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان
وعد الله بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال
من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها
فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل و
التفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان
يحشر ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين
يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة و
بعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية

حين أماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم أول مرة أو قالت طائفة
نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا
يصلى فيه كما قال تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا
على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم أعلم بهم اعتراض إما من الله ردا
على الخائضين في أمرهم من أولئك المتنازعين أو من المتنازعين فيهم على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم أو من المتنازعين للرد إلى الله بعدما تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام
في أنسابهم وأحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك روي أن المبعوث لما دخل السوق و
أخرج الدرهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به إلى
الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم إن آباءنا أخبرونا
أن فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك وأهل المدينة
من مؤمن وكافر وأبصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك
به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف
وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا إلى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى أدخل أولا
لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا سيقولون أي الخائضون
في قصتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة
رابعهم كلبهم أي هم ثلاثة أشخاص يربعهم كلبهم بانضمامه إليهم قيل هو قول اليهود
وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم
كلبهم قاله النصارى أو العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون
رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه وإتيانا به أو ظنا بالغيب من قولهم
رجم بالظن إذا ظن وإنما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم إنما قاله المسلمون بإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عن جبريل

عليه السلام وإيماء الله تعالى إليه بأن أتبعه قوله قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل
وأتبع الأولين قوله رجما بالغيب وبأن أثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر أقوال الطوائف
في الثلاثة المذكورة فإن عدم إيراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع أن الأصل
ينفيه ثم رد الأولين بأن أتبعهما رجما بالغيب ليتعين الثالث وبأن أدخل فيه الواو
على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة
بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر
وأسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك ومرنوش
ودبرنوش وشاذنوش عن يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي
فاتبعهم واسم كلبهم قطمير [illegible] الأقوال المتقدمة أهل الكتاب
والقليل منهم فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا فلا تجادل في شأن الفتية إلا جدالا ظاهرا
غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم
ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فإن فيما
أوحي إليك لمندوحة عن غيره مع أنه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح
المسؤول عنه وتزييف ما عنده فإنه مخل بمكارم الأخلاق ولا تقولن لشيء إني
فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله يعني تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود
لقريش سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني
غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه و
كذبته قريش والاستثناء من النهي أي لا تقولن لأجل شيء تعزم عليه إني فاعل له
فيما يستقبل إلا بأن يشاء الله أي إلا ملتبسا بمشيئته قائلا إن شاء الله أو إلا وقت أن يشاء
الله أن تقوله بمعنى أن يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لأن استثناء اقتران
المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها ينافي النهي واذكر ربك

ربك وقل ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس
ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه
اذ لو صح ذلك لم يتقرر طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان
الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز
ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في
الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك
او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي
لاقرب من هذا رشدا لشيء اقرب واظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب
الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه ايامهم و
الاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة
او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين و
ازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل
قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدتهم فقال بعضهم
ثلثمائة وتسع سنين وقرا حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع
الجمع موضع الواحد ويحسنه هاهنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد
وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلثمائة
قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما
فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره
في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا
يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود
الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر

اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة
له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل
ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت
للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي يتولى امورهم
ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرا ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء
والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف
من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انه وحي
معجز امره ان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب
ربك من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد
يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت
به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع
اوقاتهم او في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون
اللام فيه على تاويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا
يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وعلا ولا تعد عينيك
ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم ان يزدري
بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء
تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في
غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف
في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له
الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه
ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمتركة

لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه
ومن اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ككلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان احتجوا
على ان المراد ليس ظاهر ما ذكره واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ و
اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة
وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم
للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى
ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
لا ابالي بايمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان
بمشيته فمشيته ليست بمشيته انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم
سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي
تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا
من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو
على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط
حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل والضمير في الكاف بئس الشراب
المهل وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد
وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي
الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغني
عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه
الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا و
عملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار وما بينهما اعتراض

قلبه م

الفسطاط هو الخيمة
الحجرة كل مكان
محجور ٤

كالجسد ق

وعلى الاول استيناف لبيان الاجر او خبران يحلون فيها من اساور من ذهب
من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها للتعظيم حسنها من الاحاطة
به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن
الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه
جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك
على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك
مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا الكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين
او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن قيل اسمه يهوذا
ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها
المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل لهما اخوان من
بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاشد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام
سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب من
الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا
النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا اطافوا به وحففته
بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما
وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن
والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا ولم تظلم
منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص
في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب
وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره فقال
لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز

قرطوس م

بستانين ص

وقرئ كل الجنتين اتى اكله ص

وقرا عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره ح

نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه
يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهي ما متع به من
الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال
كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم
لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا اي تفنى هذه الجنة
ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن
رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان
والشامي منهما اي الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على
ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه
اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة
لانه اصل مادتك او مادة اصلك من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم
عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان
منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من
التراب فان من قدر على خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي اصله
لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ
ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل
مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة
خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والراجع منها اليه ضميره والاستدراك
من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ لكن هو الله ربي ولكن
انا لا اله الا هو ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت
عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي

شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله
ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك
والقدرة لله تعالى وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن
انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول
وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا دليل
لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الآخرة
لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي
جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير
بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق
عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر
وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره
واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به
العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى
عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا
وهي خاوية على عروشها على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب
لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا
على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت الكروم فوقها
ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه
تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك
الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن

ساقطة م
عروشها على الارض سقطت م
اتي م

له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء المقدم ينصرونه يقدرون على نصره بدفع
الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك
وحده وما كان منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك
المقام وتلك الحالة الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره
تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة
كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا
اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك
اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله واذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني
لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة
وقرأ ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب
على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها
بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما تشبه الحيوة
الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز
ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في
النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان
كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما
مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به
ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون
اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء

والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه و
تفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد
الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين
ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبها ينال بها في الاخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم نسير
الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز
عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى
الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرأ ترى على البناء
للمفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق
الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون
الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه
الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال
الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد
احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما
خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء
كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور
وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف
الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى
المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي
هلكوا بها من بين الهلكات ما لهذا الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة

ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا
يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال
وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين
حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل
الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير
وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا
مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن حال باضمار قد او استئناف للتعليل كانه قيل
ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود و
الفاء للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان
جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد
منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا
اولياء من دوني وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين
بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي
احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض
ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا
اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة
من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير
ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق
ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون
فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني

ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين
على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا كالخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول
اي الله للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم
من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته
فدعوهم فنادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا
مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر لا يكن حبك كلفا ولا
بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا
تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها
مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد
صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان
اكثر شيء جدلا يتأتى منه الجدل خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس
ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ويستغفروا
ربهم ومن الاستغفار من الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان
تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او
يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا وهو لغة فيه او جمع
قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا
وقبيلا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات
والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق
عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر
مثلنا لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما انذروا وانذارهم

وعضدا بالاتباع

بفتحتين

او والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرأ حمزة هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ به
ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما
قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتهما انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل
لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير
الضمير وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم ان يسمعوه حق استماعه وان تدعهم
الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون
واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم
فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف
بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بامهال قريش
مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر
لن يجدوا من دونه موئلا منجا يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى
عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر يفسره و
القرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا
كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقت
معلوم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا
بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام
حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه
يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك
سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح اي لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله
وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه
ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف

المضاف

المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا
ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين
ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى
وخضر عليهما الصلاة والسلام فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن
وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير
زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان
امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة
وقيل سبعون روي ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله
مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله تعالى
اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان
على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل موسى سأل ربه اي
عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم
قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده
عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال
اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل
فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا
يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع
او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له
ما رأى من حياته ووقوعه في البحر روي ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي
ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء
عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر

فاتخذ

بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله
وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه
على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع
البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب
حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب
وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارايت
اذ اوينا ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى
وقيل هي الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت
فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ
ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت
عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه
بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب
القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما للنفس
او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان
واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول
الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى
في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت
في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب
فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي
يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور

على انه

الغداء ما يعد للاكل اول النهار والعشاء آخره كوكسي

على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا
هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم
الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على ان تعلمني وهو في موضع الحال
من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين
وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت العائد المحذوف
وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك
او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره
ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل
اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية
التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان
يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا
نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم
وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي وكيف
تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك
وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا
معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا
وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشية اما للتيمن او لعلمه بصعوبة
الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف فيه
دليل على العباد واقعة بمشية الله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا
تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا
حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون المثقلة فانطلقا على

ان افعال

الرشد والرشد من باب علم ونصر

الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق
السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب
لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرّق بالتشديد للتكثير وقرا حمزة
والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من
امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال
لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني
اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع
لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة
وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا
ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر
علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه
اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما
فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه و
الفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير تروٍّ [illegible] الذنوب وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو فالزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت
ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت
ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح
حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء
واعتراض موسى مستأنفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء
لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك
فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرا نافع في رواية قالون وورش
وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع

معي صبرا زاد لك فيه مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر
لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة
قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي
فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث
مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث
مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرا نافع من لدني بتحريك النون واسكان الدال
كاسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة البصرة
وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيّفوهما وقرئ يضيفوهما وقرئ
من ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيّفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف
السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت
الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن
دماء بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من
قضضته اذا كسرته وقرئ ان ينقاض بالصاد المهملة من انقاضت السن اذا انشقت
طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال
لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول
لما في لو من النفي كانه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ
افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان
لتخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق
بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت
اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة
المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا

بالخبر الباطن فيما لم تستطع عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل
سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى
وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراهم
ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن
جلندى الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت
ان اعيبها عن قوله وكان وراهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما
قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه
على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة
صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما
طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت
واحد مومنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره
حبا وانما خشي ذلك لان الله تع اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة
الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان
فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف
ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول
الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة
طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل
ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرا نافع
وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التميز و
العامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل

اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة
روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي
زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب
فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل و
عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول
الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب
الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان
يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة
اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ
الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف
حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رايته عن امري
عن رايي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب
تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة
ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه
القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه
وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على
جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسئلونك عن ذي القرنين
يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا
القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه
قرنان من الناس وقيل كان قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل

انه لقب به لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته
مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سالوه امتحانا او مشركوا مكة
قل سأتلو عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله انا مكنا له
في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه
من كل شيء سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا فاراد بلوغ
المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب
في عين حمئة ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة
ولا تنافي بينهما لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة
عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره
غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس
سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب
قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل
كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان
يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل
والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف
نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته
فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا
ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله
واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته
الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال
اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه

حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون
اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول
لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان
غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا يسرا مما نأمر به يسرا سهلا غير شاق
وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق
حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة
الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان
ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اي امر
ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسط الملك او امره فيهم كامره في اهل
المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او
نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر
والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق
بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف
الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من
الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما
جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك
منيفان من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر
ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح
لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس
وبين ها هنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون

يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي لا يُفقِهون اي لا يُفهمون
السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجمهم وفي
مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد
يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان
بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اجّ الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم و
منع الصرف للتعريف والتانيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل
والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون في الربيع فلا يتركون اخضر الا
اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا على
جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال
وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا
يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال
ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي
من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اي
بقوة فعلة او بما اتقوى به من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا
وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع آتوني زبر
الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على
المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين
موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير
ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين
بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم
الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف

وهو

وهو الميل لان كلا منهما منعدل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال
للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء
قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين
المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول
افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة الالف فما اسطاعوا
بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين ساكنين
على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه
وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته وقيل حفر للاساس حتى بلغ
الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب
والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب
النحاس المذاب في تجاويفها قال هذا هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة
من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام
الساعة بان شارف يوم القيامة جعله دكاء مدكوكا مبسوطا مستوى بالارض
مصدر بمعنى المفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء
بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول
ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض يزدحمون في البلاد او يموج
بعض الخلق في بعض ويضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده
ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم
يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء
عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون

سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع
السمع اذا صيح به وهولاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا
افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني
اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف
الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا
اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت
اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين
نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما
يستحقرونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من
اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل
لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم واخرتهم ومحله الرفع على الخبر
المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات
ربهم بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما
هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيامة
وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به
اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز
ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم
خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي
بسبب ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس
نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله

واصله البستان سبق في حكم الله ووعده البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين
فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه
انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم
ما تمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته
لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها
غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة
لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا
للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة
وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب
نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون
وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحي
الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يامل
لقاءه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه
او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه الصلوة والسلام ان الله لا يقبل
ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلوة والسلام اتقوا الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما
التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأها عند
مضجعه كان له نور في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون
عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت
المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلوة والسلام

من قرا سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الي قدمه ومن قراها كلها
كانت له نورا من الارض الي السما والله اعلم بالصواب تم النصف الاول
بحمد الله تعالى وفضله

سورة مريم مكية الا آية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص

امال ابو عمرو الها لان الفات اسما التهجي يات وابن عامر وحمزة اليا والكسائي
وابو بكر كليهما ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القرآن فانه
مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدا حذف
خبره اي فيما يتلي عليك ذكرها وقرئ ذكّر رحمة علي الماضي وذكّر علي
الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر علي ان الرحمة فاعله علي الاتساع كقولك
ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادي ربه ندا خفيا لان
الاخفا والجهر عند الله سيان وفي الاخفا اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا
يلام علي طلب الولد في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان
ضعف الهرم اخفي صوته واختلف في سنه ح فقيل ستون وقيل سبعون
وخمس وسبعون وخمس وثمانون قال رب اني وهن العظم مني تفسير للندا
والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب
ما فيه فاذا وهن كان ما وراه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ
وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلث واشتعل الراس شيبا شبه الشيب
في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرجه
مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الي الراس الذي هو مكان الشيب مبالغة
وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفي باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب

تعين المراد يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي
وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه علي ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته
معتادة وانه تعالى عوّده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه واني
خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته علي امته
ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح اليا وهو متعلق
بمحذوف او بمعني الموالي اي خفت فعل الموالي من ورائي او الذين يلون الامر من ورائي
وقرئ خفّت الموالي من ورائي اي قلّوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او خفّوا ودرجوا
قدامي فعلي هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امراتي عاقرا لا تلد فهب لي
من لدنك فان مثله لا يرجي الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامراتي لا نصلح للولادة
وليا من صلبي يرثني ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي
علي انهما جواب الدعا والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبيا لا يورثون المال وقيل
يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما
السلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا او عمران بن ماثان من نسل سليمن وقرئ يرثني
وارث آل يعقوب علي الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير لصغره ووارث
من آل يعقوب علي انه فاعل يرثني وهذا يسمي التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور
اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه
يحيي جواب لندائه دعا ووعد باجابة دعائه وانما تولي تسميته تشريفا له لم نجعل له من
قبل سميا لم يسم احد بيحيي قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمي
وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم له سميا فمنقول عن فعل لان المتماثلين يتشاركان
في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به
لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته قال رب اني يكون لي غلام وكانت

امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتوو كقعود
فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية
وادغمت وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته
وان الوسايط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا
له كذلك الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة
الى مبهم يفسره هو علي هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو علي هين اي الامر كما قلت
او كما وعدت وهو على ذلك يهون علي او كما وعدت وهو علي هين لا احتاج فيما
اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل
ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء قال رب
اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال
سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران
للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن
فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا
وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار
ولعله كان مامورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه وان تحتمل ان تكون مصدرية
وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار
بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في
صباه واستنبأه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه
وغيرهما عطف على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به
على ابويه وغيرهما عطف على الحكم او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا
مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي

ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب
القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار واهوال القيمة واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني
قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او
بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف
مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني فيكون بدلا لا محالة من اهلها
مكانا شرقيا في بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا
ظرف او مفعول لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا
فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة
بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت
فبينما هي في مغتسلها اتاها جبريل متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستانس
بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية
عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه
ما قبله اي فاني عائذة منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة
اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول
ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع و
يجوز ان يكون حكاية لقول الله سبحانه ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب
بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير و
الصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات
انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف
قوله ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين
اتباعا ولذلك لم يلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم يلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب

كطالق ثم قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اي نفعل ذلك لنجعله او لنبين
به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات آية للناس علامة
لهم وبرهانا علي كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا
تعلق به قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقيا بان تقضي
ويفعل لكونه آية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت
مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية
غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد
حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم
والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل
وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجاءها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء
لكنه خص به في الاستعمال كاتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر
مخضت المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد
عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس
لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن
ثم غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها
ما يسكن روعها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت
يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر وابو بكر مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب
ونظيره الذبح لما يذبح وقرا حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به
وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث
لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها عيسى وقيل جبرئيل كان

يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من
تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة ان لا تحزني
اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا
وقيل سيدا من السرو وهو عيسى وهزي اليك بجذع النخلة وامليه اليك والباء
مزيدة للتاكيد او فعلي الهزبه او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع
تساقط عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرا يعقوب
بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط و
يسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة
يابسة لا راس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها راسا وخوصا
ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور
لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن راها عليه على ان من قدر ان يثمر النخلة
اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه
من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اي من
الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقري
بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه
من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة
ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا فان ترى
آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبات بالحج لتاخي بين الهمزة وبين حرف
اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا
يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة
واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة

والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه قاطع في قطع الطاعن فأتت به مع ولدها
قومها راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت
شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد يا اخت هرون يعنون هرون النبي وكانت
من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما
الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا
قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما
جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الى
عيسى اى كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد
كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او
دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه
اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته آتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني
مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ المضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل
المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا اينما كنت حيث ما
كنت واوصاني وامرني بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس
عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي بارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على
انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اى كلفني برا ويؤيده
القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره
والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا والتعريف للعهد والاظهر
انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه
عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان
العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم اى الذي تقدم نعته هو عيسى

بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق
البرهاني حيث جعله الموصوف باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق الذي
خبر محذوف اى هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير
للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة
الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ
قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره فيشكون او يتنازعون فقالت
اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان
لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم لان من اذا اراد شيئا اوجده بكن
كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ
ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان وان
بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم
اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية
قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله و
نبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه
وجزائه وهو يوم القيامة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة
ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم واذانهم بالكفر
والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى
وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم يأتوننا اى يوم
القيامة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا او التهديد

بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم
وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع
النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمين موضع الضمير اشعارا
بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على
اغفالهم بانه ضلال بين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على
اسائته والمحسن على قلة احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر
الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة
وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم
اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث
الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك وملك او نتوفى الارض ومن عليها
بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون يردون للجزاء واذكر
في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق
به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله اذ قال بدل من ابرهيم
وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة
من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك
كرره لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك
ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج
عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله
بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون
اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام
والانعام العام وهو الخالق الرازق المميت المعاقب المثيب ونبه على ان

العاقل

العاقل ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على
النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة
والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا
لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن
محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما
لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق
بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه
مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة للشيطان من حيث انه الآمر
به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان
مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان
المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه
بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن
فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر
من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب
اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء
همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لادم وذريته منبه
عليها اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة و
غلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدأ
وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم
هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم
او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني مليا عطف على ما دل عليه لارجمنك اي

فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع
ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك
ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار
للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان
بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني
وادعوا ربي واعبده وحده عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي
مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على
ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم
وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من
فارقهم من الكفرة وقيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت
له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه اراد ان
يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا
النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون
عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به
ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء
بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل
واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم
وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان
رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص
واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي
تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه

تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين
وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع
صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة
اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن
من موسى وهو مفعول او بدل هرون عطف بيان له نبيا واذكر في الكتاب اسمعيل
انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب
لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله صابرا
فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان
اولاد ابرهيم كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم
وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تع
وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله
امته فان الانبياء آباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر
في الكتاب ادريس هو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق
ادريس من الدرس يرده منع الصرف نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة
قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة
وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا
ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل
السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى
ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين بيان
للموصول من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعيض
لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية

من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن
ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل عطف على ابرهيم اي من ذرية اسرائيل وكان
منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من
الذرية وممن هدينا ومن جملة من هديناه الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة
اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول
صفته واستيناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما
لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز و
جل وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي
جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ تتلى بالياء لان التانيث غير حقيقي فخلف
من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح
وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها واخروها عن وقتها واتبعوا
الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي
وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس
المشهور فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو
لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل
هو واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على
ان الآية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب
على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم
ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم
ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها
او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف

اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف
اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم
او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده الذي هو الجنة
ماتيا ياتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا
منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون
فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم وتسليم بعضهم على بعض على
الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه
كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه
الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة
والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا
من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقويهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة
اقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا
استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي
كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورّث بالتشديد
وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب
ورجى ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال
المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع
نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل
وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير

للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن او الاحايين
لا ننتقل من مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك
نسيا تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك
وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الآية
حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله و
لطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده
من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان ناسيا
لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما
بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر
لعبادته خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه اي لما عرفت ربك
بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا
تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات
للعبادة فيما يورد عليه من الشدايد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل
تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم
الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل
اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره
لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول
الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك
بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي ابن
خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت أئذا ما
مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلائه

حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل
دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة
عن معنى الحال كما خلصت الهمزة للتوكيد واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها
بحرف الاستقبال اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه
وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمها للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف
وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتامل انا خلقناه من قبل ولم يك
شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد
مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب
يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسم
باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول صلى الله عليه وسلم
والشياطين عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم
من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان
مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة
مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى
السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا
لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم
عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف
للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف جاثون
لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول فان كان المراد
بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة
بهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة

شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم
فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تع يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص
ذلك بالكفرة فالمراد انه تميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ونطرحهم في النار على
الترتيب او ندخل كلا طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه
لان حقه ان يبنى كساير الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة
فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن و
لذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامي وخبره
اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد
او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع
على من كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا
الباء في ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي
او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤسا الشيع
فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وان منكم وما منكم التفات الى الانسان
ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون
وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه الصلوة والسلام سئل عنه فقال
اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد
النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها
مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود
عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه
وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا
فيساقون الى الجنة قرا الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح

الثا اي هناك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان
المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد
تجاثيهم ويبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيآتهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه
وسلم او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي
الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرا ابن
كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى
انهم لما سمعوا الايات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها
اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها
على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر
من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي
اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز
عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي
المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرا نافع وابن عامر ريا على
قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر
رييا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه
محاسن مجموعة ثم بين ان تمتعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل
والنقص ما يكون في الاخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن
مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان
امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله انما نملي لهم ليزدادوا

إنما وكقوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى إذا رأوا ما يوعدون غاية المد
وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير حتى إذا رأوا ما يوعدون
إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإما يوم القيمة
وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بأن
عاينوا الأمر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب
الشرط والجملة محكية بعد حتى وأضعف جندا أي فئة وأنصارا قابل به أحسن نديا
من حيث إن حسن النادي باجتماع وجوه القوم وأعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين
أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله أراد أن يبين أن قصور حظ
المؤمن منها ليس لنقصه بل لأن الله عز وجل أراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف
على فليمدد لأنه في معنى الخبر كأنه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل
له هداية والباقيات الصالحات التي تبقى عائدتها أبد الآباد ويدخل فيها ما قيل
من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير عند ربك
ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها
النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما أشار إليه بقوله وخير مردا والخير
ههنا إما لمجرد الزيادة أو على طريقة قولهم الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره
منه في برده أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا نزلت في عاص ابن وائل كان
لخباب عليه مال فتقاضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال
فإذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فأعطيك ولما كانت الرؤية أقوى سند
الإخبار استعمل أرأيت بمعنى الإخبار والفاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر
عقيب حديث أولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد أو لغة

فيه كالعرب والعرب أطلع الغيب أقد بلغ من عظمة شأنه إلى أن ارتقى إلى علم الغيب
الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا وتألى عليه
أم اتخذ عند الرحمن عهدا أو اتخذ من عالم الغيوب عهدا بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به
إلا بأحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فإن وعد الله
بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على أنه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب
ما يقول سنظهر له أنا كتبنا قوله على طريقة قوله إذا ما انتسبنا لم تلدني أي تبين
أني لم تلدني لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فإن
نفس الكتبة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ونمد له
من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستأهله أو نزيد عذابه ونضاعف له لكفره
وافترائه واستهزائه على الله ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه
ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا
ولد كان له في الدنيا فضلا أن يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه
واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة
إلى الله وشفعاء عنده كلا ردع وإنكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم سيجحد الآلهة
عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا أو سينكر الكفرة لسوء العاقبة
أنهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم
ضدا يؤيد الأول إذا فسر الضد بضد العز أي ويكونون عليهم ذلا أو بضدا لهم
على معنى أنها تكون معونة في عذابهم بأن توقد بها نيرانهم أو جعل الواو للكفرة أي
يكونون كافرين بهم بعد أن كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم
فإنهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه الصلوة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ
كلا بالتنوين على قلب الألف نونا في الوقف قلب ألف الإطلاق في قوله أقلي اللوم

عادٍ أو للقائلين أو على معنى كلّا هذا الرأي كلّا وكلًّا على إضمار فعل يفسّره ما بعده
أي سيجحدون كلّا سيكفرون بعبادتهم ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين بأن
سلّطناهم عليهم أو قيّضنا لهم قرناء تؤزّهم أزًّا تهزّهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات
وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقاويل الكفرة
وتماديهم في الغيّ وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات
المتقدمة فلا تعجل عليهم بأن يهلكوا حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر
الأرض من فسادهم إنّما نعدّ لهم عدًّا أيام آجالهم والمعنى لا تعجل بهلاكهم فإنّه لم يبق
لهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة يوم نحشر المتقين إلى الرحمن إلى ربّهم الذي
غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن ولعلّه لأنّ مساق الكلام
فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدًا وافدين عليه
كما يفد الوفّاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم
إلى جهنّم وردًا عطاشًا فإنّ من يرد الماء لا يرده إلا لعطش أو كالدوابّ التي ترد الماء
لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر القسمين وهو الناصب لليوم
إلّا من اتّخذ عند الرحمن عهدًا إلا من تحلّى بما يستعدّ به ويستأهل أن يشفع للعصاة
من الإيمان والعمل الصالح على ما وعد الله أو إلا من اتّخذ من الله إذنًا فيها كقوله لا تنفع
الشفاعة إلا من أذن له الرحمن من قولهم عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به ومحلّه
الرفع على البدل من الضمير أو النصب على تقدير مضاف أي إلا شفاعة من اتّخذ أو على
الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم إلا من اتّخذ عند الرحمن
عهدًا يستعدّ به أن يشفع له بالإسلام وقالوا اتّخذ الرحمن ولدًا الضمير يحتمل
الوجهين لأنّ هذا لمّا كان مقولًا فيما بين الناس جاز أن ينسب إليهم لقد جئتم شيئًا
إدًّا على الالتفات للمبالغة في الذمّ والتسجيل عليهم بالجرأة على الله والإدّ بالفتح و

الكسر العظيم المنكر والإدّة الشدّة وأدّني الأمر وآدني أثقلني وعظم عليّ تكاد السموات
وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطّرن منه يتشقّقن مرّة بعد أخرى وقرأ أبو عمرو و
ابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب ينفطرن والأول أبلغ لأنّ التفعّل مطاوع فعّل
والانفعال مطاوع فعل ولأنّ أصل التفعّل للتكلّف وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال
هدًّا تهدّ هدًّا أو مهدودة أو لأنّها تهدّ أي تكسر وهو تقرير لكونه إدًّا والمعنى أنّ
هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصوّرت بصورة محسوسة لم تتحمّلها هذه
الأجرام العظام وتفتّتت من شدّتها أو أنّ فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث
لولا حلمه لخرب العالم وبدّد قوائمه غضبًا على من تفوّه بها أن دعوا للرحمن ولدًا
يحتمل النصب على العلّة لتكاد أو لهدًّا على حذف اللام وإفضاء الفعل إليه والجرّ
بإضمار اللام أو بالإبدال من الهاء في منه والرفع على أنّه خبر محذوف تقديره الموجب
لذلك أن دعوا أو فاعل هدًّا أي هدّها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى
سمّى المتعدّي إلى مفعولين وإنّما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكلّ ما دعي له ولدًا
أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادّعى إلى فلان إذا انتسب إليه وما ينبغي
للرحمن أن يتّخذ ولدًا ولا يليق به اتّخاذ الولد ولا يتطلّب له لو طلب مثلًا لأنّه مستحيل
ولعلّ ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للإشعار بأنّ كلّ ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس
من هو مبدأ النعم كلّها ومولي أصولها وفروعها فكيف يمكن أن يتّخذه ولدًا ثم صرّح
به في قوله إن كلّ من في السموات والأرض أي ما منهم إلّا آتي الرحمن عبدًا إلّا وهو
مملوك له يأوي إليه بالعبودية والانقياد وقرئ آتٍ الرحمن على الأصل لقد أحصاهم
حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدّهم
عدًّا عدّ أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فإنّ كلّ شيء عنده بمقدار وكلّهم آتيه يوم
القيامة فردًا منفردًا من الأتباع والأنصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتّخذه ولدًا ولا

بينا سببه لبشرك به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي صلى الله عليه
وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل اني احببت فلانا فاحبه فيحبه اهل
السموات ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا
ممقوتين ح بين الكفرة فوعده ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيامة
حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه
بلسانك بان انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين والباء بمعنى على او على اصله لتضمن
يسرنا معنى انزلنا اي انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر
به قوما لدا اشداء الخصومة آخذين في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم
فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول
صلى الله عليه وسلم على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه
او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب
هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا
وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله
في الدنيا ومن لم يدع الله   سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها
قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده
ابو عمرو لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه
يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار
والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين

ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول
صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى
رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك
المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل
طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك
كتبهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين و
عبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مأول
بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته
مقسما به ولغو ان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار
مبتدأ او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب
بفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد
والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر
وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل
رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا
وان القرآن انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء
المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له
لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موضع
الحال من الكاف او القرآن او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو
صفة القرآن اي ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة لمن يخشى لمن
في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف
منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل

من ذكره ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا ومعنى فلان الشي لا يعلل
بنفسه وبنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء
الحسنى تفخيم لشان المنزل بفرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب
الذي هو عند العقل فبدا بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم وقدم
الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا
تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش
فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير
حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال الرحمن على العرش استوى
له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال
قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب
ذلك باحاطة علمه بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر
بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني
عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه
على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر
ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر
بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المنفرد بها والمتوحد بمقتضاها
فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق صفة لتنزيلا او
الموصفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل
من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ويجوز ان يكون و
نسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان
به والانقياد له من حيث انه كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن

على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان
رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى
الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن
وفضل اسماء الله على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف
المعاني وافضلها وهل اتاك حديث موسى قفى تمهيد نبوته صلى الله عليه
وسلم بقصة موسى عليه السلام ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة
والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل اذ راى
نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عليه
السلام في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور
ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل
الطريق وتفرقت ماشيته اذ راى من جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا
اقيموا مكانكم اني آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس
ابصار ما يؤنس به لعلي آتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد
على النار هدى هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار
الابرار مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما
على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا
انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون
المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه
فلما اتاها اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى
اني انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسره الباقون باضمار القول
او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال

من المتكلم قال إني أنا الله فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت
أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء وهو إشارة إلى أنه عليه
الصلوة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس
المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك أمره بذلك لأن
الحفوة تواضع وأدب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فإنهما
كانتا من جلد حمار غير مدبوغ قلبك من الأهل والمال إنك بالواد المقدس تعليل للأمر باحترام
البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون
بتأويل المكان وقيل هو كثني من الطي مصدر لنودي أو المقدس أي نودي نداءين
أو قدس مرتين وأنا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وإنا اخترناك فاستمع
لما يوحى للذي يوحى إليك أو للوحي واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين إنني
أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير
التوحيد الذي هو منتهى العلم والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل وأقم الصلوة لذكري
خصها بالذكر وأفردها بالأمر للعلة التي أناط بها إقامتها وهو تذكر المعبود وشغل
القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لأن
أذكرك بالثناء أو لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لأوقات
ذكري وهي مواقيت الصلوة أو لذكر صلوتي لما روي أنه عليه الصلوة والسلام
قال من نام عن صلوة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها إن الله تعالى يقول وأقم الصلوة
لذكري إن الساعة آتية كائنة لا محالة أكاد أخفيها أريد إخفاء وقتها أو أقرب
أن أخفيها فلا أقول إنها آتية ولولا ما في الإخبار بإتيانها من اللطف وقطع
الأعذار لما أخبرت به أو أكاد أظهرها من أخفاه إذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة
بالفتح من خفاه إذا أظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية أو بأخفيها على المعنى

الأخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة أو عن الصلوة من لا يؤمن بها نهي الكافر أن
يصد موسى عنها والمراد نهيه أن ينصد عنها كقوله لا أرينك ههنا تنبيها على أن فطرته السليمة
لو خليت بحالها لاختارها ولم تعرض عنها وأنه ينبغي أن يكون راسخا في دينه فإن صد
الكافر إنما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه ميل نفسه إلى اللذات المحسوسة المخدجة
فقصر نظره على غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصده وما تلك بيمينك يا موسى استفهام يتضمن استيقاظا
لما يريه فيها من العجائب بيمينك حال من معنى الإشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير
لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل أتوكأ عليها
أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وأهش بها على غنمي وأخبط الورق
بها على رؤوس غنمي وقرئ أهس وكلاهما من هش الخبز يهش إذا انكسر لهشاشته
وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم أي أنحي عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب أخرى
حاجات أخر مثل أنه كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته وعرض
الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به وإذا قصر الرشا وصله بها وإذا
تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه عليه السلام فهم أن المقصود من السؤال أن
يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة
ووجد منها خصائص أخرى خارقة للعادة مثل أن يشتعل شعبتاها بالليل كالشمع
وتصيران دلوين عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه إذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها
وينضب بنزعها وتورق وتثمر إذا اشتهى ثمرة وركزها علم أن ذلك آيات باهرة ومعجزات
قاهرة أحدثها الله فيها لأجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا
على معنى أنها من جنس العصي تنفع منافع أمثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه
قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ
العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا إلى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار

المنتهي وجمعه اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة
الجان ولذلك قال كانها جان قال خذها ولا تخف فانه لما راها حية تسرع وتبتلع الحجر
والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة
من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده
بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيد
العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع قبل قيل لما قال
له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك
الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي
الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء كانها مشعة من غير سوء من غير عاهة
وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه
اية اخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار
خذ او دونك لنريك من اياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه اية او القصة
اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة اياتنا او مفعول نريك ومن اياتنا
حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الايتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى
وتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره الله بخطب عظيم وامر
جسيم ساله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي
لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام
المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة واحلل عقدة
من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة
ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله
فقالت اسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة

ووضعها

ووضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون
في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد
عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت
سؤلك يا موسى ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب
عن الاول بانه لم يسأل حل عقدته بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب
الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لي
وزيرا من اهلي هرون اخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من
الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برايه
ويلجأ اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة
فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل
وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال او لي ووزيرا وهرون عطف
بيان للوزير او وزيرا ومن اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه
بدل من هرون او مبتدأ خبره اشدد به ازري واشركه في امري على لفظ الامر
وقرأها ابن عامر بلفظ الخبر على انها جواب الامر كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا
فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا
عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به
قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اي مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى
المخبوز والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك في وقت اخر اذ اوحينا
الى امك بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة
كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به
لعظم شانه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي قد

فيه لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف يقال للالقاء والوضع كقوله
تع وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا
فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول
لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب
مخرج الامر والاولى ان تجعل الضماير كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في
البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض ياخذه عدو
لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني
باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته
والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه
الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على راسها مع امراته آسية بنت مزاحم
فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال
والقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا
يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت
اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله
وهو شاطئه لان الماء يسيله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يأول الساحل بجنب
فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك و
العطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل
فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب
وفتح التاء اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف
لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول
هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة

خبره فصادفهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا
انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن هي بفراقك او انت على فراقها
وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك
من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه
بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع
فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك
مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة
الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما
سبق ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين
ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك
غير مستقدم وقته المعين ولا مستاخرا او على مقدار من السن يوحى فيه
الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك
لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه
لنفسه اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ
تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء
الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه
فلا تكرير قيل اوحي الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله
فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة
في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما
لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو
الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع الا بالموت لعله

يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر
ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة
عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار
ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم
ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى
قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام
الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق
الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل
من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي او جني على المعاجلة بالعقاب
ويفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول
فيك بما لا ينبغي لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا انني
معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث
في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر
شي على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا
تم الحفظ فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم
بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم
ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان
بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز
ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك باية من ربك جملة مقررة لما تضمنه
الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الاية وكان معه آيتان لان المراد
اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله

قد جئتكم ببينة فأت باية او لو جئتك بشي مبين والسلام على من اتبع الهدى
وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم انا قد
اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى ان عذاب المشركين على التكذيب
للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول
الامر اهم وانجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اي بعد ما اتياه و
قالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشي فعله
لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون
وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه
ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال
ربنا الذي اعطى كل شي من الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق
كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون به
وقدم المفعول الثاني لانه مقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره
في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف
على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه
ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله
اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات
باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو
الله تع وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله
ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخول عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه قال
فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند
ربي اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب

مثبت فيه وهو اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه
العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في
مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان
على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها
وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل
الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط
علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه
مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي او خبر
لمحذوف او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون مهدا اي كالمهد تتمهدونها وهو
مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك لكم
فيها سبلا وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض
الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به من لفظ الغيبة
الى صيغة المتكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة
والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم
تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض
وانزل من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران
بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة
للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمرضى
ومريض اي متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها
للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول
اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل و

العلف

العلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع
الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول
مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتاليف اجزائكم
المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه
آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على
ان المراد بآياتنا آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام
اراه آياته وعد عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان
والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل
وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان ساحرا لا يقدر ان
يخرج ملكا مثله من ارضه فلناتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا
وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب
مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير
مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من
حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او
باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة
وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بها المصدر ومعنى سوى منتصفا
يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ
ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشورا او يوم النيروز
ويوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الاشهاد
ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على
بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون

على الخطاب لقوله فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم أتى
بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بأن تدعوا آياته سحرا فيسحتكم
بعذاب فيهلككم ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من
الإسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب
فرعون فإنه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا أمرهم بينهم أي
تنازعت السحرة في أمر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام
السحرة وأسروا النجوى بأن موسى إن غلبنا اتبعناه أو تنازعوا واختلفوا فيما
يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله
قالوا إن هذان لساحران تفسير لأسروا النجوى كأنهم تشاوروا في تلفيقه حذرا
أن يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم إن على لغة بلحارث بن كعب فإنهم جعلوا
الألف للتثنية وأعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف و
هذان لساحران خبرها وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما أن اللام
لا تدخل خبر المبتدأ وقيل أصله إنه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه أن المؤكد
باللام لا يليق به الحذف وقرأ أبو عمرو إن هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص
إن هذان على أنها هي المخففة واللام هي الفارقة أو النافية واللام بمعنى إلا
يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى
بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب بإظهار مذهبه وإعلاء دينه لقوله إني أخاف
أن يبدل دينكم وقيل أرادوا أهل طريقتكم وهم بنو إسرائيل فإنهم كانوا أرباب علم
فيما بينهم لقول موسى أرسل معنا بني إسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرافهم
من حيث إنهم قدوة لغيرهم فأجمعوا كيدكم فأزمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف
عنه واحد منكم وقرأ أبو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا

إن كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لأنه أهيب في
صدور الرائين قيل كانوا سبعين ألفا مع كل منهم حبل وعصا وأقبلوا عليه إقبالة
واحدة وقد أفلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى
إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى أي بعد ما أتوا مراعاة للأدب وأن بما بعدها
منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية محذوف أي اختر إلقاءك أولا أو إلقاءنا
أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا قال بل ألقوا مقابلة أدب بأدب وعدم مبالاة بسحرهم وإسعافا
إلى ما أوهموا من الميل إلى البدء بذكر الأول في شقهم وتغيير النظم إلى وجه أبلغ
ولأن يبرزوا ما معهم ويستنفدوا أقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى
أي فألقوا فإذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق أنها أيضا ظرفية تستدعي متعلقا
ينصبها وجملة تضاف إليها لكنها خصت بأن يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة
ابتدائية والمعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم
وذلك بأنهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل إليه أنها تتحرك
وقرأ ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على إسناده إلى ضمير الحبال والعصي وإبدال
أنها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على إسناده إلى الله وتخيل بمعنى تتخيل
فأوجس في نفسه خيفة موسى فأضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة
البشرية أو من أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت إنك أنت الأعلى
تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف
الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل وألق ما في يمينك
أبهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها أي لا تبال بكثرة هذه الأجرام وعظمها فإن في
يمينك ما هو أعظم منها أثرا فألقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى وأصله تتلقف

محذوف احدي التائين وتا المضارعة يحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل
الى المسبب وقرا ابن عامر بالرفع على الحال او الاستيناف وحفص بالجزم والتخفيف
على انه من لقفته بمعنى تلقفته ان ما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر
وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرا حمزة والكسائي سحر بمعنى
ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم
علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر
اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس
ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحري حيث اتى
اي حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقي فتلقف فتحقق عند
السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك
على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا آمنا برب
هرون وموسي قدم هرون لكبر سنه او لروي الآية او لان فرعون ربي موسي
في صغره فلو اقتصر على موسي او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون
على الاستتباع روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له اي لموسي
واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم
في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطاتم على ما فعلتم فلاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسري ومن ابتدائية كان القطع ابتدي
من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لاقطعنها
مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه
تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن
اينا يريد نفسه وموسي لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع

موسي والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شي وقيل رب موسي الذي آمنوا به
اشد عذابا وابقى وادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسي به ويجوز
ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على
ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكم به
انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في الدنيا والآخرة
خير وابقي فهو كالتعليل لما قبله وتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحيوة
الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا
عليه من السحر في معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسي نائما فوجدوه
تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابي الا ان يعارضوه
والله خير وابقي جزاء او خير ثوابا وابقي عقابا انه من يات ربه مجرما
بان يموت على كفره وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيي حيوة
مهناة ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى
المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكي تطهر
من ادناس الكفر والمعاصي والآيات الثلث يحتمل ان يكون من كلام السحرة وان
يكون ابتداء كلام من الله ولقد اوحينا الى موسي ان اسر بعبادي اي من مصر
فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ
من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا
ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف
لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس
كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلي حين ضمت حوالب

وروي ابن ذكوان ... والبزي بتشديد التاء

وقرا قنبل وحفص آمنتم على الخبر والباقون على الاستفهام

غرز الامعا جياعا او لتعدده بعنى بانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال
من المامور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعايد محذوف وقرا حمزة لا
تخف على انه جواب الامر ولا تخشى استينافا اي وانت لا تخشى او عطف عليه
والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى
وانت لا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج بهم اول
الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه
جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة
به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم
فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي
غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي
غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم
للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى اي اضلهم في الدين وما هداهم وهو
تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجا يا بني
اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او
للذين منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم
فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة موسى وانزال التورية عليه
وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم
المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم على الاباحة وقرئ ووعدتكم
ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم
بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله تعالى لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق
فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل

عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ الكسائي
يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما
يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور وما اعجلك
عن قومك يا موسى سوال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة
في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين
وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا بخطى
لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم
بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء
بعهدك يوجب مرضاتك قال فانا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم
بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا
ستماية الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا واضلهم السامري
باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان
ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها
بايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب
كان له عند مقدمه اذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له
عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه
ومقتضى مشيته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة
وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان
منافقا فرجع موسى الى قومه بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية غضبان
عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية
فيها هدى ونور افطال عليكم العهد اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم

ان يحل عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فاخلفتم
موعدي وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من
اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود
بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه
ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول
لنا السامري لما اخلفناه وقرا نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلثها
في الاصل لغات في مصدر ملكت الشي ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا
من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل
استعاروا للعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل
هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها
اثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستامنين وليس للمستامن ان ياخذ
مال الحربي فقذفناها اي في النار فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها روي
انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم
لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم ففعلوا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر
وروح حملنا بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة له خوار
صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به اول ما راه هذا الهكم واله
موسى فنسي اي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري
اي ترك ما كان عليه من اظهار الايمان الا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب
وفيه ضعف لان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ولقد قال لهم هرون من قبل
من قبل رجوع موسى او قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من
الحفرة توهموا ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن

فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ع

لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل
وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول
قال يا هرون اي قال له موسى لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا
تتبعن ان تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تاتي عقبي وتلحقني ولا
مزيدة كما في قوله ما منعك الا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة
عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام
والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي قبض
عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام حديدا خشنا
متصلبا في كل شي فلم يتمالك حين راهم يعبدون العجل اني خشيت ان تقول فرقت
بين بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت
اخلفني في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان
ترجع اليهم فتدارك الامر برايك قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل عليه وقال
له منكرا ما خطبك اي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشي اذا
طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به وقرا حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي علمت
ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني محض
لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم تروه وهو ان جبريل جاءك على فرس
الحياة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل
يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة
من القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع
الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل و
لعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل

اليه لتذهب به الى الطور فتبذتها في الحلي المذابة او في جوف العجل حتى
حيي وكذلك سولت لي نفسي زينته وحسنته الي قال فاذهب فان لك
في الحيوة عقوبة على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فياخذك
الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر
وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفكه الله
وينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرا ابن كثير والبصريان بكسر اللام
اي لن تخلف الوعد اياه وستاتيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو
الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على
حكاية قول الله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته مقيما
فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه
اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد
ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين
في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار
غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا
اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما وسع
علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان
مثلا في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب
على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف
الى المفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص نقص
عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة
لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك

من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار
والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه
عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل
يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه او اثما عظيما خالدين
فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ
وساء لهم يوم القيامة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم
محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت
ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد
معنى يوم ينفخ في الصور وقرا ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما
له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم
يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصّوَر وهو جمع صورة وقد سبق بيان
ذلك ونحشر المجرمين وقرئ ويحشر المجرمون يومئذ زرقا زرق العيون وصفوا
بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العيون وابغضها الى العرب لان الروم كانوا
اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب
السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزرق يتخافتون بينهم يخفضون
اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت و
اخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم
مدة الآخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على
اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة
الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم
رايا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسئلونك

عن الجبال عن مآل امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا
يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض
واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا
خاليا صفصفا مستويا كان اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا
اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت فيها بالقياس الهندسي وثلاثتها احوال مترتبة
فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر
وهو يخص المعاني والامت وهو النتو اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين
للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز
ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل
هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب
الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات
للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت
اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن
او من اعم المفاعيل اي الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن
على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون
من الاذن ومن الاذن ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة
او رضي لاجله قول الشافع في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين
ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط
علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم
لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت

وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي
العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد
خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم
ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات
وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه
بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على
النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد
انزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون
المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين
يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن
فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل
ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده
الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته
في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ
ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه وقل رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل
الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه يقال
تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف
وانما عطف قصة آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل
هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز
عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم راي وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة

تصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء أمره قبل
أن يجرب الأمور شريها وأريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت أحلام
بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب
لأنه أخطأ ولم يتعمده ولم نجد إن كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما
مفعولاه وإن كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما أو متعلق بنجد
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر باذكر أي اذكر حاله في هذا الوقت
ليتبين لك أنه نسي ولم يكن من أولي العزيمة والثبات فسجدوا إلا إبليس
قد سبق القول فيه أبى جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار
وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لأن المعنى أظهر
الإباء عن المطاوعة فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن
سببا لإخراجكما والمراد نهيهما عن أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان إلى إخراجهما
من الجنة فتشقى أفرده بإسناد الشقاء إليه بعد إشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام
شقائه شقاءها من حيث إنه قيم عليها ومحافظة على الفواصل أو لأن المراد بالشقاء
التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله إن لك ألا تجوع فيها ولا
تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فإنه بيان وتذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية
وأقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها
والسعي في تحصيل أعواض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه
بأصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وإن ناب عن إن لكنه ناب من حيث إنه
عامل لا من حيث إنه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على أن امتناع دخول إن عليه
فوسوس إليه الشيطان فأنهى إليه وسوسته قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد
الشجرة التي من أكل منها خلد ولم يمت أصلا فأضافها إلى الخلد وهو الخلود لأنه سببه

بزعمه

بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة أخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو
ورق التين وعصى آدم ربه بأكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب
حيث طلب الخلد بأكل الشجرة أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول
العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل إذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان
والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لأولاده عنها ثم اجتباه ربه
اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبي إلي كذا فاجتباه
فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها وأصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل
توبته لما تاب وهدى إلى الثبات على التوبة والتشبث بأسباب العصمة
قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحوا أو له ولإبليس ولما كانا أصلي
الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو لأمر المعاش كما عليه الناس من
التجاذب والتحارب أو لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد
الأول قوله فإما يأتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل
في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن أعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي
إلى عبادتي فإن له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه
المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لأن مجامع همته ومطامح نظره تكون
إلى أعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن
الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان
كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل
ولو أن أهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار
وقيل عذاب القبر ونحشره قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا

علي محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى اعمى البصر او
القلب ويؤيده الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد
امالهما حمزة والكسائي لان الالف من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول راس الآية ومحل
الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك آياتنا واضحة
نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك اياها اليوم
تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض
عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة وهو الحشر على
العمى وقيل عذاب النار اي والنار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك العيش او منهم
وترك العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات
والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم
من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق
يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون آثار
هلاكهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي
ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان
مثل ما نزل بعاد وثمود لزاما لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به
اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة
واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر
لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب
او يجوز عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل والاجل المسمى لازمين له
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته و
توفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما

ميزك

ميزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها
يعني الظهر والعصر لانهما في آخر النهار او العصر وحده ومن آناء الليل ومن ساعاته
جمع اني بالكسر والقصر وأناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم الزمان
فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة
فكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ
واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه
بلفظ الجمع لامن الالتباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانه
نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان
النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه
الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء
للمفعول اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا
ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير
والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة
الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من
محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ
يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا
الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم
ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في
الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع
وأمر اهلك بالصلوة امره بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره
بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت

نقم

فاذا اشتغلوا واستعينوا بالصبر والصلوة

ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك
نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي
التقوى روي انه عليه الصلوة والسلام اذا اصاب اهله ضر
امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه بآية تدل على صدقه
في ادعاء النبوة او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد بها تعنتا و
عنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة
المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا
شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم
ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة
ما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله
على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم
ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه
من الكتب من حيث انه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه
معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان لما
تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد
على صحتها وقرئ الصحف او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
آياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيامة
وقرئ بالبناء للمفعول قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه
امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي اي
الوسط الجيد وقرئ السواء والسوأى اي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى من

الضلالة

رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما ع

قرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء ع

الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة
بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل
على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي صلى الله عليه
وسلم وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم
بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان
كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تأكيد
للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس
بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون
عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في
معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم على سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر
او صلة ليأتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع
حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي
غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال
من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي
والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه
خبر آخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم
بها الذين ظلموا بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو
لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع

الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون
السحر وانتم تبصرون بأسره في موضع النصب بالاسروا النجوى او مفعول لقول مقدر كأنهم
استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا
منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في
استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قال ربي يعلم القول في السماء والارض
جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى في المبالغة وقرأ حمزة والكسائي
وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يقولون
ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم
هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان
بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم في شأن الرسول
صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية
والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات
اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة
لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه
شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء
وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا
يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا
واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث
انهما من الخوارق فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد
البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال

يتضمن الاتيان بالآية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الآيات
لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان
بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن
قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم يأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل
المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم
في امر النبي عليه الصلوة والسلام ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب
العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون
الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسول
تحقيقا لانهم كانوا ابشارا امثالهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام
وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي
الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف
المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء
والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده
ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن
في ابقائه حكمة كمن سيؤمن واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا
اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك
او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون
وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء
بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشأنا
بعدها بعد هلاك اهلها قوما آخرين مكانهم فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة

عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون
مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة
القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من
ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار
النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسئلون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال
من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا
انا كنا ظالمين لما راوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل
حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع
السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت
تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو
الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية
والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك
لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني
كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود
او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها
مشحونة بضروب البدايع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما
ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال
ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به
ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات
لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها
وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد

على النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان
نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ
اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته
الجد على الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك
القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ
بحيث يشق غشاؤه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه
وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا
ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك
والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه
به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة
وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين عنده
الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه او
المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدا خبره لا يستكبرون
عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار
الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر
منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون
حال من الواو في يسبحون وهو استيناف او حال من ضمير له ام اتخذوا الهة من الارض
صفة لالهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص
هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان
من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم والمبالغة
في ذلك بزيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما الهة الا الله غير الله

وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد
كون الالهة كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء
ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف
والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب
العرش المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير عما يصفون
من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسئل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده
بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسئلون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير
للالهة او للعباد ام اتخذوا من دونه الهة كرره استعظاما لامرهم وتبكيتا واظهارا
لجهلهم او ضما للانكار بما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من
حيث العقل على معنى اوجدوا الهة ينشرون الموتى فاتخذوهم الهة لما وجدوا فيهم
من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة
للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل
على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او النقل فانه لا يصح القول
بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي
وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي
عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال
فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم
وقرئ بالتنوين على الاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو كقبل وبعد وشبههما
بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه
خبر محذوف وسط للتاكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد
واتباع الرسول من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه

استغنى

عليه القدرة وان تخالفت

لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة
مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت
في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد
من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض
القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن
العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول
محله واداته تنبيها على استهجان السبق اليه واليهم وجعل القول العرض به للقائلين
على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ
لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يامرهم
به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة
لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم
ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظمته ومهابته
مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء
والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى
فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
يريد به نفي البنوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي
الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم
يعلموا وقرا ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين
وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز
او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت
الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات واقاليم وقيل

بل عباد

كانتا بحيث الفرجة بينهما مفرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر
والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات
باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من
العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا
من العلماء ومطالعة للكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة
الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض
وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة
من ماء وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه
او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة
كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور
الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا اذا ثبت ان تميد بهم
كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن الالباس
وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا
وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل
منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد
لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او
الفساد او الانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم
عن آياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي
حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير
متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات
كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولك

كساهم

كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء
وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير
لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد افإن مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب
المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت
ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة
المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم
حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة
الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك
الا هزوا ما يتخذونك الا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء
وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد
الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن هم كافرون منكرون فهم
احق بان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص وحيلولة الصلة بينه وبين
الخبر خلق الانسان من عجل كأنه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق
من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك
قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روي انه
نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة
بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه
نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب
او القيامة ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم

لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم
ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي
يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب
بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان
يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا وعلموا بطلان
ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب
لهم ذلك بل تأتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجأة مصدر او حال وقرئ
بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد
او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة
والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او للبغتة ولا هم ينظرون يمهلون
وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن وعد له بان ما
يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه قل يا محمد
للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه ان اراد بكم وفي لفظ
الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم
معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا
الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل ألهم آلهة تمنعهم من
العذاب تجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضراب عن الامر بالسؤال
على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد
لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف بابطال ما اعتقدوه
فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء

وآباءهم

وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم
وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان
ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم
فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل
كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط
المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدي المسلمين افهم الغالبون
رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء
وقرأ ابن عامر ولا تسمع على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على ان
فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم
انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به
لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة
ادنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل
النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي
ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا
عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل توزن بها صحائف الاعمال
وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب
الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيامة
لجزاء يوم القيامة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من
الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقها او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل
اي وان كان العمل او الظلم مثقال حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة
اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب

من اعطيناها فانهم اتوه باعمالهم واتاهم بالجزاء واثبنا بها من الثواب وجئنا بها و
الضمير للمثقال وتانيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على
علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين
اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات
الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع
وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال
من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع
بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون
وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن
مبارك كثير خيره انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا
ابرهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان
له شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون
او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال اني وجهت وكنا
به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال
وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال
لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشانها وتوبيخ على اجلالها
فان التمثال صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية
فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز
ان يأول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها
عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى
عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون

في

في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم الاستناد الى دليل والتقليد ان جاز
فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين
كانهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا ابجد
تقوله ام تلعب به قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب
عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل
وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد
من الشاهدين من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق
الشيء وحققه وتالله وقرئ بالباء وهي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة
منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء
من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا مدبرين
الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول
كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف
وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام
كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه
انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله
كبيرهم فيحجهم او انهم يرجعون الى الكبير فيسالونه عن كاسرها اذ من شان المعبود
ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيده
عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين
بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى
مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له ابرهيم

هو ابرهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فأتوا به على اعين الناس
بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله
او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا أانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم حين احضروه
قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان
غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء
والتبكيت على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق
أانت كتبت هذا فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في
المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابرهيم
وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي انه عليه
الصلوة والسلم قال لابرهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها
صورته فرجعوا الى انفسهم فراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم
انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يبصر ولا ينفع لا من ظلمتموه
بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا
بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا على اعلاه وقرئ
نكسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تامرنا
بسؤالها وهو على ارادة القول قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا
يضركم فانه ينافي الالوهية اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون
تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا
واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا حرقوه لما عجزوا
عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا آلهتكم بالانتقام لها
ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه

الحكاية العبادة بها ما بعد عوانها بانها جادات لا تنفع ولا تضر

اي قويا شديدا ... الازر القوة والشدة

هيون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد
وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة
مطيعة واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه
روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا
فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي
من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة ولم تحرق منه الا وثاقه
فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة
وكف عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة
ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار
بحالها لكنه تعالى دفع اذاها كما ترى في السمندر ويشعر به قوله على ابرهيم وارادوا
به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا
قاطعا على انهم على الباطل وابرهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم
اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى
الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم
التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب
الغالب روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو
اسحق فيختص بيعقوب ولا باس به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين
بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى
بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين
واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله

وفي ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقام ...

ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة
المعوضة باحدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين موحدين
مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما حكمة او نبوة او
فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء او وصفها بصفة اهلها او اسندها
اليها على حذف المضاف واقامته مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين
فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين
الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك
من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم
من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوعه انتصر
اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولعلهما لم يجتمعا
في قوم الا واهلكهم الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع
وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا
لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير
للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها لما روي ان داود حكم بالغنم لصاحب
الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فامر بدفع
الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب
الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا
والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بوجوب
ضمان المتلف ما لا بالليل الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا

عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذا قضى
النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل
الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان
الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه الصلوة والسلام جرح العجماء جبار وكلا
آتينا حكما وعلما دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد
مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان
قوله ففهمناها اظهار ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها صوتا
كبيرا معه على المناجاة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير ومع
متعلقة به او بسخرنا والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على
الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا
وان كان عجبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل اللباس
قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلم او
صفة للبوس لتحصنكم قرأ ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع
وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر
اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان وسخرنا له ولعل اللام
فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في
الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه الريح عاصفة شديدة الهبوب من حيث
انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت
رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته
تجري بامره حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض

التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على
ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفايسها
ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون
ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنايع
الغريبة لقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا
عن امره او يفسدوا على ما تقتضيه جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر
بأني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه
والضر بالفتح شايع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال
وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها
واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد عيص
بن اسحق استنبأه الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت
عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة او سبعا
وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف
او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت
مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة
بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه
اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له منهم نوافل
رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين
ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم
بالاحسان ولا ننساهم واسمعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع
وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل امته او ضعف عمل انبياء زمانه

وثوابهم والكفل يعني بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل من الصابرين
على مشاق التكاليف وشدائد النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة
الآخرة انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم
معصوم عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب
مغاضبا لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم
قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال
فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم
بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه
لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا
او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه
في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه
فسمي ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا
فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت و
البحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك من ان يعجزك شيء اني
كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه و
سلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم
بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلاثة ايام
والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله
فيها بالاخلاص وفي الامام نجي ولذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى
مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون
الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حرف

المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف
اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافي الحرف اللبس وقيل
هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن اخره تخفيفا ورد بانه
لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن اخره وزكريا اذ نادى
ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فان
لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا
له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها و
كانت حردة انهم يعني المتوالدين او المذكورين من الانبيا كانوا يسارعون
في الخيرات يبادرون الى ابواب الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا
ذوي رغب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة و
خائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين او وجلين
الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي احصنت
فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها اي احييناه
في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو بامرنا وحده
او من جهة روحنا جبريل وجعلناها وابنها اي قصتها او حالهما ولذلك
وحد قوله آية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع
ان هذه امتكم اي ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها امة واحدة غير مختلفة
فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب
على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله
لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا
لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بقبح فعلهم

الي

الى غيرهم كأنهم من الفرق المتحزبة الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن بالله ورسوله فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب
كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون
مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها
غير متصور منهم وقرئ وحرم اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة
انهم لا يرجعون رجوعهم الى الجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد
مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون
ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اي وحرام عليها ذلك وهو المذكور في الآية
المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون
حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه
او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة
وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وحتى هي التي يحكى الكلام
بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد
وهم يعني يأجوج ومأجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض
وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذئب وقرئ
بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيامة فاذا هي شاخصة ابصار
الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله
اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط
فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع
الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا
بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان

وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي أنه عليه الصلوة والسلم
لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود
عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام
بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى
الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مأوّلا بمن أو بما يعمه ويدل عليه ما روي أن
ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله فقال
عليه الصلوة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله
إن الذين بيانا للتجوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى
إليها وتهيج به من حصبه يحصبه إذا رماه بالحصباء وقرئ
بسكون الصاد وصفا بالمصدر أنتم لها واردون استئناف أو بدل من حصب
جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على أن ورودهم لأجلها
لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لأن المؤاخذ المعذب لا يكون إلها وكل فيها خالدون
لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير أنين وتنفس شديد وهو من إضافة فعل البعض
إلى الكل للتغليب إن أريد بما يعبدون الأصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول
وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم إن الذين سبقت لهم منا الحسنى
الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق للطاعة أو البشرى بالجنة أولئك عنها
مبعدون لأنهم يرفعون إلى أعلى عليين روي أن عليا رضي الله عنه خطب
وقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد
وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم أقيمت الصلوة فقام يجر رداءه و
يقول لا يسمعون حسيسها وهو بدل من مبعدون أو حال من ضميره سيق
للمبالغة في إبعادهم عنها والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت أنفسهم

خالدون دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به
لا يحزنهم الفزع الأكبر النفخة الأخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في
السموات ومن في الأرض أو الانصراف إلى النار أو حين تطبق على النار أو يذبح
الموت وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو يومكم
وهو مقدر بالقول الذي توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر
أو ظرف لا يحزنهم أو تتلقاهم أو حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون
والطي ضد النشر أو المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لأنها نشرت
مظلة لبني آدم فإذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول
كطي السجل للكتاب طيا كطي الطومار لأجل الكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه
ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع أي للمعاني الكثيرة المكتوبة
فيه وقيل السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدأنا أول خلق
نعيده أي نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونهما إيجادا عن العدم
أو جمعا من الأجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الإعادة بالقياس إلى الإبداء
لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على
السواء وما كافة أو مصدرية وأول مفعول لبدأنا أو لفعل يفسره نعيده أو
موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده أي نعيد مثل الذي بدأناه
وأول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر
بفعله تأكيدا لنعيده أو منتصب به لأنه عدة بالإعادة علينا إنجازه إنا كنا
فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود من بعد الذكر أي
التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ أن
الأرض أرض الجنة أو الأرض المقدسة يرثها عبادي الصالحون يعني عامة المسلمين

او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد صلى الله
عليه وسلم ان في هذا فيما ذكر في الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية
او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب
لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ
وعذاب الاستئصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه
لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد
فالاولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل انتم مسلمون مخلصون
العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد
مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم اعلمتكم ما امرت به
او حربي لكم على سواء مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم
بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي
عدل واستقامة رأي بالبرهان النير وان ادري وما ادري اقريب ام بعيد
ما توعدون من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول
ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد
للمسلمين او الغش لكنه فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل تأخير
جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع
الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل
المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرئ ربُّ بالضم وربي احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام
وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون

من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان
الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب
امانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالياء وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه
في القرآن

سورة الحج مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك
الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في واضافة المصدر الى الظرف
على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها
واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى
بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع
بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل
كل مرضعة عما ارضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل
وقرئ تُذهل وتُذهِل مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب
عن الامر بدهشة المقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت
الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع
كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى
على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم و
اذهب تمييزهم وقرئ تُرى من اريتك قائما او رأيتك قائما بنصب الناس ورفعه
على انه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة

يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرا حمزة والكسائي سكرى
كعطشى اجرا للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في
النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين
ولا بعث بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله
كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان
انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى
كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه
انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين
على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى
عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من
البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب
فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم من تراب بخلق ادم
منه او الاغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب
ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم قدر ما يمضغ
مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة
او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير
والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا
قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايما الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته
وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى
هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه اخر اربع سنين وقرئ
ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا

لغرضين

لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا و
ينشاوا ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر
من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على كل واحد او الدلالة على الجنس
او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة
كالانعم جمع نعمة كانها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله
وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف
وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية
من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه والاية استدلال ثان
على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال
المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة
ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت
من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها
الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق
الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد
موتها وهو مبتدا خبره بان الله هو الحق اي بسبب انه الثابت في نفسه
الذي به تتحقق الاشياء وانه يحيي الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيى
النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته
الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات
لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة اتية لا ريب فيها فان التغير من
مقدمات الانصرام وطلايعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده

الذي لا يتبدل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحي او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له له في الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم القيمة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحال او الرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه

خبر

خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضلالا يدعو لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستأنفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ وخبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلي غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي به او يثبت على

الهدى من يريد هدايته او يثبته انزله كذلك مبينا ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم
يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم عن المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق
به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد
ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد له من في السموات
ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره
ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك
منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين ساكنين وكثير
من الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده
باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على
خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق
له الثواب او فاعل فعل مضمر اي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير
حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول
مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى
العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله
بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل
ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك قال
اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون
في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون
فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال

المؤمنون

المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون
كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو
المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة قطعت لهم قدرت على مقادير
جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب
من فوق رؤوسهم الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر
به ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم
فيذاب به احشاؤهم كما يذاب جلودهم والجملة حال من الحميم او من ضميرهم
وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع
مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها
من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي الا بعد الخروج
وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون
فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق
ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار غير
الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان احمادا لحال المؤمنين
وتعظيما لشانهم يحلون فيها من حليت المرأة اذا البستها الحلي وقرئ بالتخفيف
والمعنى واحد من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع
سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار
منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب
مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وقرئ لؤلؤا بقلب الثانية واوا ولوليا
بقلبهما ياء ولولوا كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على
ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب

من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى
صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد
وهو الله تع وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به
حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصدود منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع
ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف
دل عليه اخر الاية اي معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله واوله الحنفية
بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اي المقيم
والطاري على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله
تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء
خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس حالا من الهاء والا فحال
من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به
وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه بالحاد عدول عن القصد
بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة الجار
او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام نذقه من عذاب اليم
جواب لمن واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت اي واذكر اذ عيناه وجعلنا له مباءة
وقيل اللام زايدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء او
انطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه
القديم ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ان
مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة
او مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي
من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها

ما ترك منسوها ليتناول كل ما يتناول وقرئ بالفتح من الورود

الايام المعلومات ايام العشر قاله ابن عباس والحسن وابرهيم وقتادة وابو حنيفة والمعدودات ايام التشريق الثلثة وقال مرة منهم مالك واصحابه وصاحبا
ابي حنيفة المعلومات يوم النحر ويومان بعده والمعدودات ايام التشريق الثلثة فيوم النحر معلوم لا معدود واليومان بعده معلومان معدودان والرابع
معدود لا معلوم ويوم النحر ويومان بعده ايام النحر عند علي وابن عباس وانس وابي هريرة وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وابي حنيفة والثوري وعند الشافعي
وعطاء والسائر بلا ثلثة ايام بعد يوم النحر وعند النخعي النحر يومان وعند ابن سيرين النحر يوم واحد وعن ابي سلمة وسليمان بن يسار ان الاضحى الى هلال المحرم

للدلالة على ان كل واحد منهما مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك
بالياء واذن في الناس ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي
انه عليه الصلوة والسلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه
الله من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق
في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة
الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقيام وقائم وقرئ بضم الراء مخفف
الجيم ومثقله ورجالى ككسالى وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول
اتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة لضامر محمول على معناه وقرئ يأتون
صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق
عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى ليشهدوا
ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع
مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها
وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود
مما يتقرب به الى الله في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر
على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا
على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة
لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم و
هذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذي اصابه بؤس اي
شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم
ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال
وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وليطوفوا طواف

الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت
العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من
جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه
دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل
بين كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما
يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام
والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام
الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به
لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس
من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو
غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول
الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور كانه لما حث على
تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب
وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي
انه عليه الصلوة والسلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا
هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو
الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير
مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه
سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية
توزع افكاره او تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح
به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين

من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان
يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا
يشبه احد الهلاكين ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع
نسكها او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها
ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه عليه الصلوة والسلام اهدى
مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رضي الله عنه
اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها
منه من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد
الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والامرة بهما لكم فيها الى
اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها
وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اي ما يليه من الحرم و
ثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية
الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث
الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى
اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي ترفع اليه الاعمال او يكون
فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات
في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة
بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او
قربانا يتقربون به الى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ليذكروا
اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود
من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه

تنبيه علي القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا
التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين
او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة
منه لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين علي ما اصابهم من الكلف والمصائب
والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرئ والمقيمين الصلوة علي الاصل ومما رزقناهم
ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم
وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة
ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة تناول اسم البدنة لها
شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه
جعله مبتدا من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها الله لكم فيها خير منافع
دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله
الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن
وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام علي ثلاث وصوافنا بابدال
التنوين حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصوافي
علي لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها
سقطت علي الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضي
بما عنده وبما يعطي من غير مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت
اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال والمعتر والمتعرض بالسؤال وقرئ
والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها
قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتي تاخذوها منقادة فتعقلونها
وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم

بالتقرب

بالتقرب والاخلاص له لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع
القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم
ودماء ولكن يناله التقوي منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوي قلوبكم
التي تدعوكم الي تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل
الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الي الله فهم به المسلمون
فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي
لتعرفوا عظمته باقتداره علي ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل
هو التكبير عند الاحلال او الذبح علي ما هداكم ارشدكم الي طريق تسخيرها
وكيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلي متعلقة بتكبروا
لتضمنه معني الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما ياتونه ويذرونه ان الله
يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين وقرا نافع وابن عامر والكوفيون
يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان
في امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب الي الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم
ولا ينصرهم اذن رخص وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي علي البناء
للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين والماذون فيه محذوف لدلالة
عليه وقرا نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي للذين يقاتلهم المشركون
بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم
كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون
اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتي هاجر فانزلت وهي
اول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وان الله علي
نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذي الكفار عنهم الذين اخرجوا

من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به إلا أن يقولوا ربنا
الله على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من
قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط
المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل
وقرئ دفاع وقرأ نافع لهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية وبيع وبيع
النصارى وصلوات وكنائس اليهود سميت بها لأنها يصلى فيها وقيل أصلها صلوثا
بالعبرية فعربت ومساجد المسلمين يذكر فيها وقيل أصلها اسم الله كثيرا
صفة للأربع أو لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من
ينصر دينه وقد أنجز وعده بأن سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب
وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم إن الله لقوي على نصرهم
عزيز لا يمانعه شيء الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين أخرجوا وهو ثناء قبل
بلاء وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين إذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين
وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الأمور فإن مرجعها إلى حكمه وفيه تأكيد
لما وعده وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم
وقوم لوط وأصحاب مدين تسلية له عليه الصلوة والسلام بأن قومه إن كذبوه
فهو ليس بأوحدي في التكذيب فإن هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب
موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول لأن قومه بنو إسرائيل ولم يكذبوه وإنما
كذبه القبط ولأن تكذيبه كان أشنع وآياته كانت أعظم وأشيع فأمليت
للكافرين فأمهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ثم أخذتهم فكيف كان نكير
إنكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكأين من قرية

اهلكناها

أهلكناها بإهلاك أهلها وقرأ البصريان أهلكتها بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة أي أهلها
فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بأن تعطلت بنيانها فخرت
سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو خالية مع بقاء عروشها
وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر أي هي خالية
وهي على عروشها أي مطلة عليها بأن سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها
والجملة معطوفة على أهلكناها لا على وهي ظالمة فإنها حال والإهلاك ليس حال
خوائها فلا محل لها إن نصبت كأين بمقدر يفسره أهلكناها وإن رفعته بالابتداء
فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية أي وكم بئر عامرة في البوادي تركت
لا يستقى منها لهلاك أهلها وقرئ بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله وقصر مشيد
مرفوع أو مجصص أخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي أن معنى خاوية على عروشها
خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بئر بسفح جبل حضرموت وقصر
مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه
أهلكهم الله وعطلهما أفلم يسيروا في الأرض حث لهم على أن يسافروا ليروا
مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وإن كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك فتكون
لهم قلوب يعقلون بها ما يجب أن يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار
والاستدلال أو آذان يسمعون بها ما يجب أن يسمع من الوحي والتذكير
بحال من يشاهدوا آثارهم فإنها الضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار وفي تعمى
راجع إليه والظاهر أقيم مقامه لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
عن الاعتبار أي ليس الخلل في مشاعرهم وإنما أيفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك
في التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي
ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل ومن كان في هذه أعمى قال ابن

ام مكتوم يا رسول الله انا اعمى في الدنيا أفأكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك
بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما
اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال
او لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة و
كأين من قرية وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
في الاعراب ورجع الضماير والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف
الاولى بالفا وهذه بالواو لان الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه في
حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان
تأخره لعادته تعالى أمليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب
والي المصير والى حكمي مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح
لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان
صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم
فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما ندر منهم ورزق كريم هي الجنة
والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في آياتنا بالرد والابطال معاجزين
مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه
اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به و
قرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة
وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله
بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء
بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبي صلى الله

عليه علما امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه الصلوة والسلام
سئل عن الانبياء فقال الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثماية وثلثة
عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول
من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه
في منامه الا اذا تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه
ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلوة والسلام وانه ليغان على قلبي فاستغفر
الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته
عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية
الى الاستغراق في امر الآخرة والله عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل
حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل
عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم
فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق
لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون
حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك
الا سجد ثم نبهه جبريل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين
وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله
تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قرائته والقاء
الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع
بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل
على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة

لتمكين الشيطان منه وذكر يدل على ان الملقي امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة
للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين
يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد
عن الحق او عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك
ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق
الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم فيؤمنوا به
بالقرآن او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي الذين آمنوا
فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال
الذين كفروا في مرية في شك منه من القرآن او الرسول او مما القى الشيطان
في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه حتى تاتيهم الساعة القيامة
او الموت او اشراطها بغتة فجاءة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب
يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم
او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها
اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا
او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على ان المراد بالساعة غيره او
على وضعه موضع ضميرها الملك يومئذ لله التنوين فيه منوب عن الجملة التي
دلت عليه الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين
والكافرين لتفصيله بقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفاء في خبر الثاني
دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب
الكفار مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في العذاب

والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا
حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه
في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة قالوا
يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك
كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق
بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم
باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب
بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي
هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة
لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام
واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه
فيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه
لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف
بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على
بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين
في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار
بتغييب الشمس وذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول المعاقب بصير
يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بان الله هو
الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته
يقتضيان ان يكون مبدا لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية

ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرا ابن كثير
ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول
فيكون الواو لما فانه في معنى الآلهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل
الالوهية وان الله هو العلي الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا
واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح
الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار
كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة
الماضي للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه
او لطفه الى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء
الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ
بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السماء ان تقع
على الارض من ان تقع او لكراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية
الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها
بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل
الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرءوف رحيم حيث هيا لهم اسباب
الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي
احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم في
الآخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا
منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك

سائر ارباب الملل في الامر اي في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال
واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول
صلى الله عليه عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم
فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربك
وهذا انما يجوز في افعال المبالغة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا
للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على
تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته
اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق
الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة فقل الله اعلم
بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فمجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق
الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيامة
كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم
ان الله يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه شيء ان ذلك في كتاب هو
اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك
ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى
ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل
به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة
العقل او استدلاله وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير
يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات
واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين
كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى

الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او بما يقصدونه من الشر
يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل أفأنبئكم
بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب
ما تلوا عليكم النار اي هو النار كأنه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ
خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من
شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها وبئس المصير النار يا ايها
الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا
او جعل لله مثل اي في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل استماع
تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام وقرأ يعقوب بالياء
وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا
ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على
منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان
ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على
خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب
شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات
كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك
بانها لا تقدر على خلق اقل واذلها وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما
يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها
الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب
عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب
والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ

منه

منه ما سلبه ولو حقرت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله حق
قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء
عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء وآلهتهم
التي يدعونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا
يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق
ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كأنه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه
غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء
بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من
الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
والملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور كلها لانه
مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون يا ايها الذين
آمنوا اركعوا واسجدوا في صلاتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول
الاسلام او صلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا
له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح
فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم
تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين
على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه
الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدها فلا يقرأها وجاهدوا
في الله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس
وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد

الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس
واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الى الضمير اتساعا
او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتباكم اختاركم
لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله وما جعل
عليكم في الدين من حرج من ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع
لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق
عليهم لقوله عليه الصلوة والسلام اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان
جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة
وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم
ابراهيم منتصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي
وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم
لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب
لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب كانوا
من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القرآن في الكتب
المتقدمة وفي هذا وفي القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم
وتسميتهم مسلمين في القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل
في قوله بان تسمية اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا
عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة
من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا
الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل
والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة

الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل
له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما
مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية

عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون
قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل
الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل
الله صدرت بها بشارتهم وقرا ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال
وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح
اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلوتهم خاشعون
خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه
الصلوة والسلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده
وانه راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم
عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على
الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك
ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان
يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم
بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على
الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروة اجتنابه
والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل

الذي هو موضعه او الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظين من
قولك احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال
التزوج او التسري او بفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى
غير العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو
معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير
ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم
او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم
العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون
عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها و
اصلاحها وقرأ ابن كثير لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها في الاصل
مصدر والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها
ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي
وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة
عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون
لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين
يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا
وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده
مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على
انفسهم لانه تع خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون
انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من

هاوي المعارج

خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من
بيانية او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فيكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم
خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا
بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه
ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة
وتذكير الضمير على تاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر حصين
يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار
ثم خلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها
فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف
العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة و
قرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد
احدهما وجمع الاخر ثم انشاناه خلقا آخر هو صورة البدن او الروح او
القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو
على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق
آخر فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين عليه ثم انكم
بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت
دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد
خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات لانها طورق بعضها فوق بعض او الكواكب فيها مسيرها
وما كنا عن الخلق عن ذلك الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين
امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ ما قدر لها من الكمال
حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء بتقدير

ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء

المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين

فوق بعض مطارقة النعل ... او لانها طرق الملائكة ... المخلوق منتهى

بكثرة نفعه وقلة ضرره او بمقدار ما علمناه من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا
مستقرا في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق
بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب
ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل
ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به بالماء جنات
من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها
ومن الجنات ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون
معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضمير ان للنخيل
والاعناب اي لكم في ثمرتهما انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر
والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة عطف على
جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة تخرج من طور
سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين
ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب
منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل
البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر
وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف
سينين على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء
كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن
اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان تكون الباء صلة معدية
لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في
رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رايت ذوي

ويجوز ان يكون الباء زائدة في المفعول

الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا نبت البقل او على تقدير تنبت
زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ بالبناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن و
تخرج بالدهن وتنبت بالادهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على
اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه
دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه
للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون
بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف
فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او الابتداء ولكم فيها منافع كثيرة من ظهورها
واصوافها واشعارها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام
فان منها ما يحمل عليها كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها
عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت
خدي زمامها فيكون الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن احق بردهن وعلى
الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا
الله الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم
المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استئناف لتعليل الامر
بالعبادة وقرأ الكسائي بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل
عليكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه
التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم
ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم
ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا
الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او بما كلمهم به من الحث على عبادة

الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم
كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول
ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال
بعد ما ايس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب
بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظناه
نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف
تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي انه
قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه
اخبرته امرأته فركب ومحله في المسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب
كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك
فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال ما سلككم في سقر من كل
زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص
من كلٍ بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تأكيد واهلك واهل بيتك او
ومن آمن معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله بهلاكه لكفرهم
وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم
مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا
يشفع فيه كيف وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت
انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع
دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة
او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين مطابق لدعائه

امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر و
المعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه
مندوحة من دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات
يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين
قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة و
اللام هي الفارقة ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا
فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل
على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا والله
ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا
تتقون عذاب الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم
لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير
سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعاده الى
الحياة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحياة الدنيا بكثرة الاموال
والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب
مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف
او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم
انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم
من قومه ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب
انكم مخرجون الى الوجود من الاجداث او من العدم تارة اخرى وانكم تكرير للاول
أكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم
او فاعل الفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او

انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه
لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة
لما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل
فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقرى بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه
الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حيوتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا
الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان
تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حيوة الا هذه
الحيوة لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل
لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن
له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم فانتصر لي منهم بما كذبون بسبب
تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة
ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبرئيل
صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن
قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله كقولك فلان
يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل
وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار
والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بافعال
لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع
ضميرهم للتعليل ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب
وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق
وما يستاخرون وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتوراة وتيقور والالف للتانيث

وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون م

او بعد ما توعدون م

ولله ايام تجور وتعدل

لان الرسل جماعة وقرا ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا كلما
جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل
اليهم لان الارسال الذي هو مبدا الامر والمجيء الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم
بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو
اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون
ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة
ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها بالذكر لانها اول المعجزات وامها تعلقت
بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار
العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضرا مثمرة
ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات
فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي الى فرعون وملائه فاستكبروا
عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا
ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من
البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى
شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة
وفساده يظهر للمستبصر بادنى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل
القوى والادراك لكنها تتباين الاقدام فيهما فكما ترى في جانب النقصان اغبياء
لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التفكر والتعلم
في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي
اليه علمهم واليه اشار بقوله تع قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا

من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بني اسرائل
ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون
الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس
فالآية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهر منه
معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية
عليها وآويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة
فلسطين او مصر فان قراها على الربى وقرا ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ
رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار و
زروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من
معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع
او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها
بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة
مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا
اوليا ويكون ابتداء الكلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة
وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض
الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه ايواءهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول
ما رزقنا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات
وقيل الحلال الصافي ما لا يعصى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل
واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه
وان هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف

على ما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستيناف امتكم امة
واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة في العقايد واصول الشرايع او جماعتكم جماعة واحدة
ملتكم ملة واحدة اي متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب امة على
الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا
امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض
او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة
ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول
ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون
مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل
في رسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون
انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم
مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او
يموتوا ايحسبون انما نمدهم به ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس
خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم
فخبره نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي
نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة
بهم والشعور ليتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ
يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع
مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم
بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون
شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ

يأتون ما أتوا اي يعطون ما أعطوه من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة ان لا يقبل منهم
وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم الى ربهم راجعون لأن مرجعهم اليه او من ان
مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات
اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال
بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم
لها سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعات او الثواب
او الجنة او سابقوها اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله
هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به
الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق
بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب
او نقصان ثواب بل قلوبهم بل قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا
من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك
متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون
فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر او الجوع حين
دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني
يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم
يجأرون فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتداة بعد
حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا
انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم او لا تغاثون منا او لا يلحقكم
نصر ومعونة من جهتنا قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على اعقابكم
تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع

قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنت
عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين
او لأن استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا اي تسمرون
بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ
سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي
تعرضون عن القرآن او تهذون في شانه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني
قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجّرون على المبالغة افلم يدبروا القول
اي القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم
ما لم يأت آباءهم الاولين من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله
فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا به وبكتبه
ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق وحسن الخلق
وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون
دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا
انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه
اقصى ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون
انه ارجحهم عقلا واثقبهم نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه
يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم
من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة
للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع آلهة شتى لفسدت
السموات والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم

فلا يبقى او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله
بالقيمة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل
ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك
السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب
الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم
لو ان عندنا ذكرا وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون
اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج
ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه
مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك
والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون
ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج ربك وحمزة
والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية
خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم يشهد العقول السليمة على
استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم
الحجة وازاح العلة في هذه الايات بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار
والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين
لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط عن الصراط السوي لناكبون لعادلون
عنه فان خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج
التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة
الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا

العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم
الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين الاباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد
اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل
اقاموا على عتوهم واستكبارهم استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى
كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد
على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من
الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون ايسون من كل خير حتى جاءك
اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب
من الايات والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية
والدنيوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها
فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة للتأكيد وهو الذي
ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة
بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص به
تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه
تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الاخر افلا تعقلون بالنظر والتامل
ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ
بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال
الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن و
اباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة
لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر

قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين
بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح
والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان
يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم بادني نظر الى الاقرار
بانه خالقها قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن
فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ
تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
فانها اعظم من ذلك سيقولون لله قرا ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما
بعده على ما يقتضيه لفظ السوال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض
مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء
ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه
ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة إن كنتم
تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون
عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد
والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه
عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله
بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة
ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه
واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم ولظهر بينهم التحارب
والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده ملكوت كل شيء واللازم باطل
بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب

واحد

واحد سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده
عالم الغيب والشهادة خبر مبتدا محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو
ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم
في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني
ان كان لابد من ان تريني لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا
والآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما
لهضم النفس او لان شوم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته
نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد
من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم
وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه
وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان
في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد و
السيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع
بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك
به او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض
شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع
الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون يحوموا حولي
في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى

الاحوال بان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما
اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله عن الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه
على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة
لما اطلع على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل
لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان
الذي تركته اي لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه
عليه الصلوة والسلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى
دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعوني كلا ردع عن
طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة
من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن
ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون
يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث
الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الآخرة فاذا نفخ في الصور لقيام
الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد يؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة
فلا انساب بينهم ينفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة
بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ
كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا
يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة
او دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقائده
واعماله الصالحة يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات
ومن خفت موازينه ومن لم يكن له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا

فاولئك

فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها
لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار
تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق
والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم على
اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا
هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا حيث صارت احوالنا مؤدية الى
سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة و
كنا قوما ضالين عن الحق قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام
السؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ ولا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار
يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا
امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك
فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا فيقولون
الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون
فيجابون اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعواء انه ان الشان
وقرئ بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل
اهل الصفة يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا هزؤا وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسبة
للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزؤ والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد حتى انسوكم
ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء
بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم
مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استئنافا قال

شقوتنا

اي الله او الملك الامور بسوء الهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي على الامر للكفار او لبعض
رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احياء او امواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها
كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم
فاسئل العادين الذين يتمكنون من عد اياما ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه
من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار
الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون
ما نقول والعاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفي قراءة
الكوفيين قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم افحسبتم
انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول
له اي لم نخلقكم تلعبا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل
على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرا حمزة
والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك
مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي
حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيد له رب العرش الكريم الذي يحيط
بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته
الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها آخر
يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا
برهان له جيء بها للتاكيد وبناء الحكم تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما
دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجازيه
مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل والخبر

اي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن
الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وانت
خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة
بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت
علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر
وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ باربع
من آخرها فقد نجا وافلح سورة النور مدنية وهي ثنتان او اربع
وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم سورة
اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفتها ومن نصبها جعله
مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل ونحوه وفرضناها وفرضنا
ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض عليهم
او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها آيات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون
فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا وانزلنا
احكامهما وهو الجلد ويجوز ان يرتفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام وقرئا بالنصب على اضمار فعل يفسره
الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية
لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته
تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن
لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة
لقوله عليه الصلوة والسلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية
ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلثة اقوال

والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية
الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه الصلوة والسلام يهوديين ولا يعارضه من
اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد بالمحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تأخذكم
بهما رأفة رحمة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه و
قرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو
من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان
التفضيح قد ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شيء من
الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد واثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني
لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب ان
المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء
فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وكان
حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال
الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا
بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم
الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وسبب
لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه
بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها و
الحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه
يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه الصلوة والسلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح
وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني

عن الزنى الا بزانية والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات
يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني
واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف
بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان
ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين
الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النساء
اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة
خلافا لابي حنيفة وليكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله
ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم
في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الحد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي
عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه
دفعة كيف وحاله قبل الحد اسوأ مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى
آخر عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك
عن القذف واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال
من المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور
ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له وقيل الى النهي و
محله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه
عن موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال بن امية
رأى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة
احدهم اربع نصب على انه مصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه

خبر له بالله متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين
اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل
عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من
الكاذبين في الرمي وقرا نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هذا لعان
الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ
عندنا لقوله عليه الصلوة والسلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة
طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المراة
لقوله ويدرؤا عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن
الكاذبين فيما رماني به والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين في ذلك
ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص
عطفا على اربع وقرا نافع ان غضب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان
الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين
جاؤا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مافوك
عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة وذلك انه عليه الصلوة والسلام استصحبها
في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة
ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقدها من جزع ظفار قد انقطع فرجعت
لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار
فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا فجلست كي يرجع اليها منشد وكان
صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها
فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة
منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي وزيد

ابن رفاعة وحسان بن ثابت و عصابة يريد عبد الله مسطح بن اثاثة وحمنة
بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة وصفوان والهاء
للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال
ثماني عشرة اية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على
من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض
فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرا يعقوب بالضم وهو لغة
فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بداه واذاعه عداوة لرسول
الله او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين
له عذاب عظيم في الاخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا
بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا اذ سمعتموه
ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المومنين والمومنات
كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ
واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمومنين والكف عن الطعن فيهم وذب
الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف
لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره
وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا
افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم
ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا
فان الحد عليه مكذب عند الله اي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله
عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله

عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة
المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم و
الجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم ياخذه بعضكم من بعض بالسوال
عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه
اذا لقفه وتلقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من القائه بعضهم على بعض
من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما
ليس لكم به علم وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه
ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب
فهذه ثلثة مرتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث
به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه
قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا ما ينبغي وما يصح لنا سبحانك هذا يجوز ان يكون
الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف احاد الناس
محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعجب ممن يقول ذلك واصله انه يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى
من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله من ان يكون
حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف
كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه
فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله كراهة ان
تعودوا او في ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين
فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على

الشرايع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتادبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم في
تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا تقريره عليها ان الذين يحبون يريدون
ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير
الى غير ذلك والله يعلم ما في الضماير وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل
عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة و
لولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم
الجريمة ولذا عطف عليه قوله وان الله رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته
عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء ومن يتبع خطوات
الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط
قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية
للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا
آخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم
عليم بنياتهم ولا ياتل ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويويد الاول
انه قرئ ولا يتال وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان
ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولو الفضل منكم في الدين والسعة في المال
وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه ان يوتوا على ان لا يوتوا او في ان يوتوا
وقرئ على فضل اي بالتاء على الالتفات اولي القربى والمساكين في سبيل الله
صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات
واحد اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم
وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم

آثام
سبحانك
هذا بهتان عظيم
يعظكم الله
ان تنتشر
والمهاجرين

الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه عليه
السلام قراها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون
المحصنات العفايف الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله ورسوله استباحة
لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين كابن ابي لعنوا في الدنيا والآخرة لما طعنوا
فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص
بمن قذف ازواج النبي ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت وعيدات
القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عايشة يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من
معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرا حمزة والكسائي بالياء للتقدم و
الفصل السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله
اياها بغير اختيارهم او بظهور اثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ
يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو
الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر
على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اي العادل الظاهر عدله ومن
كان هذا شانه ينتقم للظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اي الخبائث يتزوجن
الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله اولئك يعني اهل بيت
النبي صلى الله عليه وسلم او الرسول وعايشة وصفوان مبرءون مما يقولون اذ لو
صدق لم تكن زوجته ولم تقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال
والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرءون مما يقولون
فيهم او للخبيثين والخبيثات اي مبرءون من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة
ورزق كريم يعني الجنة ولقد برا الله اربعة باربعة برا يوسف عليه السلام بشاهد

من اهلها وموسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها
وعايشة بهذه الآيات مع هذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول واعلاء
منزلته يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا
لا يدخلان الا باذن حتى تستانسوا تستاذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس
الشي اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن
له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستاذن مستوحش
خايف ان لا يؤذن له فاذا اذن استانس او تتعرفوا هل ثم انسان من الانس وتسلموا
على اهلها بان تقولوا السلام عليكم اادخل وعنه عليه الصلوة والسلام التسليم
ان يقول السلام عليكم اادخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم خير لكم اي
الاستيذان خير لكم من ان تدخلوا بغتة او من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا
دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل
مع امراته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على
امي قال نعم قال لا خادم لها غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها
عريانة قال لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل
لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم
فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى ياتي من ياذن لكم فان المانع من الدخول ليس
الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك
الغير بغير اذنه محظور واستثني ما اذا عرض فيه حرق او غرق او كان
فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع
اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروة
او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تاتون وما تذرون مما خوطبتم

به مجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات
والحوانيت فيها متاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس
للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي عما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض
اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج هاهنا خاصة
سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم او اطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله
خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك
جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل
للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه
من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر والتحفظ عن الزنا وتقديم الغض
لان النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن
مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب
والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف
او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست
بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل
لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة
وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن ولا يبدين زينتهن كرره
لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة
ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او اباءهن او اباء بعولتهن

استيناف

او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة
مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب
ولهم ان ينظروا منهن الى ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال
لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم
او نسائهن يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال
او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن يعني الاماء
والعبيد لما روي انه عليه الصلوة والسلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب
اذا قنعت به لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه الصلوة
والسلام انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء كالاجنبي
او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم
والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس
لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرا ابن عامر وابو بكر غير بالنصب
على الحال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور
بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس
وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في
الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف
عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه
يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين
وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى يفضي الى

النكاح الحلال بالنسب المقتضي للألفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية
الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه وامر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء
والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما واشعار
بان المرأة والعبد لا يستبدان اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب
ايايم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا قال فان تنكحي انكح
وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم
والاهتمام بشأنهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا
فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر
الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح
او وعد من الله بالاغناء لقوله تعالى ان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء
والله واسع ذو سعة لا ينفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر
على ما تقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين
لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن
منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب
المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب
على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع
لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان
او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا يفسره
والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة
تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة
الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها

كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال
بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه
ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز وآتوهم من مال
الله الذي آتاكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه حط
شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي رضي
الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم
بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم
سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشتري
ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية
ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن
على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان
جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع
المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر
لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور
رحيم اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن
مسعود من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة
غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك
حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات
يعني الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب

المتقدمة والعقول المستقيمة من بيّن بمعنى تبيّن اولانها بيّنت الاحكام و
الحدود ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم ومثلاً من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل
قصصهم وهي قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين يعني
ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد
بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض النور
في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية
الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح
اطلاقه على الله الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوّز
اما بمعنى منوّر السموات والارض وقد قرئ به فانه نوّرهما بالكواكب
وما يفيض عنهما من الانوار او بالملائكة والانبياء او مدبّرهما من قولهم للرئيس
الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدهما
فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل
الخفاء هو العدم والله سبحانه موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به تدرك
او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركته لها
في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها
وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها
وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا
لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء
او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سمّوا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس
معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة
اشراقه او لاشتمالها على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية

عليها

عليها وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته
الى ضميره سبحانه دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكوة كصفة مشكوة
الا نبوبة في وسط الدوهي القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة
في قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب دري مضيء متلألئ كالزهرة في
صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه
او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي
بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا توقد
من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه
بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها
تفخيم لشانها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة
والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقّد
بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لا شرقية
ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار
كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا
نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود
الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في مفناة تغيب
عنها دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مفناة ولا خير
فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار
لتلألئه وفرط وبيصه نور على نور نور متضاعف فان نور المصباح زاد
في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكوة لاشعته وقد ذكر
في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات المبينات

اي جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدي بالمشكوة المنعوتة او تشبيه للهدى من
حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف
المشكوة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله
به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكوة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده
قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس
المترتبة التي ينوط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات
بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على
القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة
القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء
والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة
والزيت فان الحساسة كالمشكوة والزجاجة لان محلها كالكوى ووجهها
الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة
في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها
بما يشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات
الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديها الى ثمرات
لا نهاية لها الزيتونة المثمرة للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا شرقية
ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني
متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها
لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة
العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها
كالمشكوة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من

تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن
ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة
قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام
الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث
يتمكن من استحضارها متى شاءت لهذا النور الثاقب كانت كالمصباح فاذا
استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا النور الثاقب من يشاء فان
الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس ادناء
المعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا
ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت
متعلق بما قبله اي كمشكوة في بعض بيوت او توقد في بيوت فيكون تقييدا
للممثل به بما يكون تحبيرا او مبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا
لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكوة اذ
المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها
تكرير مؤكد لا بذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت
والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم
اذن الله ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره
حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والآصال
رجال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق
للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال
وهو الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف
الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على

اسناده الى اوقات الغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله
مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو اهم من
قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشري وقيل المراد بالتجارة الشري
فانه اصلها ومبدؤها وقيل المراد بالتجارة الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في
كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء
المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا و
ايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر
والطاعة تتقلب فيه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر من الهول او تتقلب احوالها
فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من
توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم
الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود
لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم والله
يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية
وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد
ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية في العاقبة
كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء
يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة
وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه الظمآن ماء اي العطشان وتخصيصه
لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء
او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا
اياه فوفاه حسابه استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب

وروي نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء
الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها
كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لجج البحر والامواج والسحاب او
للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم
باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة في بحر لجي عميق منسوب الى
اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر موج من فوقه موج اي امواج مترادفة متراكمة
من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة
اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرا ابن كثير ظلمات بالجر
على ابدالها ... اذا اخرج يده لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين
لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح والضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة
المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها
فما له من نور خلاف الموفق الذي بالوحي او الاستدلال له نور على نور الم تر الم تعلم
علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال ان الله يسبح له من
في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض
ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال والطير
صافات على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها
بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة
باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع و
لطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه اي قد علم الله
دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه
حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه

حيث

لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا تكاد
يهتدي اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات
والصفات والافعال من انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع
من انتفاء حكمه الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد
ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى
بين اجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج
من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من
الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او
جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي وينزل مبتدأ من السماء من جبال
فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول
وقيل المراد من السماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس
في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت
الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد
تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل
بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج و
كل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص
الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من
يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال
في السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها
للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال
القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل

والنهار

والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة و
النور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة على وجود الصانع
القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع
الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق
كل شيء بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا
للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة
وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على
الاستعارة المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع
كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا
مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بمن ليوافق التفصيل
الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر
ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات
والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ان الله على كل شيء
قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات للحقائق بانواع الدلائل والله يهدي
من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل
الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول نزلت في بشر
المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي وقيل في
مغيرة بن وائل خاصم عليا كرم الله وجهه في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله
عليه وسلم واطعنا اي واطعناهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد
ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من
الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم

دابة من

وللمشاكلة

العقلاء والتعبير عن الاصناف بمن

لتوليهم عن التعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان
او الثابتون عليه وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي فانه الحاكم ظاهرا
والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله إذا فريق منهم
معرضون فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح
للتولي ومبالغة فيه وإن يكن لهم الحق اي الحكم لا عليهم يأتوا إليه مذعنين منقادين لعلمهم
بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص أفي قلوبهم مرض
كفر او ميل الى الظلم أم ارتابوا بان رأوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك أم يخافون
أن يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل أولئك هم الظالمون اضراب عن
القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل
فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما
باطل لان منصب نبوته وفرط امانته تمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل
عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه
إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا و
أطعنا وأولئك هم المفلحون على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على
ما ينبغي بعد انكار ما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده
الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يأمرانه او في
الفرائض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره
وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص
بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف فأولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم
وأقسموا بالله جهد أيمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن أمرتهم بالخروج عن ديارهم
وأموالهم ليخرجن جواب لأقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة

الحق

اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة
امثل منها او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة إن الله خبير بما تعملون
فلا يخفى عليه سرائركم قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على
الحكاية مبالغة في تبكيتهم فإن تولوا فإنما عليه على محمد ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم
ما ادّيتم تكلم من الامتثال وإن تطيعوه في حكمه تهتدوا الى الحق وما على الرسول
إلا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم وقد ادّى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم
وان توليتم فعليكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول
والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الأرض ليجعلنهم خلفاء متصرفين
في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله
واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم
يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وليمكنن لهم دينهم الذي
ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء
أمنا منهم وكان رسول الله واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى
المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم
على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار
عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه
لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال
من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد واستئناف ببيان المقتضي للاستخلاف
والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد
او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة بعد الوعد فأولئك هم
الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات

الاعداء وقرأ ابو بكر وابن كثير وابو عمرو بالتخفيف

او كفروا النعمة العظيمة وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول في سائر
ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على أطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكرير
الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون
كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ولا تحسبن يا محمد الكفار
معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين او لا تحسبن الكفار
في الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه او لا يحسبوهم
معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشيء واحد فاكتفي بذكر
اثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول في الاحتمالات
ومأواهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين
في الارض ومأواهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز
ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة
على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على
الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان
غلام اسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة
ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله
عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن
ثم انطلق معه الى النبي فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية والذين لم يبلغوا الحلم
منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى
دلائله ثلث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام

من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث
مرات او الرفع خبر المحذوف اي هي من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم
اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت
التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثلث عورات لكم اي هي ثلث اوقات
يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها
اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلث مرات
ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستيذان
وليس فيه ما ينافي آية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول
عليه وتلك في الاحرار البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون استيناف
ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة
وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وغيرها بانها
عورات بعضكم على بعض طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما
يشرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم
الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان
العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما
للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا
ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل
اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن
اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او
لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر باخفائه في قوله

ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه خص بتكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلوة والسلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا

احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطاعم في القرازة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحيوة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في الامور انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول الله فياذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير عذر ليس كذلك فاذا استاذنوك

اذن لم

لبعض شأنهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر
فأذن لمن شئت منهم ما يعرض لهم من المهام تفويض للامر الى راي الرسول
عليه الصلوة والسلام واستدل به على ان بعض الاحكام مفوض الى رأيه ومن منع
ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان المعنى فاذن لمن علمت ان
له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقديم
لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا
في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة
الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته
كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم
مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا
دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا
تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه
مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يتسللون قليلا قليلا من الجماعة ونظير
تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن
يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين
يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته
وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر
اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير
لله تعالى فان الامر له في الحقيقة او للرسول عليه الصلوة والسلام فانه المقصود بالذكر
ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة واستدل به

على

على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه
يدل على خشية المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات
والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص
وانما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه
للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما
عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي سورة الفرقان مكية وآيها
سبع وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير
او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة
وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام
من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه
ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما
سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه
او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول
الله وامته لقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية
ليكون العبد او الفرقان للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى
الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم
وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع
او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية

نذيرا

اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه ثم نبه على ما يدل عليه فقال
وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقة الانسان من مواد
مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره وهيأه لما اراد منه من
الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط
الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى
وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد
كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة لما تضمن الكلام
اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم
يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا
دفع ضر ولا نفعا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون اماتة
احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن
لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على
البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه
اختلقه واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو
يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر
فقد جاؤا ظلما وزورا بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا
بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته
وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او
استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف
اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني
الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان

يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم
عن آخركم بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا
عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في
عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم صبا وقالوا
ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما
ناكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله
لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل
عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله انما انا
بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ليعلم
صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش
او تكون له جنة ياكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل
ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقال الظالمون وضع
الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون
الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا
انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال
النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه في نبوتك
او الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا
ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات عدن تجري من تحتها الانهار بدل
من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر
بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل
يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون

له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت
انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك
بفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون
الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك
فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو
اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله صلى الله
عليه وسلم لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احديهما بمرأى من الاخرى
على المجاز والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان
يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت
المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة
عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك
لزبانيتها امكن ان يخلق الله فيها حيوة فنسب اليها على حذف المضاف واذا
القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب
فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان
عرضها السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا
هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون
يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك
وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة وكل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد
كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة [الخلد] التي وعد المتقون
الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز

والجنة

والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على
خلودها او للتمييز عن جنان الدنيا كانت لهم في علم الله او اللوح او لان ما وعده
الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع
كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين
من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من
النعيم ولعله يتقصر هممهم كل طائفة على ما يليق برتبته على ان كل المرادات لا
يحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسئولا
الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان موعودا حقيقا بان
يسأل ويطلب او مسئولا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على
رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن وما في على من معنى
الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق
الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء
وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من
دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق
لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب
الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص بالملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة
السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام
الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن
عامر بالنون أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر
الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة و
اصله أأضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي

للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا
سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات
لا تقدر على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم
اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان نتخذ من دونك
من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا
دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تع واتخذ
الله ابرهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد
النفي ولكن متعتهم واباءهم بانواع النعم واستغرقوا في الشهوات حتى نسوا
الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة
للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو
عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين
مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ
فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى
فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا وعن ابن
كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا بمعنى في او مع المجرور بدل الكاف
فما تستطيعون اي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا
دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ولا نصرا يعينكم
عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وان عم
كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو
التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا
انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة

اتخذه

المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان تكون
حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
وقرئ يمشّون اي تمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة
ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة
وايذائهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه وفيه
دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر
على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به وغيره
وقال الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون
لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به
الرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبروننا بصدق محمد عليه الصلوة
والسلام وقيل فيكونون رسلا الينا او نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه
لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء
الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتهم وما هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا
الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة
فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية
واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من
استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس ابانا بنابها كليبا غلت ناب
كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر
او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها
ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام

او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام
فتناول حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين
حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة عن بعضهم واشعار بما هو المانع للبشرى والموجب
لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقول الكفرة حينئذ
هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند
لقاء عدو او هجوم مكروه او تقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى
وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك
وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ومحجورا للتاكيد كقولهم موت
مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا
في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه
لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا
على سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار
يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته
شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن
نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث
من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن
مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان
القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن
رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان
يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من

الامكنة

الامكنة والازمنة والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين
في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها
ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو
الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرا ابن كثير وننزل
وقرئ ونزلت وانزل ونزل ونزل الملائكة ونزل بحذف نون الكلمة
الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو
الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر او صفته
والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض
الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان
ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم الجنس
وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي فدعاه الى ضيافة فابى ان
ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه
فقال صبات فقال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت
منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه
فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه الصلوة والسلام لا القاك
خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا بقتله وطعن
ابيا باحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق
الضلالة يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله

يعني

وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن
عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت
منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة
الرسول او كل من تشيطن من جن وانس للانسان خذولا يواليه حتى يؤديه الى الهلاك
ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول يا رب ان قومي قريشا
اتخذوا هذا القرآن مهجورا بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلوة والسلام
من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به
يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا
سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف
الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء
اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد
والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا
لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض لا
طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما
اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه
فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان
اميا وكانوا يكتبون فلو القي اليه جملة لتعيى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف
لا يتاتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص
في المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك
قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ

والمنسوخ

والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة و
كذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون
حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق ورتلناه ترتيلا وقرأناه
عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث وعشرين واصل الترتيل
في الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل بسؤال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون
به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ له في جوابه واحسن تفسيرا وبما هو
احسن بيانا او معنى من سؤالهم او لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت حاله
هذه الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة
قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم
القيمة على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على
الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره اولئك شر مكانا واضل سبيلا
والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل
سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل متصل بقوله اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة
ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء
الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازرون عليه فقلنا
اذهبا الى القوم الذين كذبوا يعني فرعون وقومه بآياتنا فدمرناهم تدميرا اي فذهبا
اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها

وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم
لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانّهم على التأكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح
لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله أو نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل
كتكذيب الكل أو بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم
وجعلنا إغراقهم أو قصتهم للناس آية عبرة وأعتدنا للظالمين عذابا أليما يحتمل التعميم و
التخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمود وأصحاب الرس قوم
كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر غير
المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان
فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الأخدود وقيل بئر بأنطاكية
قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم
الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم
الذي يقال له فتخ أو دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إذا أعوزها الصيد ولذلك
سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوه فأهلكوا وقيل
قوم كذبوا نبيهم ورسوه أي دسوه في بئر وقرونا وأهل أعصار قيل القرن أربعون
سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك إشارة إلى ما ذكر كثيرا لا يعلمها
إلا الله وكلا ضربنا له الأمثال بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين إنذارا وإعذارا
فلما أصروا أهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتنا تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب
والفضة وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا كأنذرنا والثاني بتبرنا لأنه فارغ و
لقد أتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم إلى الشام على القرية التي أمطرت مطر
السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة أفلم يكونوا يرونها
في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا

بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت
ركابهم أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب أو لا يخافونه على اللغة
التهامية وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ما يتخذونك إلا موضع هزو أو مهزوا به أهذا الذي
بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والإشارة للاستحقار وإخراج بعث الله رسولا
في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الإنكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا
الذي زعم أنه بعثه الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن
عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يورده مما يسبق إلى الذهن
أنها حجج ومعجزات لولا أن صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثل
يقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب
من أضل سبيلا كالجواب لقولهم إن كاد ليضلنا فإنه يفيد نفي ما يلزمه ويكون
الموجب له وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم أرأيت من اتخذ إلهه هواه
بأن أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وإنما قدم المفعول
الثاني للعناية به أفأنت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي
وحاله هذا فالاستفهام الأول للتقرير والتعجيب والثاني للإنكار أم تحسب بل أتحسب
أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون فتجدي لهم الآيات أو الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع
في إيمانهم وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالإضراب عنه إليه وتخصيص
الأكثر لأنه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة
إن هم إلا كالأنعام في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا
من الدلائل والمعجزات بل هم أضل سبيلا من الأنعام لأنها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن
إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون
إحسانه من إساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون

العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا
ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى
هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها
وهؤلاء مقصرون ومستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم ألم تر الى ربك ألم
تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او ألم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير
النظم اشعارا بانه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه
وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد
المرئي فكيف بالمحسوس منه او ألم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو
فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر
الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف
به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص
من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه
لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت
الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشمس موقعه
لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى
الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل
به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي
اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نيّر ودحا الارض تحتها فالقت عليها
ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه
مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها
ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا

سهلا

سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذي جعل
لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل
واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه
المسبوت للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس
للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة
انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك
تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة الجنس
نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف
وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف
بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا من السماء
ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما
يتوضأ به ويوقد به وقال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور
اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احديهن بالتراب وقيل
بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب
وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة
فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه
ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم
اولى بذلك لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه
غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما
خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك
نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار

والمنابع فيهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السما وعامة الحيوانات تبعد في
طلب الما فلا يعوزه الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظيم
القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية
معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه
سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه
جعل له سقيا واناسي بحذف الياء جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان
اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس
في القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة
والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما عام امطر
من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شا وتلا هذه الآية او في الانهار
والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا
بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة
وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار
الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط
او امارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك
اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على
سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع
الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن
او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال
حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة
السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين

الظهر

اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة
القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان
من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا
ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد
وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما
يقول للآخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل
البحر وتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب
النهر العظيم مثل النيل وبالملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض
فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء
كل عنصر ان تضامت وتلاصقت تشابهت في الكيفية وهو الذي خلق
من الما بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر لتجتمع
وتسلس وتقبل الاشكال والهيآت بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي
قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن
كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق
من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين
وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله
ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق
يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة
والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده
من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا
ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم عليه

على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ ولمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فاسأل به خبيرا فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده

والسوال

چون حمل چون ثور چون جوزا و سرطان واسد سنبله میزان وعقرب قوس جدی ودلو وحوت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتان للزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل ... والجدي مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية

والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بالسجود للرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا لقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او

سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه اية القتال لتنسخه فان
المراد به الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء
وتاخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته
وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون
من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم
على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا
وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة
تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا
تضييق الشحيح وقرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء ونافع وابن عامر بضم الياء
وكسر التاء وابن كثير والبصريان بكسر التاء والكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا
عدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو
ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز
ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته
الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه
والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق
اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون
ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعدما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا
لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة

باضداده

باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء اثم او
اثاما باضمار الجزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف
له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه في معناه كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرا ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك و
يخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما ويخلد على
المفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب مضاعفة العقاب لانضمام المعصية
الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل
ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او
بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات
ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا
يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله
يرجع اليه بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب
متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه
مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون
الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة
فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين
انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش و
الصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم
بالوعظ او القراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا
بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون

الاغضاء

راغبة فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل
الهاء للمعاصي المدلول عليه باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا و
ذرياتنا قرة أعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فإن المؤمن إذا شاركه
أهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقر بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين
وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية أو بيانية كقولك رأيت منك أسدا وقرأ أبو
عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وذريتنا وتنكير الأعين لإرادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها
لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين
إماما يقتدون بنا في أمر الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده إما للدلالة
على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا أو لأنه مصدر في أصله أو لأن المراد
واجعل كل واحد منا أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل
جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم أولئك يجزون الغرفة
أعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات
آمنون والقراءة بها وقيل هي من أسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق
من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها
تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة أي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم
بعضا ويسلم عليه أو تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي
وأبو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا و
مقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله إعرابا قل ما يعبأ بكم ربي ما يصنع
بكم من عبأت الجيش إذا هيأته أو لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فإن شرف
الإنسان وكرامته بالمعرفة والطاعة وإلا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل
معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما إن جعلت استفهامية فمحلها

النصب

النصب على المصدر كأنه قيل أي عبء يعبأ بكم فقد كذبتم بما أخبرتكم به حيث خالفتموه
وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال إذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب
الكافرون بها أي الكافرون منكم لأن توجه الخطاب إلى الناس عامة بما وجد في جنسهم
من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة
أو أثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وإنما أضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على أنه مما
لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما
بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان
لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية إلا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون إلى آخرها وهي
مائتان وست أو سبع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

طسم قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة ونافع بين بين كراهة العود إلى الياء
المهروب منها وأظهر نونه حمزة لأنه في الأصل منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب
المبين الظاهر إعجازه وصحته والإشارة إلى السورة أو القرآن على ما مر في أول
البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك وأصل البخع أن يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن
الفقار وذلك أقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالإضافة ولعل للإشفاق
أي أشفق على نفسك أن تقتلها ألا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لا
يؤمنوا إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة إلى الإيمان أو بلية قاسرة
عليه فظلت أعناقهم لها خاضعين منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت
الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله وقيل لما وصفت الأعناق بصفات
العقلاء أجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء أو الجماعات من قولهم جاءنا عنق
من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف وأكن على فأصدق

لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن
من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا
عنه معرضين الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد
اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا
في قوله فسيأتيهم اي سيأتيهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة انباء ما كانوا به يستهزءون
من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يعظم قدره او يكذب فيستخف امره
اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف
كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون
مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت
الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك
ان في انبات تلك الاصناف او في كل واحد لآية على ان منبتها تام الحكمة سابغ
النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم
امثال هذه الآيات العظام وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من
الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن
واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت
القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل
من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى
بذلك الا يتقون استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم
في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم
وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث
انه مبلغه واسماعه مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده

وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن يا الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون
كقوله الا يسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق
لساني فارسل الى هرون استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له في الامر على
الاعذار الثلثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في
اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا
اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة
حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر
بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرا يعقوب ويضيق ولا
ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف عنه ولهم علي ذنب
اي تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه ذنبا
على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع فاخاف ان يقتلون
به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة
كما ان ذاك استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا اجابة
له الى الطلبتين بوعده لدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه
في الارسال والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي
يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته بآياتنا
انا معكم يعني موسى وهرون وفرعون مستمعون لما يجري بينكما وبينه فاظهركما
عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد اوليائه
منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع
الذي هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده و
معكم لغو فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد الرسول لانه مصدر

مصدر وُصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت
عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثُنّي تارة وأُفرد اخرى او لاتحادهما
للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا أن ارسل معنا
بني اسرائيل اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول
والمراد خلّهم يذهبوا معنا الى الشام قال فرعون ألم نربك فينا في منازلنا وليدا
طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم
ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين
ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي
وبخه به معظما اياه بعدما عدد عليه نعمته وقرئ فِعلتك بالكسر لانها كانت
قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن
تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين
ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد
عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين
من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من
المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التأديب
او الناسين من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما
وجعلني من المرسلين رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما
عدّ عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه
بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها
علي ان عبدت بني اسرائيل اي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة
تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي الكل

وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي اوتلك نعمة تمنها علي وهي
ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار
الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت
عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها
وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه وملائه قال فرعون
وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في
الاعتراض على دعواه فبدأ في الاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات و
الارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص
والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه
الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته
وذلك المبدأ لا بد وان يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن
والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب
لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه
لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله ألا تستمعون جوابه سألته عن حقيقته وهو
يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية
او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم
فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند
التأمل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر
وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم
انه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها
الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل

علمتم ان لاجواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما راى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم
بمثل مقالهم قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدل الى التهديد
عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه
الالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره
ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا او تولى امره بقوة طالعه استحق العبادة
من اهله واللام في من المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه
كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال
اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين صدق دعواي يعني
المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق
مدعي النبوة لابد له من حجة فالقى نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف
الفعل قال فات به ان كنت من الصادقين في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي
النبوة لابد له من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق
الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
روي ان فرعون لما راى الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال ما فيها فادخلها
في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملا حوله مستقرين
حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد ان
يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى
الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار
عن ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما
وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة ياتوك بكل سحار عليم يفضلون
عليه في هذا الفن وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من

ساعات

ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون
فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تابط شرا هل انت باعث
دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا
لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي
باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان
يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما
جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن
المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذن على ما تقتضيه
من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون اي بعدما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم
بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق
فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على
ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم او لاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى
به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرا حفص تلقف بالتخفيف
ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم
انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمافوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين
لعلمهم بان مثله لا يتاتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل
شيئا لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله
ويدل على انهم لما راوا لم يتمالكوا انفسهم كانهم اخذوا وطرحوا على وجوههم وانه تعالى
القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا امنا برب العالمين بدل من القي بدل الاشتمال
او حال باضمار قد رب موسى وهرون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار

على الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهم قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي
علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس
على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر وروح أآمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا
في ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب
للثواب والقرب من الله او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها
انا نطمع ان يغفر لنا خطايانا ان كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون
او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة
وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل
بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي
وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم
يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من
سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة
الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم
بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون
البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر
بسراهم في المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون
على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده
اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها
ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل وانهم

لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون وانا لجمع من عادتنا
الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى
تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه او
اعتذارا بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون
حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا
من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء قال
أحب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر او تامو
السلاح فان ذلك يوجب حدارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا داعية
الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو
مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون
خبرا لمحذوف واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين
داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى
كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون
وقرئ لمدّركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك
على ايديهم قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ان معي ربي
بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم روي ان مؤمن آل فرعون كان
بين يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال
امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك
البحر القلزم او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها
مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم الجبل المنيف في مقره فدخلوا في شعابها

كل سبط في شعب وأزلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على
أثرهم مداخلهم وأنجينا موسى ومن معه أجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى
أن عبروا ثم أغرقنا الآخرين بإطباقه عليهم إن في ذلك لآية وأية آية وما كان
أكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها أكثرهم إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر
من القبط وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وإن ربك لهو العزيز المنتقم لأعدائه الرحيم بأوليائه
واتل عليهم على مشركي العرب نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون سألهم
ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين
فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل هاهنا بمعنى ندوم
وقيل كانوا يعبدونها نهارا دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم
أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة إذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم
أي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع إذ على حكاية الحال
الماضية استحضارا لها أو ينفعونكم على عبادتكم لها أو يضرون من أعرض
عنها قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو
يتوقع منهم ضر أو نفع والتجأوا إلى التقليد قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم و
آباؤكم الأقدمون فإن التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا
فإنهم عدو لي يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث إنهم يتضررون
من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو أن المغري بعبادتهم
أعدى أعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الأمر في نفسه تعريضا لهم فإنه
أنفع في النصح من التصريح وإشعارا بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون
أدعى إلى القبول وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدر أو بمعنى النسب إلا رب

العالمين استثناء منقطع أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبدوه وكان من
آبائهم من عبد الله الذي خلقني فهو يهدين لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق
له من أمور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة
من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها
بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الطمث من الرحم و
منتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية إن جعل
الموصول مبتدأ وللعطف إن جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم
لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين على الأول
مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول
على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم
وإذا مرضت فهو يشفين عطفه على يطعمني ويسقين لأنه من روادفهما
من حيث إن الصحة والمرض في الأغلب يتبعان المأكول والمشروب
وإنما لم ينسب المرض إليه لأن مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض بإسناد الإماتة
إليه فإن الموت من حيث إنه لا يحس به لا ضرر فيه إنما الضرر في مقدماته
وهي المرض ثم إنه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحاب التي يستحقر دونها
الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن والبلية ولأن المرض في غالب
الأمر إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الأخلاط
والأركان من التنافي والتنافر والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال
المخصوص عليها قهرا بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الآخرة
والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما
للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لأن يغفر لهم ما يفرط منهم و

استغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلث اني
سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب
هب لي حكما كمالا في العلم والعمل استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني
بالصالحين ووفقني للكمال في العمل انتظم به في اعداد الكاملين في الصلاح الذين
لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل لي لسان صدق في الآخرين جاها
وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم
محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس
الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه واجعلني من
ورثة جنة النعيم في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لابي بالهداية و
التوبة والتوفيق للايمان انه كان من الضالين طريق الحق وان كان هذا الدعاء
بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمروذ ولذلك وعده
به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او
بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب
عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان
او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون او
للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي لا ينفعان
احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الا
مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق
وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة
وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل الا
منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه وازلفت الجنة

للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت
الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي
اختلاف الفعلين ترجيح الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله
اين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او
ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها
هم والغاوون اي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه
كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود
ابليس متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود
ان جعل مبتدأ خبره ما بعده وللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل
وما يعود اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال
مبين على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله اذ
نسويكم برب العالمين اي في استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضماير للعبدة
كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم
في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها وما اضلنا
الا المجرمون فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ولا صديق
حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين
ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها
شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق الواحد لكثرة الشفعاء
في العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء
او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه مصدر في الاصل كالحنين والصهيل
فلو ان لنا كرة تمن للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير

او شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اي
لو ان لنا ان نكر فنكون ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابراهيم لآية لحجة وعظة
لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير
يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية و
التنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه
عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا
وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر
قومه مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم
بالامهال لكي يؤمنوا هم او احد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم
مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال
لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره اني لكم رسول
امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة
لله وما اسألكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجري الا على رب العالمين
فاتقوا الله واطيعون كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه
على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا قالوا انؤمن لك واتبعك
الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب واتباعك
وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور
رأيهم على الحطام الدنيوي حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم
بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة
وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه
اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم

وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء في الجميع

على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون
ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم
وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير
مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء
كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما
علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا علي ان اطردهم لاسترضائكم قالوا
لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين
بالحجارة قال رب ان قومي كذبون اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب
الحق لا تخويفهم له واستثقالا فهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني
وبينهم من الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم او شؤم عملهم
فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد بعد نجاته الباقين
من قومه ان في ذلك لآية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم
اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة
على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى
ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء عليهم الصلوة والسلام متفقين على ذلك وان
اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية اتبنون
بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها
اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون
اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصورا

مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها وإذا بطشتم بسوط أو سيف بطشتم
جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة فاتقوا
الله بترك هذه الأشياء وأطيعون فيما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم واتقوا الذي
أمدكم بما تعلمون كرره مرتبا على إمداد الله إياهم بما يعرفونه من أنواع النعم
تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الإمداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل
بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها إجمالا بالإنكار في ألا تتقون
مبالغة في الإيقاظ والحث على التقوى أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون
ثم أوعدهم وقال إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا وفي الآخرة فإنه كما
قدر على الإنعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين
فإنا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم
بوعظه إن هذا إلا خلق الأولين ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين أو ما
خلقنا هذا إلا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم وحمزة خلق بضمتين أي ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق
الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت
إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه
فأهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين
وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون
إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا
على رب العالمين أتتركون فيما هاهنا آمنين إنكار لأن يتركوا كذلك أو تذكير بالنعمة
في تخلية الله إياهم وأسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون
وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر أو لأن النخل أنثى وطلع إناث

هو الطلع ما يطلع منها

النخل لطيف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو أو متدل منكسر
من كثرة الحمل وإفراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار
وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين أو حاذقين من الفراهة وهي النشاط
فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو أبلغ فاتقوا الله وأطيعون
ولا تطيعوا أمر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الأمر أو نسب حكم الآمر
إلى أمره مجازا الذين يفسدون في الأرض وصف موضح لإسرافهم ولذلك عطف
ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم أو من ذوي السحر وهي
الرئة أي من الأناسي فيكون ما أنت إلا بشر مثلنا تأكيدا له فأت بآية إن كنت من
الصادقين في دعواك قال هذه ناقة أي بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما
اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت
وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ولا
تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه
ولذلك أخذوا جميعا فأصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة
أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فأخذهم العذاب أي العذاب الموعود
إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الإيمان
عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب
وأن قريشا إنما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال
لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما
أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين
أي أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم أو أتأتون
الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم فالمراد بالعالمين

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو

قالوا إنما أنت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم

وهو أبلغ من تعظيم العذاب فعقروها أسند العقر إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم

على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم من
ازواجكم للبيان ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن
فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون
عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي
وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة
قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من المخرجين
من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء
حال قال اني لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار عليه
بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم
مشهور بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اي من شومه وعذابه فنجيناه و
اهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول
العذاب بهم الا عجوزا هي امراة لوط في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب
اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم
وقيل كانت فيمن بقيت في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم
وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم فساء
مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص
بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر
يريد غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين و
كان شجرهم الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا

وفي

وفي صاد بغير الالف اتباعا للخط اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا
من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان
السوي وهو ان كان عربيا فانه كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا فنعلال
وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا
شيئا من حقوقهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق
واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم
من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة
على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وان نظنك
لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب
لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرا حفص بفتح السين ان كنت
من الصادقين في دعواك قال ربي اعلم بما تعملون وبعذابه منزل عليكم
بما اوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم
الظلة على نحو ما اقترحوا بان سلط عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم
فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب
يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
هذا آخر القصص السبع المذكورة على الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد
انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاتهم به يدفع ان يقال انه كان
بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب
العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه

على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها
لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو
فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب
لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح
الامين جبريل فانه امين الله على وحيه لتكون من المنذرين عما يؤدي الى عذاب
من فعل او ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه
فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة
العرب وهو هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليه وعليهم السلام وانه
لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم آية
على صحة القرآن او نبوة محمد ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه
بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرا ابن عامر تكن بالتاء وآية
بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدلا
ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن
ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقراه
عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم من اتباع العجم والاعجمين
جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه في
قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية
على انه بخلق الله وقيل للقرآن اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه
ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان
فياتيهم بغتة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون
تحسرا وتاسفا افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا حجارة فاتنا بما تعدنا

وقرا ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح الامين

وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم
ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول
في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا اهلها
الزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى
الانذار او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم
في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين
وقبل الانذار وما تنزلت به الشياطين كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين
على الكهنة وما ينبغي لهم وما يصح لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون
انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول
فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة
بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من
الملائكة فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص
ولطف لسائر المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام
اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه
فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم
مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع
اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان
او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه
او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه
يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل على الابدال

من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم الى التهجد وتقلبك في الساجدين
وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف
تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها
كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما بين
المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه
تع بعلمه بحاله التي بها يستاهل ولايته بعد وصفه بان من شانه قهر اعدائه
ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه انه هو السميع بما تقوله العليم
بما تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان
القران لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا عليه
الصلوة والسلام لا يصلح ان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير
كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد
وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع و
اكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا
وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق
اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد
فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه اخبر بمغيبات
كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية
باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل
الضمير للشياطين اي يلقون السمع الى الملا الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون
منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم
واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة

لشرارتهم

لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع
محمد ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر انهم في
كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب
بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب
والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله وانهم
يقولون ما لا يفعلون وكانه لما كان اعجاز القران من جهة اللفظ والمعنى وقد
قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس كلام
الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القران لهما ومضادة حال الرسول
لحال اربابهما وقرا نافع ويتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين
العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون
ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته
ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله
بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه الصلوة والسلام يقول
لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه الصلوة
والسلام قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين
ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام
والتهويل وقد تلا ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه اي منفلت ينفلتون
من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون من عذاب الله وسيعلمون
ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة

الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به و
هود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم السلام

سورة النمل مكية وهي ثلث او اربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن و
كتاب مبين الاشارة الى آي السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته
انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتاخيره باعتبار تعلق علمنا به
وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع الله فيه من الحكم
والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى
وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة
او بدلان منها او خبران او خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون
من تتمة الصلة والواو للحال او العطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته
وانهم الاوحديون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة
والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
زينا لهم اعمالهم زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس
او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم
يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل
والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوت
المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القرآن لتؤتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم

واي عليم

واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان
الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس كذلك
كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال موسى
لاهله اني آنست نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق
بعليم سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه
لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان
وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون
قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف
له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي
في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة
بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها
والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي ان بورك اي بورك فان النداء فيه معنى
القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض
بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من في النار ومن
حولها من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ
الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك
الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء صلوات
الله عليهم وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل
المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر
عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به
لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه

او تعجب

من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان
له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما
يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كلما يفعله بحكمة وتدبير والق عصاك عطف
على بورك اي نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان
الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب
كانها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء
الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما
رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف اي من غيري
ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون اي حين يوحى اليهم من فرط
الاستغراق فانهم اخوف الناس من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون
منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به
ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم
وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد
تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف
اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف
لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص
في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد
العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى
فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون
وقومه وعلى الاول يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال

فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا
بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر
من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها
وتامل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح
سحريته وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو
للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا من الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في البحر والاحراق في الآخرة ولقد آتينا
داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا الحمد لله
عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال
ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين
يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث
شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت
غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد
انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم
او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها
الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء
للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم
ما اوتيه والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان
او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة
ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها
تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض

بحيث اذا صوت يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان عليه السلام مهما سمع صوت
حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن
ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا
فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم
قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد
السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء
ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمان جنوده
من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم على آخرهم
ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل وادي بالشام كثير النمل وتعدية الفعل
اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء
اذا انفذه وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي قالت نملة يا ايها
النمل ادخلوا مساكنكم كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة
حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة نبهت بها ما بحضرتها من النمال
فتبعها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه
لا يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم
والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ها هنا فهو
استيناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وهم لا يشعرون
انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء
وقيل استيناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا
من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله به من
ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعني

ان

فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة صح

ان اشكر نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني
بحيث لا انفك عنه التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة
او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية
وان اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد
فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن
انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب
فاضرب عن ذلك فقال اهو غائب كانه يسال عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا
شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل ياكله او جعله مع ضده
في قفص او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او لياتيني بسلطان مبين بحجة
تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما
اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما فمكث
غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه فقال
احطت بما لم تحط به يعني حال سبا وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه على ان في ادنى
خلق من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ
بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك من سبا وقرا ابن
كثير وابو عمرو غير مصروف على تاويل القبيلة او البلدة بنبا يقين بخبر محقق
روي انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام
به ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته
نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء
فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط

وكان ابو بلقيس ملكا عظيما وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفوا لي وابى ان يتزوج منهم فزوجوه امراة من الجن يقال لها ريحانة بنت سكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها فلما مات ابوها طمعت في الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعوها وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس

اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل
في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها
من يعرفها ويستنكرها من ينكرها انى وجدت امراة تملكهم يعني بلقيس بنت
شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبا او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج
اليها الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل
كان ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة
مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها
وزين لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من مقابح افعالهم فصدهم
عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله فصدهم
لان لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون
الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرا الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه
ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله الا يا اسلمي يا دار مي
على البلى فعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله
او من سليمان والوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى الاول ذما
على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ
هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي
يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون وصفه بما
يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا
على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم
اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في
الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب

ولوجوده

لوجوده ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته الله لا اله الا هو رب العرش العظيم
الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم
قال سننظر اصدقت سنتعرف من النظر بمعنى التامل اصدقت ام كنت
من الكاذبين اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب
بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه
فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي ما القي
اليها يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم لكرمه مضمونه او موسله او لانه كان
مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل
الهدهد في كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استئناف
كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي ان الكتاب او العنوان من
سليمان وانه وان المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب او
التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علي ان مفسرة او مصدرية فيكون
بصلتها خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب واتوني
مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على
المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما
والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل
وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد
فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة قالت يا ايها الملا افتوني
في امري اجيبوني في امري الفتي واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة
امرا ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة
قالوا نحن اولو قوة بالاجساد والعدد واولو باس شديد نجدة وشجاعة والامر

وروي ان نسخة الكتاب كانت من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكانت الانبياء لا يطيلون ولا يكثرون

إليك موكول فانظري ماذا تأمرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك
قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها تزييف لما أحست منهم من الميل
إلى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية وإشعار بأنها ترى الصلح مخافة
أن يتخطى سليمان خططهم فيسرع إلى إفساد ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم
ثم إن الحرب سجال لا يدرى عاقبتها وجعلوا أعزة أهلها أذلة بنهب أموالهم و
تخريب ديارهم إلى غير ذلك من الإهانة والأسر وكذلك يفعلون تأكيد لما
وصفت من حالهم وتقرير بأن ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة أو تصديق
لها من الله تعالى وإني مرسلة إليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى
إني مرسلة رسلا بهدية أدفعه بها عن ملكي فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله
حتى أعمل بحسب ذلك روي أنها بعثت منذر بن عمرو في وفد وأرسلت معهم
غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة
معوجة الثقب وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة
ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا إلى معسكره ورأوا عظمة شأنه
تقاصرت إليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب
الحق وأخبر عما فيه فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة
بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء وكانت الجارية تأخذ
الماء وكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها
والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان أي الرسول أو
ما أهدت إليه وقرئ جاؤوا قال أتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه أو ما أهدت
إليه وقرئ جاؤوا ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب
بالإدغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فما آتاني الله خير من النبوة

والملك الذي لا مزيد عليه خير مما آتاكم فلا حاجة لي إلى هديتكم
ولا وقع لها عندي بل أنتم بهديتكم تفرحون لأنكم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة
الدنيا فتفرحون بما يهدى إليكم حبا لزيادة أموالكم أو بما تهدونه افتخارا على أمثالكم
والإضراب عن إنكار الإمداد بالمال عليهم وتعليله إلى بيان ما حملهم عليه وهو قياس
حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع إليهم أيها الرسول إلى بلقيس وقومها فلنأتينهم
بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقاتلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم
منها من سبأ أذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون أسراء مهانون
قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من
العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها
بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره قبل أن يأتوني مسلمين فإنها إذا أتت
مسلمة لم يحل أخذه إلا برضاها قال عفريت خبيث مارد من الجن بيان
له لأنه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر أقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا أنا
آتيك به قبل أن تقوم من مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف
النهار وإني عليه على حمله لقوي أمين لا أختزل منه شيئا ولا أبدله قال
الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وزيره أو الخضر أو جبريل أو
ملك أيده الله به أو سليمان نفسه والتعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم
وأن هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك
طرفك للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو أراد إظهار معجزة في نقله
فتحداهم أولا ثم أراهم أنه يتأتى له ما لا يتأتى لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم
والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية
والاسمية والطرف تحريك الأجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر موصوفا

الناظر بارسال الطرف كما في قوله • وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا • والطرف
لقلبك يوما اتعبتك المناظر • ووصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل
طرفك نحو شي فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع
ومثل فيه فلما رآه رای العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا
للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا من فضل ربي تفضل به
علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف
من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في آية الاسراء ليبلوني
أأشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد
نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من اليا
ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها
عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالانعام
عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ
بالرفع على الاستيناف أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او
الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته
مغلقة عليه الابواب موكلا عليه الحراس فلما جاءت قيل أهكذا عرشك تشبيها
عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كأنه هو
ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها وأوتينا العلم من
قبلها وكنا مسلمين من تمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار
معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او
المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما
فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذاك عرشها

والطرف

عن شكره

تجويزا غالبا واحضاره ثم من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على الانبياء اي
واوتينا العلم بالله وبقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على
دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له وصدها
ما كانت تعبد من دون الله اي وصدها عبادتها الشمس بالتوفيق للايمان انها كانت
من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اي صدها نشوؤها بين
اظهر الكفار او التعليل له قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما
رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي انه امر قبل قدومها فبني
قصر صحنه من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه حيوانات
البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت
عن ساقيها وعن ابن كثير سأقيها بالهمز حملا على جمعه سؤوق واسؤق قال انه
انما تظنيه ماء راكدا فلا تكشفي عن ساقيها وعن ابن كثير صرح ممرد مملس من قوارير
من الزجاج قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادتي وقيل بظني بسليمان فانها
حسبت انه يغرقها في اللجة واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما امر
به عباده وقد اختلف في انه تزوجها او زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد
ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون
على اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام
فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة
بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول
العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله
قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك ومن
معك اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال

طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم قوم
تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذي
هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط
تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه
من الثلاثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون اي شأنهم الافساد الخالص
عن شوب الصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر
وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ
حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر
ثم لنقولن فيه القراءات الثلاث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله فضلا ان
تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص
فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون
ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير
المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت
ثم رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا
لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب
يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا
الى الشعب ليقتلوه فوقع صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثم وهلك
الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم
وقومهم اجمعين وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف
او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون
ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف

حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم
اذا سقط وهي حال عامل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين
آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا
واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول
ظرف على الثاني أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب
واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون
بها فيكون افحش ائنكم لتأتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة طلب
النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتي خلقن لذلك لا يميزون بين الحسن والقبح
او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن
افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها
من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء
مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله
صلى الله عليه وسلم بعدما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه
وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على
المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم
وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من
اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آلله خير اما يشركون الزام لهم
وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب اذ من المعلوم ان لا خير
فيما اشركوه راسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير أمّن خلق السماوات

والأرض التي هي أصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه
بدل من الله وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل
به عن الغيبة الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان المتشابهة
لا يقدر عليه كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي
البساتين من الاحداق وهو الاحاطة أإله مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا
وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل مثل تدعون او تشركون وبتوسيط
مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي هو
التوحيد أمن جعل الارض قرارا بدل من أمن خلق السموات وجعلها قرارا ابدا
بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل
خلالها وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا يتكون فيها المعادن وينبع
من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم
حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق
فيشركون به أمن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجا
الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق
فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه ويجعلكم خلفاء
الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم أإله مع الله الذي
حفكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اي تذكرون الاءه تذكرا قليلا
وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرا ابو عمرو وروح
بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال أمن يهديكم في ظلمات البر
والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر
للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل

الرياح

الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون
الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها
الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله والفاعل
للسبب فاعل للمسبب أإله مع الله يقدر على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون
تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق أمن يبدأ الخلق ثم يعيده و
الكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء
والارض باسباب سماوية وارضية أإله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم
على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال
القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا
الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم
له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية
للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة
في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق
علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولي العلم من خلقه
وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون مركبة
من اي وان وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادارك علمهم في
الاخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ
فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات
وهو ان القيمة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في
امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا
وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل

البعض الى الكل والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وتمثيل اول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقرا نافع وابن عامر وحمزة وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادّرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادّرك وبل تدارك وبلى ادرك وبلى أأدرك وام ادرك وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد لشعورهم وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخّر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرا ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيّق اي امر ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك

من الناس

من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل تعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم عليه جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرئ تكن من كننت اي سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة الا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما تلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء

إذا ولوا مدبرين فإن إسماعهم في هذه الحال أبعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم
وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر إن تسمع
أي ما يجدي إسماعك إلا من يؤمن بآياتنا من هو في علم الله كذلك فهم
مسلمون مخلصون من أسلم وجهه وإذا وقع القول عليهم إذا دنا وقوع معناه
وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب أخرجنا لهم دابة من الأرض وهي
الجساسة روي أن طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش
وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي أنه عليه السلام سئل
من أين تخرج فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم
من الكلام وقيل من الكلم إذ قرئ تكلمهم وروي أنها تخرج ومعها عصا
موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض
وجهه وبالخاتم في أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه إن الناس
كانوا بآياتنا خروجها وسائر أحوالها فإنها من آيات الله وقيل القرآن
لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها أو حكايتها لقول الله أو علة
خروجها وتكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل أمة فوجا يعني يوم
القيمة ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج أي فوجا مكذبين ومن الأولى للتبعيض
لأن أمة كل نبي وأهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون
يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد
أطرافهم حتى إذا جاؤوا إلى المحشر قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما الواو
للحال أي أكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وأنها
حقيقة بالتصديق أو التكذيب أو للعطف أي أجمعتم بين التكذيب بها وعدم
وعدم إلقاء الأذهان لتحققها أماذا كنتم تعملون أم أي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك

وهو

وهو للتبكيت إذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون أن يقولوا فعلنا
وغير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار
بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فهم لا ينطقون
باعتذار لشغلهم بالعذاب ألم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم إلى تجويز الحشر
وبعثة الرسل لأن تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين
بذاته لا يكون إلا بقدرة قاهرة وأن من قدر على إبدال الظلمة بالنور في مادة
واحدة قدر على إبدال الموت بالحياة في مواد الأبدان وأن من جعل النهار ليبصروا
فيه سببا من أسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم
ومعادهم أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فإن أصله
ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الإبصار حالا من أحوال المجعول عليها بحيث
لا ينفك عنها إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون لدلالتها على الأمور الثلثة و
يوم ينفخ في الصور في الصور أو القرن صورة وصور كصوفة وصوف وقيل
إنه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق ففزع من في السموات
ومن في الأرض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه إلا من شاء الله أن
لا يفزع بأن يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وقيل
الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لأنه صعق مرة ولعل
المراد ما يعم ذلك وكل أتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية أو راجعون
إلى أمره وقرأ حمزة وحفص أتوه على الفعل وقرئ أتاه لتوحيد لفظ الكل داخرين
صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي
تمر مر السحاب في السرعة وذلك لأن الأجرام الكبار إذا تحركت في سمت واحد
لا تكاد تتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة

كقوله صنع الله الذي أتقن كل شيء أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي إنه خبير بما
تفعلون عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة
فله خير منها إذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة
وقيل خير منها أي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وهم من فزع يومئذ آمنون
يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالأول ما يلحق الإنسان من التهيب لما يرى
من الأهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون
بالتنوين لأن المراد فزع واحد من أفزاع ذلك اليوم وآمن يعدى بالجار وبنفسه
كقوله أفأمنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم في النار
فكبوا فيها على وجوههم ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريدت بالأيدي في
قوله ولا تلقوا بأيديكم هل تجزون إلا ما كنتم تعملون على الالتفات أو بإضمار القول
أي قيل لهم ذلك إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها أمر الرسول
بأن يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيمة إشعارا بأنه
قد أتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد إلا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة
ربه وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ التي
حرمها وله كل شيء خلقا وملكا وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين أو الثابتين
على ملة الإسلام وأن أتلو القرآن وأن أواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في
تلاوته شيئا فشيئا أو اتباعه وقرئ واتل عليهم وأن اتل فمن اهتدى باتباعه إياي في
ذلك فإنما يهتدي لنفسه فإن منافعه عائدة إليه ومن ضل بمخالفتي فقل إنما أنا من
المنذرين فلا علي من وبال ضلاله شيء إذ ما على الرسول إلا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد
لله على نعمة النبوة أو على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم آياته القاهرة في الدنيا
كوقعة بدر وخروج دابة الأرض أو في الآخرة فتعرفونها فتعرفون أنها آيات

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء

وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها

الله ولكن حسبي أن ينفعكم الحجة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم
لغفلته عن أعمالكم وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان
له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وإبراهيم
وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله سورة القصص مكية
قيل إلا قوله الذين آتيناهم الكتاب إلى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو
عليك نقرؤه بقراءة جبريل ويجوز أن يكون بمعنى ننزله مجازا من نبإ موسى
وفرعون بعض نبئهما متلبسين بالحق محقين لقوم يؤمنون لأنهم المنتفعون
به إن فرعون علا في الأرض استئناف مبين لذلك البعض والأرض أرض مصر وجعل
أهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا
في استخدامه استعمل كل صنف في عمل أو أحزابا بأن أغرى بينهم العداوة
كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو إسرائيل والجملة حال
من فاعل جعل أو صفة لشيعا أو استئناف وقوله يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم
بدل منها وكان ذلك لأن كاهنا قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك
على يده وذلك كان من غاية حمقه فإنه لو صدق لم يندفع بالقتل وإن كذب
فما وجهه إنه كان من المفسدين فلذلك اجترأ على خلق كثير من أولاد الأنبياء
لتخيل فاسد ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض أن نتفضل عليهم
بإنقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على إن فرعون علا من حيث
إنهما وقعا تفسيرا للنبإ أو حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الإرادة
للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز أن يكون تعلق الإرادة به حينئذ تعلقا استقباليا
مع أن منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز أن تجري مجرى المقارن

أرض م

قتل

لبا

ونجعلهم أئمة مقتدين في امر الدين ونجعلهم الوارثين لما في ملك فرعون
وقومه ونمكن لهم في الارض ارض الشام واصل التمكين ان يجعل للشي مكانا يتمكن
فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم
من بني اسرايل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود
منهم وقري ويرى بالياء وفرعون وهامان بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام
او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه
في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني
لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين
روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالي بني اسرايل
فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها
ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته ثلثة اشهر ثم الح فرعون
في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في
النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو
عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرا حمزة حزنا ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شي فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا
لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله
بان ربي عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطاهم او لبيان الموجب
لما ابتلوا به وقري خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطا وقالت
امرات فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك
هو قرة عين لنا لانهما لما راياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت لها ابنة
برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها

برقيه فبرأت وفي الحديث انه قال لو قال هو قرة عين لي ولك لهداه الله كما هداها
لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلايل
النفع وذلك لما رات من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء
او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين
او من القائلة والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطا في التقاطه او في طمع النفع
منه والتبني له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يعرفون
انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها
من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء
لفرط اي خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قري فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي
هدرا او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه
ان كادت لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط
الضجرة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من
المؤمنين من المصدقين بوعد الله او الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه
وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته مريم قصيه
اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقري عن جانب وعن جنب
وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه
ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل
من قبل قصصها اثره فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم
له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال
انها لتعرفه واهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك

ناصحون فامرها فرعون بان تأتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون
يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انت
منه فقد ابى كل ثديك فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي
الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله
فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم
مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض
الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين
سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه
وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث
نبي الا على راس اربعين واستوى قده او عقله آتيناه حكما نبوة وعلما بالدين
او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو
اوفق لنظم القصة لانه استنبأه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي
فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا
من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من
اهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان في وقت
القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر ممن خالفه
وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من
عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه فوكزه
موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه
فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان

لانه لم يؤمر بقتل الكافر او لانه كان مامونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك
في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم
في استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب
اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي فغفر له لاستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم
بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة
وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي بحق انعامك علي
اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس لم يستثن
فابتلي به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن
استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد فاذا
الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له
موسى انك لغوي مبين بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل لانه لم يكن على دينهما
ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت
نفسا قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي وكانه
توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ان تريد ما تريد
الا ان تكون جبارا في الارض تطاول على الناس ولا تنظر العواقب
وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن
ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج
مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة
يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة
لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين

بامر الآخر بامر فاخرج اي كن من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين
لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لحوق
طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم
ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابرهيم
ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى
ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف
الطرق فعن له ثلث طرق فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا
في الآخرين ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد
عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم
ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان اي تمنعان اغنامهما
عن الماء كيلا تختلط باغنامهم قال ما خطبكما ما شانكما تذودان قالتا لا نسقي
حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال
وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي
لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم
وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي
فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما مع ما كان به من الوصب
والجوع وجراحة القدم قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله
الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده وقيل كانت بئر اخرى عليها صخرة فرفعها
واستقى منها ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي اي شيء انزلت
الي من خير قليلا او كثيرا وحمله الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك
عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا

لانه كان

لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته
احداهما تمشي على استحياء اي مستحية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى
واسمها صفوراء او صفراء وهي التي تزوجها موسى قالت ان ابي يدعوك ليجزيك
ليكافيك اجر ما سقيت لنا اجر سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية
الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه
طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا [illegible]
بشيء لم تحز اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم
الظالمين يريد فرعون وقومه قالت احداهما يعني التي استدعته يا ابت استأجره
لرعي الغنم ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل شايع يجري مجرى الدليل
على انه امر مجرب معروف روي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت
اقلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه
قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ان تأجر نفسك
مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولى
ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج فان اتممت
عشرا عملت عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا لا مني عندي
الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على معينة وبمهر
او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوفي الاخير ان تيسر له قبل العقد
وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك وما اريد
ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات و
استيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق
عليك اعتقادك في اطاقته ورأيك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من

الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة
قال ذلك بيني وبينك أي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه
أيما الأجلين أطولهما أو أقصرهما قضيت وفيتك إياه فلا عدوان علي
لا يعتدى علي بطلب الزيادة على العشر فكما لا أطالب بالزيادة على الثماني أو فلا
أكون متعديا بترك الزيادة عليه كقولك لا إثم علي وهو أبلغ في إثبات
الخيرة وتساوي الأجلين في القضاء من أن يقال إن قضيت الأقصر فلا
عدوان علي وقرئ أيما كقوله تنظرت نصرا والسماكين أيهما علي من الغيث استهلت
مواطره وأي الأجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل أي أي الأجلين
جردت عزمي لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول وكيل شاهد حفيظ
فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله بامرأته روي أنه قضى أقصى الأجلين ومكث
بعد ذلك عنده عشرا أخرى ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور نارا أبصر
من الجهة التي تلي الطور قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها
بخبر عن الطريق أو جذوة عود غليظ سواء كان في رأسه نار أو لم يكن
قال باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال
وألقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك
بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون
تستدفئون بها فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن أتاه النداء
من الشاطئ الأيمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ أو صلة
لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لأنها كانت نابتة على
الشاطئ أن يا موسى أي يا موسى إني أنا الله رب العالمين هذا وإن خالف
ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود وأن ألق عصاك فلما رآها

تهتز أي فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كأنها جان
في الهيئة والجثة أو في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب
ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين عن
المخاوف فإنه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك أدخلها
تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم إليك جناحك يديك المبسوطتين
تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى و
بالعكس أو بإدخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو أن يكون
ذلك في وجه العدو إظهار جراءة ومبدأ الظهور معجزة ويجوز أن يراد
بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر
فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه من الرهب من أجل
الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص
بالفتح والسكون والكل لغات فذانك إشارة إلى العصا واليد وشدده
ابن كثير وأبو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم
أبره الرجل إذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل إذا ابيض ويقال
برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك
مرسلا بهما إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين فكانوا أحقاء بأن
يرسل إليهم قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون بها وأخي
هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا معينا وهو في الأصل اسم ما
يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير
الحجة وتزييف الشبهة إني أخاف أن يكذبون ولساني لا يطاوعني عند

المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد
الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب
محذوف قال سنشد عضدك بأخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة
العضد لانه اليد تزاول به الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد
ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج بآياتنا
متعلق بمحذوف اي اذهبا بآياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون
اي تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله انتما
ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف
لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر موصوف
بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في آبائنا
الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم
اني محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قاله جوابا لمقالهم
ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما
فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد
بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود
منها بالذات هو الثواب والعقاب انما تصدت بالعرض وقرأ حمزة والكسائي قصد
يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة
في العقبى وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره
دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح
ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي
صرحا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي

اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منها اوضاع
الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة الرسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي
العلم نفي المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه
بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها
فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون
ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك
نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير
الحق بغير الاستحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الاخذ واستحقار للمأخوذ
كانه اخذهم مع كثرتهم في كف فطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم
ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار
الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب
عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين
يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيامة هم من المقبوحين من المطرودين
او ممن قبح وجوههم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون
الاولى اقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس انوارا لقلوبهم يتبصر
بها الحقائق ويميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرائع التي هي سبيل الله
ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى

وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم

منهم التذكر وتجدد عهد الارادة ونيله ما عزمت وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي او
الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربي منه والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا
اليه الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي
اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك
من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا
انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحينا اليك لانا انشأنا قرونا
مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست
العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل
مدين شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم تقرأ عليهم تعلما منهم آياتنا فيها قصتهم
ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد
به وقت ما اعطاه التورية وبالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران في القصة ولكن
رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة وقرئ بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما
متعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين
عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى
كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم
مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية
والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها لها
بالامر مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة
على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما اجيب به وانه لا يصدر عنهم حتى
يلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم

ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما
ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فنتبع آياتك يعني الرسول
المصدق بنوع من المعجزات ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا
اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا
اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة
زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعنون موسى
وهرون او موسى ومحمد تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين
وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما
الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل
كافرون اي بكل منهما او بكل الانبياء قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما
مما نزل على موسى وعلي واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى
ومحمد اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي يراد
بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك
دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة
يتعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا
كقوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما
يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام
بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد او التقييد فان هوى النفس
قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك
في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل
التذكير او في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم

يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون نزلت
في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر
من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في به واذا يتلى عليهم
قالوا آمنا به اي بانه كلام الله انه الحق من ربنا استيناف لبيان آخر للدلالة على ان
ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره في الكتب
المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم
صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم بالقرآن
بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده
او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة
ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلوة والسلام اتبع الحسنة السيئة
تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه تكرما وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء
لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا
تهدي من احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله
في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في
ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله
الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني
اكره ان يقال جزع عند الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا
نخرج منها نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب
وانما نحن اكلة راس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما

آمنا

امنا او لم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم
آمنون فيه يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرا نافع ويعقوب في رواية بالتاء
ثمرات كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة
الاصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة
التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا
وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق
من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من عند الله
معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم
احقاء بان يخافوا من باس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية
بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن
وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم
خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض
يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين
منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم
وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني
مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت
وما كان ربك وما كان عادته مهلك القرى حتى يبعث في امها في اصلها التي
هي اعمالها لان اهلها تكون افطن وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا لالزام الحجة
وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو
في الكفر وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها
تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير

في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وأبقى لانه ابدي افلا تعقلون
فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن
وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه
مدركه لاستحالة امتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية
كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب
للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب
وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرأ نافع وابن عامر في رواية والكسائي
ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها
ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب
باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي
فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول
بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء هم
الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم
فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم
لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم
الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة على الصفة وهو وان كانت فضلة لكنه
صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو
تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خليت عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون
اي كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة
بتبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا

لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون
لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني اي
تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول
لانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت
الانباء كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على
ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى
استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون
في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من
اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا
عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا
وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق
على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء
ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير
وظاهره نفي الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد
مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من
خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قولهم
لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار
والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير و
الصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد ويزاحم اختياره اختيار وتعالى
عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم
كعداوة الرسول وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة

لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاخرة والاولى لانه المولي للنعم
كلها عاجلها وآجلها يحمده المومنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد
لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا
وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ في كل شي واليه
ترجعون بالنشور قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو
المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيامة باسكان الشمس تحت الارض
او تحريكها حول الافق الغايرة من اله غير الله ياتيكم بضياء كان حقه هل
اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون
سماع تدبر واستبصار قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة
باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله ياتيكم
بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما
يقابله لان الضو نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع
الضو اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون
لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم
الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب
ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم
فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شي
اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير فساد رايهم والثاني انه لم يكن
عن سند وانما كان محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو
نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون
به فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة

الضايع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر
بن قاهث بن لاوي وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا
تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرايل او
حسدهم لما روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شي
الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه صناديقه
جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة
اولي القوة والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله
والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء
على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر
والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان
العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم
عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم
وعلل النهي هنا بكونه مانعا من محبة الله فقال ان الله لا يحب الفرحين اي
بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها
لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك
من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تاخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله
كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن
اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي له عما كان عليه من الظلم والبغي
ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم عندي فضلت
به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال
وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيميا وقيل علم التجارة والدهقنة

مفاتحه

المضاف

علم

وسائر المكاسب وقيل علم الكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك
جاز عندي اي في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون
من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع
علمه بذلك لانه قراه في التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه العلم
وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم
هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام
فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون
بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكده بان بين انه لم يكن مطلعا
بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه
في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب
ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على ما هو
عادة الناس من الرغبة يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا
من الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة
للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير
لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير فيه
للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل
الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي
فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت
وهو يداريه للقرابة حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه
فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها
فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن

جلدناه

جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل
يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل
لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى اليه
ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه
ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه
فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي لو دعاني مرة لاجبته
ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله فما كان له من
فئة اعوان مشتقة من فأوت رأسه اذا املته ينصرونه من دون الله فيدفعون
عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر
اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون
ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته
لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكان عند البصريين مركب
من وي للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل ويك
بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما
تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله ويكانه لا يفلح الكافرون
لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة
اشارة تعظيم كانه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة
والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما
على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله
من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر موضع المضمر تهجينا لحالهم بتكرير اسناد

السيئة إلا مثل ما كانوا يعملون إلا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقام مقامه
ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة إن الذي فرض عليك القرآن أوجب عليك تلاوته
وتبليغه والعمل بما فيه لرادك إلى معاد أي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك
أن يبعثك فيه أو مكة التي اعتدت بها على أنه من العادة رده إليها يوم الفتح
كأنه لما حكم بأن العاقبة للمتقين وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده
بالعاقبة الحسنى في الدارين روي أنه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق إلى مولده
ومولد آبائه فنزلت قل ربي أعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر
ومن منصوب بفعل يفسره أعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب
والإذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله
وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة أي لأجل الترحم فلا تكونن ظهيرا
للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والإجابة إلى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله
عن قراءتها والعمل بها بعد إذ أنزلت إليك وقرئ يصدنك من أصد وادع
إلى ربك إلى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله
إلها آخر هذا وما قبله للتهييج وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم لا إله إلا
هو كل شيء هالك إلا وجهه إلا ذاته فإن ما عداه ممكن هالك في حد ذاته
معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلق وإليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى
وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا
سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الم سبق الكلام في مثله ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه أو بما يضمر
معه أحسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها

ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين أو ما يسد مسدهما كقوله أن يتركوا أن يقولوا
آمنا وهم لا يفتنون فإن معناه أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك
أول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك
حسبت ضربه للتأديب أو أنفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله
بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات
وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في
الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فإن مجرد الإيمان
وإن كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي أنها نزلت
في ناس من الصحابة جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار وقد عذب في الله
وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم رماه عامر بن الحضرمي بسهم
يوم بدر فقتله فجزع عليه أبواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل
بأحسب أو بلا يفتنون والمعنى أن ذلك سنة قديمة جارية في الأمم كلها
فلا ينبغي أن يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الإيمان والذين
كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن أو ليجازين
وقرئ وليعلمن من الإعلام أي وليعرفنهم الناس أو وليسمنهم بسمة يعرفون
بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها أم حسب الذين يعملون السيئات
الكفر والمعاصي فإن العمل يعم أفعال القلوب والجوارح أن يسبقونا أن يفوتونا
فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب وأم منقطعة
والإضراب فيها لأن هذا الحسبان أبطل من الأول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون
أي بئس الذي يحكمونه أو حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو

لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من
الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد
زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله
او بسخط لما سخط منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لجاء واذا
كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق
رجاءه او ما يستوجب القربة والرضا وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقائدهم
وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات
فانما يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة به الى
طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان
بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه
ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له
احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول
مفسر للتوصية اي قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده
وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك
لتشرك بي ما ليس لك به علم بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان
ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا
تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول
ان لم يضمر قبل الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بالوالدين
ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص

وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم
ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في
لقمان والاحقاف والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين
في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين
او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله بان
عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن
الايمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن
انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم
فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين
من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين آمنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين
فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه
في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة
وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع
والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد
عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى
للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم
اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال و
الحمل على المعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من تبعهم شيء وليسألن يوم القيامة
سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث اذ روي انه
بعث على راس اربعين ودعا قومه تسعماية وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان

سنين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابد من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اى نوحا واصحاب السفينة ومن اركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اى السفينة او الحادثة آية للعالمين يتعظون ويستدلون بها وابرهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون وقرئ

بعث الناس وان تكذبوا وان تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل فلما تكذيبكم فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الذى زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شان النبي صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها لتسلية الرسول عليه الصلوة والسلام والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة وغيرها وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدا ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوها ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد عليهما الصلوة والسلام فانظروا كيف بدا الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدا والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف القدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في العطف ما مر وقرئ النشاءة كالرآفة ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى

كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه
تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم
من قضائه بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء او القلاع
الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم و
يمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر
من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل
وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها
يوم القيامة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا في الدنيا لانكار البعث
والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابرهيم له وقرئ
بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم
لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي فقذفوه
في النار فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات
هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها
لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله
اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها
وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون المفعول الثاني بتقدير مضاف او
بتاويلها بالمودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن
عامر وابو بكر منونة ناصبة والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس
مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة او سبب مودة بينكم
والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف
وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع

بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم
التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم
ضدا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن اخته واول
من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي
الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي
لا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع
لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم
ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة
من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء
والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا
في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم و
انتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين
لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه اذ قال
لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم بها من احد
من العالمين استئناف مقرر لفحاشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع
وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتأتون الرجال و
تقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت
الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون
في ناديكم في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع و
الضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل الخذف ورمي
البنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين

وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام في الثاني

في استقباح ذلك او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني بانزال
العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك
مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت
رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل
لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان
فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي
بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم
به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او تاقيت
الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تاخير البيان عن الخطاب الا امرأته كانت من الغابرين
الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة
والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما
وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت
يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال
ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما راوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم
منا انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين وقرا حمزة وابن كثير والكسائي
ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر في الثاني وموضع الكاف
جر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل
انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب
من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب وقرا ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة هي حكايتها الشائعة او

آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها
المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا
او آية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر و
افعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف
ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل
صيحة جبريل لان القلوب ترجف لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او دورهم
والاكتفاء بالواحد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان
باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرا حمزة وحفص ويعقوب
وثمود غير مصروف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم [illegible] لكم
من جهتها اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم
اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم
عن السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين متمكنين من
النظر والاستبصار لكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوفون
على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض
وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا
من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا
عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين
وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون
وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس
ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعرض للعذاب مثل الذين
اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا او مثلهم بالاضافة

الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذاك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما و
العنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت
ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت لبيت
العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون
يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهن من ذلك ويجوز
ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون
المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه
من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان ويعقوب
بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلقة عنها
ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء مصدر
او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين
تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل
على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شأنه وان الجماد
بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية
كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل
ونظائره نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها
وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه الصلوة
والسلام انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه
خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من
خلقها افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لآية

للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا
لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف
له اول ما قرع سمعه واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا
للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث
للنفس خشية منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته
ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما
عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات
ناهية عن السيئات او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم
ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة
باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذ لا
مجادلة اشد منه وجوابه انه آخر الدواء وقيل المراد به ذووا العهد منهم الا الذين
ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة
او بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو من
المجادلة التي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا
تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا
حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه
تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك
الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية ومن هؤلاء و
من العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتابيين

وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به
هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول من اهل
الكتاب

من يؤمن به القرآن وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها إلا الكافرون
المتوغلون في الكفر فإن جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها
لكونها معجزة بالإضافة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كما أشار إليه بقوله وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع
العلوم الشريفة على أمي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر
اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الإسناد إذا لارتاب المبطلون أي لو
كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه أو التقطه من كتب الأقدمين وإنما
سماهم مبطلين لكفرهم أو لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الإعجاز المتكاثرة
وقيل لارتاب أهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون
إبطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القرآن آيات بينات في صدور
الذين أوتوا العلم يحفظونه لا يقدر أحد تحريفه وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون
إلا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل إعجازها حتى لم يعتدوا
بها وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة
عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات قل إنما الآيات عند الله
ينزلها كما يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه وإنما أنا نذير مبين ليس
شأني إلا الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات أولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه
أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة
لا تضمحل بخلاف سائر الآيات أو يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في أيديهم من
نعتك ونعت دينك إن في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة
لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الإيمان دون التعنت
وقيل إن ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها

بعض

بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما
جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات
أو بتبليغي ما أرسلت به إليكم ونصحي ومقابلتكم إياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في
السموات والأرض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد
من دون الله وكفروا بالله منكم أولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالإيمان
ويستعجلونك بالعذاب بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء ولولا أجل مسمى لكل عذاب أو قوم
لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة فجأة في الدنيا كوقعة بدر أو الآخرة
عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون بإتيانه يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم
لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب أو هي كالمحيطة بهم
الآن لإحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الإحاطة أو للجنس فيكون استدلالا
بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة أو مقدر مثل كان
كيت وكيت من فوقهم ومن تحت أرجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله أو
بعض الملائكة بأمره وقرأه ابن كثير وابن عامر والبصريان بالنون ذوقوا
ما كنتم تعملون أي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي
فاعبدون أي إذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا
إلى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من أرض إلى
أرض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام
والفاء جواب شرط محذوف إذ المعنى إن أرضي واسعة إن لم تخلصوا العبادة
لي في أرض فأخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم إلينا ترجعون
للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي أن يجتهد في الاستعداد له والذين آمنوا وعملوا الصالحات

لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرئ لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون
انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف
الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم
والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة
للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا
على الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها وتوكلها واياكم مع
قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب
هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال
بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا
العليم بضميركم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر
المسؤول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات
الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك
الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له و
المضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على وضع
الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم يعلم
مصالحهم ومفاسدهم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من
بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها
ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما
عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون
فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدئ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل
لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف

لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان
يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الاخرة لهي
الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او جعلت في ذاتها
حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء
الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم
للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها
عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما
دل عليه شرح حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر
دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث
لا يذكرون الا الله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجئوا المعاودة الى الشرك
ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة
النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او
لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع
وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا
يعني اهل مكة انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب و
التعدي آمنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون
قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل ابعد هذه
النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان
يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام
او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم
ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول او الكتاب وفي لما تسفيه لهم
بان لم يتوقفوا ولم يتاملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه

أليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله ألستم خير من ركب المطايا
أي ألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق
مثل هذا التكذيب أو لاجترائهم أي ألم يعلموا أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا
هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا في حقنا فأطلق المجاهدة ليعم جهاد الأعادي
الظاهرة والباطنة بأنواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا
أو لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى
وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وإن الله لمع المحسنين بالنصرة
والإعانة قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر
عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين سورة الروم مكية إلا قوله
فسبحان الله وهي ستون أو تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في أدنى
الأرض أرض العرب منهم لأنها الأرض المعهودة عندهم أو في أدنى أرضهم من العرب
واللام بدل من الإضافة وهم من بعد غلبهم من إضافة المصدر إلى المفعول وقرئ
غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب سيغلبون في بضع سنين روي أن فارس
غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي أدنى أرض الروم
من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا
أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم
ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله أعينكم فوالله
ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت اجعل
بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الأجل
ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث
إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين

وما ت

ولأن المشركين يودون أن تغلب فارس الروم لأن أهل فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون
يودون غلبة الروم لكونهم أهل الكتاب فبعث كسرى جيشا إلى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهرياراز
وبعث قيصر جيشا واستعمل عليهم رجلا يدعى بخنس فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى أرض
الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق ذلك عليهم وفرح به كفار مكة

ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من أحد وظهرت
الروم على فارس يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبي وجاء به إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود
الفاسدة في دار الحرب وأجيب بأنه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل
النبوة لأنها إخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه
أن الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمين سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من
نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون إضافة الغلب
إلى الفاعل لله الأمر من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين
ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين أي أولا وآخرا حين غلبوا وحين
يغلبون ليس شيء منها إلا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف
إليه كأنه قيل قبلا وبعدا أي أولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون
بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما
أخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله
المؤمنين بإظهار صدقهم أو بأن ولى بعض أعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء
فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء أخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة
ويتفضل عليهم أخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله في معنى الوعد لا يخلف
الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن أكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحة وعده
لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها
وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصود منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم
الثانية تكرير للأولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الأولى وهو على الوجهين
مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة أو مبدل من قوله لا يعلمون

تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان
من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها
وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها
مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لا فرق بين
عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر
فيها او لم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر
ما يجتلى له في الممكنات باسرها ليتحقق قدرة مبدعها على اعادتها قدرته
على ابدائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم
محذوف يدل الكلام عليه واجل مسمى تنتهي عنده ولا يبقى بعده وان كثيرا من
الناس بلقاء ربهم جزائه عند انقضاء الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون
جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض
ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض
وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها و
عمروها وعمروا الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل
واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون
بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التسلط على العباد
والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى واد لا نفع
لها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم
ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون
حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم كان

عاقبتهم

عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى
ان تكون تلك عاقبتهم وانه جاء مثل اعمالهم والسوأى تأنيث الاسوأ كالحسنى او مصدر
كالبشرى نعت بها ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف
بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة
الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا بها والخبر محذوف
للابهام والتهويل وان تكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب
والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرا ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب
على ان الاسم السوأى او ان كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدأ الخلق ينشئهم
ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود
وقرا ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون
متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة
المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم
ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله وجيء به بلفظ الماضي لتحققه
وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا
كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعؤا وعلمؤا بني اسرائيل والسوأى
بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت
له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب
محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر

بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات او دلالة على ان ما يحدث فيها من
الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض
التي تظهر فيها قدرته وتجدد فيها نعمته وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان
آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من
عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيها
اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات
والارض اعتراضا وعن ابن عباس ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون
صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون
صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب
بمكة ركعتين في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر
على انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلوة والسلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى
فليقل سبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه الصلوة والسلام من قال حين
يصبح سبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته
ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون
وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت
كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة و
البيضة او يعقب الحيوة الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها
بعد يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب
الحيوة الموت وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب
اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت
كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حوا

خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم
لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف
سبب للتنافر وجعل بينكم مودة اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة و
رحمة بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف ساير الحيوانات نظما
لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج
الى التواد والتراحم عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا ان في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن آياته خلق السموات
والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها
واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا تكاد تسمع منطقين متساويين
في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيآتها
والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق
موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من
ذلك لا محالة ان في ذلك لآيات للعالمين لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او انس
او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ومن آياته
منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة القوى
النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم
بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين
وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة
فيه ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة
ومن آياته يريكم البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا اللائمي احضر الوغا وان
اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع

وقيل المودة كناية

الزاجري

بالمقتدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله
فما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة
للمسافر وطمعا في الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم
يستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تاويل الخوف
والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته
شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد فيحيي به الارض بالنبات بعد
موتها يبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط
اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن آياته ان تقوم
السماء والارض بامره قيامهما باقامته لها وارادته لقيامهما في حيزهما المعين
من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة ثم اذا
دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تاويل مفرد
كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور
اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة
ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة
ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم اما لتراخي زمانه او لعظم ما فيه
ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون
لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله واذا الثانية للمفاجاة ولذلك نابت مناب الفاء في
جواب الاولى وله من في السموات والارض كل له قانتون منقادون لفعله فيهم
لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه
والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم
والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون

اولان

او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة
والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الاعلى
الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه في السموات والارض يصفه به ما فيهما
دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته الحكيم
الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها
التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء
فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء تتكونون انتم وهم فيه شرع
يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء
والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي تخافونهم
ان يستبدوا بالتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك
مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم
يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم
بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي
من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم
عن آفاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل
للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرت الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر
لما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم
من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد الماخوذ
من آدم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة
الى الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي
الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه

راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين الى الله من
الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الآية
خطاب للرسول والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين
غير انها صدرت بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما من الذين
فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم لاختلاف اهوائهم وقرا حمزة والكسائي
فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها
الذي اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز
ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس
ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعا غيره ثم اذا اذاقهم
منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجا فريق
منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة
وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ
وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا
عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة
كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او
بالامر الذي بسببه يشركون به في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة و
سعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشوم
معاصيهم اذا هم يقنطون فاجاوا القنوط من رحمته اولم يروا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت
ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو

غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم او لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون
وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب
اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم
النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها
مزيد مكافاة وقرا ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطا ربا ليربوا في
اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو عنده ولا
يبارك فيه وقرا نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذا ربوا وما
آتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم
المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر
لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة وقرئ
بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه
للتعظيم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم
المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من
ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له من
الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه
الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركا فقال سبحانه وتعالى
عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط
من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في
جنس الشركا ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق
والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم

والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به

وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى الجزائر بما كسبت ايدي الناس بشوم
معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر
بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه
فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم
بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان
اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك
وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم
فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا
يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه
مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون
يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه
كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون
منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على
جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب
الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح
المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة
تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن آياته
ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح
العذاب ومنه قوله عليه الصلوة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا

وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من
من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب
عنها والروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او
عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا
من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك
رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا
علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين
على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلوة والسلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه
الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق
بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف
يشاء سايرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا
قطعا تارة اخرى وقرا ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف
به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده
يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجيء الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل
عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم
وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى اثر رحمة
الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر
وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده
الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على
احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من
الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام

السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على ولئن ارسلنا ريحاً فرأوه
مصفراً فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم و قيل السحاب لانه اذا كان مصفراً
لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون
جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم
وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي
ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته
وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار
وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى
وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد
الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة
الحركات شيئاً وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عمياً لفقدهم المقصود الحقيقي
من الابصار او لعمى قلوبهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ
وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تأمرهم به الله
الذي خلقكم من ضعف اي ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله
خلق الانسان من عجل او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة ثم جعل من بعد ضعف
قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفاً
وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول
ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف
وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء
من ضعف وقوة وشيبة وشيبة وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة
مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في

وقرا ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم

وقرا حمزة وحده تهدي العمي

آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علماً لها بالغلبة كالكوكب للزهرة
يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع
عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل الساعات و
الايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة او
نسياناً كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون
في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله
في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم
برزخ الى يوم يبعثون ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي
انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف
تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ
لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان
تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم
اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان
فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة
المبعوثين يوم القيامة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع
بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق
الرسول ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم
وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون
كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون
على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق

فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك حق واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك اي لا يزيغنك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمن مكية وقيل الا آية وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبها بالمدينة وهو ضعيف لانها ينافي شرعيتها بمكة وقيل الا ثلثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وهي اربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان عن الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحرث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه

ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كأن لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا مشابها من في اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرأ نافع في اذنيه وذكر البشارة على التهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها سبق في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فان تشابه اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته

واو في معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل
عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون
باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايوب
او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي والجمهور على انه كان
حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم
النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه
صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس
الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت
فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره بان يذبح
شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان
يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء
اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة
في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة
واستحقاق مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد
وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمان لابنه
انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق لا تشرك بالله قيل كان
كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك
لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ووصينا الانسان بوالديه
حملته امه وهنا على وهن ذات وهن او تهن وهنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق
ضعف فانها لا يزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك
يقال وهن يوهن وهنا ووهن يهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في

انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى
مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر
الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لمن قال
من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان
جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه
فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع
في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما
فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في
تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال وقد وصينا بمثل ما وصى
به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز
ان يستحقا الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولها في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم
تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه يعني ابا بكر رضي الله عنه فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك
مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل
ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السماوات
او في الارض في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السماوات او اسفله كمقعر الارض
وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها
ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلاة تكميلا لنفسك وأمر
بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما في ذلك ان ذلك اشارة
الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق
للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم

رواه ابو داود والترمذي

والا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه
وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه وعالاه وعلّاه
ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر
ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي
مرحا لتوافق رؤس الآي واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه
عليه الصلاة والسلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة كان اذا مشى اسرع فالمراد
ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية
واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل
في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه
مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون
الآحاد او لانه مصدر في الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا
محصلة لمنافعكم وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة
وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء
او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة وقرأ الباقون ومن الناس من يجادل
في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى رسول ولا كتاب
منير انزله الله بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل الضمير
لهم ولآبائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف
مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره اليه
واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي

باللام

باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به
وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى في شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل
المتدلي منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا
يضرك في الدنيا والآخرة وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو ليس بمستفيض الينا مرجعهم
في الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه
فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل
ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او نضم الى الاحراق الضغط
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق
الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف
بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض
لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد
تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة
ابحر فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان
ومعموليها ويمده حال او للابتداء على انه مستأنف والواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على
اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء ما نفدت كلمات الله
بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل
فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والآية جواب اليهود
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم
من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة

مع قدرتها الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون إن الله سميع
يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق ألم تر
أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري كل
من النيرين يجري في فلكه إلى أجل مسمى إلى منتهى معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر
وقيل إلى يوم القيامة والفرق بينه وبين قوله لأجل مسمى أن الأجل ههنا منتهى الجري
وثمة غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وأن الله بما تعملون خبير
عالم بكنهه ذلك الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري
بها بأن الله هو الحق بسبب أنه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وأن
ما تدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف إلا بجعله او الباطل الهيته
وقرأ البصريان وحمزة والكسائي وحفص بالياء وأن الله هو العلي الكبير مترفع على كل
شيء ومتسلط عليه ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله بإحسانه في تهيئة أسبابه
وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول إنعامه والباء للصلة او الحال
وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الفتح والكسر
والسكون ليريكم من آياته دلائله إن في ذلك لآيات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه
بالتفكر في الآفاق والأنفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر وإذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل
من جبل وسحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين
لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم إلى
البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره
بعض الانزجار وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار غدار فإنه نقض للعهد الفطري او لما
كان في البحر والختر أشد الغدر كفور للنعم يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما

بأن الله

لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من أجزأ إذا أغنى والراجع إلى الموصوف محذوف
أي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم
للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في
الآخرة إن وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا
يغرنكم بالله الغرور الشيطان بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي إن الله عنده
علم الساعة علم وقت قيامها لما روي أن الحارث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال متى قيام الساعة وإني قد ألقيت حباتي في الأرض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر
أم أنثى وما أعمل غدا وأين أموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه
الآية وينزل الغيث في إبانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
بالتشديد ويعلم ما في الأرحام أذكر أم أنثى أتام أم ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير
أو شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس بأي أرض تموت كما لا تدري في
أي وقت تموت روي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فقال
الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح أن تحملني وتلقيني بالهند ففعل
فقال الملك كان دوام نظري إليه تعجبا منه إذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو
عندك وإنما جعل العلم لله والدراية للعبد لأن فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل
على أنه إن عمل حيلة وأنفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره
مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن
إن الله عليم يعلم الأشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطي من الحسنات عشرا عشرا
بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم

ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل
وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدأ خبره لا ريب فيه فيكون
من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون
خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده
قوله ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك
فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله
من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه واضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف
ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل
من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اذ كانوا
اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
ما لكم اذا جاوزتم رضا الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع
بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر
فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى
الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض
ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما
تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل
يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة فان
ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد
الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيامة

وقيل يدبر المامور به من الطاعة منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرضيه
الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخالص وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب
والشهادة فيدبر امرهما على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد في
تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن كل شيء خلقه موفرا
عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال
وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان
وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى
الثاني بمتصل وبدأ خلق الانسان يعني آدم من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها
تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه
على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب
وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا
ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا
بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا
من صل اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا
لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائي ويعقوب انا
على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم
بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفاكم يستوفي
نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان
كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت الذي وكل
بكم بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون

ناكسوا رؤوسهم عند ربهم من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا أبصرنا ما وعدتنا
وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا إلى الدنيا نعمل صالحا إنا موقنون
إذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرا فظيعا ويجوز
أن يكون للتمني والمضي فيها وفي إذ لأن الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر
لترى مفعول لأن المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت أو يقدر ما دل عليه
صلته وإذ والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لأملأن جهنم من الجنة
والناس أجمعين وذلك تصريح بعدم إيمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم
بأنهم من أهل النار ولا يدفعه جعله ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة
وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فإنه من الوسائط والأسباب
المقتضية له إنا نسيناكم تركناكم من الرحمة أو في العذاب ترك المنسي وفي استئنافه
وبناء الفعل على إن واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد بما
كنتم تعملون كرر الأمر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بأفعالهم
السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر أمر العاقبة والتفكر فيها دلالة
على أن كلا منهما يقتضي ذلك إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها وعظوا بها خروا
سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم
حامدين له شكرا على ما وفقهم للإسلام وآتاهم الهدى وهم
لا يستكبرون عن الإيمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع
وتتنحى عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين إياه خوفا من سخطه
وطمعا في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل
وعنه عليه الصلاة والسلام إذا جمع الله الأولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع

الخلايق

الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا
يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا إلى الجنة ثم يحاسب
سائر الناس وقيل كان أناس من الصحابة يصلون من المغرب إلى العشاء فنزلت فيهم ومما
رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما أخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من
قرة أعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله أعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتم عليه اقرءوا إن شئتم
فلا تعلم نفس ما أخفي لهم وقرأ حمزة ويعقوب أخفي على أنه مضارع أخفيت وقرئ
نخفي على أنه مضارع وأخفى والفاعل للكل هو الله وقرأت أعين لاختلاف أنواعها
والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة أو استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون أي
جوزوا جزاء وأخفي للجزاء فإن إخفاءه لعلو شأنه وقيل هذا القوم أخفوا أعمالهم
فأخفى الله ثوابهم أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الإيمان لا يستوون في
الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات المأوى فإنها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى
جنة من الجنان نزلا سبق في آل عمران بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم أو على أعمالهم
وأما الذين فسقوا فمأواهم النار مكان جنة المأوى للمؤمنين كلما أرادوا أن يخرجوا
منها أعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون إهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الأدنى عذاب الدنيا
يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والأسر دون العذاب الأكبر عذاب
الآخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي أن الوليد بن عقبة
فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض
عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها وإرشادها

الى اسبابها السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة ولا يكشف الغماء الا ابن حرة
يرى غمرات الموت ثم يزورها إنا من المجرمين منتقمون فكيف بمن كان اظلم من كل
ظالم ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية شك من لقائه من لقائك
الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس
ذلك ببدع بما لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى
وعنه عليه الصلوة والسلام رأيت ليلة أسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا
كأنه من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة
يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بأمرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا
وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا وكانوا
بآياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة يقضي فيميز
الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين أولم يهد لهم
الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه كم أهلكنا من
قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله
بدلالة القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على
ديارهم وقرئ يمشّون إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ أولم
يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي لا
تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل موضع من اليمن تأكل منه من الزرع انعامهم كالتبن
والورق وانفسهم كالحب والثمر أفلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله
ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قولهم فتح الله بيننا إن كنتم
صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم
القيامة فانه يوم نصر المسلمين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد

بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا
عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال
تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ
بآية السيف وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم
احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم
تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عليه الصلوة
والسلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب

مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى
والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهي عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين
اي فيما يعود بوهن في الدين روي ان سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا
عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير والجد
بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت
إن الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى
اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم إن الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه
ومغن عن الاستماع الى الكفرة وقرأ ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين
اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره و
كفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما
جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن
الروح الحيواني المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد
وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع

الزوجية والأمومة في امرأة ولا البنوة والدعوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب
تزعم من أن اللبيب الأريب له قلبان ولذلك قيل لأبي معمر أو جميل بن أسد الفهري ذو
القلبين والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن
حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد أو المراد نفي الأمومة و
البنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين في جوف لأدائه لتمهيد أصل يحملان عليه
والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لأدائه إلى تناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل
القوى وغير أصل لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين
بينهما وبينه ولادة وقرأ أبو عمرو اللاي بالياء وحده على أن أصله اللاء بهمزة فخففت
وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده وأصل تظهرون تتظهرون
فأدغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالإدغام وحمزة و
الكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر
كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من أظهر بمعنى تظهر ومعنى الظهار أن تقول للزوجة أنت
علي كظهر أمي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه
معنى التجنب لأنه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الإسلام يقتضي الطلاق أو الحرمة
إلى أداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي
هو عموده فإن ذكره يقارب ذكر الفرج أو للتغليظ في التحريم فإنهم كانوا يحرمون
إتيان المرأة وظهرها إلى السماء وأدعياء جمع دعي على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل
بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم إشارة إلى كل ما ذكر أو إلى الأخير قولكم بأفواهكم لا حقيقة
له في الأعيان كقول الهاذي والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له
وهو افراد المقصود من أقواله الحقة وقوله هو أقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر
ادعوا وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه

البالغ في الصدق فإن لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم إليهم فإخوانكم في الدين فهم
إخوانكم في الدين ومواليكم وأولياؤكم فيه فقولوا هذا أخي
ومولاي بهذا التأويل وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من
ذلك مخطئين قبل النهي أو بعده على النسيان أو سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم
ولكن الجناح فيما تعمدت أو ولكن ما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه
عن المخطئ واعلم أن التبني لا عبرة له عندنا وعند أبي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت
النسب لمجهوله الذي يمكن إلحاقه به النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم في الأمور كلها
فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك
أطلق فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وأمره أنفذ عليهم من أمرها وشفقتهم
عليه أتم من شفقتهم عليها روي أنه عليه الصلوة والسلام أراد غزوة تبوك
فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت وقرئ وهو أب
لهم أي في الدين فإن كل نبي أب لأمته من حيث إنه أصل فيما به الحيوة الأبدية
ولذلك صار المؤمنون إخوة وأزواجه أمهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم و
استحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالأجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا أمهات
النساء وأولو الأرحام وذوو القرابات بعضهم أولى ببعض في التوارث وهو
نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله
في اللوح أو فيما أنزل وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله من المؤمنين
والمهاجرين بيان لأولي الأرحام أو صلة لأولى أي أولو الأرحام بحق القرابة
أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة إلا أن تفعلوا
إلى أوليائكم معروفا استثناء من أعم ما تقدر الأولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف
التوصية أو منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في

اللوح او القرآن وقيل في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم
عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى
وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرايع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا
منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان او موكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسأل
الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا
عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن
تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المومنين الذين صدقوا عهدهم
حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف
على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المومنين او على ما دل
عليه ليسأل كانه قال فاثاب المومنين واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة
والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا
لم تروها الملائكة روى انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على
المدينة ثم خرج اليهم في ثلاثة الاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين
قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم
صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم و
اطفات نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض
وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد
فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من
حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة
بصيرا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل

المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش
واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب
الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى راس الحنجرة
وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من
الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم
فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى
عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر
فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو
القياس هنالك ابتلي المومنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت
من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ
يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله و
رسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير
قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا
وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب
اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم
لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بضم الميم على انه مكان او مصدر من اقام
فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا
الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام
بها ويستاذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة
واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت
وقد قرئت بها وما هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا الا ما يريدون

بذلك الأموال في القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة أو بيوتهم من أقطارها
من جوانبها وحذف الفاعل للإيماء بأن دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم
من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة
المسلمين لآتوها لأعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤوها وفعلوها وما
تلبثوا بها بالفتنة أي بإعطائها إلا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل ما لبثوا
بالمدينة بعد الارتداد ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار يعني
بني حارثة عاهدوا رسول الله يوم أحد حين فشلوا ثم تابوا أن لا يعودوا لمثله
وكان عهد الله مسؤولا مسؤولا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار إن
فررتم من الموت أو القتل فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنف أو قتل في وقت
معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي وإن
نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا تمتيعا أو زمانا قليلا
قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة فاختصر الكلام
كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى
المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم
قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
المنافقون والقائلين لإخوانهم من ساكني المدينة هلم إلينا قربوا أنفسكم
إلينا وقد ذكر أصله في الأنعام ولا يأتون البأس إلا قليلا إلا إتيانا أو زمانا
أو بأسا قليلا فإنهم يعتذرون ويتثبطون ما أمكن لهم أو يخرجون مع المؤمنين
ولكن لا يقاتلون إلا قليلا وقيل إنه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي أصحاب
محمد حرب الأحزاب ولا يقاومونهم إلا قليلا أشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة
أو النفقة في سبيل الله أو الظفر أو الغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل

يأتون

يأتون أو المعوقين أو على الذم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم
في أحداقهم كالذي يغشى عليه من الموت كنظر المغشي عليه أو كدوران عينه أو
مشبهين به أو مشبهة بعينه من معالجة سكرات الموت حذرا ولواذا بك
فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد ذربة يطلبون
الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان أشحة على الخير نصب على الحال أو الذم
ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لأن كلا منهما مقيد من وجه أولئك لم يؤمنوا إخلاصا
فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك الإحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الإرادة به وعدم
ما يمنعه عنه يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب
لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا إلى داخل المدينة وإن يأت الأحزاب كرة ثانية يودوا
لو أنهم بادون في الأعراب يسألون كل قادم من جانب المدينة عن أنبائكم عما
جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ما قاتلوا
إلا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة خصلة حسنة
من حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد أو هو في نفسه قدوة
يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا
القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهي لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر أي ثواب الله أو لقاءه ونعيم الآخرة أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل
هو كقولك أرجو زيدا وفضله فإن اليوم الآخر داخل فيها والرجاء يحتمل الأمل
والخوف ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم والأكثر على أن ضمير المخاطب
لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة
فإن المؤتسي بالرسول من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله
ورسوله بقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم

في البقرة

الآية وقوله عليه الصلاة والسلام سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم
وقوله عليه الصلاة والسلام إنهم سائرون إليكم بعد تسع أو عشر وصدق الله
ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله أو صدقا في النصر والثواب كما صدقا
في البلاء وإظهار الاسم للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا أو الخطب أو البلاء إلا إيمانا
بالله ومواعيده وتسليما لأوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لإعلاء الدين من صدقني إذا قال لك الصدق
فإن المعاهد إذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بأن قاتل حتى
استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لأنه
كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا
العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روي أن طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام أوجب طلحة وفيه تعريض لأهل النفاق
ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء
أو يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به وكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة
السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة
بتوبتهم أو المراد به التوفيق للتوبة إن الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين
كفروا يعني الأحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين
وهما حالان بتداخل أو تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله
قويا على إحداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وأنزل الذين ظاهروهم ظاهروا
الأحزاب من أهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية
وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في
قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وقرئ بضم السين

روي

روي أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها
الأحزاب فقال أتنزع لأمتك والملائكة لم يضعوا السلاح إن الله يأمرك بالسير
إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فأذن في الناس أن لا يصلوا العصر إلا ببني قريظة
فحاصرهم إحدى وعشرين أو خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون
على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم
وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله
من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر سبعمائة وأورثكم أرضهم
مزارعهم وديارهم حصونهم وأموالهم نقودهم ومواشيهم وأثاثهم روي أنه عليه
الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال إنكم في
منازلكم وقال عمر أما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا إنما جعلت هذه لي طعمة وأرضا
لم تطؤها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل أرض تفتح إلى يوم القيامة وكان الله
على كل شيء قديرا فيقدر على ذلك يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن
الحياة الدنيا وزينتها السعة والتنعم فيها وزينتها زخارفها فتعالين أمتعكن
أعطكن المتعة وأسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روي أنهن
سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله
ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء
من بعد وتعليق التسريح بإرادتهن الدنيا وجعلها قسيما لإرادتهن الرسول يدل على
أن المخيرة إذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك وإحدى الروايتين
عن علي ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده
طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لأن
الفرقة كانت بإرادتهن كاختيار المخيرة نفسها فإنه طلقة رجعية عندنا و

وبائنة عند الحنفية واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه
وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستئناف وإن كنتن تردن الله ورسوله
والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها
ومن للتبيين لأنهن كلهن كن محسنات يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة بكبيرة
مبينة قبحها يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه
لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك
جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان
يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب وكان
ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه
ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم أو
لقوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي
عليه الصلاة والسلام بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل
بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله وأعتدنا لها رزقا كريما
في الجنة زيادة على أجرها يا نساء النبي لستن كأحد من النساء أصل أحد
وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير
والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل إن اتقيتن مخالفة
حكم الله ورضا رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا
مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل
النهي على أنه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا
حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الأولى
من راءي أقررن ونقلت كسرتها إلى القاف فاستغني به عن همزة الوصل ويؤيده

قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت وهو لغة فيه ويحتمل أن يكون من قار يقار إذا اجتمع
ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الأولى تبرجا مثل تبرج النساء في
أيام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه إبراهيم
كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال
والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الأولى جاهلية
الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق في الإسلام ويعضده
قوله عليه الصلاة والسلام لأبي الدرداء إن فيك جاهلية قال جاهلية كفر أو إسلام
قال جاهلية الكفر وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله في سائر ما
أمركن به ونهاكن عنه إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس ولذلك عمم
الحكم تعليل لأمرهن ونهيهن على الاستئناف أهل البيت نصب على النداء أو
المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير
للتنفير عنها وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم
لما روي أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر أسود
فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين
فأدخلهما فيه ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت والاحتجاج بذلك
على عصمتهم وكون إجماعهم حجة ضعيف لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل
الآية وما بعدها والحديث يقتضي أنهم أهل البيت لا أنه ليس غيرهم واذكرن ما
يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الأمرين وهو تذكير بما
أنعم عليهن حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من
برحاء الوحي مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء و
الائتمار فيما كلفن به إن الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك

خيركن و وعظكن او بعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكونوا اهل بيته إن المسلمين
والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين
بما يجب ان يصدق والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين
والصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي
والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين و
المتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات اي صوم الفرض
والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات
واجرا عظيما على طاعتهم والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه
الخصال روي ان ازواج النبي قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير
فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل
فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري
وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك
في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا اي قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله انه نزل في زينب بنت
جحش بنت عمته اميمة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت
هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي عليه الصلوة
والسلام فزوجها من زيد امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم اي ان يختاروا من امرهم
شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير
وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني

بنت عبد المطلب

للتعظيم

للتعظيم وقرأ الكوفيون يكون بالياء ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين
الانحراف عن الصواب واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه
واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك
زينب وذلك انه عليه الصلوة والسلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه
فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك
ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق
صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم
علي فقال امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا او تعللا بتكبرها
وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس
تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست
المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما
ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما
قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة زوجناكها وقيل
قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه
امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر
نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن
وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكي لا
يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج
وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان امر الله امره
الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب مكونا ما كان على النبي من
حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه

وخوض العسكر لازواجهم سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبيا
وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما
مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او
مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد تصريح و
كفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد
ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من
حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابرهيم لانهم لم
يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول ابو
امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم
وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف
ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له
ولد ذكر وخاتم النبيين واخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح
ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلوة والسلام في ابرهيم
حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان
على دينه مع ان المراد انه اخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان
يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب
الاوقات ويعم الانواع بما هو اهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه
بكرة واصيلا اول النهار واخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما
على ساير الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة
فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي
يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد

بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلوة وقيل
الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة للانعطاف الصوري الذي
هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة
من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية
الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم و
انافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول
اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج او دخول الجنة سلام
اخبار بالسلامة عن كل مكروه وافة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف
النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من
صفاته باذنه بتيسيره واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة
ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به
عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصاير وبشر المؤمنين بان لهم من الله
فضلا كبيرا على ساير الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل
فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه
من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة
او مواخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكهم و
كفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس
صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة
لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة

الكفار والمبالاة بأذاهم والداعي إلى الله بتيسيره بالأمر بالتوكل عليه والسراج المنير
بالاكتفاء به فإن من أناره الله تعالى برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بأن يكتفي به عن
غيره يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن
تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة أيام يتربصن فيها بأنفسهن تعتدونها تستوفون
عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله أو تعدونها والإسناد
إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق الأزواج كما أشعر به فما لكم وعن
ابن كثير تعتدونها مخففا على إبدال إحدى الدالين بالتاء أو على أنه من الاعتداء
بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص
المؤمنات والحكم عام للتنبيه على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيرا
لنطفته وفائدة ثم إزاحة ما عسى يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما يمكن الإصابة
كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن أي إن لم يكن مفروضا لها فإن
الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهي سنة ويجوز
أن يؤول التمتيع بما يعمهما أو الأمر بالمشترك بين الوجوب والندب فإن المتعة
سنة للمفروض لها وسرحوهن أخرجوهن من منازلكم إذ ليس لكم عليهن عدة
سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لأنه
مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا أيها النبي إنا أحللنا لك
أزواجك اللاتي آتيت أجورهن مهورهن لأن المهر أجر على البضع و
تقييد الإحلال له بإعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لإيثار الأفضل
له كتقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما أفاء
الله عليك فإن المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها وتقييد القرائب
بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك و

بنات

بنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة و
يعضده قول أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه
كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره
ما قبله أو عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بأن التي للاستقبال فإن المعنى
بالإحلال الإعلام بالحل أي أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب
مهرا إن اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر أربعا
ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الأنصارية وأم شريك بنت جابر
وخولة بنت حكيم وقرئ أن بالفتح أي لأن وهبت أو مدة أن وهبت
كقولك اجلس ما دام زيد جالسا إن أراد النبي أن يستنكحها شرط للشرط الأول
في استيجاب الحل فإن هبتها نفسها منه لا توجب له حلها إلا بإرادته نكاحها
فإنها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ النبي مكررا
ثم الرجوع إليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين إيذان بأنه مما خص
به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لأجله واحتج به أصحابنا
على أن النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لأن اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه
الصلاة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة
فيه وخالصة مصدر مؤكد أي خلص إحلالها أو إحلال ما أحللنا لك على القيود
المذكورة خلوصا لك أو حال من الضمير في وهبت أو صفة لمصدر محذوف
أي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم من شرائط العقد
ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم وما ملكت أيمانهم من توسيع الأمر فيها
أنه كيف ينبغي أن يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج

ومتعلقه وهو خالصة للاشعار على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرا حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرا البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لا يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل

المعنى لا تحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والاية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لهم ولا مستانسين لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او لا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى الحاء واذا سالتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسالوهن من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلوة والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية

تستحيون به ٤

رواه البخاري في الادب والنسائي ٤

فما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس
تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه فهم برجمهما فاخبر بانه عليه الصلوة والسلام
فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم اي ايذاءه ونكاح نسائه كان
عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك
بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم
فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على
الى المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن
ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي
انه لما نزلت آية الحجاب قال الابناء والاباء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء
حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله
واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما
ولا نسائهن يعني النساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة
وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء شهيدا
لا تخفى عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه
وتعظيم شانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا
اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا
لاوامره والآية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلوة كلما جرى
ذكره لقوله عليه الصلوة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت
عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا وتكره
استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل

وان

وان كان عن غير اجله ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر
والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر
الله للتعظيم ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار
المعمولين لعنهم الله في الدنيا والآخرة ابعدهم من رحمته واعد لهم عذابا مهينا
يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية
استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا روي انها نزلت في منافقين يؤذون
عليا رضي الله عنه وقيل في اصل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء
وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من
جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض
فان المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن يميزن
من الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان
الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن
لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات
عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم والمرجفون في المدينة يرجفون
اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة
هي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم لنأمرنك
بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على
لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم
ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين نصب على
الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان
ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا

في الذين خلوا

يعملوا فيها قبلها سنة الله التي قد خلت من قبل مصدر مؤكد اي سن الله ذلك
في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم
بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها او لا يقدر
احد ان يبدلها يسئلك الناس عن الساعة لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك
لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف
ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات
للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الاتقاد خالدين
فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم
وجوههم تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ
تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون
قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرا ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع
للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب
مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرأ عاصم
بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا
موسى فبرأه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه
وذلك ان قارون حرض امراة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص
او اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة
ومروا بهم حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب
في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان
عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين

آمنوا

عن وقت قيامها استهزاء وتعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله صح

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا
قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد
يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم
ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر
والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى
انها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور
وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة
قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما بحيث لو عرضت
على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابت لم يف بها ولم يراع
حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد
بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب
الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه
قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن
ان يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام
خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن
عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق
آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة
عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة
الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل

الانسان قابلية واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية
والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوايد العقل ان يكون
مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف
تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتاديب
للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في
جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم
واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله
وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبا مكية وقيل الا ويرى الذين اوتوا العلم الاية واياتها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال
قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الاخرة لان ما في الاخرة ايضا كذلك وليس هذا
من عطف المقيد على المطلق فان الوصف بما يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم
الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بوساطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك
نعم الاخرة وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين الخبير ببواطن الاشيا يعلم ما يلج في الارض
كالغيث ينفذ في موضع وينبع في اخر وكالكنوز والدفاين والاموات وما يخرج منها
كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب و
المقادير والارزاق والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة
والادخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الاخرة مع
ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار
لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتاتينكم

عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه و
تنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرا حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن
عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا يعزب عنه مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض نكرة وقرا الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتدا ويؤيده
القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه
فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في
عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون
المعنى لا ينفصل عن الغيب شي الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
علة لقوله لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه
ولا من عليه والذين سعوا في اياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين
مسابقين كي يفوتونا وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده
اولئك لهم عذاب من رجز من سيئ العذاب اليم ورفعه ابن كثير ويعقوب
وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من
الامة او من مسلمي اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك القران هو الحق ومن
رفع الحق جعل هو مبتدا والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع
مستانف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الايات وقيل منصوب معطوف
على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجي الساعة انه الحق عيانا كما علموه الان برهانا
ويهدي الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى
وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه الصلوة
والسلام ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد

الَّذِينَ كَفَرُوا ... أَئِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ

انكم تنشاون خلقا جديدا بعد تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا و
تقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان
ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان
يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم من جد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج
الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على
لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافترا غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق
والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافترا
اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد رد من
من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد
عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا
له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الاصل
صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم
وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا
من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم
الاحيا حتى جعلوه افترا او هزوا وتهديد عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط
بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشا نخسف
بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرا حمزة والكسائي
يشا ويخسف ويسقط باليا لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ان في
ذلك النظر والتفكر فيهما وما يدلان عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه
فانه يكون كثير التامل في امره ولقد آتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبيا
وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت

السيول كل مذهب وطرحته كل مطرح
وجديد بمعنى فاعل من جد وطرحتكم
من جد كحديد
فا جديدا

الحسن يا جبال اوبي معه رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بخلق
صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تامل ما فيها او سيري معه حيث
سار وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا
او من آتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع
عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية او على فضلا او مفعول
معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا
داود منا فضلا تاويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لما فيه من الفخامة
والدلالة على عظمة شانه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء
المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها والنا له الحديد وجعلناه في يده كالشمع يصرفه
كيف يشاء من غير احماء وطرق بالآلة او بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة
او مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها
وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها
دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا
له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم
عليه ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ الريح بالرفع اي ولسليمان
الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك
وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اساله له من
معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن
من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدا وخبر
باذن ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان
وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة يعملون له ما يشاء من محاريب

اي جعلنا عينا ما لا اليه
امره

قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت به لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل
وصورا تماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا
نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه
ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران
باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية
وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل
عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا اما الوصف له او الحال
او المفعول به وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه
اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر
لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اي
على سليمن ما دلهم على موته الا دابة الارض اي الارضة
اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت
الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت
اكلا تاكل منساته عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح
الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساءته
على مفعالة كميضاءة في ميضأة ومن سأته اي طرف عصاه مشتق من سأة القوس
وفيه لغتان كما في قحة فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الامر عليهم
ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب
كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت
الجن وان بما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
في العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام

فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمن فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله فـ
اعلم به فاراد ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له
باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها
الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا
فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا
وخمسين وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين
من ملكه لقد كان لسبإ لاولاد سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف
عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه
بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب في مساكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال
لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح
والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود
الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة
للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمن جنتان بدل من آية او خبر محذوف تقديره
الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن يمين وشمال
جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منها في تقاربها وتضايقها كانها
جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم و
اشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال
لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة
التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره
وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة
ولا هامة فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل

فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه
نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار
ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة
وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبدلناهم
بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل
الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل معطوفان
على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على
جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك
يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك جزيناهم بما كفروا
بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم
وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي الا الكفور وهل يجازى بمثل
ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص
نجازي بالنون والكفور بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها
بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض
او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل
الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة
القول بلسان المقال او الحال ليالي واياما متى شئتم من ليل او نهار آمنين لا يختلف
الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها او
سيروا فيها ليالي اعماركم وايامها لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسالوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز

لتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى
المتوسطة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا بالرفع وباعد بلفظ الخبر
على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه
ومثله قراءة من قرا ربنا بعد او بعد على النداء واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث
بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب
مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق
غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر
لآيات لكل صبار عن المعاصي شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنا مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه
بنفسه كانه صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده
صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف
بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك
اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين راى اباهم النبي ضعيف العزم
او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها فقال
لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى
الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له
عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من يؤمن
بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز
المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول
العلم حصول متعلقه مبالغة ونظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ
والزنتان متآخيتان قل ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا

نعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته فيه مقامه من دون الله
ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه
والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب
عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير
او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها
سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر
والخير سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا
ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا تنفعهم
شفاعتهم ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له اذن له
ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شأنه ولم يثبت ذلك واللام على الاول
كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد حتى اذا
فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون
فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير
للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل
وقرئ فرغ اي نفي الوجل من فرغ الزاد اذا فني قالوا اي بعضهم لبعض ماذا قال
ربكم في الشفاعة قالوا الحق اي قالوا قال الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى منهم
وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء
ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض
يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا
او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية

بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من
الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن
هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره
قول حسان ٭ اتهجوه ولست له بكفء ٭ فشركما لخيركما الفداء ٭ وقيل انه على اللف وفيه
نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها
او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا
او محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل
عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند
الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا
بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل
في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء
لأرى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم
بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد الزام
الحجة وابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة
رأسا والضمير لله او للشأن وما ارسلناك الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم من
الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال
من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن
اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون متى هذا
الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم
للتبيين ويؤيده انه قرئ على البدل وقرئ يوما منصوبا باضمار اعني لا تستأخرون عنه ساعة ولا

تستقدمون إذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقاً لما قصدوه بسؤالهم من التعنت
والإنكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة
على البعث وقيل إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن الرسول عليه الصلاة والسلام فأخبروهم
أنهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيامة ولو
ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم أي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم إلى بعض القول يتجا
وبون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول الأتباع للذين استكبروا للرؤساء لولا أنتم
لولا إضلالكم وصدكم إيانا عن الإيمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم
مجرمين أنكروا أنهم كانوا صادين لهم عن الإيمان وأثبتوا أنهم هم الذين صدوا أنفسهم
حيث أعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الإنكار على الاسم
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إضراب عن إضرابهم
أي لم يكن إجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائباً ليلاً ونهاراً حتى أغرتم علينا رأينا إذ تأمروننا
أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً والعاطف يعطفه على كلامهم الأول وإضافة المكر إلى
الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكرٌ الليلَ بالتنوين ونصب
الظرف ومكرّ الليل من الكرور وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وأضمر الفريقان
الندامة على الضلال والإضلال وأخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير أو أظهروها فإنه من الأضداد
إذ الهمزة تصلح للإثبات وللسلب كما في أشكيته وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا
أي في أعناقهم فجاء بالظاهر تنويهاً بذمهم وإشعاراً بموجب أغلالهم هل يجزون إلا ما كانوا
يعملون أي لا يفعل بهم ما يفعل إلا جزاء على أعمالهم وتعدية يجزي إما لتضمين معنى يقضي أو لنزع
الخافض وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لأن الداعي المعظم إلى التكبر والتفاخر

بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة إلى التكذيب
فقالوا إنا بما أرسلتم به كافرون على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً فنحن أولى بما تدعونه إن
أمكن وما نحن بمعذبين إما لأن العذاب لا يكون أو لأنه أكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل إن ربي
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الأشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان
ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد
للشرف والكرامة وكثيراً ما يكون للاستدراج كما قال وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى
قربة والتي إما لأن المراد وما جماعة أموالكم وأولادكم أو لأنها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ
بالذي أي بالشيء الذي يقربكم إلا من آمن وعمل صالحاً استثناء من مفعول تقربكم أي الأموال
والأولاد لا تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح
أو من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا أي جزاء الضعف
عشر فما فوقه والإضافة إضافة المصدر إلى المفعول وقرئ بالإعمال على الأصل وعن يعقوب رفعهما
على إبدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز أو المصدر لفعله الذي دل عليه لهم بما عملوا وهم
في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على إرادة الجنس
والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لأنبيائنا أو ظانين أنهم
يفوتوننا أولئك في العذاب محضرون قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له
يوسع عليه تارة ويضيق عليه أخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير
وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه عوضاً إما عاجلاً أو آجلاً وهو خير الرازقين فإن غيره وسط في إيصال
رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم نحشرهم جميعاً المستكبرين والمستضعفين ثم نقول للملائكة أهؤلاء
إياكم كانوا يعبدون تقريعاً للمشركين وتبكيتاً لهم وإقناطاً لهم عما يتوقعون من شفاعتهم
وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولأن عبادتهم مبدأ الشرك و
أصله قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم أنت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم

كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون ويتخيلون إليهم أنهم الملائكة فيعبدونهم أكثرهم بهم مؤمنون الضمير الأول للإنس أو للمشركين والأكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا إذ الأمر فيه كله له لأن الدار دار جزاء وهو المجازي وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون القرآن إلا إفك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى بإضافته إلى الله سبحانه وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لأمر النبوة أو الإسلام أو القرآن والأول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه وإعجازه إن هذا إلا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة إلى البت بهذا القول إنكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الإشراك وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير يدعوهم إليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل أن لا وجه له فمن أين وقع لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فحين كذبوا رسلي جاءهم إنكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب لأن الأول للتكثير والثاني للتكذيب أو الأول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل إنما أعظكم بواحدة أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه أن تقوموا لله وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الانتصاب في الأمر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى

متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فإن الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيته ومحله الجر على البدل أو البيان أو الرفع أو النصب بإضمار هو أو أعني ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك أو استئناف منبه لهم على أن ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فإنه لا يدعه أن يتصدى لادعاء أمر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس الأشهاد ويسلم ويلقي نفسه إلى الهلاك فكيف وقد انضم إليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا أي شيء به من آثار الجنون إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لأنه مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من أجر أي شيء سألتكم من أجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال كأنه جعل التنبي مستلزما لأحد الأمرين إما الجنون وإما توقع نفع دنيوي عليه لأنه إما أن يكون لغرض أو لغير غرض وأيا ما كان يلزم أحدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وقوله لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي قل إن ربي يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده أو يرمي به الباطل فيدمغه أو يرمي به إلى أقطار الآفاق فيكون وعدا بإظهار الإسلام وإفشائه علام الغيوب صفة محمولة على محل إن واسمها أو بدل من المستكن في يقذف أو خبر ثان أو خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي أو مقدرا بأعني الغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم كالعشور وبالفتح كالصبور على أنه مبالغة غائب قل جاء الحق أي الإسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل أي الشرك بحيث لم يبق له أثر مأخوذ من هلاك الحي فإنه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة قال أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل إبليس أو الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيد أو لا يبدي خيرا لأهله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل إن ضللت عن الحق فإنما

فإنما أضل على نفسي فإن وبال ضلالي عليها فإنه بسببها إذ هي الجاهلة بالذات والأمارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي فإن الاهتداء بهدايته وتوفيقه إنه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وإن أخفاه. ولو ترى إذ فزعوا عند الموت أو البعث أو يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت أمرا فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب أو تحصن وأخذوا من مكان قريب من ظهر الأرض إلى بطنها أو من الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى القليب والعطف على فزعوا أو لا فوت ويؤيده أنه قرئ وأخذ عطفا على محله أي فلا فوت هناك وهناك أخذ. وقالوا آمنا به بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم وأنى لهم التناوش ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولا سهلا من مكان بعيد فإنه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعدما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمها أو لأنه من نأشت الشيء إذا طلبته قال رؤبة أقحمني جار أبي الخاموش إليك نأش القدر النئوش أو من نأشت إذا تأخرت ومنه قوله تمنى نئيشا أن يكون أطاعني وقد حدثت بعد الأمور أمور فيكون بمعنى التناول من بعد. وقد كفروا به بمحمد عليه الصلاة والسلام أو بالعذاب من قبل من قبل ذلك أوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن أو في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من أمره وهو الشبهة التي تمحلوها في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أو حال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على أن الشيطان

يلقي إليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الإيمان في الدنيا. وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الإيمان والنجاة به من النار كما فعل بأشياعهم من قبل بأشباههم من كفرة الأمم الدارسة إنهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة أو ذي ريبة منقول من المشكك أو الشاك نعت به الشك للمبالغة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا.

سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السماوات والأرض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم بإخراجهما منه والإضافة محضة لأنه بمعنى الماضي. جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ذوي أجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما أمرهم به ولعله لم يرد خصوصية الأعداد ونفي ما زاد عليها لما روي أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح. يزيد في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة على أن تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا أمر تستدعيه ذواتهم لأن اختلاف الأصناف والأنواع بالخواص والفصول إن كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الأمور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس. إن الله على كل شيء قدير وتخصيص بعض الأشياء بالتحصيل دون بعض إنما هو من جهة الإرادة. ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين لأن الموصول الأول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك إشعار بأن رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد إمساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس

وقرأ ابن عامر والكسائي بإشمام القاف

وإتقان

لا يصادف منازعه فيه الحكيم لا يفعل إلا بعلم وإتقان ثم لما بين أنه الموجد للملك والمتصرف
فيهما على الإطلاق أمر الناس بشكر إنعامه فقال يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها
بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم أنكر أن يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق أن يشرك
به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون
فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى إشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بأنه وصف
أو بدل فإن الاستفهام بمعنى النفي أو لأنه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه وقد نصب
على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق أو استئناف مفسر له أو كلام مبتدأ وعلى الأخير يكون
إطلاق هل من خالق مانعا من إطلاقه على غير الله وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
أي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء
بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة
وإلى الله ترجع الأمور فيجازيك وإياهم على الصبر والتكذيب يا أيها الناس إن وعد الله بالحشر والجزاء
حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحياة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية فإنها
وإن أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو
مصدر أو جمع كقعود إن الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقائدكم
وأفعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير تقرير
لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى الدنيا الذين
كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير وعيد لمن أجاب
دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للأماني الفارغة وبناء للأمر كله على الإيمان والعمل الصالح وقوله
أفمن زين له سوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح
حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الأعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب
لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل تقديره أفمن زين له سوء عمله ذهبت
نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة

لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم وإصرارهم
على التكذيب والفاءات الثلاث للسببية غير أن الأوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع
الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على أحوالهم أو كثرة مساوئ أفعالهم المقتضية للتأسف وعليهم
ليس صلة لها لأن صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب أو بيان للمتحسر عليه إن الله عليم بما يصنعون
فيجازيهم عليه والله الذي أرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير سحابا على حكاية
الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولأن المراد بيان
إحداثها بهذه الخاصية ولذلك أسنده إليها ويجوز أن يكون اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار
الأمر فسقناه إلى بلد ميت فأحييناه به الأرض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره أو بالسحاب
فإنه سبب السبب أو الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة إلى ما هو أدخل
في الاختصاص لما فيهما أي في صحة المقدورية إذ ليس بينهما إلا احتمال اختلاف المادة في المقيس
عليه وذلك لا مدخل لها فيها وقيل في كيفية الإحياء فإنه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه
أجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا أي فليطلبها من عنده فإن
له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان
لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما إليه مجاز عن قبوله إياهما أو صعود
الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فإن العمل لا يقبل إلا بالتوحيد ويؤيده
نصب العمل أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه أو لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه
من الكلفة وقرئ يصعد على البناء للمفعول والمصعد هو الله تعالى أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلم
الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه الصلاة والسلام هو سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن فإذا لم
يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي
صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الرأي في إحدى ثلاث حبسه وقتله وإجلائه

من مزيد الصنع كذلك النشور
أي مثل إحياء الموات نشور
الأموات

لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر أولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لأن الأمور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله والله خلقكم من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم أزواجا ذكرانا وإناثا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه إلا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمر من مصيره إلى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بأن يعطى له عمر ناقصا أو لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وإن لم يذكر لدلالة مقابله عليه أو للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكون فيه إن حج زيد فعمره ستون سنة وإلا فأربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فإنه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على البناء للفاعل إلا في كتاب هو علم الله أو اللوح أو الصحيفة إن ذلك على الله يسير إشارة إلى الحفظ أو الزيادة والنقص وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والأجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم أو تمام التمثيل والمعنى كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث إنهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وإن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء أحدهما على الفطرة الأصلية دون الآخر أو تفضيل للأجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلئ واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز أن تتعلق بما دل عليه الأفعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري

من عمر المعمر لغيره بأن يعطى له عمر ناقص من عمره أو لا ينقص من عمر ع

لأجل مسمى هي مدة دوره أو منتهاه أو يوم القيامة ذلكم الله ربكم له الملك الإشارة إلى الفاعل لهذه الأشياء وفيها إشعار بأن فاعليته لها موجبة لثبوت الأخبار المترادفة ويحتمل أن يكون له الملك كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالألوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لأنهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الإنفاع أو لتبرئهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الله سبحانه فإنه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله في أنفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وأن افتقار سائر الخلائق بالإضافة إلى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الإنسان ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الإطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين أطوع منكم أو بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر أو متعسر ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى وأما قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ففي الضالين المضلين فإنهم يحملون أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم وكل ذلك أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم وإن تدع مثقلة نفس أثقلتها الأوزار إلى حملها إلى تحمل بعض أوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب لحمل شيء منه نفى أن يحمل عنها ذنبها كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فأضمر المدعو لدلالة إن تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر أو على أن كان التامة وهي ما تلائم نظم الكلام إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه أو عن الناس في خلواتهم أو غائبا عنهم عذابه وأقاموا الصلاة فإنهم المنتفعون بالإنذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر من دنس

بإشراككم لهم يقرون ببطلانه أو يقولون ما كنتم إيانا تعبدون

المعاصي فإنما يتزكى لنفسه إذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم
وإقامتهم الصلوة لأنهما من جملة التزكي وإلى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي الأعمى والبصير
الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق
ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد
والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الأحياء ولا الأموات تمثيل
آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء إن الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه
لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما أنت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات
ومبالغة في إقناطه عنهم إن أنت إلا نذير فما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع فلا إليك ولا حيلة
لك إليه في المطبوع على قلوبهم إنا أرسلناك بالحق محقين أو محقا أو إرسالا مصحوبا بالحق ويجوز أن يكون
صلة لقوله بشيرا ونذيرا أي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وإن من أمة أهل عصر
إلا خلا مضى فيها نذير من نبي أو عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة
سيما وقد قرن به من قبل أو لأن الإنذار هو المقصود الأهم من البعثة وإن يكذبوك فقد كذب
الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر كصحف إبراهيم
وبالكتاب المنير كالتوراة والإنجيل على إرادة التفصيل دون الجمع ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف
لتغاير الوصفين ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير أي إنكاري بالعقوبة ألم تر أن الله أنزل
من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أجناسها أو أصنافها على أن كلا منها ألوان
مختلفة أو هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوها ومن الجبال جدد أي ذو جدد أي خطط وطرائق يقال
جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو
الطريق الواضح بيض وحمر مختلف ألوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض أو على
جدد كأنه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلف اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره ما بعده
فإن الغربيب تأكيد للأسود ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة

والمؤمن العائذات الطير وقيل من بين تأكيدا لما فيه من التكرير باعتبار الإضمار والإظهار ومن الناس
والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال إنما يخشى الله من عباده العلماء إذ شرط
الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال عليه الصلوة
والسلام إني أخشاكم لله وأتقاكم له ولهذا أتبعه ذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لأن المقصود
حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الأمر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فإن
المعظم يكون مهيبا إن الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه
غفور للتائب عن عصيانه إن الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته أو متابعة ما فيه حتى صارت
سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن والمراد جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين
من الأمم بعد اقتصاص حال المكذبين وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
كيف اتفق من غير قصد إليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل
ثواب بالطاعة وهو خبر إن لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله
ليوفيهم أجورهم علة لمدلوله أي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها أجور
أعمالهم أو لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم أو عاقبة ليرجون ويزيدهم
من فضله على ما يقابل أعمالهم إنه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم أي مجازيهم عليها
وهو علة للتوفية والزيادة أو خبر إن ويرجون حال من واو وأنفقوا والذي أوحينا
إليك من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما
بين يديه أحقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيته تستلزم
موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام إن الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن
والظواهر فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي
هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على أن العمدة في ذلك الأمور الروحانية ثم أورثنا الكتاب
حكمنا بتوريثه منك أو نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه أو أورثناه من الأمم السالفة والعطف

على ان الذين يتلون والذي اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا
من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على
سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعلم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل
والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء
والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلوة والسلام
اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون
حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته
وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون
الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى
التوريث او الاصطفاء او السبق جنات عدن يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين
او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره
الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ
يحلون من حليت المرأة فهي حالية من اساور من ذهب من الاولى والثانية للتبيين [margin: للتبعيض]
ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع
وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن همهم من
خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا
لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله
اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد
اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا
فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا

يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في
الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وهم يصطرخون
فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته
ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور
للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا
يحسبونه صالحا والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير
جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه يتناول كل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر
وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه الصلوة والسلام العمر الذي اعذر الله فيه الى
ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم
النذير وهو النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما
للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض فلا يخفى عليه خافية
فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي
اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض ملقى اليكم مقاليد التصرف
فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره
ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير
للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه و
المراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون
من دون الله يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا
من الارض بدل من ارأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض
استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة
في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك

والكتاب بأن لهم شركة جعلية ويجوز أن يكون هم للمشركين كقوله أم أنزلنا عليهم سلطاناً وقرأ
نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر على بينات فيكون إيماء إلى أن الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد
الدلائل بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً لما نفى أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم
عليه وهو تغرير الأسلاف الأخلاف أو الرؤساء الأتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم
بالتقرب إليهم إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا كراهة أن تزولا فإن الممكن حال بقائه لا بد
له من حافظ أو يمنعهما أن تزولا لأن الإمساك منع ولئن زالتا إن أمسكهما ما أمسكهما والجملة سادة مسد
الجوابين تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم وذلك أن قريشاً
لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو أتانا رسول
لنكونن أهدى من إحدى الأمم اليهود والنصارى وغيرهم أو من الأمة التي يقال
فيها هي إحدى الأمم تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير
يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ما زادهم أي النذير أو مجيئه على التسبب إلا نفوراً تباعداً
عن الحق استكباراً في الأرض بدل من نفوراً أو مفعول له ومكر السيء أصله وأن مكروا السيء
فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل أن مع الفعل بالمصدر ثم أضيف ولا
يحيق المكر السيء إلا بأهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر أي ولا يحيق
الله فهل ينظرون ينتظرون إلا سنة الأولين سنة الله فيهم بتعذيب المكذبين
دعوتها أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاداً عليه
بما يشاهدونه في مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وكانوا أشد منهم
قوة وما كان الله ليعجزه ليسبقه ويفوته من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً
بالأشياء كلها قديراً عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها
ظهر الأرض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الإنس وحده لقوله

ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً فيجازيهم
على أعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة
أن ادخل من أي باب شئت سورة يس وعنه عليه الصلاة والسلام تدعى المعمة تعم
صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة
وهي مكية وآيها ثلاث وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم
يس كالم في المعنى والإعراب وقيل معناه يا إنسان بلغة طيء على أن أصله يا أنيسين
فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح
على البناء كأين أو الإعراب على اتل يس أو بإضمار حرف القسم والفتحة لمنع
الصرف وبالضم بناء كحيث أو إعراباً على هذه يس وأمال الياء حمزة والكسائي وحفص
وروح وأدغم النون في واو والقرآن الحكيم ابن عامر والكسائي ويعقوب وهي واو القسم أو
العطف إن جعل يس مقسماً به إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم لمن الذين أرسلوا
على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الأمور ويجوز أن يكون على صراط خبراً ثانياً
أو حالاً من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحاً وإن
دل عليه لمن المرسلين التزاماً تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب على إضمار أعني أو فعله على أصله وقرئ بالجر
على البدل من القرآن لتنذر قوماً متعلق بتنزيل أو بمعنى المرسلين ما أنذر آباؤهم قوماً غير منذر
آباؤهم يعني آباءهم الأقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم إلى إرساله أو
الذي أنذر به أو شيئاً أنذر به آباؤهم الأبعدون فيكون مفعولاً ثانياً لتنذر أو إنذار آبائهم على المصدر فهم
غافلون متعلق بالنفي على الأول أي لم ينذروا فبقوا غافلين أو بقوله إنك لمن المرسلين
على الوجوه الأخر أي أرسلناك إليهم لتنذرهم فإنهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم يعني قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس

أجمعين فهم لا يؤمنون لأنهم ممن علم أنهم لا يؤمنون إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا تقرير لتصميمهم
على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلها بالذين غلت أعناقهم
فهي إلى الأذقان فالأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤوسهم فهم مقمحون رافعون رؤوسهم
غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له
وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وبمنزلة من أحاط
بهم سدان فغطى أبصارهم بحيث لا يبصر قدامهم ووراءهم في أنهم محبوسون في مطمورة الجهالة
ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان
بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فأعشيناهم من العشى وقيل الآيتان
في بني مخزوم حلف أبو جهل أن يرضخ رأس النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه
فلما رفع يده انثنت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم
فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله عينيه وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم
تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة إنما تنذر إنذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع
الذكر أي القرآن بالتأمل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة
أهواله أو في سريرته ولم يغتر برحمته فإنه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة وأجر كريم إنا نحن
نحيي الموتى الأموات بالبعث أو الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة
وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كإشاعة باطل وتأسيس ظلم وكل شيء أحصيناه
في إمام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم مثلا ومثل لهم من قولهم هذه الأشياء على ضرب واحد أي
مثال واحد وهو يتعدى إلى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا وأصحاب القرية على حذف
مضاف أي اجعل لهم مثل أصحاب القرية مثلا ويجوز أن يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من
الملفوظ أو بيانا له والقرية انطاكية إذ جاءها المرسلون بدل من أصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام
إلى أهلها وإسناده إلى نفسه في قوله إذ أرسلنا إليهم اثنين لأنه فعل رسوله وخليفته وهما

يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا بثالث فقوينا وقرأ أبو بكر مخففا من عزه إذا
غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولأن المقصود ذكر المعزز به بثالث هو شمعون
فقالوا إنا إليكم مرسلون وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل إليهم عيسى عليه السلام
اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية
فقالا نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فبرئ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي
على أيديهما خلق وبلغ حديثهما إلى الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك
فقال قوما حتى أنظر في أمركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به
وأوصلوه إلى الملك فأنس به فقال له يوما سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما
فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا
قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله
حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت
لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر إلهنا لا يبصر
ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات
منذ سبعة أيام فدعوا فقام وقال إني أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا
وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين فلما رأى شمعون
أن قوله أثر فيه نصحه فآمن مع قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا قالوا ما أنتم إلا
بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي إعمال
ما بإلا وما أنزل الرحمن من شيء وحي ورسالة إن أنتم إلا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم
إنا إليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لأنه جواب عن
إنكارهم وما علينا إلا البلاغ المبين الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد
فإن الاستشهاد بالعلم لا يحسن إلا بينة قالوا إنا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم

قال ابن عطية والظاهر ان التطير كان بسبب ما دخل فيهم من اختلاف الكلمة وافتتان الناس

لم وتمنوهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم
سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم معكم ائن ذكرتم وعظتم به وجواب الشرط
محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد الف بين الهمزتين وفتح ان بمعنى اتطيرتم
لان ذكرتم وان وان بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ
بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او في الضلال ولذلك
توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب
النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة
وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا
من لا يسألكم اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي لا اعبد الذي فطرني
تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح وتبليغ الرسالة حيث اراد
لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون
مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن
عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصرة والمظاهرة اني اذا لفي
ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه
به ضلال بين لا يخفى على عاقل اني آمنت بربكم الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب
للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه
بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الى الجنة على
ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف
في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
وجعلني من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على
اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم

على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية
والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي بأي شيء غفر لي يريد به المهاجرة
عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من
السماء لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم
وايماء بتعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه
اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي
ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت ما كانت الاخذة او العقوبة
الا صيحة واحدة صاح بها جبريل وقرئ بالرفع على كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار
رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد ۞ وما المرء الا كالشهاب وضوئه
يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري
فيها وهي ما دل عليها ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط
بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون
من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم
ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ
يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف
ألم يروا ألم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها
ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اي
ألم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف
وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيامة للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع
فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون وآية لهم الارض الميتة وقرأ نافع بالتشديد

أحييناها خبر للأرض والجملة خبر آية أو صفتها إذ لم يرد بها معينة وهي الخبر أو المبتدأ والآية خبرها أو
استئناف لبيان كونها آية وأخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على أن الحب
معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب من أنواع النخل والعنب ولذلك
جمعهما دون الحب فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع وذكر النخيل دون
التمر ليطابق الحب والأعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ
بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون أي شيئا من العيون فحذف الموصوف
وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة عند الأخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل
الضمير لله على طريقة الالتفات والإضافة إليه لأن الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي
بضمتين وهو لغة فيه أو جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته أيديهم عطف على الثمر والمراد
ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد
أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الأول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فإن حذفه من الصلة
أحسن من غيرها أفلا يشكرون أمر بالشكر من حيث إنه إنكار لتركه سبحان الذي خلق الأزواج
كلها الأنواع والأصناف مما تنبت الأرض من النبات والشجر ومن أنفسهم الذكر والأنثى ومما لا يعلمون
وأزواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا إلى معرفته وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله
ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في إعرابه ما سبق فإذا هم مظلمون داخلون
في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي إليه دورها فشبه بمستقر المسافر إذا قطع
مسيره أو لكبد السماء فإن حركتها فيه توجد إبطاء بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال والشمس
حيرى لها بالجو تدويم أو لاستقرار لها على نهج مخصوص أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب
فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود
إليهما إلى العام القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها أي لا سكون فإنها متحركة
دائما ولا مستقر على أن لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن
إحصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه

قدرنا مسيره منازل أو سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين البطين الثريا الدبران
الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الإكليل
القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو
المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا
يتقاصر عنه فإذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس
وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بالنصب على الاشتغال حتى عاد كالعرجون فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج القديم
العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل أن تدرك
القمر في سرعة سيره فإن ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو في آثاره ومنافعه أو
مكانه بالنزول إلى محله أو سلطانه فتطمس نوره وإيلاء حرف النفي الشمس للدلالة على أنها مسخرة
لا يتيسر لها إلا ما أريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل
المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكسا للأول
وتبديل الإدراك بالسبق لأنه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض عن المضاف إليه
والضمير للشموس والأقمار فإن اختلاف الأحوال يوجب تعددا ما في الذات أو للكواكب فإن ذكرهما
مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم أنا حملنا ذريتهم أولادهم الذين
يبعثونهم إلى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فإن الذرية
تقع عليهن لأنهن مزارعها وتخصيصهم لأن استقرارهم في السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب
في الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين
وفي أصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لأنه أبلغ في الامتنان وأدخل في التعجب مع الإيجاز
وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الإبل فإنها سفائن البر أو من السفن والزوارق
وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق أو فلا استغاثة كقولهم
أتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت به إلا رحمة منا ومتاعا إلا لرحمة ولتمتيع بالحياة

الى حين زمان قدر لآجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقائع التي خلت والعذاب المعد في
الآخرة او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب
الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب
اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا
العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال
الذين كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور
بمشيئته انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما
بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم فلم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم
منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله
ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
يعنون وعد البعث ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون يتخاصمون
في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله
يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء
للاتباع وقرأ ابن كثير بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليها وابو عمرو به مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه
والاسكان وكأنه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله
فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم
ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ
بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا
وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم
لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وقرئ من بعثنا ومن مرقدنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد

خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب
للملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان
الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث
الاكبر ذو الاهوال ان كانت الا صيحة واحدة هي النفخة الاخيرة وقرئ بالرفع على
كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما
عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
حكاية لما يقال لهم تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون
في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط
به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية
فكهين للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس
ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات
هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل
على الارائك على السرر المزينة متكئون وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان
او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد للضمير في شغل او في فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم
عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة
ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه
او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه
في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل
منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب
على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته
والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل

وارسل اليكم الرسول وصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس بعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث

نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم أيها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم إلى الجنة
كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا عن كل خير وتفرقوا في النار فإن لكل كافر بيتا
ينفرد به لا يرى ولا يُرى ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان من جملة ما عهد إليهم
وإزالة الحجة ومعهود إليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن
غيره وجعلها عبادة الشيطان لأنه الآمر بها والمزين لها وقرئ إعهد بكسر حرف المضارعة وأحهد وأحّد
على لغة تميم إنه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وأن اعبدوني عطف على
أن لا تعبدوا هذا صراط مستقيم إشارة إلى ما عهد إليهم أو إلى عبادته فالجملة استئناف
لبيان المقتضي للعهد بشقيه أو بالشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم أو للتبعيض فإن التوحيد
سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون رجوع إلى بيان معاداة
الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح إضلاله لمن له أدنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين
وابن كثير وحمزة والكسائي بضمتين مع تخفيف اللام وابن عامر وأبو عمرو بضمة
وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة وجبلا جمع جبيل وجيلا واحد الأجيال هذه جهنم التي كنتم
توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على أفواههم نمنعها
من الكلام وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على
أفعالها أو بإنطاقها إياها وفي الحديث أنهم يجحدون ويخاصمون فيختم على أفواههم وتكلم أيديهم
وأرجلهم ولو نشاء لطمسنا على أعينهم لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا إلى
الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض أو بتضمين الاستباق معنى الابتدار أو جعل
المسبوق إليه مسبوقا على الاتساع أو بالظرف فأنى يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا
عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وإبطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ
أبو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل
ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مِضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعُتي والعِتي

ومُضيا كالعُتي والمعنى أنهم بكفرهم ونقضهم ما عهد إليهم أحقاء بأن يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة
لهم واقتضاء الحكمة إمهالهم ومن نعمره نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه
وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره وقرأ عاصم وحمزة ننكّسه من التنكيس وهو أبلغ والنكس
أشهر أفلا يعقلون أن من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فإنه مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدريج
وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم إن محمدا شاعر أي
ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فإنه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة
والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له إن أراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من أربعين
سنة وقوله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت إلا إصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه إلى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات
على أن الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي أنه حرك الباءين وكسر التاء الأولى
بلا إشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن أي وما يصح للقرآن أن يكون شعرا إن هو إلا ذكر
عظة وإرشاد من الله وقرآن مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر أنه ليس من كلام البشر
لما فيه من الإعجاز لينذر القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيده قراءة نافع وابن عامر
ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فإن الغافل كالميت أو مؤمنا في علم الله فإن الحياة الأبدية
بالإيمان وتخصيص الإنذار به لأنه المنتفع به ويحق القول ويجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على
الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا إشعارا بأنهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم أموات
في الحقيقة أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا مما تولينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا وذكر الأيدي
وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالإحداث أنعاما خصها بالذكر
لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا إياهم أو متمكنون من ضبطها
والتصرف فيها بتسخيرنا إياها لهم أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا
وذللناها لهم صيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب

والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اي ذو ركوبهم وقرئ ركوبتهم ومنها ياكلون اي ما ياكلون
لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر
افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل
هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها به في العبادة بعدما راوا منه تلك القدر
الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر
بالعكس لانه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم او
محضرون اثرهم في النار فلا يحزنك قولهم فلا يهمنك تكذيبهم في الله بالالحاد والشرك او فيك
بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل
للنهي على الاستيناف ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا
خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر
وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة
على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا
مكرما بالعقوق والتكذيب روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته
وقال اترى الله يحيي هذا بعدما رم فقال عليه الصلاة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار
فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه
وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا
عنه ونسي خلقه خلقنا اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي
من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول
من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء قل يحييها الذي
انشاها اول مرة فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة
لذاتها وهو بكل خلق عليم يعلم تفاصيل المخلوقات وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة

المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة
الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا يقطر منهما
الماء فتنقدح النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من
الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس
وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون اوليس الذي خلق السموات والارض
مع كبر جرمهما وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم في
اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفي
مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات انما امره انما شانه اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون فهو يحدث وهو تمثيل لتاثير قدرته في مراده بامر المطاع
للمطيع في حصول المامور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة
الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا على يقول
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله
قادرا على كل شيء واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرا يعقوب بفتح التاء
وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وعنه
عليه الصلاة والسلام ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قراها يريد بها وجه الله غفر الله
له واعطي من الاجر كانما قرا القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك
الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا فيصلون عليه ويستغفرون
له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم
قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من
الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان
ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

نارا كالمرخ والعفار بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان

سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى واثنتان وثمانون آية وكلماتها ثمان مائة وستون

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا

فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب
باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية
بالتدبير المامور فيها او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين
آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة
والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار
لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح
التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو
التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات
والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان الصف كمال
والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاشاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضة او الرتبة كقوله عليه الصلاة
والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا بالعكس وادغم ابو عمرو
وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا ان الهكم لواحد
جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد المقسم عليه على ما هو المألوف في كلامهم
واما تحقيقه فبقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها
على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب
مرفوع بدلا او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه
والمشارق مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف
المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها
مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة

الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة
وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على
اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة
ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زانتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت
في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق
لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها بأسرها كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق باشكال
مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كأنه قال انا خلقنا الكواكب
زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد خارج من الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ
الاعلى كلام مبتدأ لبيان حالهم بعدما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي
ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف
ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار
المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل
عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو تطلب السماع والملأ الاعلى الملائكة
او اشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف
متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع داحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة
بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب اي عذاب آخر
واصب دائم او شديد وهو عذاب الآخرة الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل
والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد
مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف فاتبعه شهاب ثاقب مضيء والشهاب ما يرى كأن
كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما
يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين

فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحه
ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع
وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرته او وقوعه
او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتاذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة
وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من
النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان
ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها
ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم
اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب
والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرا ام من عددنا
وقوله انا خلقناهم من طين لازب فان الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود وان
المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقرير ان
استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي
الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما
لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة
فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على
ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بداهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله
وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرا حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال
قدرتي وكثرة خلائقي اني تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر
البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل او
على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول

اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل
على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم واذا راوا آية معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون
يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا يعنون
ما يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون اصله انبعث اذا
متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا
بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى
وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية اوآباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها او على
الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع وابن
عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه
وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي الله او الرسول وقرا الكسائي نعم بالكسر وهو لغة فيه فانما
هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية
من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وامرها في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون
فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي
نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة لهم
وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا امر
الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وازواجهم
واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة
او نساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام
وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية
وفيه دليل على ان الذين ظلموا المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها
وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسئولون عن عقائدهم واعمالهم والواو لا يوجب الترتيب مع جواز

ان يكون موقفه ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم
مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة
او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء
والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون يسال بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون
قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا
نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه
وانفعه ولذلك سمي يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف
فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من
سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين في
انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه
لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم
انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا
محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا
ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل
غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب
مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين
بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد
او على من يدعوهم اليه ويقولون اءنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا عليه
الصلاة والسلام بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق
قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك و
تكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا

وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم
الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤه
عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق
معلوم خصائصه من الدوام وتمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد
للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة
عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير تعب
وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال
من المستكن في مكرمون وتعلق متقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم
بكاس باناء فيه خمر او خمر كقوله وكاس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين اي ظاهر
للعيون او خارج من العيون وهو صفة الماء وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان
ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة بيضاء لذة للشاربين
وصفا بهما صفتان لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب
ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا
فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون
يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطفه على ما
يعمه لانه من عظم فساده كانه جنس براسه وقرا حمزة والكسائي بكسر الزاي من انزف الشارب اذا
نفد عقله او شرابه واصله للنفاد يقال انزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى
نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء
كانهن بيض مكنون شبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط
بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف
عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على

المدام

والتعبير عنه بالماضي للتأكيد فيه فإنه ألذ تلك اللذات إلى العقل وتساؤلهم عن المعارف
والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا يقول أإنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق
بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون
لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال أي ذلك القائل هل أنتم مطلعون إلى أهل النار لأريكم
ذلك القرين وقيل القائل هو الله أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل
النار لأريكم ذلك القرين وقيل فتعلموا أين منزلكم من منزلتهم فاطلع عليهم وعن أبي عمرو
مطلعون فأطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الألف على أنه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من
حيث إن أدب المجالسة يمنع الاستبداد به أو خاطب الملائكة ووضع المتصل موضع المنفصل كقوله
هم الفاعلون الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل بالمضارع فرآه أي قرينه في سواء الجحيم وسط
قال تالله إن كدت لتردين لتهلكني بالإغواء وقرئ لتغوين وإن هي المخففة واللام هي الفارقة
ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها أفما نحن بميتين عطف على محذوف
أي أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين إلا موتتنا الأولى
التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الإحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم
الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له
أو معاودة إلى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ
إن هذا لهو الفوز العظيم يحتمل أن يكون من كلامهم وأن يكون كلام الله لتقرير قوله والإشارة
إلى ما هم عليه من النعمة والخلود والأمن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون أي لنيل
مثل هذا يجب أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام ويحتمل
الأمرين أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم التي ثمرتها نزل أهل النار وانتصاب نزلا على
التمييز أو الحال وفي ذكره دلالة على أن ما ذكر من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل
ولهم ما وراء ذلك ما تقصر عنه الأفهام وكذلك الزقوم لأهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة

مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة إنا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء
في الدنيا فإنهم لما سمعوا أنها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على
خلق ما يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الإحراق إنها شجرة
تخرج في أصل الجحيم منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع التمر
لمشاركته إياه في الشكل أو الطلوع من الشجر كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه
بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف ولعلها
سميت بها لذلك فإنهم لآكلون منها من الشجرة أو من طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع أو الجبر
على أكلها ثم إن لهم عليها بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز
أن يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق أو صديد مشوبا بماء
حميم يقطع أمعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والأول مصدر سمي به ثم إن مرجعهم مصيرهم
لإلى الجحيم إلى دركاتها أو إلى نفسها فإن الزقوم والحميم نزل يقدم إليهم قبل دخولها وقيل الحميم
خارج عنها لقوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون إليه
كما يورد الإبل إلى الماء ثم يردون إلى الجحيم ويؤيده أنه قرئ ثم إن منقلبهم إنهم ألفوا آباءهم ضالين
فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال
والإهراع الإسراع الشديد كأنهم يزعجون على الإسراع على آثارهم وفيه إشعار بأنهم بادروا
إلى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك أكثر الأولين ولقد أرسلنا
فيهم منذرين أنبياء أنذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة
إلا عباد الله المخلصين إلا الذين تنبهوا بإنذارهم فأخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح أي الذين
أخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب قومه فإنهم
أيضا سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم ولقد نادانا نوح شرع في تفصيل القصص بعد إجمالها
أي ولقد دعانا حين أيس من قومه فلنعم المجيبون أي فأجبناه أحسن الإجابة فوالله لنعم

المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق او اذى
قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة اذ روي
انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح
هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا
محذوف مثل الثناء في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة
والثقلين جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة على احسانه انه من
عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثم اغرقنا الآخرين يعني
كفار قومه وان من شيعته ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة لابراهيم ولا يبعد اتفاق
شرعيهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان
هود وصالح اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات
القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه
له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ائفكا
آلهة دون الله تريدون اي اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم الافك لان
الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه
على انها افك في نفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما
ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره
او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي
الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فراى مواقعها
واتصالاتها او في علمها او في كتابها ولا منع منه ان قصد ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعبد
معهم فقال اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه
الى معبدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد اني سقيم القلب

لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة
داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين
مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال الا
استهزاء الا تاكلون يعني الطعام الذي كان عندهم بضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة
الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه
الى ابراهيم بعدما رجعوا فراوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه في قوله من فعل
هذا بآلهتنا الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازف اي يحملون
على الزفيف ويزفون اي يزف بعضهم بعضا يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما
تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها
وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم
من الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم
اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك اصحابنا
على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوا الاول لما فيه من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التاجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان
فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين
الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال
اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين
الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم
يكن كذلك حال موسى عليه السلام حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر
بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني
في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر

يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما واي حلم مثل حلم من عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق
فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبياء بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما
السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه
متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كانه قال
فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه
قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك
يحتمل انه راى ذلك وانه راى ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح
ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم راى
مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة و
النحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة
على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر
ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه
عشرا فلما سهل اقرع فخرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان
ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن
اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا
وما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب
اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن
اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم
يثبت فانظر ماذا ترى من الراي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت
قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل
نزوله قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة

المامور ولعله فهم من كلامه انه راى انه يذبحه مامورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك
لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال
الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح
او على قضاء الله فلما اسلما استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابرهيم ابنه وقرئ استسلما واصلها
سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على
الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه
وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم و
ناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته
على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال
من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما
لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل
لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل الفعل فانه عليه الصلاة والسلام
كان مامورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي
لا يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح
بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي
من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه
هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابرهيم و
انما قال وفديناه لانه المعطي له والامر به على التجوز ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه و
تركنا عليه في الاخرين سلام على ابرهيم سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي المحسنين لعله طرح عنه انا
اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا
نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة

فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تقدير الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة
الى تقدير مضافا يجعل عاملا فيها مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين
ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون خلودهم وقت الدخول
واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من
البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى
الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا
من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا
ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه مبين بالكفر و
المعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم
في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها
من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق
ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين
البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق وتركنا
عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين
سبق مثله وكذا وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى بعث
بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ايليس اذ قال لقومه الا تتقون
عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام
وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض
البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة
ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل
فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص

بالشر في العذاب الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في
الآخرين سلام على الياسين لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه
كالمهلبين وفيه نظر اذ العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين
وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان
فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد عليه الصلوة والسلام او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب
نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس
وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه
وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين
داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل
عنها صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به وان يونس لمن
المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن
ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين
فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من
بينهم قبل ان يأمره الله فركب السفينة فوقفت فقالوا هاهنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة
عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة
او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان
من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه
حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بان
حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع
السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهى الى البر فلفظه واختلف

مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرين وقيل اربعين وهو سقيم
مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين
من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على
انها كانت الدبا غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى
بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم
وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون
في مرأى الناظر اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو
فآمنوا فصدقوه او فجددوا الايمان به بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم
يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر واولي العزم
من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم الربك
البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله اولا باستفتاء قريش
عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض
ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات
الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة
بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم
واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في
كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور
على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل
المعادل للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة
لان امثال ذلك لا تعلم الا بها فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف

مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من
افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به
وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى
البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وعن نافع كسر
الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اي
لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا
تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة
بناته فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم من السماء بان الملائكة بناته ان كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة
وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد
علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس او الجنة ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب
سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع او
متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى
خطابهم ما انتم عليه بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا من سبق في
علمه انه من اهل النار يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على
الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم وآلهتكم قرناء
لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين باعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا
للنار مثلكم وقرئ صالُ بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف
صائل على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت به بالة فان اصلها
كعافية وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما
منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير العالم لا يتجاوزه

الموصوف والخبر الصفة بمعانيه ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلام الملائكة ليتصل
بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله
تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك
للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها وانا لنحن الصافون في اداء
الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول
اشارة الى درجاتهم في الطاعات وهذا في المعارف وما في ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد
والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيامة
وانا لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اي مشركو قريش
لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين
لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار
والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا
لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار
الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم
فاعرض عنهم حتى حين وهو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم
على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا
لك من التاييد والنصرة والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون
روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم
شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور
ونزل اي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح
مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح
سموا

والفرق بين الحذف والاضمار ان في الحذف لا يبقى اثر المحذوف في المعمول بل يكون المحذوف متروكا اصلا
فيتعدى الفعل بنفسه الى المعمول كما في ما نحن فيه بخلاف الاضمار فان المضمر متروك لفظا باق اثره
فالعامل هنا هو الجار وعامل فعل القسم الجار المجرور جميعا او في المجرور بواسطة الجار المقدر

سموا الغارة صباحا وان وقعت في آخر وقت وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون
تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة
وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة
عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها
به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار
بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين
على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد
تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال
بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان
وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا
بالمرسلين

سورة ص مكية وآيها ست او ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم ص وقرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل انه امر من المصاداة
بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القرآن بعملك فاعمل بامره ولذلك او لحذف
حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين على
تاويل الكتاب والقرآن ذي الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدي او للرمز بكلام
مثل صدق محمد او للسورة خبرا لمحذوف او لفظ الامر او للعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف
دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او لواجب العمل او ان محمدا
لصادق او قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به
في استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا

في استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا

عن الجواب المقدر لكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج
اليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ
في غرة اي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا
وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين حين مناص ولا
هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان
وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره
اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف الخبر اي ليس حين مناص
حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان
لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام
لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا
لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته
الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال
وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس
اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف
والمطعمون زمان ما من مطعم وعجبوا ان جاءهم منذر
منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم
وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما
يقول على الله اجعل الآلهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد ان هذا
لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي
علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر شق ذلك على
قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك

وانا

لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا هؤلاء قومك يسألونك
السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه الصلاة والسلام ماذا تسألونني قالوا ارفضنا
وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطي انتم كلمة واحدة تملكون
بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا وانطلق الملأ
منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب قائلين
لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان
الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من
مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا
ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد
او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم لشيء يطلب ليؤخذ
منكم ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة الآخرة في الملة التي ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى عليه
السلام التي هي آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب
ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه أأنزل عليه
الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد
وقصور النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد
واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا
الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم
لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب
بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا
للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع

لا

فإنه العزيز أي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له أن يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك
فقال أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما كأنه لما أنكر عليهم التصرف في نبوته بأن ليس عندهم
خزائن رحمته التي لا نهاية لها أردف ذلك بأنه ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو
جزء يسير من خزائنه فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها فليرتقوا في الأسباب جواب شرط محذوف أي
إن كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا
أمر العالم فينزلوا الوحي إلى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في الأصل هو
الوصلة وقيل المراد بالأسباب السماوات لأنها أسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك
مهزوم من الأحزاب أي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن أين
لهم التدابير الإلهية والتصرف في الأمور الربانية أو فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك
أكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا
فيه أنفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد
ذو الملك الثابت بالأوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد مأخوذ
من ثبات البيت المطنب بأوتاده أو ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك أو يصلب عليها أو يوتد ويتركه
حتى يموت وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وأصحاب الغيضة وهم قوم شعيب أولئك الأحزاب
يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم إن كل إلا كذب الرسل بيان لما أسند إليهم
من التكذيب على الإبهام مشتمل على أنواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب
ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو إما مقابلة الجمع بالجمع أو جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم
وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك أو الأحزاب فإنهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر أو حضورهم
في علم الله إلا صيحة واحدة هي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين
أو رجوع وترداد فإنه فيه يرجع اللبن إلى الضرع وقرأ حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به أو الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من

لأن بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب
أربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه
إليها

قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة
أعمالنا لننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود
واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في أعينهم فإنه مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات
لما أتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه
وأناب فما الظن بالكفرة وأهل الطغيان أو تذكر قصته وصن نفسك أن تزل فيلقاك ما لقيه
من المعاتبة على إهمال عنان نفسه أدنى إهمال ذا الأيد ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد
وآد وأياد بمعنى إنه أواب رجاع إلى مرضاة الله وهو تعليل للأيد ودليل على أن المراد به القوة في
الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل إنا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره
ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا
بعد حال بالعشي والإشراق ووقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها
وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ أنه عليه
الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الإشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلاة
الضحى إلا بهذه الآية والطير محشورة إليه من كل جانب وإنما لم يراع المطابقة بين الحالين لأن الحشر
جملة أدل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له أواب كل واحد من
الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله أنها تدل على الموافقة
في التسبيح وهذا على المداومة عليها وكل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه
بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل إن رجلا ادعى بقرة على آخر
وعجز عن البيان فأوحي إليه أن اقتل المدعى عليه فأعلمه فقال صدقت إني قتلت أباه غيلة
وأخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته وآتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم وإتقان العمل
وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المقصود
من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإضمار والإظهار

والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد
والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في
وصف كلام الرسول صلى الله عليه وسلم لا نزر ولا هذر وهل أتاك نبأ الخصم استفهام
معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق على الجمع اذ تسوروا المحراب
اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ
تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة
نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن
حينئذ اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق
في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزأ زمانه يوما
للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان
في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فريقان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا
على بعض تعدى عليه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر
في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط
وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين او بالصحبة
له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل
فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون فقال اكفلنيها
ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في
الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي
في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث زوجها دوني وقرئ وعازني
اي غالبني وعزني على تخفيف قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد
به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي

والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من
الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدي وقرئ بفتح الياء على تقدير النون
الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على
بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب
من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر
ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا
كأنه احرم بركعتي الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما في هذه الاشعار بانه عليه السلام
ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روي ان
بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته
او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى
وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هراء وافتراء ولذلك قال علي
عليه الصلاة والسلام من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل
ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا
التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله فاستغفر ربه مما هم به واناب
فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع
في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك
خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى
النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسألته فيضلك
عن سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة
الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي باطل

بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين او للباطل
الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا
الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام
نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية
بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين كالفجار
كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون
تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين اخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والاية تدل على
صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه
او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع و
قرئ بالنصب على الحال ليدبروا اياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة
والمعاني المستنبطة وقرئ لتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب
وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب
عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما يستقل به العقل ولعل
التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اي نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل
للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب
او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف
سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد
او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود بالركض وقيل جمع جيد روي انه عليه الصلاة
والسلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه
فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم

لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى
بعلى لانه بمعنى اثرت لكن لما انيب مناب انيب عدي بعن وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير
السوء اذ احبا اي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل
انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه الصلاة والسلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة
حتى توارت بالحجاب غربت الشمس شبه غروبها بتواري المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة
العشي عليها ردوها علي الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ بمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق
اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها
وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو بالسؤوق
وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على
كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة
تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة
جاءت بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له
ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه
ميتا فتنبه على خطئه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها و
اصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشيطان فمثل لها
صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبر اصف سليمان بذلك فكسر
الصورة وضرب المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل
للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ
الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان
عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت
يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في

الشيطان في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجداً
وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلاً
بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزاً حينئذ وسجود الصورة
بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا
يكون ليجري مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من
بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة
لا ان لا يعطي احداً مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه
بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة انك انت الوهاب المعطي ما تشاء
لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء
لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم
اصاب الصواب فاخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه
وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كأنه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال
الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر
ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل
كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم
عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد وفي
ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط
به غيرك عطاؤنا فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن
في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض
والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك
اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب وهو

الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص بن اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه بدل
من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني بأني مسني الشيطان بنصب بتعب وعذاب ألم وهو حكاية
لكلامه الذي ناداه به ولولا هي لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان لان الله مسه بذلك
لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه
في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحاناً لصبره فيكون اعترافاً بالذنب او مراعاة
للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب
ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح
النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك
حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت
عين فقيل هذا مغتسل اي تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان
حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله ومثلهم معهم بأن جمعناهم عليه بعد
تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان
رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيراً لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ الى
الله فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثاً عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش
ونحوه فاضرب به ولا تحنث روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف
ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية
في الحدود انا وجدناه صابراً فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من
الشيطان فانه لا يسمى جزعاً كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه
في الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب
وقرأ ابن كثير عبدنا على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه
اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة

وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها في الوصل

وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء

ووضع الجنس موضع الجمع

فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه
تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة
خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم للآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها
وذلك لان مطمح نظرهم فيما ياتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الآخرة واطلاق
الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع بخالصة الى ذكرى للبيان
او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من
امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات
في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل
ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرا حمزة والكسائي والليسع
تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في
نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان
يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اي وكلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم
ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان
للمتقين لحسن مآب جنات عدن عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات
عدن التي وعد الرحمن عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما في
للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين
فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير في لهم لا من
المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره
والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثمة
وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران
اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن في وقت واحد
يمسهن

هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو
بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان
للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها اعرابه ما سبق فبئس المهاد المهد والمفترش مستعار من فراش النائم
والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه او
العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدا خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اي هو حميم والغساق
ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وآخر اي ومذوق او عذاب آخر وقرا البصريان
واخر وهو مذوقات او انواع عذاب اخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير
على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق وقرئ بالكسر وهي لغة ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له
او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم اذا دخلوا النار واقتحمها فوج تبعهم في الضلال
والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال
اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا بهم رحبا وسعة انهم صالو النار داخلون النار باعمالهم مثلنا
قالوا اي الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما
قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلي لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتموه من العقائد الزائغة
والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اي الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا
في النار مضاعفا اي ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب
وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم
ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه
انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله
في المؤمنين ام زاغت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم
لغيبتهم كانهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على القراءة الثانية
بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكار على

سخريا انكارا على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد القهار الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار قل هو اي ما انبأتكم به من اني نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد في الالوهية وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ المعنى ما كان لي من علم بكلام الملأ الاعلى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما كأنه لما جوز ان الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود هنا وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبي بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله والملائكة فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان من الكافرين وصار منهم باستكباره عن امر الله والاستنكاف عن المطاوعة او كان منهم في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط

كاب وام والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص استكبرت تكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابداء للمانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او السماء او من الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتي الى يوم الدين لا يزال مطرودا الى يوم الجزاء قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين قال فالحق والحق اقول اي فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله نصب بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق يميني وقسمي او الخبر اي انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك من الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسألكم عليه على القرآن او على تبليغ الوحي من اجر وما انا من المتكلفين المتصنعين بما ليسوا من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيانه بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفشوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الآية

وآيها خمس وسبعون أو ثنتان وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب
خبر محذوف مثل هذا أو مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الأول صلة التنزيل أو خبر ثان أو حال
عمل فيها معنى الإشارة أو التنزيل والظاهر أن الكتاب على الأول السورة وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل
بالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ أو الزم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق أو بسبب إثبات الحق
وإظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على
الاستئناف لتعليل الأمر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا وإجراؤه
مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال ألا لله الدين الخالص أي ألا هو الذي وجب اختصاصه
بأن يخلص له الطاعة فإنه المتفرد بصفات الألوهية والاطلاع على الأسرار والضمائر والذين اتخذوا
من دونه أولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والأصنام على حذف الراجع وإضمار
المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الأول ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى
بإضمار القول وإن الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا أو بدلا
من الصلة وزلفى مصدر أو حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم إلا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم
ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين بإدخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة
ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فإنهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم إن الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء
إلى الحق من هو كاذب كفار فإنهما فاقدا البصيرة لو أراد الله أن يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء إذ لا موجود
سواه إلا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب إليه ومن البين
أن المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فإن الألوهية
الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لأن كل واحد من المثلين
مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد ثم استدل على
ذلك بقوله خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشى كل
واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله

كارا عليه كرورا متتابعا تتابع أكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى هو منتهى دوره أو منقطع
حركته ألا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل
الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة صح
منها زوجها استدلال آخر بما أوجده في العالم السفلي مبتدئا به من خلق الإنسان لأنه أقرب وأكثر
دلالة وأعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم أولا من غير أب وأم ثم خلق حواء من قصيراه ثم
تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها أو على معنى
واحدة أي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها أو على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين
فإن الأولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل أخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حواء
وأنزل لكم وقضى أو قسم لكم فإن قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح
أو أحدث لكم بأسباب نازلة كأشعة الكواكب والأمطار من الأنعام ثمانية أزواج ذكرا وأنثى
من البقر والإبل والضأن والمعز يخلقكم في بطون أمهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الأناسي و
الأنعام إظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير أنه غلب أولي العقل أو خصهم بالخطاب لأنهم المقصودون
خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ
من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلاث ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو الصلب والرحم والبطن
ذلكم الذي هذه أفعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا إله إلا هو إذ لا
يشاركه في الخلق غيره فأنى تصرفون يعدل بكم عن عبادته إلى الإشراك إن تكفروا فإن الله غني عنكم
عن إيمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وإن تشكروا يرضه لكم لأنه سبب فلاحكم
وقرأ ابن كثير ونافع في رواية وأبو عمرو والكسائي بإشباع ضمة الهاء لأنها صارت بحذف الألف موصولة
بمتحرك وعن أبي عمرو ويعقوب إسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة إنه عليم بذات الصدور فلا تخفى عليه خافية من
أعمالكم وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على أن مبدأ
الكل منه ثم إذا خوله أعطاه من الخول أو التعهد والخول وهو الافتقاد نعمة منه من الله نسي ما كان

يدعو إليه من قبل كان يدعو الله إلى كشفه أو ربه الذي كان يتضرع إليه وما مثله في قوله وما خلق
الذكر والأنثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والإضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وإن لم يكونا
غرضين قل تمتع بكفرك قليلا أمر تهديد فيه إشعار بأن الكفر نوع تشهٍّ لا سند له وإقناط للكافرين
من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله إنك من أصحاب النار على سبيل الاستئناف للمبالغة
أمن هو قانت قائم بوظائف الطاعات آناء الليل ساعاته وأم متصلة بمحذوف تقديره الكافر
خير أم هو قانت أو منقطعة والمعنى بل أمن هو قانت كمن هو ضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف
الميم بمعنى أمن هو قانت لله كمن جعل له أندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت وقرئ
بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه في موضع الحال
أو الاستئناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين
باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير
للأول على سبيل التشبيه كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون و
العاصون إنما يتذكر أولوا الألباب بأمثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالإدغام قل يا
عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة أي للذين أحسنوا
بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وقيل معناه للذين أحسنوا حسنة في الدنيا هي
الصحة والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة وأرض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر
على الإحسان في وطنه فليهاجر إلى حيث يتمكن منه إنما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة
من احتمال البلاء ومهاجرة الأوطان لها أجرهم بغير حساب أجرا لا يهتدي إليه حساب الحساب
وفي الحديث أنه تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم
ولا تنصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صبا حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين موحدا له

البينات

لأن أكون أول المسلمين وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لأن قصب السبق في الدين
بالإخلاص أو لأني أول من أسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الأول
بتقييده بالعلة والإشعار بأن العبادة المقرونة بالإخلاص وإن اقتضت لذاتها أن يؤمر بها فهي أيضا
تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في أردت لأن أفعل فيكون
أمرا بالتقدم في الإخلاص والبدء بنفسه في الدعاء إليه بعد الأمر به قل إني أخاف إن عصيت ربي
بترك الإخلاص والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم
لعظمة ما فيه قل الله أعبد مخلصا له ديني أمر بالإخبار عن إخلاصه وأن يكون مخلصا له دينه بعد الأمر بالإخبار
عن كونه مأمورا بالعبادة والإخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لأطماعهم ولذلك رتب
عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل إن الخاسرين الكاملين في الخسران
الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالضلال واتخاذهم يوم القيامة حين يدخلون النار بدل الجنة
لأنهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما
خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده ألا ذلك هو
الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير بألا وتوسيط الفصل وتعريف
الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل أطباق من
النار هي ظلل للآخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا
ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ
غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به
للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان أن يعبدوها بدل اشتمال منه وأنابوا إلى الله وأقبلوا
إليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى بالثواب على ألسنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت
فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا
للدلالة على مبدأ اجتنابهم وأنهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الأفضل فالأفضل

وأن يكون

أولئك الذين هداهم الله لدينه وأولئك هم أولوا الألباب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة
وفي ذلك دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ
من في النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب
فأنت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك
وللدلالة على أن من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وأن اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم
في دعائهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم من النار ويجوز أن يكون أفأنت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك
والإشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض
مبنية بنيت بناء المنازل على الأرض تجري من تحتها الأنهار أي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد
لأن قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لأن الخلف نقص وهو على الله محال ألم تر أن الله
أنزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فأدخله ينابيع في الأرض هي عيون ومجار كائنة فيها أو مياها نابعة
فيها إذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على الظرف أو الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه أصنافه
من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج ثم يتم جفافه لأنه إذا تم جفافه حان له
أن يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا إن في ذلك لذكرى لتذكيرا بأنه لا بد من صانع
حكيم دبره وسواه وبأنه مثل الحياة الدنيا فلا يغتر بها لأولي الألباب إذ لا يتذكر به غيرهم أفمن شرح الله
صدره للإسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية
عنه من حيث إن الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابل للإسلام فهو على نور من ربه
يعني المعرفة والاهتداء إلى الحق وعنه عليه الصلاة والسلام إذا دخل الخلود والتجافي عن دار
الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله
من أجل ذكره وهو أبلغ من أن يكون عن مكان من لأن القاسي من أجل الشيء أشد تأبيا من قبوله من القاسي
عنه بسبب آخر وللمبالغة في وصف أولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر وأسنده إلى الله
وقابله بقساوة القلب وأسنده إليه أولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بأدنى نظر والآية نزلت في حمزة وعلي

النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار

وأبي لهب وولده الله نزل أحسن الحديث يعني القرآن روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للإسناد إليه وتفخيم للمنزل واستشهاد
على حسنه كتابا متشابها بدل من أحسن أو حال منه وتشابهه تشابه أبعاضه في الإعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى
والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى ومثنى وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن
سور وآيات والإنسان عظام وعروق وأعصاب أو جعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا
حسنا شمائل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في
شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس بزيادة الراء
ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله بالرحمة وعموم
المغفرة والإطلاق للإشعار بأن أصل أمره الرحمة وأن رحمته سبقت غضبه والتعدية بإلى
لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك أي
الكتاب أو الكائن من الخشية والرجاء هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله
ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلال أفمن يتقي بوجهه يجعله درقة يقي بها نفسه لأنه
يكون مغلولة يداه إلى عنقه فلا يقدر أن يتقي إلا بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن
منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين أي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا
عليهم بالظلم وإشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون أي وباله والواو
للحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر
ببالهم أن الشر يأتيهم منها فأذاقهم الله الخزي الذل في الحياة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل
والسبي والإجلاء ولعذاب الآخرة المعد لهم أكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من
أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج
إليه الناظر في أمر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك
جاءني زيد رجلا صالحا أو مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه فهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعاني وقيل

بالشك استشهادا بقوله وقد أتاك يقين غير ذي عوج من الإله وقول غير مكذوب وهو تخصيص بعض
مدلول اللفظ لعلهم يتقون علة أخرى مرتبة على الأولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد رجلا فيه شركاء متشاكسون
ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من أن يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعوا فيه
بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهام شتى في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص
لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجل بدل من مثل وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرأ
نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها مصادر سلم
نعت بها أو حذف منها ذا ورجل سالم أي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لأنه أفطن للضر والنفع
هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحد وقرئ مثلين للإشعار باختلاف
النوع أو لأن المراد هل يستويان في الوصفين على أن الضمير للمثلين فإن التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد
لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لأنه المنعم بالذات والمالك على الإطلاق بل أكثرهم
لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم إنك ميت وإنهم ميتون فإن الكل بصدد الموت
وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لأنه مما سيحدث ثم إنكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيمة
عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بأنك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك
واجتهدت في الإرشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالأباطيل مثل أطعنا
سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم
في الدنيا فمن أظلم ممن كذب على الله بإضافة الولد والشريك إليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم إذ جاءه من غير توقف وتفكر في أمره أليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم
مجازاة لأعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فإنهم يكذبون بما علم صدقه وهو
ضعيف لأنه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق
به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله أولئك هم المتقون وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه
كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول صلى الله عليه وسلم و

والمصدق أبو بكر وذلك يقتضي إضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق بالتخفيف أي صدق به الناس
فأداه إليهم كما نزل من غير تحريف أو صار صادقا بسببه لأنه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤون عند
ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على إحسانهم ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا خص الأسوأ للمبالغة فإنه إذا
كفر كان غيره أولى بذلك أو للإشعار بأنهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون أنهم مقصرون مذنبون وأن
ما يفرط منهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص والأشج أعدلا بني مروان
وقرئ أسواء جمع سوء ويجزيهم أجرهم ويعطيهم ثوابهم بأحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن
أعمالهم بأحسنها في زيادة الأجر وعظمه لفرط إخلاصهم فيها أليس الله بكاف عبده استفهام إنكار للنفي
مبالغة في الإثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده
وفسر بالأنبياء ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فإنهم قالوا له إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا لعيبك
إياها وقيل إنه بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها أحذركها إن لها لشدة فعمد إليها خالد فهشم
أنفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه عليه الصلاة والسلام لأنه الآمر بما خوف عليه ومن يضلل الله حتى غفل
عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه إلى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل
إذ لا راد لفعله كما قال أليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من أعدائه ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل أفرأيتم ما تدعون من دون
الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أي أرأيتم بعدما تحققتم أن خالق العالم هو الله
أن آلهتكم إن أراد الله أن يصيبني بضر هل يكشفنه أو أرادني برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها
عني قل حسبي الله كافيا في إصابة الخير ودفع الضر إذ تقرر بهذا التقرير أنه القادر الذي لا مانع لما يريده
من خير أو شر روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل ذلك وإنما قال كاشفات وممسكات على ما
يصفونها به من الأنوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بأن الكل منه قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم إني عامل أي
على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والإشعار بأن حاله لا تقف فإنه تعالى يزيد على مر الأيام

فمن ونصره وبذلك تعريض بكونه منصوراً عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
فإن خزي أعدائه دليل غلبته وقد أخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار
إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس لأجلهم فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبساً بالحق
فمن اهتدى فلنفسه إذ نفع به نفسه ومن ضل فإنما يضل عليها فإن وباله لا يتخطاها
وما أنت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وإنما أمرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى
الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها أي يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها
فيها إما ظاهراً وباطناً وذلك عند الموت أو ظاهراً لا باطناً وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت
ولا يردها إلى البدن ويرسل الأخرى أي النائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى أجل مسمى هو الوقت
المضروب لموته وهو غاية جنس الإرسال وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن في ابن آدم نفساً
وروحاً فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه إن في ذلك في
التوفي والإمساك والإرسال لآيات على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون
في كيفية تعلقها بالأبدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وإمساكها باقية لا تفنى بفنائها وما
يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وإرسالها حيناً بعد حين إلى توفي
آجالها أم اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً
ولا يعقلون أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعاً
لعله رد لما عسى يجيبون به وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى أنه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة
إلا بإذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والأرض فإنه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم
في أمره دون إذنه ورضاه ثم إليه ترجعون يوم القيامة فيكون الملك له أيضاً حينئذ وإذا ذكر الله وحده
دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت وإذا ذكر الذين من دونه يعني الأوثان إذا هم
يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الأمرين حتى بلغ الغاية فيهما فإن الاستبشار أن يمتلئ
قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز أن يمتلئ غماً وغيظاً حتى ينقبض أديم وجهه والعامل في إذا المفاجأة

وقرأ حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع

بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحركة

قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة التجئ إلى الله بالدعاء لما تحيرت
في أمرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فإنه القادر على الأشياء والعالم بالأحوال
كلها أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فأنت وحدك تقدر أن تحكم بيني
وبينهم ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب
يوم القيامة وعيد شديد وإقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم في الوعد وبدا لهم سيئات
ما كسبوا سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وأحاط بهم
جزاؤه فإذا مس الإنسان ضر دعانا إخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله
وإذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى أنهم يشمئزون
عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد للإنكار عليهم ثم إذا
خولناه نعمة منا أعطيناه إياها تفضلاً فإن التخويل مختص به قال إنما أوتيته على علم
على علم مني بوجوه كسبه أو بأني سأعطاه لما لي من استحقاق أو من الله بي وباستحقاقي
والهاء لما إن جعلت موصولة وإلا فللنعمة والتذكير لأن المراد شيء منها بل هي فتنة
امتحان لها أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو لفظ النعمة
وقرئ بالتذكير ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على أن الإنسان للجنس قد
قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله إنما أوتيته على علم عندي لأنها كلمة أو جملة وقرئ
بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فإنه قاله ورضي به قومه فما أغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من متاع الدنيا فأصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات أعمالهم
أو جزاء أعمالهم وسماه سيئة لأنه في مقابلة أعمالهم السيئة رمزاً إلى أن جميع أعمالهم
كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان أو للتبعيض سيصيبهم
سيئات ما كسبوا كما أصاب أولئك وقد أصابهم فإنهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم

أحاط بهم

بذكر الآلهة فإذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا به

وما هم بمعجزين فائتين أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس
عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بأن الحوادث
كلها من الله بوسط أو غيره قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم أفرطوا في الجناية
عليها بالإسراف في المعاصي وإضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف
القرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا إن الله
يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد تعذيب وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على
إطلاقه فيما عدا الشرك قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية والتعليل بقوله إنه هو
الغفور الرحيم على المبالغة وإفادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما
يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذل عن القنوط مطلقا عن الرحمة
فضلا عن المغفرة وإطلاقها وتعليله بأن الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير
لدلالته على أنه المستغني والمنعم على الإطلاق والتأكيد بالجميع وما روي أنه عليه الصلاة
والسلام قال ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت
ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات وما روي أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من
عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الأوثان و
قتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا أو في الوحشي
لا ينفي عمومها وكذا قوله وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون
فإنها لا تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة
والإخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم
القرآن أو المأمور به دون المنهي عنه والعزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ
ولعله ما هو أنجى وأسلم كالإنابة والمواظبة على الطاعة من قبل أن يأتيكم العذاب
بغتة وأنتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون أن تقول نفس كراهة أن تقول وتنكير نفس

لأن القائل بعض الأنفس أو للتكثير كقول الأعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه أتاني
كريم ينفض الرأس مغضبا يا حسرتا وقرئ بالياء على الأصل على ما فرطت بما قصرت
في جنب الله في جانبه أي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري أما تتقين الله
في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله إن السماحة و
المروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف
كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وإن كنت
لمن الساخرين المستهزئين بأهله ومحل وإن كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت
وأنا ساخر أو تقول لو أن الله هداني بالإرشاد إلى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي
أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين في العقيدة والعمل و
أو للدلالة على أنه لا يخلو من هذه الأقوال تحيرا أو تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك
آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه
قوله لو أن الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لأن تقديمه يفرق القرائن وتأخير
المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لأنه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم
يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من إسناد الفعل
إليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس ويوم القيامة
ترى الذين كذبوا على الله بأن وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة
مما ينالهم من الشدة أو مما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال إذ الظاهر أن ترى
من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو أليس في جهنم مثوى للمتكبرين
عن الإيمان والطاعة وهو تقرير لأنهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ
وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص بأهم أقسامه
وبالسعادة والعمل الصالح إطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص

بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء
ولا هم يحزنون وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير
وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات
والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه
لها وفيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل
جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سال
النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان
الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه
الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه
والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين
اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز
عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين
بان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه
والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات
توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب
قل أفغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون اي أفغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد
وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا
ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمروني اعبد
لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله احضر
الوغى ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمرونني باظهار النونين على الاصل

ونافع

وفيه مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها

ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي
من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض
والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب
باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط
يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح
به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا
والآخرة وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد
رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين
انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره
ما قدروا عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركا ووصفوه بما لا
يليق به وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه تنبيه على عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها
الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على
طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم
شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار
المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضته وقرئ بالنصب على الظرف
تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع
ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة
على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد واعلى من هذه
قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني
المرة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض خروا ميتا او مغشيا عليه

الا من شاء الله قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش
ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على المراد بالاول ونفخ في الصور نفخة
واحدة كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل النصب على المصدر والرفع فاذا هم
قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال
من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل
بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين
البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة
ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور يخلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة
ولذلك اضافه الى نفسه ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب
كتاب المحاسبة بين يديه او صحايف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم
الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحايف وجيء بالنبيين
والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم
بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى
الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء
من افعالهم ثم فصل التوفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة
جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من
قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة حتى اذا جاؤها فتحت
ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقال لهم خزنتها تقريعا
وتوبيخا الم يأتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع

من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت
كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم
من اهل النار ووضعوا الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة
وقيل هو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم
خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس
والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم
عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وساير
مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه الصلوة والسلام ان الله اذا خلق العبد للجنة
استعمله بعمل اهل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت
على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة
اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا
على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها
حذف جواب اذا وجعل فتحت حالا باضمار قد للدلالة على ان لهم حينئذ من
الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم
منتظرين وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس
المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب
لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون
المكان الذي صدقنا وعده استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة
عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة
حيث نشاء اي يتبوأ كل منا في اي مكان اراده من جنته الواسعة مع ان

في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين محدقين
من حول العرش أي حوله ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين
بحمده والجملة حال ثانية أو مقيدة للأولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله وإكرامه
تلذذا به وفيه إشعار بأن منتهى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق
في صفات الحق وقضي بينهم بالحق أي بين الخلق بإدخال بعضهم النار
وبعضهم الجنة أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل
الحمد لله رب العالمين أي على ما قضي بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون
من المقضي بينهم أو الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة وأعطاه الله ثواب
الخائفين وعنه أنه عليه الصلوة والسلام كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل و
الزمر سورة المؤمن مكية وآيها خمس أو ثمان وثمانون
بسم الله الرحمن الرحيم حم أمال ابن
عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر صريحا ونافع وأبو عمرو بين بين وقرئ
بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب بإضمار اقرأ ومنع صرفه
للتعريف والتأنيث أو لأنها على زنة أعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الإعجاز و
الحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول صفات أخر لتحقيق ما فيه من الترغيب
والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والإضافة فيها حقيقية على
أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أو الشديد
عقابه فحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أو أبدال وجعله وحده بدلا

مشوش النظم وتوسيط الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة
أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لأن الغفر هو الستر
فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب
مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة
العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا إله إلا هو فيجب الإقبال الكلي على
عبادته إليه المصير فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله إلا الذين
كفروا لما حقق أمر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وإدحاض الحق لقوله
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه و
قطع تشبث أهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن أعظم الطاعات ولذلك قال عليه
الصلوة والسلام إن جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع أنه ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا
يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك إمهالهم وإقبالهم في دنياهم وتقلبهم في
بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فإنهم مأخوذون عما قريب بكفرهم أخذ
من قبلهم كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل
وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل أمة من هؤلاء برسولهم وقرئ
برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل من الأخذ بمعنى
الأسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فأخذتهم بالإهلاك
جزاء لهمهم فكيف كان عقاب فإنكم تمرون على ديارهم وترون أثره وهو تقرير
فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده وقضاؤه بالعذاب على الذين كفروا
لكفرهم أنهم أصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل أو الاشتمال على إرادة اللفظ
أو المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم
وجودا وحملهم إياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له أو كناية عن

قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم
يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد
حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا
لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين
آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة
واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه
تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس
لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان
ليستغفرون او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمته وعلمه
فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة
لانها المقصودة بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة
واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد
والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم اياها
ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم ومعهم
هؤلاء ليتم سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم و
ذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل
الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات
او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في
الدنيا فقد رحمته في الآخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما سالوا المسبب وذلك هو الفوز
العظيم يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيامة فيقال
لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة

لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا

بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر
عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الا ان
يؤول بنحو الصيف احر من الشتاء او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد قالوا ربنا امتنا
اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة
جعل الشيء عادم الحيوة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر
البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مفعوليه تصيير وصرف
له عن الآخر واحييتنا اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى
عند انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان ما في القبر و
البعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك
تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم
البعث فهل الى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه
من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم الذي انتم فيه بانه بسبب انه
اذا دعي الله وحده متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية
كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق للعبادة العلي
الكبير من ان يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وعلى من اشرك
وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي يريكم آياته الدالة على التوحيد
وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر
مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالآيات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول
عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها
والتفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك
ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران آخران

للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية
فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو
اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات الثواب
وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقي الروح من امره خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات
ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد
والروح الوحي ومن امره بيانه لانه امر بالخير او مبدؤه والامر هو الملك المبلغ على من
يشاء من عباده يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن
فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق يوم القيمة
فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبودون والعباد
والاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم
شيء او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم
شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو
ما يتوهمونه في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك
اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع
الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
كأنه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيآت
توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها
زالت العوائق وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة
العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل اليهم ما يستحقونه
سريعا وانذرهم يوم الآزفة اي القيمة سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة
الآزفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع

عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم
حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها في لدى وجمعه
كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول
انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع
مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم
للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة
كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفي الصدور
من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم و
الجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا
وهو حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الالتفات
الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرأ نافع بالتاء على الالتفات او اضمار
قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد
لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين من قبلهم
كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع
بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وآثارا في
الارض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا
ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك
الاخذ بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الاحكام الواضحة
فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه
بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى بآياتنا يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة

قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين أو لإفراد بعض المعجزات كالعصا تفخيماً
لشأنه إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو أشد الذين كانوا من قبلهم بطشاً
وأقربهم زماناً فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا
نساءهم أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أولاً كي يصدوا عن مظاهرة موسى
وما كيد الكافرين إلا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم
الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذروني أقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله
ويقولون إنه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظُنّ أنك عجزت عن معارضته
بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكاً في أهون شيء دليل على أنه تيقن أنه نبي فخاف
من قتله أو ظن أنه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فإنه تجلد وعدم
مبالاة بدعائه إني أخاف إن لم أقتله أن يبدل دينكم أن يغير ما أنتم عليه من عبادته
وعبادة الأصنام لقوله ويذرك وآلهتك أو أن يظهر في الأرض الفساد ما يفسد
دنياكم من التحارب والتهارج إن لم يقدر أن يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع
وأبو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء
والهاء ورفع الفساد وقال موسى أي لقومه لما سمع بكلامه إني عذت بربي وربكم
من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدّر الكلام بإن تأكيداً وإشعاراً على أن السبب
المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لأن المطلوب هو الحفظ والتربية
وإضافته إليه وإليهم حثاً لهم على موافقته لما في تظاهر الأرواح من استجلاب
الإجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفاً يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق
والدلالة على الحامل له على القول وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي عذت فيه وفي
الدخان بالإدغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من آل فرعون من أقاربه وقيل

من متعلق بقوله يكتم إيمانه والرجل إسرائيلي أو غريب موحد كان ينافقهم أتقتلون
رجلاً أتقصدون قتله أن يقول لأن يقول أو وقت أن يقول من غير روية وتأمل
في أمره ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات
المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم أضافه إليهم بعد ذكر البينات
احتجاجاً عليهم واستدراجاً لهم إلى الاعتراف به ثم أخذهم بالاحتجاج من باب
الاحتياط فقال وإن يك كاذباً فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه
إلى قتله وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم فلا أقل من أن يصيبكم بعضه
وفيه مبالغة في التحذير وإظهار للإنصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه
كاذباً أو يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو
أظهر احتمالاً عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك أمكنة إذا لم أرضها
أو يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لأنه أراد بالبعض نفسه إن الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفاً كذاباً
لما هداه الله إلى البينات لما عضده بتلك المعجزات وثانيهما أن من خذله الله وأهلكه
فلا حاجة لكم إلى قتله ولعله أراد به المعنى الأول وخيّل إليهم الثاني لتلين شكيمتهم و
عرّض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وطريق النجاة
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين في الأرض أرض مصر فمن ينصرنا من بأس الله
إن جاءنا فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد
وإنما أدرج نفسه في الضميرين لأنه كان منهم في القرابة وليريهم أنه معهم ومساهمهم
فيما ينصح لهم قال فرعون ما أريكم ما أشير إليكم إلا ما أرى وأستصوبه من قتله وما أهديكم
ما أعلمكم إلا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه وما أهديكم إلا سبيل الرشاد
طريق الصواب وقرئ بالتشديد على أنه فعّال للمبالغة من رشَد كعلّام أو من رشّد كعبّاد

لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج و
بتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب
مثل ايام الامم الماضية يعني وقايعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم
مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل
والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي
الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي
فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيامة
ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى
اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند
بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين
منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن
يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعونه
فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابرهيم
بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم
به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب
رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته
وقرئ الن على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله
في العصيان من هو مسرف مرتاب فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد
الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان بغير
حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه
ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اي

وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل
ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم
وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت
اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي
صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اسباب الطرق اسباب
السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها
فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله
اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية
تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه او ان يرى فساد
قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى
الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى
السماء لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل
ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة
هو الله ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي
وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات
ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون
وقيل موسى يا قوم اتبعوني اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى
المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه
الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها
من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم
بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون

فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة
ولعل تقسيم العمل وجعل الجزا جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب
الرحمة وجعل العمل عمدة باسم الاشارة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار
العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار
كرر نداهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم
على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما
قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا
او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعا
كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد
نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا
عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال
القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة
والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل
بمعنى حق وفاعله انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة
اي حق عدم دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي
الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها والمعنى ما حصل من ذلك
الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد
فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي
لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه
كالرشد والرشد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الضلالة و
الطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون

فستذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري
الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم وكانه جواب توعدهم
المفهوم من قوله فوقيه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى
وحاق بال فرعون بفرعون واهله واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه
اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه
يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق
او القتل او النار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة او النار خبر محذوف
ويعرضون استيناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الال وقرئت
منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم
على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك
لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض
على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد
وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي هذا
ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا ال فرعون يا ال فرعون
اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرا
نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم
النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على
غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم
في خادم او ذوي تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا
نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين
او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة

من صلة مغنون لا غنيتا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن
المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك
ثوب إن الله قد حكم بين العباد بأن ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها ووضع جهنم موضع
الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها او يحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم
بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب شيئا
من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب
بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم للحجة و
توبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا
فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم
عن الاجابة وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا والذين
آمنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد
اي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب
وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم
القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون
ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى
به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب
وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا
لاولي الالباب لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله حق
بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك

فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف

وتدارك لفرطاتك بترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك في
النصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ودم على التسبيح والتحميد
لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان
عشيا ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتيهم عام في كل مجادل مبطل وان
نزلت في مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ
سلطانه البر والبحر ويسير معه الانهار ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم
عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكونان الا لهم ما هم ببالغيه
ببالغي دفع الآيات او المراد فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم
وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر
على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو
بيان لاشكل ما يجادلون فيه امر التوحيد والبعث ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباع اهوائهم وما يستوي الاعمى والبصير
الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن
فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة
لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف
الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود
او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون اي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير
للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول
عليه الصلوة والسلام بالمخاطبة ان الساعة لآتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة
على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون
بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني استجب

لكم أستجب لكم لقوله إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين
وإن فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة أو المراد
بالعبادة الدعاء فإنه من أبوابها الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه
بأن خلقه باردا مظلما ليؤدي إلى ضعف المحركات وهدو الحواس والنهار مبصرا
يبصر فيه أو به وإسناد الإبصار إليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل
إلى الحال إن الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللإشعار به لم يقل
لمفضل ولكن أكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواقع النعم وتكرير
الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالأفعال المقتضية للألوهية
والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو أخبار مترادفة تخصص اللاحقة
السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا إله إلا هو
استئنافا بما هو كالنتيجة للأوصاف المذكورة فأنى تؤفكون فكيف ومن أي
وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله
يجحدون أي كما أفكوا أفك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها الله
الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بأفعال أخر مخصوصة
وصوركم فأحسن صوركم بأن خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب
الأعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم
من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فإن كل ما سواه
مربوب مفتقر للزوال هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية لا إله إلا هو إذ لا موجود
يساويه أو يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين
أي الطاعة من الشرك الحمد لله رب العالمين قائلين له قل إني نهيت أن
أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات

او الآيات

وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء م

بالذات معرض م

والرياء

أو الآيات فإنها مقوية لأدلة العقل منبهة عليها وأمرت أن أسلم لرب العالمين
أن أنقاد له أو أخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم يخرجكم
طفلا أطفالا والتوحيد لإرادة الجنس أو على تأويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا أشدكم
اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا
شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيوخا بالكسر وشيخا كقوله طفلا و
منكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة أو بلوغ الأشد ولتبلغوا ويفعل
ذلك لتبلغوا أجلا مسمى هو وقت الموت أو يوم القيامة ولعلكم تعقلون ما في
ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإذا أراده
فإنما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه إلى عدة وتجشم كلفة والفاء
الأولى للدلالة على أن ذلك نتيجة ما سبق من حيث إنه يقتضي قدرة ذاتية
غير متوقفة على العدد والمواد ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى
يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل أو المجادل
فيه أو للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن أو بجنس الكتب السماوية وبما أرسلنا
به رسلنا من سائر الكتب والوحي والشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم
إذ الأغلال في أعناقهم ظرف ليعلمون إذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ
المضي لتيقنه والسلاسل عطف على الأغلال أو مبتدأ خبره يسحبون في
الحميم والعائد محذوف أي يسحبون بها وهو على الأول حال وقرئ والسلاسل
يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول والسلاسل بالجر حملا على المعنى
إذ الأغلال في أعناقهم بمعنى أعناقهم في الأغلال أو إضمارا للباء ويدل
عليه القراءة به وعطف الفعلية على الاسمية ثم في النار يسجرون يحرقون
من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب

ثم من علقة

وعطف الفعلية على الاسمية م

اي يلقى والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض
ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل
ان تقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا
من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله
الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم
حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض
تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون
تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب
جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس
مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين
ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان
وعد الله بهلاك الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك وما
مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها
بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون
يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا
نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا
المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك
اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم اشخاص
معدودة وما كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها
بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد
ولا استبداد

بالبيان المفرح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء
المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور
ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون فان من جنسها ما يؤكل كالغنم
ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك تحملون وانما
قال على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة
وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض
دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم آياته دلائله الدالة
على كمال قدرته وفرط رحمته فاي آيات الله اي فاي الآيات تنكرون فانها لظهورها
لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه
والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه افلم يسيروا في
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في
الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار اقدامهم في الارض لعظم
اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية
موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات
الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم
الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا
نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او علم الطبائع
والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم
به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا
تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق

في البحر

الكافرون خسر اجلالهم واشتبه اتهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما
كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا لامتناع قبوله
حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى
كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى
والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن
الرؤية سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد
وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان
استعير للزمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي
ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له سورة السجدة
مكية وهي ثلاث او اربع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
حم ان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة
وخبره كتاب وعلى الاولين بدل منه او خبر آخر محذوف ولعل افتتاح هذه
السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم
والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية و
الدنيوية فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها
من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرآنا عربيا
نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم
يعلمون العربية او اهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او
لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين
له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف فأعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله
فهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة اغطية جمع كنان مما تدعونا

اليه وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن
التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة
ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم
ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول فاعمل على دينك او في ابطال
امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال امرك قل انما انا بشر
مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم
الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل
وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في افعالكم
متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل ثم هددهم على ذلك
فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكاة لبخلهم
وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة
هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم
للآخرة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن
واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا
عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق
الارض في يومين في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون
ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين
انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم
في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض
يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي من فوقها

استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها
ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار ويكون منافعها معرضة للطلاب
وبارك فيها وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات والحيوانات وقدر فيها أقواتها
أقوات أهلها بأن عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به أو أقواتا تنشأ منها بأن خص
حدوث كل قوت بقطر من أقطارها وقرئ وقسم فيها أقواتها في أربعة أيام في تتمة
أربعة أيام كقولك سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة وإلى الكوفة في خمسة عشر
ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للإشعار باتصالهما لليومين الأولين والتصريح
على الفذلكة سواء أي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة أيام ويدل عليه
قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في أقواتها أو في فيها وقرئ بالرفع على هي
سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض
وما فيها أو بقدر أي قدر فيها الأقوات للطالبين لها ثم استوى إلى السماء قصد نحوها
من قولهم استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر
أن ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والأرض بعد ذلك دحاها
ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان أمر ظلماني ولعله أراد به
مادتها أو الأجزاء المتصغرة التي ركبت منها أو دخانا مرتفعا فقال لها وللأرض ائتيا بما
خلقت فيكما من التأثير والتأثر وأبرزا ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة والكائنات
المتنوعة أو ائتيا في الوجود على أن الخلق السابق بمعنى التقدير أو الترتيب
للرتبة أو الإخبار وإتيان السماء حدوثها وإتيان الأرض أن تصير مدحوة وقد
عرفت ما فيه أو ليأت كل منكما الأخرى في حدوث ما أريد توليده منكما ويؤيده
قراءة آتيا وآتينا من المؤاتاة أي ليوافق كل واحدة أختها فيما أردت منكما طوعا
أو كرها شئتما ذلك أو أبيتما والمراد إظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده

لا إثبات الطوع والكره لهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا أتينا طائعين منقادين
بالذات والأظهر أن المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها
وتمثيلهما بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل إنه تعالى
خاطبهما وأقدرهما على الجواب إنما يتصور على الوجه الأول والأخير وإنما قال
طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين فقضاهن سبع سماوات
فخلقهن خلقا إبداعيا وأتقن أمرهن والضمير للسماء على المعنى أو مبهم وسبع
سماوات حال على الأول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السماوات يوم
الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة وأوحى في كل سماء أمرها شأنها
وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختيارا أو طبعا وقيل أوحى إلى أهلها بأوامره
وزينا السماء الدنيا بمصابيح فإن الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها وحفظا
أي وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى
كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم
البالغ في القدرة والعلم فإن أعرضوا عن الإيمان بعد هذا البيان فقل أنذرتكم
صاعقة فحذرهم أن يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق أو الصعق
يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا إذ جاءتهم الرسل حال من
صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة أو ظرفا لأنذرتكم لفساد المعنى
من بين أيديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة
الزمن الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير
عما أعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما أو من قبلهم ومن بعدهم إذ قد بلغهم
خبر المتقدمين وأخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعيين إلى الإيمان بهم أجمعين

داعين

ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة لقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
ان لا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل
لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا
لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها
على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اعترارا بقوتهم وشوكتهم
قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده اولم يروا
ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر
على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا بآياتنا يجحدون
يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا
صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي
يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع
نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصري بالسكون
على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر
شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد
وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب
وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج
وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في
الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على
الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها

ما عذب قوم الا يوم الاربعاء

وسمي في سورة الحاقة

الي

الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة على
الهدى ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله
الى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون
مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم
لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاؤوها اذا حضروها
وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف بها
فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب
ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء ما نطقنا
ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء او ليس نطقنا بعجب
من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال بقي
الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون يحتمل
ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استئنافا وما كنتم تستترون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب
الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها
وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق ان لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة
الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان
يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد
في الدارين سببا للشقاء في الدارين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها
وان يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين

آثارا

الجاين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان
يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسئلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون
لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين يستولون
عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه
المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات
وما خلفهم من امر الآخرة وانكاره وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم
في جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ففي آخرين
قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد
عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات او ارفعوا
اصواتكم بها لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي
يلغي ولغا يلغو اذا هذي لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين
كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ الذي
كانوا يعملون سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ذلك اشارة الى الاسوأ جزاء اعداء الله
خبره النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد فانها دار
اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود
هو الصفة جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود
الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس
يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس
وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر ارنا بالتخفيف
كفخذ في فخذ نجعلهما تحت اقدامنا ندستهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك

الاسفل

الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته
واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من
حيث انه مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما تتبع الاقرار وما روي عن الخلفاء الراشدين
في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها
تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن
او عند الموت او الخروج من القبر الا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على
ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا نلهمكم الحق
ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة
حيثما تتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الآخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها
ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو ابلغ من الاول نزلا من غفور رحيم
حال من ما تدعون للاشعار بان ما تتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل
للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه
وقال انني من المسلمين تفاخرا به او اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا
قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء
وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة
حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن
الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج
الاستئناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع
الحسنة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك صار

قال ابو فراس الحمداني

عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقيها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الإساءة
بالإحسان إلا الذين صبروا فإنها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقيها إلا ذو حظ عظيم
من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وإما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس
شبه به وسوسته لأنها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو أسوأ وجعل النزغ نازغاً
على طريقة جد جده أو أريد به نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره
ولا تطعه إنه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك أو بصلاحك ومن آياته الليل
والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لأنهما مخلوقان مأموران
مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للأربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل
بهما إشعاراً بأنهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار إن كنتم إياه تعبدون فإن السجود
أخص العبادات وهو موضع السجود عند الشافعي لاقتران الأمر به وعند أبي حنيفة
آخر الآية الأخرى لأنه تمام المعنى فإن استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة
يسبحون له بالليل والنهار أي دائماً وهم لا يسأمون لا يملون ومن آياته أنك ترى
الأرض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فإذا أنزلنا عليها
الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ وربأت أي زادت
إن الذي أحياها بعد موتها لمحيي الموتى إنه على كل شيء من الإحياء والإماتة قدير
إن الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل
بالباطل والإلغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على إلحادهم أفمن يلقى في النار خير
أم من يأتي آمناً يوم القيامة قابل الإلقاء في النار بالإتيان آمناً مبالغة في إحماد
حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد إنه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة
إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله إن الذين يلحدون في آياتنا
أو مستأنف وخبر إن محذوف مثل معاندون أو هالكون أو أولئك ينادون والذكر

القرآن وإنه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير أو منيع لا تتأتى إبطاله وتحريفه لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات أو مما فيه من
الأخبار الماضية والأمور الآتية تنزيل من حكيم أي حكيم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر
عليه من نعمه ما يقال لك أي ما يقول لك كفار قومك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إلا
مثل ما قال لهم كفار قومهم أو ما يقول الله لك إلا مثل ما قال لهم إن ربك لذو مغفرة
لأنبيائه وذو عقاب أليم لأعدائهم وهو على الثاني يحتمل أن يكون المقول بمعنى أن
حاصل ما أوحي إليك وإليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه
قرآناً أعجمياً جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا
فصلت آياته بينت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي الكلام أعجمي ومخاطب عربي
إنكار مقرر للتحضيض والأعجمي يقال على الذي لا يفهم كلامه وإن كان عربياً والعجمي
وهو منسوب إلى العجم وأعجمي على الإخبار وعلى هذا يجوز أن يكون المراد هلا فصلت
آياته فجعل بعضها أعجمياً لإفهام العجمي العجم وبعضها عربياً لإفهام العرب والمقصود
إبطال مقترحهم باستلزامه المحذور أو للدلالة على أنهم لا ينفكون عن التعنت في
الآيات كيف جاءت قل هو للذين آمنوا هدى إلى الحق وشفاء لما في الصدور
من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر على تقدير هو في آذانهم
وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات
ومن جوز العطف على عاملين عطفه بكر على للذين آمنوا هدى أولئك ينادون
من مكان بعيد أي هم مثل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة
بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في
القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ
أو تقدير الآجال لقضي بينهم باستئصال المكذبين وإنهم وإن اليهود أو الذين لا يؤمنون

لفي شك منه من التوراة او القرآن مريب موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه
نفعه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله اليه
يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرة من اكمامها
من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرا نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف
الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل
ان تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى
ولا تضع بمكانه الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم
اين شركائي بزعمكم قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ
تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا
عنا وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما
كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص
مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب
السعة في النعمة وقرئ من دعاء الخير وان مسه الشر الضيقة فيؤوس قنوط من
فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور
اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا
لي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول وما اظن الساعة
قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي ولئن قامت على التوهم
كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم
الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا بما عملوا فلنخبرنهم بحقيقة
اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي

عنه

عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب
بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته
واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين واذا كان عرضه كذلك
فما ظنك بطوله قل ارأيتم اخبروني ان كان اي القرآن من عند الله ثم كفرتم
به من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل
منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم
آياتنا في الآفاق يعني ما اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم به من الحوادث
الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور
على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما
بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال
القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او الرسول او التوحيد او الله
اولم يكف بربك اي اولم يكف ربك والباء زائدة للتأكيد كأنه قيل اولم يحصل
الكفاية به ولا يكاد يزاد في الفاعل الا مع كفى انه على كل شيء شهيد بدل منه
والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار
الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم
او اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى
عليه خافية الا انهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية
من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها
مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة
اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات سورة حم عسق مكية وتسمى

الشورى وهي ثلاث وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
حم عسق لعلها اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدّا آيتين وان كان اسما
واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي اليك والى الذين
من قبلك الله العزيز الحكيم اي مثل ما في هذه السورة من المعاني او ايحاء مثل ايحائها
اوحى الله اليك والى الرسل من قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال
الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى
بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند
الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان
لعلو شان الموحى به كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحي
بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف
مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن يتشققن
لانه مطاوع فطّر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو
نادر من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على
الاول لان اعظم الآيات وادلها على علو شانه من تلك الجهة وعلى الثاني
ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد
بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض بالسعي
فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى
الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي
فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد
به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من

رحمته والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما نسب
اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه
ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم رقيب على
احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه
امرهم وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا الاشارة الى مصدر يوحي او الى معنى الآية
المتقدمة فانه مكرر في القرآن في مواضع جمة فيكون يجمع فيه الخلائق او الارواح
والاشباح او العمال والاعمال وحذف ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني
للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض
لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم في الموقف يجمعون
اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا
منصوبين على الحال منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق
او متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب
ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية
والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير اي ويدعهم بغير ولي
ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في الانذار
ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولي جواب شرط محذوف
مثل ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء
قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من شيء
من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر
او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا فيه
الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الامور واليه انيب

الى رجع في المعضلات فاطر السموات والارض خبر اخر لذلكم او مبتدأ خبره جعل
لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم
ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اي وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق
لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي
معناه الذر والذرو والضمير على الاول للناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد
فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه و
المراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه
فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة
بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف
فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه اكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته
اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات
والارض خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته
انه بكل شيء عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من
ارباب الشرائع عليهم الصلوة والسلام وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله
ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله
النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما
ذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في
هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر
على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء يجتلب اليه
والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل
اليه وما تفرقوا يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين

اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم
بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرها فلم يلتفتوا
اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى
هو يوم القيامة او اخر اعمارهم المقدرة لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين
افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعني اهل
الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو ولا
يؤمنون به حق الايمان او من القرآن مريب مقلق او مدخل في الريبة فلذلك
فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة
الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة
الصلة والتعليل واستقم كما امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع
اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا
الكفار الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع
والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة
العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل مجازى
بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق
للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيامة
واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الاية ما يدل على متاركة الكفار
راسا حتى تكون منسوخة باية القتال والذين يحاجون في الله في دينه من بعد
ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله
فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته
واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم ولهم

عذابٌ شديدٌ على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا
من الباطل او بما يحق انزاله من العقايد والاحكام والميزان والشرع الذي يوازن به
الحقوق ويسوي بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن اوحى باذنه
باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب
على العدل قبل ان يفاجيك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفي جزاءك وقيل
تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين
لا يؤمنون بها استهزاء والذين امنوا مشفقون منها خايفون منها مع اعتنائها لتوقع
الثواب ويعلمون انها الحق الكاين لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة
يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب
لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن
الحق فان البعث اشبه الغايبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو
ابعد عن الاهتداء الى ما وراءه الله لطيف بعباده برّ بهم بصنوف من البر لا يبلغها بزتهم
الافهام يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على لها
ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان
يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فايدة تحصل بعمل الدنيا و
لذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الاصل القاء البذر في الارض ويقال
للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطيه بالواحد عشرا الى سبعماية فما فوقها
ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها شيئا منها على ما قسمنا له وما له في الآخرة من
نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل الهم شركاء
والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا بالتزيين لهم من الدين ما لم يأذن لهم
به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها

اليهم لانهم متخذوها شركاءهم اوثانهم واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم
بما تدينوا به او صور من سنّه لهم ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأجيل الجزاء
او العدة بان الفصل يكون يوم القيامة لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين
وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل
اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان
العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين في القيامة مشفقين خايفين
مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات صح
اطيب بقاعها وانزهها
لهم ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين
هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار
ثم العايد او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وفي قراءة يبشر من البشر
والكسائي يبشرهم من بشره قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة
اجرا نفعا منكم الا المودة في القربى ان تودّوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي
وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى
حال منها اي الا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة
ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله روي انها لما نزلت
قيل يا رسول الله من قرابتك من هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب
الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ
الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول
صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في ابي بكر ومودته لهم نزد له فيها في الجنة حسنا
بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله تعالى وحسنى ان الله غفور لمن اذنب

كريم

يشكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة أم يقولون بل أيقولون افترى على
الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة او القرآن فان يشإ الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء
عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان
ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشإ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء
عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه او يربط عليه بالصبر فلا
يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استئناف
لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته محو الباطل واثبات
الحق بوحيه او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف
لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز
عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ و
الابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه هي اسم
يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة
ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة
كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة و
يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف
في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء او الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب
لما يترتب عليه ومنه قوله عليه الصلوة والسلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون
لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا او استوجبوا
له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو
بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم

على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما
يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر بتقديره ما يشاء ما اقتضته مشيئته
انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شانهم
روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا
واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك
خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا
منه وقرئ بكسر النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان
وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك
ومن آياته خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع
قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق
اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق
انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير في اي وقت يشاء قدير متمكن منه
واذا كما يدخل الماضي يدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب
معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر
استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها
والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب أخر منها تعريضه
للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضى عليكم من
المصائب وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته
الجوار السفن الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم
الهداة به كأنه علم في رأسه نار ان يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد
على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من

وكل همه وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في آلائه او لكل مؤمن
كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن
بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله
او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف
عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو
منهم وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون عطف على علة مقدرة مثل
لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة
لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستيناف وقرئ
بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء
قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها
الفعل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون به مدة حيوتكم وما
عند الله من ثواب الآخرة خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لخلوص
نفعه ودوامه وما الاولى تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء
ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف
الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه
جمع فنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم
يغفرون بما بعده عطف على للذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء
يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب
والذين استجابوا لربهم نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الايمان فاستجابوا له واقاموا الصلوة وامرهم شورى بينهم ذو شورى
لا يتفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم

في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون في سبيل
الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة
التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا
يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار للمنع عن التعدي
وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمي الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل
به فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم
الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن
انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة
والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار او يطلبون
ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب
اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور
اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن
يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى
الظالمين لما رأوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون
هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة الى الدنيا وتريهم يعرضون عليها على النار
ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من
الذل ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم
ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا
انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول
في الدنيا او لقال اي يقولون اذا رأوهم على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب
مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من

دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من
قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل
صلة ياتي اي من قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجا مفر يومئذ
وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم يشهد عليكم
السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا
ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها
اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان
كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولا يتامل
سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم
فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة
من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزا
مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم
بكفران النعمة لله ملك السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء
يخلق ما يشاء من غير لزوم ومجال اعتراض يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن
يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل
البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض
اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم اخرين ولعل تقديم
الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان سياق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق
به مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب
تعدهن بلاء او لتطييب قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف
الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثاني لانه تعميم المشترك بين الاقسام

المستعد له انه عليم قدير يفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه
الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة
تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث المعراج و
ما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف
قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها
وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون
المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه
كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب
بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان
يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت حالا انه علي عن صفات
المخلوقين حكيم يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا
واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه
روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان اي قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة
بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ولكن جعلناه اي الروح
او الكتاب او الايمان نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك
لتهدي الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدى اي ليهديك الله صراط الله بدل
من الاول الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور
بارتفاع الوسايط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويترحمون
سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسال من ارسلنا وايها تسع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين
إنا جعلناه قرآنا عربيا أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب
القسم والمقسم عليه كقول أبي تمام وثناياك إنها إغريض ولعل إقسام الله بالأشياء
استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث إنه معجز مبين طرق
الهدى وما يحتاج إليه في الديانة أو بين للعرب يدل على أنه تعالى صيره كذلك لعلكم
تعقلون لكي تفهموا معانيه وإنه عطف على إنا وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف
في أم الكتاب في اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية وقرئ إم الكتاب
بالكسر لدينا محفوظا عندنا من التغيير لعلي رفيع الشأن في الكتب السماوية
لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة أو محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لإن وفي
أم الكتاب متعلق بعلي واللام لا يمنعه أو حال منه ولدينا بدل منه أو حال من الكتاب
أفنضرب عنكم الذكر صفحا أفنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب
عن الحوض ومنه قول طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس
والفاء للعطف على محذوف أي أنهملكم فنضرب عنكم الذكر إعراضا أو مفعول له أو حال بمعنى صافحين
وأصله أن تولي الشيء صفحة عنقك وقيل إنه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده
أنه قرئ صفحا وحينئذ يحتمل أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين
والمراد إنكار أن يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال الكتاب على لغتهم ليفهموه
أن كنتم قوما مسرفين أي لأن كنتم وهو في الحقيقة علة للترك الإعراض وقرأ نافع
وحمزة والكسائي إن بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك
استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من
نبي إلا كانوا به يستهزئون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه
فأهلكنا أشد منهم بطشا أي من القوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى الرسول

وقرأ حمزة والكسائي

علة مقتضية

صلى الله عليه وسلم مخبرا عنهم ومضى مثل الأولين وسلف في القرآن قصتهم العجيبة وفيه
وعد للرسول عليه الصلاة والسلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الأولين ولئن سألتهم
من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم أو ما دل عليه
إجمالا أقيم مقامه تقريرا لإلزام الحجة عليهم فكأنهم قالوا الله كما حكي عنهم في مواضع أخر وهو
الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز أن يكون مقولهم وما بعده استئناف
الذي جعل لكم الأرض مهدا فتستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون
لكي تهتدوا إلى مقاصدكم أو إلى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي نزل من السماء
ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فأنشرنا به بلدة ميتا زال عنه النماء وتذكيره لأن البلدة
بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الإنشار تخرجون تنشرون من قبوركم والذي
خلق الأزواج كلها أصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون
ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره إذ يقال ركبت الدابة و
ركبت في السفينة أو المخلوق للركوب على المصنوع له أو الغالب على النادر ولذلك
قال لتستووا على ظهوره أي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم
عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين مطيقين من أقرن الشيء إذا أطاقه وأصله وجده قرينته إذ الصعب
لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلاة والسلام أنه
كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل
حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله وإنا إلى ربنا لمنقلبون أي راجعون واتصاله
بذلك لأن الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب إلى الله أو لأنه مخطر فينبغي للراكب
أن لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم
أي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله

قالوا

وقرأ غير الكوفيين مهادا بالألف

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء

ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته
وقرئ جزؤا بضمتين إن الإنسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد
الى الله من فرط الجهل به والتحقير لشانه أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين
معنى الهمزة في أم الانكار والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بأن
جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته اجزاء اخس مما اختير لهم وابغض
الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه به كما قال وإذا بشر أحدهم
بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لا بد وان يماثل الوالد
ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو
كظيم مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف
البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر و
وجهه مسود جملة وقعت خبرا أو من ينشأ في الحلية اي او جعلوا
له او اتخذوا من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام في المجادلة غير
مبين مقرر لما يدعيه من نقصان العقل والرأي ويجوز ان يكون من مبتدأ
محذوف الخبر اي او من هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة
غير اليه لا تمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ اي يربى وقرئ
ينشأ وينشأ بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن إناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد
واكرمهم على الله انقصهم رايا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان
والبصريان عند على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا جمع الجمع أشهدوا خلقهم احضروا
خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل
وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا

بمدة بينهما ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة ويسئلون اي عنها يوم القيامة
وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي
ان لله جزءا وانه بنات وهن الملائكة ويساءلون من المساءلة وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم
العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض
الممكنات على بعض مامورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم
فقال ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون
الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى ان
يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من
جهة النقل فقال أم آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او ادعائهم ينطق
على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب متمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا
على أمة وإنا على آثارهم مهتدون اي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما
جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول
اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد ومنها الدين
وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا
على أمة وإنا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على
التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان متقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه
وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد
قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم اي أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين
اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير او خطاب للرسول
الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا

انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى اقناطا للنذيرين ان ينظروا او
يتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستئصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث
بتكذيبهم واذ قال ابرهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك
بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه
انني براء مما تعبدون بريء من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى
فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام الا الذي
فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا
يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها
غير الذي فطرني فانه سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهديني الى ما وراء ما هداني
اليه وجعلها وجعل ابرهيم عليه السلام او الله كلمة التوحيد كلمة باقية في
عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي
عقبه على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك
منهم بدعاء من وحد بل متعت هؤلاء وآباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله
عليه وسلم من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا
في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها
كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القران ورسول
مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم
الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة فضموا الى
شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القران سحرا وكفروا به واستحقروا
الرسول وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين من احدى القريتين مكة و
الطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان

الرسالة

الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي
عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية
اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة
النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها
وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة التي هي اعلى
المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام
ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض
لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك هذه يعني
النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا فالعظيم من رزق منها لا منه
ولولا ان يكون الناس امة واحدة ولولا ان يرغبوا في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة
وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ ومعاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح
لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا
لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف
وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها
يتكئون اي ابوابا وسررا من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة
واللام هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به
مع ان وما والآخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم
هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع

ومعارج

على التوحيد

وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا على محل من فضة

وهشام بخلاف عنه

الناس على الإيمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الآخرة مخل به في الأغلب
لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعامى
ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح
اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشي اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج
وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه
دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان
يرفعه وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع
الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له ويحسبون انهم
مهتدون الضمائر الثلثة الاول له والباقيات للشيطان حتى اذا جاءنا اي
العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاءانا اي العاشي والشيطان قال
العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرق والمغرب فغلب
المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي
ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم
انكم في العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما
كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم
في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسمهم
لمكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا تسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول افانت
تسمع الصم او تهدي العمي انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم
بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا
بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا
يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين

وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اي فان قبضناك
قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون
المؤكدة فانا منهم منتقمون بعذاب في الدنيا والآخرة او نرينك الذي وعدناهم
او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون لا يفوتونا
فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو
الله تعالى انك على صراط مستقيم لا عوج له وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف
تسألون اي عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه واسأل من ارسلنا من قبلك من
رسلنا اي واسأل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون هل
حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع
الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه
كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون
وملائه فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
ومناقضة قولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد
بدعوة موسى عليه الصلوة وسلم الى التوحيد فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون
فاجؤا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم
من آية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب
الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت
رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل
النجوم التي يسري بها الساري او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة
على غيرها بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم
يرجعون على الوجه الذي يرجى رجوعهم وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك في تلك الحال

وقرأ يعقوب برواية رويس او نرينك باسكان النون وكذا نذهبن

وقرأ ابن كثير والكسائي بتخفيف الهمزة

من الآيات

لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا ادع لنا
ربك بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او
ان يكشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان
والطاعة انا لمهتدون اي ان يدع لنا فيكشف عنا العذاب فلما كشفنا عنهم العذاب
اذا هم ينكثون فاجاوا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه او بمناديه
في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم
قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر
الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او امري
او بين يدي في جناني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك فتجري حال منها
او واو الحال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبرها افلا تبصرون ذلك
ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير لا يستعد
للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح
للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير لما قدم من اسباب فضله او متصلة
على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون
فتعلمون اني خير منه فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي اليه
مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بسوار
وطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء
اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار وقرئ اساور
جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه
الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين
من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف

الا تدعونا فيكشف عنا العذاب

احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا
بالافراط في العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين
في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت
به او جمع سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغيف او سالف
كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة قد سلفت
ومثلا للآخرين وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن
مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه
ابن الله والملائكة اولى بذلك او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك منه من هذا المثل
يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم صار ملزما به وقرأ نافع وابن
عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل لغتان نحو
يعكف ويعكف وقالوا آلهتنا خير ام هو اي آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فليكن
آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك
او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل
لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص على
اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل امرا عجيبا كالمثل
السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم
يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض يخلفون ملائكة يخلفونكم في
الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان
الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم
استحقاق الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله

قوم م

وعلى قوله واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا م

ويكون م

وقرأ الكوفيون ءآلهتنا بتحقيق الهمزتين والف بعدهما ويعقوب برواية روح م

من أشراط الساعة يعلم به دنوها أو لأن إحياء الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعَلَم
أي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى عليه السلام على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها
أفيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الإمام
فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب
البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فإن فيه الإعلام بالساعة
والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي
وقيل هو قول الرسول أمر أن يقوله هذا هذا الذي أدعوكم إليه صراط مستقيم لا يضل سالكه
ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة إنه لكم عدو مبين ثابت عداوته بأن أخرجكم عن الجنة وعرضكم
للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات أو بآيات الإنجيل أو بالشرائع الواضحات قال قد
جئتكم بالحكمة بالإنجيل أو الشريعة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من أمور
الدين لا ما يتعلق بأمر الدنيا فإن الأنبياء لم تبعث لبيانها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام
أنتم أعلم بأمور دنياكم فاتقوا الله وأطيعون فيما أبلغه عنه إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه
بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الإشارة
إلى مجموع الأمرين وهو تتمة كلام عيسى أو استئناف من الله تعالى يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك
فاختلف الأحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى أو اليهود والنصارى من بين قومه
المبعوث إليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم أليم هو القيامة هل ينظرون إلا الساعة
الضمير لقريش أو للذين ظلموا أن تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينتظرون إلا إتيان الساعة
بغتة فجأة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بأمور الدنيا وإنكارهم لها الأخلاء
الأحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو أي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون
له سببا للعذاب إلا المتقين فإن خلتهم لما كانت لله تبقى نافعة أبد الآباد يا عبادي لا خوف عليكم
اليوم ولا أنتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ الذين آمنوا بآياتنا صفة

للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو أي الذين آمنوا مخلصين غير أن عبارة آكد ادخلوا الجنة أنتم
وأزواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره أي أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبر
وهو حسن الهيئة أو تكرمون إكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من
ذهب وأكواب الصحاف جمع صحفة والأكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما
تشتهيه الأنفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهي على الأصل وتلذ الأعين بمشاهدته وذلك
تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ وأنتم فيها خالدون فإن كل نعيم زائل
موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي أورثتموها بما
كنتم تعملون وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لأنه يخلفه عليه العامل وتلك إشارة إلى
الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي أورثتموها صفتها أو الجنة صفة تلك والتي
خبرها أو صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء بمحذوف لا بأورثتموها لكم فيها
فاكهة كثيرة منها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره
في القرآن وهو حقير بالإضافة إلى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة إن المجرمين الكاملين
في الإجرام وهم الكفار لأنه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكي عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون
خبر إن أو خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى إذا
سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم
مكسورا ومضموما ولعله إشعار بأنهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك
اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك سل ربنا أن يقضي علينا من قضى عليه إذا أماته وهو لا
ينافي إبلاسهم فإنه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة قال إنكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا بغيره
لقد جئناكم بالحق بالإرسال والإنزال وهو تتمة الجواب إن كان في قال ضمير الله وإلا فجواب
منه وكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ولكن أكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من إتعاب

النفس واراب الجوابع ام ابرموا امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في
مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوأ من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم
بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجويهم
وتناجيهم بلى نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمة لهم يكتبون ذلك
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي يكون اعلم بالله وبما يصح
له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة
كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين فان هاهنا لا تشعر به ولا بنقيضه
فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة
على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان
له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من
عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي
ولد سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه
الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك
بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي
كانوا يوعدون اي القيامة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على
قلوبهم معذبون في الآخرة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما و
الظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع
مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى له
عائد لكن لو جعل صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في
السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق

الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء
وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر و
حمزة وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه
الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد
والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل
ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سألت العابدين او المعبودين ليقولن الله لتعذر
المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول
ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة
عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ والخبر يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على
علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع
بتقدير وقيله يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم
وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم
وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف
كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهي سبع او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين
القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة
مباركة في ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح
ثم انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية
والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية انا كنا
منذرين استئناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور

الحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة
ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه وصفها بذلك لقوله تنزل الملائكة
والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يُفَرِّق بالتشديد ويَفرق كلَّ اي يفرقه الله ويُفرق بالبناء
امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز
ان يكون حالا من كل او امر او ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وقيل المراد به مقابل النهي
وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به امر او حال من احد ضميري انزلنا بمعنى آمرين
او مأمورا به انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اي انا انزلنا القرآن لان من عادتنا
ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار
بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل
فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من
قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك هي رحمة
انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق
الا لمن هذه صفته رب السموات والارض وما بينهما خبر آخر او استئناف وقرأ الكوفيون
بالجر بدلا من ربك رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان
في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا
او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشاهدون
ربكم ورب آبائكم الاولين وقرئا بالجر بدلا من رب بل هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب
فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء
كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان
العرب تسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان
الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة لما روي انه عليه الصلاة

والسلام

والسلام لما قال اول الايات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج [illegible] او يوم القيمة
والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا
اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب
عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحال وقد جاءهم رسول مبين بين لهم
ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار من الآيات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه
غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون انا كاشفو العذاب بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم
فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر
عقيب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله
عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيامة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش
البطشة الكبرى يوم القيمة انا منتقمون لا منتقمون فان ان يحجز عنه او بدل من يوم تأتي وقرئ نُبطِش
اي نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع
الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتوكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله وعلى المؤمنين
او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الي عباد الله بان ادوهم الي وارسلوهم معي او بان
ادوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان تكون ان مخففة ومفسرة لان مجيء
الرسول يكون برسالة ودعوة اني لكم رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه
او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاهانة
بوحيه ورسوله وان كالاولى في وجهيها اني آتيكم بسلطان مبين علة للنهي ولذكر الامين
مع الاداء والسلطان مع العلاء شأن لا يخفى واني عذت بربي وربكم التجأت اليه وتوكلت
عليه ان ترجمون ان تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني وقرئ عت بالادغام وان لم تؤمنوا
لي فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم

وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت بالادغام ٤

فدعا ربه بعد ما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه
استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادي ليلاً فقال اسر او قال ان
كان الامر كذلك فاسر وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم
واترك البحر رهواً مفتوحاً ذا فجوة واسعة او ساكناً على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك
ولا تغير منه شيئاً ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيراً تركوا
من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين
متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها والامر كذلك واورثناها عطف
على الفعل المقدر او على تركوا قوماً آخرين ليسوا منهم في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم
لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد
بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه ما روي في الاخبار
ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت
عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت آخر ولقد نجينا بني اسرائيل
من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف
او جعله عذاباً لافراطه بالتعذيب او حال من المهين بمعنى واقعاً من جهته وقرئ من فرعون على
الاستفهام تنكيراً له لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان عالياً متكبراً من المسرفين في العتو والشرارة
وهو خبر ثان اي كان متكبراً مسرفاً او حال من الضمير في عالياً اي كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد
اخترناهم اخترنا بني اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال
على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم
وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم
ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا

ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها
حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي من شأنها ذلك الا الموتة
الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي
سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمناً وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه
وعنه عليه الصلوة والسلم ما ادري اكان تبع نبياً او غير نبي والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم
استيناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول
ان استونف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها
ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن
اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل
الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم
اي ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل
عليه الفصل لا للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى شيئاً اي شيئاً من الاغناء ولا
هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه
ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه
الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرت الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات
طعام الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار
حتى يذوب وقيل دردي الزيت تغلي في البطون وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء
على ان الضمير للطعام او للزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غلياناً مثل
غليه خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره

بهذه وقرأ الحجازيان وابن عامر بضم التاء وهما لغتان الى سوآء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب
الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف
العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم
اى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي انك بالفتح اى ذق لانك
او عذاب انك ان هذا ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في
مقام امين في موضع اقامة امين يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام
جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب يلبسون من سندس
واستبرق متقابلين خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق
ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك
الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء
البيضاء والعيناء العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة
يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين
من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل
والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه
فيها او الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا
امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقّاهم على المبالغة فضلا
من ربك اى اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اى ذلك فضل ذلك هو الفوز
العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك
وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب
فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة
الجمعة اصبح مغفورا له سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلاثون آية

وهو قراءة نافع وابن عامر والباقون بفتح الميم

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف
كان تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات
والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله
وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف بانه
الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دليل على وجود الصانع المختار
آيات لقوم يوقنون محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم
واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض
بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات
لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان الا ان يضمر في او ينصب
آيات على الاختصاص او ترفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات في الدقة
والظهور تلك آيات الله اي تلك الآيات دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين
به او ملتبسة به فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة
والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن لقوله الله نزل احسن
الحديث وآياته ودلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان و
حفص وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات
الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد
سماع الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كأن لم يسمعها اي كأنه فخفف وحذف ضمير الشأن
والجملة في موقع الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل
او التهكم واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء وعلم انه منها اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى
فيها ما يناسب الهزؤ والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى

الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه اولئك لانه بمعنى الآية اولئك لهم عذاب مهين
من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه معرضون عنها مقبلون على الدنيا ولا يغني
عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله
اولياء اي الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه
قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع
اليم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل
كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا
من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في
السموات وما في الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم منه حال من ما اي سخر هذه الاشياء
كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد
او لما في الارض وقرئ منّة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف
ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في صنائعه قل للذين آمنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب
عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله
لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها
الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري
فهمّ ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم
هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة
او الاساءة او ما يعمهما اي ليجزي كلا ما يكسبه من خير او شر او الخير اي ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه
سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها
عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التوراة والحكم
والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما

ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم
وآتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبي
صلى الله عليه وسلم مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال
بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة
والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له
ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء
بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى
واتباع الشريعة هذا اي القرآن او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه
الفلاح وهدى من الضلالة ورحمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين ام حسب الذين
اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه
الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل
سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار
ان يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي
وحفص سواءً بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف او المفعولية والكاف حال وان
كان للثاني فحال منه او استئناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني
وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا
في الرزق والصحة في الحياة او استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال
وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا
حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق
ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن

واذا لم يكن المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى العلة
او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف
عقاب وتسميته ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء و
الاختبار أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ
آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه وأضله الله
وخذله على علم عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر
في الآيات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي
غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا
ما هي اي الحياة او الحال الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا اي نكون امواتا نطفا وما قبلها
ونحيا بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيا بعضنا او يصيبنا
الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر
عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم
من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها
على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه على التقليد والانكار
لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات
له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم
صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه
لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دل عليه الحجج
ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه فان من قدر على الابتداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة
على ما قرره مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم

لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم
على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ
يخسر المبطلون اي ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة
او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم
كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول
ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه
لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان
انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما
الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف
القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة واذا قيل ان وعد الله يحتمل
الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ
حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن
الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال
ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي
لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في امر
الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة
عاقبتها او جزاءها وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم
في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء
الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم
اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحياة الدنيا فحسبتم ان لا حياة

سواء فاليوم لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم أن يعتبوا
ربهم أي يرضوه لفوات أوانه فلله الحمد رب السموات والأرض إذ ظهر فيها آثارها وهو العزيز الذي
لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه وأطيعوا له عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله
عورته وسكن روعته يوم الحساب. سورة الأحقاف مكية وآيها أربع وثلاثون
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة
وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا وأجل مسمى وبتقدير أجل مسمى
ينتهي إليه الكل وهو يوم القيامة أو كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما
أنذروا من هول ذلك الوقت ويجوز أن تكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون
لحلوله قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات
أي أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل أن يكون لها في أنفسها مدخل في خلق شيء
من أجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم أن للوسائط
مدخلا في إيجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فإنه ناطق
بالتوحيد أو أثارة من علم أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم
للعبادة أو الأمر به إن كنتم صادقين في دعواكم وهو إلزام بعدم ما يدل على ألوهيتهم بوجه ما
نقلا بعد إلزامهم بعدم ما يدل عليه عقلا وقرئ إثارة بالكسر أي مناظرة
فإن المناظرة تثير المعاني وأثرة أي شيء أوثرتم به وأثرة بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء
فالمفتوحة للمرة من مصدر أثر الحديث إذا رواه والمكسورة بمعنى الأثرة والمضمومة اسم ما
يؤثر ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إنكار أن يكون أحد أضل من المشركين حيث
تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا أن يعلم سرائرهم
ويراعي مصالحهم إلى يوم القيامة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لأنهم إما جمادات وإما

عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا
بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال أو المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا
ما كنا مشركين وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات أو مبينات قال الذين كفروا للحق
لأجله وفي شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو
عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين جاءهم من غير نظر وتأمل
هذا سحر مبين ظاهر بطلانه أم يقولون افتراه إضراب عن ذكر تسميتهم إياه سحرا إلى ذكر ما هو أشنع
منه وإنكار له وتعجيب قل إن افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا أي إن عاجلني الله بالعقوبة
فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف أجترئ عليه وأعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر
من قبلكم هو أعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في آياته كفى به شهيدا بيني وبينكم
يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والإنكار وهو وعيد بجزاء إفاضتهم وهو الغفور
الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من
الرسل بديعا منهم أدعوكم إلى ما لا يدعون إليه أو أقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الإتيان
بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على أنه كقيم أو مقدر بمضاف أي
ذا بدع وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل إذ لا علم لي بالغيب ولا لتأكيد النفي المشتمل
على ما يفعل بي وما إما موصولة منصوبة أو استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل أي يفعل الله إن
أتبع إلا ما يوحى إلي أي لا أتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الإخبار عما لم يوح إليه من الغيوب
أو استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذى المشركين وما أنا إلا نذير عن عقاب الله مبين بين
الإنذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل أرأيتم إن كان من عند الله أي القرآن وكفرتم
به ويجوز أن يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني إسرائيل إلا أنها تعطف
بما عطفت عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته
ما في التوراة من نعت الرسول على مثله مثل القرآن وهو ما في التوراة من المعاني المصدقة للقرآن

المطابقة لما أوتيت مثل ذلك وهو كونه من عند الله فآمن أي بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقا
للحق واستكبرتم عن الإيمان إن الله لا يهدي القوم الظالمين استئناف مشعر بأن كفرهم لضلالهم
المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين وقال الذين كفروا
للذين آمنوا لأجلهم لو كان خيرا الإيمان أو ما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ما سبقونا إليه وهم سقاط
إذ عامتهم فقراء وموال ورعاة وإنما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم
جهينة ومزينة وأسلم وغفار أو اليهود حين أسلم ابن سلام وأصحابه وإذ لم يهتدوا به
ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا إفك قديم مسبب عنه وهو كقولهم أساطير
الأولين ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله إماما ورحمة على
الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى أو لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق
أو منه لتخصيصه بالصفة وعاملها معنى الإشارة وفائدتها الإشعار بالدلالة على أن كونه مصدقا
للتوراة كما دل على أنه حق دل على أنه وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق أي يصدق
ذا لسان عربي بإعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول ويؤيد
الأخير قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله إن الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الأمور التي
هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من
لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط أولئك أصحاب
الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين
حال من المستكن في أصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أي جوزوا جزاء ووصينا
الإنسان بوالديه حسنا وقرأ الكوفيون إحسانا وقرئ حسنا أي إيصاء حسنا حملته
أمه كرها ووضعته كرها ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وأبو عمرو وهشام بالفتح
وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله

والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله أو وقته والمراد به الرضاع التام المنتهي به ولذلك عبر به كما يعبر
بالأمد عن المدة قال كل حي مستكمل عدة العمر ومود إذا انتهى أمده ثلاثون شهرا كل ذلك بيان
لما تكابده الأم في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه
إذا حط منه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الأطباء
ولعل تخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى إذا بلغ
أشده إذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ أربعين سنة قيل لم يبعث نبي إلا بعد أربعين
قال رب أوزعني ألهمني وأصله أولعني من أوزعته بكذا أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي
يعني نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لأنه لم يكن أحد
أسلم هو وأبواه من المهاجرين والأنصار سواه وأن أعمل صالحا ترضاه نكره للتعظيم أو لأنه أراد
نوعا من الجنس يستجلب رضا الله عز وجل وأصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا
فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي إني تبت إليك عما لا ترضاه أو يشغل عنك وإني من المسلمين
المخلصين لك أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا يعني طاعاتهم فإن المباح حسن ولا يثاب
عليه ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في أصحاب الجنة
كائنين في عدادهم أو مثابين أو معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فإن يتقبل ويتجاوز
وعد الذي كانوا يوعدون أي في الدنيا والذي قال لوالديه أف لكما مبتدأ خبره أولئك والمراد به
الجنس وإن صح نزولها في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه فإن خصوص السبب لا يوجب التخصيص
وفي أف قراءات ذكرت في سورة بني إسرائيل أتعدانني أن أخرج أبعث وقرأ هشام أتعداني بنون
وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع أحد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك أو يسألانه أن يغيثه
بالتوفيق للإيمان ويلك أي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه آمن إن وعد الله حق
فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين أباطيلهم التي كتبوها أولئك الذين حق عليهم القول بأنهم أهل النار
وهو يرد النزول في عبد الرحمن لأنه يدل على أنه من أهل الذلك وقد جب عنه إن كان الإسلام

امم قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل
للحكم على الاستئناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا او الدرجات
غالبة في المثوبات وههنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثوابهم وزيادة عقابهم ويوم يعرض الذين كفروا على النار
يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اي
يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان
ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وابن عامر بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم في حياتكم الدنيا باستيفائها
واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله
تعالى وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع
حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال
مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده
والجملة حال او اعتراض الا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء
انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتأفكنا
لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين
في وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه
عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ ولكني
اراكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فلما رأوه عارضا سحابا
عرض في افق السماء مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض
ممطرنا اي يأتينا بالمطر بل هو اي قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح
ويجوز ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم

بامر ربها اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفي ذكر الامر والرب واضافته
الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء
في ربها ويحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على ان لكل ممكن نهاية مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر وتكون
الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت
بلادهم لا ترى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين روي ان هودا
لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة فكانوا
تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما
ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما هنا لانها توجب التكرر لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما
او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر
او صلة كالتي في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر واوفق لقوله
هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا
تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم
من شيء من الاغناء وهو القليل اذ كانوا يجحدون بآيات الله ظرف لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل
من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون من
العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات
بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة فهلا منعهم
من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي
اتخذوا الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او
مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا
بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ
افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اي جعلهم آفكين وافكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك وما كانوا يفترون

وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن أملناهم إليك والنفر دون العشرة وجمعه أنفار يستمعون القرآن
حال محمولة على المعنى فلما حضروه أي القرآن أو الرسول قالوا أنصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا
لنستمعه فلما قضي أتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا إلى قومهم
منذرين إياهم بما سمعوا روي أنهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة
عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى قيل
إنما قالوا ذلك لأنهم كانوا يهودا أو ما سمعوا بأمر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه
يهدي إلى الحق من العقائد وإلى طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به
يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله فإن المظالم لا تغفر بالإيمان ويجركم
من عذاب أليم هو معد للكفار واحتج أبو حنيفة باقتصارهم على المغفرة والإجارة على أن لا ثواب
لهم والأظهر أنهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض إذ لا
ينجي عنه مهرب وليس له من دونه أولياء يمنعونه منه أولئك في ضلال مبين حيث أعرضوا
عن إجابة من هذا شأنه أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب
ولم يعجز والمعنى أن قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالإيجاد أبد الآباد بقادر على أن
يحيي الموتى أي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفي فإنه
على أن ولم في حيزها ولذلك أجاب عنه بقوله بلى إنه على كل شيء قدير تقرير للقدرة
على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كأنه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ أراد ختمها
بإثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله أليس هذا
بالحق والإشارة إلى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم
في الدنيا ومعنى الأمر هو الإهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل أولوا
الثبات والجد منهم فإنك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض وأولوا العزم أصحاب الشرائع
اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم

آدم ولم نجد له عزما ويونس لقوله ولا تكن كصاحب الحوت ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وقيل
الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار
وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وأيوب على
الضر وموسى قال له قومه إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة
وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فإنه نازل بهم في وقته لا محالة
كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا
حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به أو هذه السورة بلاغ أي كفاية أو تبليغ من الرسول
ويؤيده أنه قرئ بلغ وقيل مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض أي لهم وقت يبلغون إليه كأنهم إذا
بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب أي بلغوا بلاغا فهل يهلك إلا القوم
الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ أو الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك
ونهلك بالنون فنصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر
حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية وآيها سبع أو ثمان وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا
عن الدخول في الإسلام وسلوك طريقه أو منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر أو شياطين قريش
أو المصرين من أهل الكتاب أضل أعمالهم أبطلها جعلها كصدقة الرحم وفك الأسارى وحفظ الجوار ضالة
أي ضائعة محبطة بالكفر أو مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن أو ضلالا حيث لم
يقصدوا به وجه الله أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله وإظهار
دينه على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والأنصار والذين آمنوا من
أهل الكتاب وغيرهم وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الإيمان به تعظيما
وإشعارا بأن الإيمان لا يتم دونه وأنه الأصل فيه ولذلك أكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا

وحقيقته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف
كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا
بالتوفيق والتأييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والصلاح وهو مبتدأ خبره بان
الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء
الباطل واتباع هؤلاء الحق وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك تسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك
الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب
امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا
للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب
اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول
ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب
الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صوره حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من
الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فأسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به
فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا او تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن
والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين
القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا
يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها
واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم
وقيل آثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد
او للمن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين
بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله
لانتصر منهم لانتقم منهم باستئصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو

المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على
ايديهم ببعض عذابهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرا البصريان وحفص
قتلوا اي استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء
للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد
عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله
ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها
لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله
ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين
كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا
وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه واضل اعمالهم
عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة
لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال فاحبط
اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استاصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم
واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة
لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين
امنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله
وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون
كما تأكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية
هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه

والاخراج باعانة السبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية
افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين
كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة
مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو
خالد في النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة الخ وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها
العجيبة وقيل مبتدأ كمثل من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري
مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة
والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار
او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريرا للانكار
المساواة فيها انهار من ماء غير آسن استئناف لشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر
لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرئ ابن كثير
اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة
لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار تانيث لذ او مصدر نعت به باضمار ذات
او تجوز وقرئ بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه
الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع ما
يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها او ينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها و
استمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على
الصنف المحذوف او مبتدأ خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما
مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا
قالوا للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء

او استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه
استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الذين طبع
الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزؤوا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم اي زادهم
الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول صلى الله عليه وسلم هدى وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم
او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تأتيهم بغتة بدل اشتمال من
الساعة وقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم
ذكراهم والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق
القمر فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله
واستغفر لذنبك اي اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم
بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار واعاله اشعار بفرط
احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانه جنس آخر فان الذنب ما له تبعة ما بترك الاولى والله يعلم
متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لابد من قطعها ومثواكم في العقبى فانه دار اقامتكم فاتقوا
الله واستغفروه واعدوا لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة
في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اي الامر به
رأيت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من
الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء
عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف استئناف اي امرهم طاعة او طاعة وقول
معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اي جد وهو لاصحاب
الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص
على الجهاد او الايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الدنيا

الناس وتامرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا
على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب
والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع منهم ذلك من عرف حالهم
ويقول لهم هل عسيتم وهذا لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان
توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة
الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله
لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون
القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي ام على قلوب اقفالها
لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب
لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها ونكرها
كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس
الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اي ما كانوا
عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان
سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات
من السول وهو التمني وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل
ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اليه اي كيد الشيطان سول
لهم واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب
واملي لهم اي وانا املي لهم فيكون الواو للحال او الاستئناف وقرأها يعقوب واملي لهم اي وانا
املي لهم فيكون الواو للحال او الاستئناف وقرأ ابو عمرو واملي لهم على البنا للمفعول وهو
ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود الذين كفروا بالنبي
صلى الله عليه وسلم بعدما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم

في بعض الامر في بعض اموركم او في بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج
معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول والله يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله
عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون
وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير
لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما
اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وعصيان الامر وكرهوا رضوانه
ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض
ان لن يخرج الله اضغانهم ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل
تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف
ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية
ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم
اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين على مشاقها ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها
او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة
بالياء لتوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا و
صدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير
او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته
وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك او
مكائدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء
عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء
كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات

بالكبائر إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
عام في كل من مات على كفره وإن صح نزوله في أصحاب القليب ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم
يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا إلى السلم ولا تدعوا إلى الصلح
خورا وتذللا ويجوز نصبه بإضمار أن وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى بمعنى دعا وأنتم الأعلون
الأغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم أعمالكم ولن يضيع أعمالكم من وترت الرجل إذا قتلت متعلقا
له من قريب أو حميم فأفردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وإفراده منه إنما الحياة الدنيا
لعب ولهو لا ثبات لها وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ثواب إيمانكم وتقواكم ولا يسألكم أموالكم جميع
أموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره إن يسألكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والإحفاء
والإلحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحفى شاربه إذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج أضغانكم
ويضغنكم ها أنتم هؤلاء أي أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله
استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما
فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه
فإن نفع الإنفاق وضرر البخل عائدان إليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك
والتعدي فإنه إمساك عن مستحق والله الغني وأنتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فإن
امتثلتم فلكم وإن توليتم فعليكم وإن تتولوا عطف على وإن تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم
مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي والزهد في الإيمان وهم الفرس لأنه سئل
عليه الصلاة والسلام عنه وكان سلمان إلى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه أو
الأنصار أو اليمن أو الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم
كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا

وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه أو بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك أو إخبار
عن صلح الحديبية وإنما سماه فتحا لأنه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب
لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وأدخل في الإسلام
خلقا عظيما وظهر له في الحديبية آية عظيمة وهي أنه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها
فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه أو فتح الروم فإنهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد
عرفت كونه فتحا للرسول عليه الصلاة والسلام في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء أي قضينا
لك أن تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث إنه مسبب عن جهاد الكفار والسعي
في إزاحة الشرك وإعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص
الضعفة عن أيدي الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك مما يصح أن تعاتب عليه
ويتم نعمته عليك بإعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة
وإقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة أو يعز به المنصور فوصف
بوصفه مبالغة هو الذي أنزل السكينة الثبات والطمأنينة في قلوب المؤمنين حتى ثبتوا
حيث تقلق النفوس وتدحض الأقدام ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ
العقيدة واطمئنان النفس عليها أو أنزل فيها السكون إلى ما جاء به الرسول ليزدادوا إيمانا
بالشرائع مع إيمانهم بالله وباليوم الآخر ولله جنود السماوات والأرض يدبر أمرها
فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم أخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما
بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها علة لما دل عليه قوله ولله جنود السماوات والأرض من معنى التدبير أي دبر ما دبر من
تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكافرين والمنافقين
لما غاظهم من ذلك أو فتحنا أو أنزل أو جميع ما ذكر أو ليزدادوا وقيل إنه بدل منه بدل الاشتمال
ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك أي الإدخال والتكفير عند الله فوزا عظيما

لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل
الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين
عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم
جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف
لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخريين والموضع موضع الفاء
اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية
وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك
شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وامته او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه
بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا
غدوة وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه
بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه بالزاءين وتوقروه من
اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق
ايديهم حال او استئناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه
فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى بعهده فسيؤتيه
اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليهُ بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر و
روح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب
هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة و

والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم
وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه
ان اراد بكم ضرا ما يضركم من قتل او هزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرأ
حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون
خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم
ابدا لظنهم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات
على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ
على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل
عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين
عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه
مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره
كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران
والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت
رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها يعني مغانم
خيبر فانه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة
بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا
نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من
مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكليم
غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي

كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم
في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو
فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم
واثبات للحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب
كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي
باس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين
فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه
قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر رضي الله
عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان
في عهد النبي وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية
فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا
كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين
استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل
الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال
ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه الصلاة والسلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن
امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان
رضي الله عنه فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الفا وثلاثمائة
او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سدرة او
سدرة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح

الحسد

اصحابه

سمرة

واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني مغانم خيبر
وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهي ما يفيء على
المؤمنين الى يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم ايدي اهل خيبر
وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين
امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول عليه الصلاة والسلام في وعدهم فتح خيبر
حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف لمحذوف مثل فعل ذلك
ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على
هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة
وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى
فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته ذاتية لا تختص
بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا
ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة
انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا
تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد
ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل
كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله
وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته بصيرا فيجازيهم عليه
هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام الحديبية
والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ الهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه
نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر فيه غيره والا لما نحره الرسول صلى الله

عليه السلام حين احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤوهم ان توقعوا بهم
وتبيدوهم قال ووطئتنا وطئا على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال عليه الصلوة والسلم
ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بطائف وكان آخر وقعة للنبي صلى الله عليه وسلم
بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من الرجال والنساء او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم منهم
من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك
والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤوهم اي
تطؤوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا
ناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف
ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي من اهل مكة صونا لمن فيها
من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والاسلام
من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا اي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ
تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا
مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي
تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم الوقار والثبات
وذلك ما روي انه عليه الصلوة والسلم لما هم الى قتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن
عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلي له قريش مكة من القابل
ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلوة والسلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل
مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح
عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه الصلوة والسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا

ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة
الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفا بالعهد
واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرهم واهلها و
المستأهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره له لقد صدق الله رسوله
الرؤيا راى محمد صلى الله عليه وسلم انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا
على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا
ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما رآه كائن لا محالة في
وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا
ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما
باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم
محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت
او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبي لاصحابه آمنين حال من الواو والشرط معترض
محلقين رؤوسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة او استئناف
اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تأخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون
دخولكم المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه او لاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره
على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط
المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعد من الفتح وكفى بالله
شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به
ويجوز ان يكون رسول الله صفته ومحمد خبر محذوف او مبتدأ والذين معه معطوف عليه وخبرهما
اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف

بينهم وتراحمون فيما بينهم لقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلاة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئ بالمد وهو من اثر السجود بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستانف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره كزرع اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا افرخ وقرأ ابن كثير وشطأه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرأ ابن عامر فأزره كأجر في آجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمز يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهي لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة صح

برواية ابن ذكوان م

سورة الحجرات مدنية وآيها ثماني عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم راسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين

يدي رسول الله وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان في الجهر والرفع استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر بعد ذلك لا يسمع انه حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة

قرأ عنهما

قرنها م

مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وترهيبا لجناية الرفع والجهر وان كان المرتكب للعمل
خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية
فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد
ان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من
الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء
النبي صلى الله عليه وسلم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها
حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل
وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى
جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي
حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي
ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت على المصدر دلت بنفسها على
الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه
فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى
نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم
بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب
وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين
في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على
النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه الصلاة والسلام بعث وليد بن عقبة
مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه

مقاتليه

فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد
بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم
وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم
عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل
وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا
كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين
انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه
ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه
حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال
يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان يتبع رايكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في العنت
والجهد وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان
وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم
من فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك
منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون اي اولئك المستثنون
هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن
معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد
والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين
فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب
والرشد فضل من الله وانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم
بالتوفيق وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا
بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت احداهما على الاخرى تعدت عليها فقاتلوا التي تبغي حتى

تفيء إلى أمر الله ترجع إلى حكمه أو ما أمر به وإنما أطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة
لرجوعها من الكفار إلى المسلمين فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد
الإصلاح بالعدل هاهنا لأنه مظنة الحيف من حيث إنه بعد المقاتلة وأقسطوا واعدلوا في كل الأمور إن الله
يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الأوس والخزرج في عهده عليه
الصلاة والسلام بالسعف والنعال وهي تدل على أن الباغي مؤمن وأنه إذا قبض عن الحرب
ترك كما جاء في الحديث لأنه فيء إلى أمره وأنه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي
في المصالحة إنما المؤمنون إخوة من حيث إنهم منتسبون إلى أصل واحد هو الإيمان الموجب للحياة الأبدية وهو
تعليل وتقرير للأمر بالإصلاح ولذلك كرره مرتباً عليه بالفاء فقال فأصلحوا بين أخويكم ووضع الظاهر موضع
الضمير مضافاً إلى المأمورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لأنهما أقل من يقع بينهما
الشقاق وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج وقرئ بين إخوتكم وإخوانكم واتقوا الله في مخالفة
حكمه والإهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا
خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن أي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض
إذ قد يكون المسخور منه خيراً عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لأنه إما مصدر نعت به فشاع في
الجمع أو جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالأمور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء
وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون فإما على التغليب أو الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لأنهن
توابع واختيار الجمع لأن السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهي
ولا خبر لها لإغناء الاسم عنه وقرئ عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فهي على هذا ذات خبر
ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعب بعضكم بعضاً فإن المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلمزون به
فإن من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم
ولا تنابزوا بالألقاب ولا يدعو بعضكم بعضاً باللقب السوء فإن النبز مختص بلقب السوء عرفاً
بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم

الإيمان واشتهارهم به والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسوق إلى المؤمنين خصوصاً إذ روي أن الآية نزلت
في صفية بنت حيي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين
فقال لها هلا قلت إن أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد أو الدلالة على أن التنابز فسق
والجمع بينه وبين الإيمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فأولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة
وتعريض النفس للعذاب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن كونوا منه على جانب وإبهام الكثير
ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع
فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن
السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الأمور المعاشية إن بعض الظن إثم تعليل مستأنف للأمر والإثم الذنب الذي
يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن
عورات المسلمين تفعل من الجس الذي هو أثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفي الحديث
لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب
بعضكم بعضاً ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته وسئل عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال أن
تذكر أخاك بما يكرهه فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته أيحب أحدكم أن يأكل
لحم أخيه ميتاً تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام
المقرر وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل
لحم الإنسان وجعل المأكول أخاً وميتاً وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريراً وتحقيقاً لذلك والمعنى
إن صح أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم إنكار كراهته وانتصاب ميتاً على الحال من اللحم
أو الأخ وشدده نافع واتقوا الله إن الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة
في التواب لأنه بليغ في قبول التوبة إذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب أو لكثرة المتوب عليهم أو لكثرة ذنوبهم
روي أن رجلين من الصحابة بعثا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما إداماً وكان أسامة
على طعامه فقال ما عندي شيء فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما اني ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال
انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحوا او خلقنا كل واحد
منكم من اب وام فالكل سوا في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة
عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبايل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع
القبايل والقبيلة تجمع العماير والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصايل فخزيمة
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون
العجم والقبايل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالقبايل والآبا وقرئ
لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم فان التقوى بها تكمل النفوس
وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه الصلاة والسلام من سره
ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله
وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من
بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة
ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول
بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول
في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا
اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل عنه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان و
الجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا
فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا ولم تواط قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله
بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرا
البصريان لا يالتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم

تقولوا لا

عن ٤

والارض فلم يوجد من آبائه منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من
خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن
ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختاره حكمته ام هم
المصيطرون الغالبون على الاشيا يدبرونها كيف شاؤا ام لهم سلم مرتقى الى السما يستمعون
فيه صاعدين فيه الى كلام الملايكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليات مستمعهم
بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم و
اشعار بان من هذا رايه لا يعد من العقلا فضلا ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب
ام تسئلهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون الثقل
فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون
منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فالذين
كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب
للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم
يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه
سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركونه وان يروا كسفا قطعة من السما ساقطا
يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو جواب
قولهم فاسقط علينا كسفا من السما فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند
النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرا ابن عامر وعاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه
يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغنا ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله
وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة
في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم
فانك باعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلاك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ

اختاره الحكمة ٤

وقرا قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاي والباقون بالصاد خالصة ٤

وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلاة ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه
اشق على النفس وابعد عن الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت
النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة
الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته سورة والنجم مكية وآيها احدى واثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اقسم بجنس النجوم فانه تعالى هوى هويا
بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا انزل او النبات
اذا سقط على الارض او اذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الطريق
المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق
عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ان هو ما القرآن او الذي ينطق به الا وحي
يوحى اي الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه من لم ير الاجتهاد له كما
عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون
بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل فانه الواسطة في ابداء
الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا
جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورأيه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها
قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في السماء ومرة في الارض
وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير لجبريل ثم دنا
من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى
فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقرير لشدة قوته فان التدلي استرسال
مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدلي الدلو فكان جبريل كقولك
هو مني معقد الازار او المسافة بينهما قاب قوسين مقدار قوسين عربيتين او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون
والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل

الى عبده

انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه
في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم
الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح
للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان
قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل
شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤوا
وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك
منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها
قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع
الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان
الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان
وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطف وهو انهم لما
سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في
الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية
له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم
فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما في الآية من الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف
على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم

أنكر منهم إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم أحد من جنسهم أو من أبناء جلدتهم
فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا إشارة إلى اختيار الله محمداً
للرسالة وإضمار ذكرهم ثم إظهاره للإشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم
بذلك أو عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة
فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهماً إن كانت الإشارة إلى مبهم يفسره ما بعده
أو مجملاً إن كانت الإشارة إلى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره أو تفصيله لأنه أدخل في
الإنكار إذ الأول استبعاد لأن يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله عما هو أهون
مما يشاهدون من صنعه أئذا متنا وكنا تراباً أي أنرجع إذا متنا وكنا تراباً ويدل على المحذوف
ذلك رجع بعيد أي بعيد عن الوهم أو العادة أو الإمكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص
الأرض منهم ما تأكل من أجسادهم وهو رد لاستبعادهم بإزاحة ما هو الأصل فيه وقيل
إنه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الأشياء
كلها أو محفوظ عن التغير والمراد إما تمثيل علمه بتفاصيل الأشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ
يطالعه أو تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة
بالمعجزات أو النبي أو القرآن لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم في أمر مريج مضطرب من مرج الخاتم
في أصبعه إذا خرج وذلك قولهم تارة إنه شاعر وتارة إنه ساحر وتارة إنه كاهن أفلم ينظروا حين
كفروا بالبعث إلى السماء فوقهم إلى آثار قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا
عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق والأرض
مددناها بسطناها وألقينا فيها رواسي جبالاً ثوابت وأنبتنا فيها من كل زوج من كل صنف
بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه وهما علتان
للأفعال المذكورة معنى وإن انتصبا عن الفعل الأخير ونزلنا من السماء ماء مباركاً كثير المنافع
فأنبتنا به جنات أشجاراً وثماراً وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد كالبر والشعير

والنخل باسقات طوالاً أو حوامل من أبسقت الشاة إذا حملت فيكون من أفعل فهو فاعل وإفرادها
بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لأجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه
فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر رزقاً للعباد علة لأنبتنا أو مصدر فإن
الإنبات رزق وأحيينا به بذلك الماء بلدة ميتاً أرضاً جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت
هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد
وفرعون أراد بفرعون إياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده وإخوان لوط إخوانه لأنهم كانوا أصهاره
(في الحاشية: سماهم إخوان لوط من حيث إن لوطاً تزوج منهم والأصهار أهل بيت المرأة)
وأصحاب الأيكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل أي كل واحد أو قوم منهم
أو جميعهم وإفراد الضمير لإفراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليهم وعيدي وفيه تسلية للرسول
صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم أفعيينا بالخلق الأول أفعجزنا عن الإبداء حتى نعجز عن الإعادة
من عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للإنكار بل هم في لبس من خلق جديد أي هم
لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة
العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه والإشعار بأنه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا
الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها
وسواس الحلي والضمير لما إن جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا أو للإنسان إن جعلت
مصدرية والباء للتعدية ونحن أقرب إليه من حبل الوريد أي ونحن أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه
من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لأنه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال
فالموت أدنى لي من الوريد والحبل العرق وإضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان
بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل سمي وريداً لأن الروح ترده
(في الحاشية: ويجوز أن تكون كإضافة لجين الماء ... أن يكون للحبل بمعناه المشهور)
إذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر أو متعلق بأقرب أي هو أعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى أي
يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه إيذان بأنه غني عن استحفاظ الملكين فإنه أعلم منهما ومطلع على ما يخفى
عليهما لكن الحكمة اقتضته وهو ما فيه من تشديد تثبيط العبد عن المعصية وتأكيد في اعتبار الأعمال

في اعتبار

وضبطها للجزاء والزام الحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد
اي مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله فاني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل
للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه الا لديه رقيب ملك
يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات
كاتب على امين السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب
اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق
لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك
عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت
شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت
حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان
خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق
او لاستعقابها له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها
اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد تميل وتفر عنه
والخطاب للانسان ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق
الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان
احدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد
كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب
على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا على اضمار القول
والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الآخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك
الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها
فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى

كنت في غفلة من امر الدنيا فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد
ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاءات والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال
الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له
هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها
وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا في جهنم كل كفار عنيد خطاب
من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل و
تكريره كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او الالف بدل من
نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة معاند
للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت
في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد متعد مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل
مع الله الها آخر مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار
فالقياه تكرير للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له
وانما استؤنفت كما استؤنفت الجملة الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه
ربنا ما اطغيته كأن الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها
واجبة العطف على ما قبلها الدالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين
وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل
الرأي مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اي
الله لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول وقد قدمت
اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا
عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على
ما يبدل القول لدي اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب

لیس من التبدیل فان دلائل العفو تدل على تخصیص الوعید وما انا بظلام للعبید فاعذب من لیس لی
تعذیبه یوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزید سؤال وجواب جیء بهما للتخییل والتصویر
والمعنى انها مع اتساعها تطرح فیها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملأن او انها
من السعة بحیث یدخلها من یدخلها وفیها بعد فراغ او انها من شدة زفیرها وحدتها وتشبثها بالعصاة کالمستکثر
لهم والطالب لزیادتهم وقرأ نافع وابو بکر یقول بالیاء والمزید اما مصدر کالمحید او مفعول کالمبیع ویوم
مقدر باذکر او ظرف لنفخ فیکون ذلک اشارة الیه فلا یفتقر الى تقدیر مضاف وازلفت الجنة للمتقین
قربت لهم غیر بعید او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول
والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ ابن کثیر بالیاء لکل اواب رجاع الى الله بدل من المتقین
باعادة الجار حفیظ حافظ لحدوده من خشی الرحمن بالغیب وجاء بقلب منیب بدل بعد بدل او بدل من
موصوف اواب ولا یجوز ان یکون فی حکمه لان من لا یوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها على تأویل یقال لهم
ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغیب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر ای خشیة ملتبسة
بالغیب حیث خشی عقابه وهو غائب او العقاب بعد غیب وهو غائب عن الاعین لا یراه احد وتخصیص
الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عقابه او بانهم یخشون خشیتهم مع علمهم بسعة رحمته ووصف
القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله ادخلوها بسلام سالمین من العذاب وزوال النعم او مسلما علیکم
من الله وملائکته ذلک یوم الخلود یوم تقدیر الخلود کقوله فادخلوها خالدین لهم ما یشاؤون فیها
ولدینا مزید وهو ما لا یخطر ببالهم مما لا عین رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وکم
اهلکنا قبلهم قبل قومک من قرن هم اشد منهم بطشا قوة کعاد وفرعون فنقبوا فی البلاد
فخرقوا فی البلاد وتصرفوا فیها او جالوا فی الارض کل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبیب
وعلى الثانی لمجرد التعقیب واصله التنقیب وهو التنقیر عن الشیء والبحث عنه هل من محیص ای
لهم من الله او من الموت وقیل الضمیر فی نقبوا لاهل مکة ای ساروا فی اسفارهم فی بلاد القرون فهل
راوا لهم محیصا حتى یتوقعوا مثله لانفسهم ویؤیده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا

من یدخلها وفیها

مکانا غیر بعید ویجوز ان یکون حالا وتذکیره لانه صفة محذوف ای شیئا غیر بعید صح

بالکسر من النقب وهو ان ینتقب خف البعیر ای اکثروا السیر حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراکبهم
ان فی ذلک ان فیما ذکر فی هذه السورة لذکرى لتذکرة لمن کان له قلب ای قلب واع یتفکر فی حقائقه
او القى السمع اصغى لاستماعه وهو شهید حاضر بذهنه لیفهم معانیه او شاهد بصدقه فیتعظ
بظواهره وینزجر بزواجره وفی تنکیر القلب وابهامه تفخیم واشعار بان کل قلب لا یتفکر ولا یتدبر
کلا قلب ولقد خلقنا السموات والارض وما بینهما فی ستة ایام وما مسنا من لغوب من تعب
اعیاء وهو رد لما زعمت الیهود من انه تعالى بدأ خلق العالم یوم الاحد وفرغ منه یوم الجمعة واستراح
یوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما یقولون ما یقول المشرکون من انکارهم البعث فان
من قدر على خلق العالم بلا اعیاء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما یقول الیهود من الکفر والتشبیه
حامدا له على ما انعم علیک من اصابة الحق وغیره قبل طلوع الشمس وقبل الغروب یعنی الفجر والعصر
وقد عرفت فضیلة الوقتین ومن اللیل فسبحه وسبحه بعض اللیل وادبار السجود واعقاب الصلاة
جمع دبر وقرأ الحجازیان وحمزة وخلف بالکسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وقیل المراد بالتسبیح
الصلاة فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن اللیل العشاءان والتهجد وادبار السجود
النوافل بعد المکتوبات وقیل الوتر بعد العشاء واستمع لما یخبرک به من احوال القیامة وفیه تهویل
وتعظیم للمخبر به یوم ینادی المناد اسرافیل او جبرئیل فیقول ایتها العظام البالیة واللحوم
المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله یامرکن ان تجتمعن لفصل القضاء من مکان قریب بحیث یصل
نداؤه الى الکل على سواء ولعله فی الاعادة نظیر کن فی الابداء ویوم نصب بما دل علیه یوم الخروج یوم
یسمعون الصیحة بدل منه والصیحة النفخة الثانیة بالحق متعلق بالصیحة والمراد به البعث
للجزاء ذلک یوم الخروج من القبور وهو من اسماء یوم القیامة وقد یقال للعید انا نحن نحیی ونمیت فی
الدنیا والینا المصیر للجزاء فی الآخرة یوم تشقق تتشقق وقرأ الکوفیون وابو عمرو بالتخفیف الارض
عنهم سراعا مسرعین ذلک حشر بعث وجمع علینا یسیر هین وتقدیم الظرف للاختصاص فان ذلک

وسبح بحمد ربک ونزهه عن العجز عما یمکن والوصف بما یوجب التشبیه

والعصر

[illegible]

لا يتيسر إلا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس
واحدة نحن أعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وما أنت عليهم
بجبار بمتسلط تقسرهم على الإيمان أو تفعل بهم ما تريد وإنما أنت داع فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
فإنه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت
وسكراته

سورة والذاريات مكية وآيها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا
يعني الرياح تذرو التراب وغيره أو النساء الولودات فإنهن يذرين الأولاد أو الأسباب التي
تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء في الذال فالحاملات وقرا
فالسحب الحاملة للأمطار أو الرياح الحاملة للسحاب أو النساء الحوامل أو أسباب ذلك وقرئ وِقرا على
تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا أو الرياح الجارية في مهابها
أو الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف أي جريا ذا يسر فالمقسمات أمرا
الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار بتصريف الرياح فإن حملت على ذوات مختلفة فالفاء
لترتيب الإقسام بها باعتبار ما بينهما من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة وإلا فالفاء لترتيب
الأفعال إذ الريح مثلا تذرو الأبخرة إلى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له إلى حيث
أمرت به فتقسم المطر إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع جواب للقسم كأنه استدل
باقتداره على هذه الأشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما
موصولة أو مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد إما
الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب أو المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها إلى المعارف
أو النجوم فإن لها طرائق أو أنها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق أو حباك
كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون كالقفل والحبك كالإبل والحبك كالسلك والحبك كالجبل

والأرزاق وغيرها أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة أو الرياح يقتسمن الأمطار صح

والحبك كالنعم والحبك كالبرق إنكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة إنه شاعر وتارة إنه
ساحر وتارة إنه مجنون أو في القرآن أو في أمر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه أقوالهم
في اختلافها وتنافي أغراضها بطرائق السماوات في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من أفك يصرف
عنه الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن أو الإيمان من صرف إذ لا صرف أشد منه فكأنه
لا صرف بالنسبة إليه أو يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول على معنى يصدر
إفك من أفك عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن أكل وعن شرب أي يصدر تناهيهم
عنهما وبسببهما وقرئ أفك بالفتح أي من أفك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الإيمان
قتل الخراصون الكذابون من أصحاب القول المختلف وأصله الدعاء بالقتل أجري مجرى اللعن الذين هم في
غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما أمروا به يسألون أيان يوم الدين أي فيقولون متى
يوم الجزاء أي وقوعه وقرئ إيان بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون جواب للسؤال أي
يقع يوم هم على النار يفتنون أو هو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لإضافته إلى غير متمكن ويدل
عليه أنه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم أي مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا
العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته إن المتقين
في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لما أعطاهم راضين به ومعناه أن كل ما آتاهم حسن
مرضي متلقى بالقبول إنهم كانوا قبل ذلك محسنين قد أحسنوا أعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لإحسانهم وما مزيدة أي يهجعون في طائفة من الليل أو يهجعون
هجوعا قليلا أو مصدرية أو موصولة أي في قليل من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه ولا يجوز أن
تكون نافية لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر
القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالأسحار هم يستغفرون
أي أنهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم إذا أسحروا أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلفوا في ليلهم
الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير إشعار بأنهم أحقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي أموالهم

من صرف

أصحاب

الليل

حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي
والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اي فيها دلائل من انواع المعادن
والحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات
والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم اي وفي
انفسكم آيات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر
البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات
المتنوعة افلا تبصرون افلا تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء
السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة
او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره فورب السماء والارض انه لحق
وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من الآيات والرزق والوعد مثل ما انكم تنطقون اي مثل
نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحققه ونصبه على الحال من المستكن في لحق او
الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو
ما ان كانت بمعنى شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائي
وابي بكر بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف
في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل كانوا ثلاثة جبرئيل
وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين اي مكرمين عند الله او عند
ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا
سلاما اي نسلم عليكم سلاما قال سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات
حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى
واحد قوم منكرون اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام
لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه

فان من ادب المضيف ان يبادره بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان
عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تأكلون اي منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة
فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه وللانكار ان قاله حينما راى اعراضهم فاوجس
منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع في نفسه انهم
ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق
بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته سارة الى بيته
وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان
اول فاقبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل
وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عقيم فكيف الد قالوا
كذلك مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله
محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين
متحجر مسومة مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهي العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين
الحد في الفجور فاخرجنا من كان فيها في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة
من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على
اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا
يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة وتركنا فيها آية علامة للذين
يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن
وفي موسى عطف على وفي الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ
ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى
بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كأنه

من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به م

جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما

فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد

والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها

اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر

من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت

وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم

فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد الثلاث وقرا الكسائي الصعقة

وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام

كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين

ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على

محل في عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا

قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون

لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق ولموسعون السماء او ما بينها وبين

الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء

من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب

بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة اني لكم

منه من عذابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر

عنه ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه اني لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب

على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول صلى الله

عليه وسلم وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون

كما تفسيره ولا يجوز نصبه باتى او بما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به اي كان

الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون

اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان

الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعدما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد

فما انت بملوم على الاعراض بعدما بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى

تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من آمن فانها تزداد بها بصيرة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون

لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على

ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه

الا لآمرهم بالعبادة وليكونوا عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما اريد ان

اصرفهم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما هم كالمهمل له والمامورين به والمراد ان يبين ان شانه

مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم

ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسالكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذي يرزق

كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة

فان للذين ظلموا ذنوبا اي للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيبا من العذاب

مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة

الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد

ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيامة او يوم بدر عن النبي

صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت

في الدنيا

سورة الطور مكية وآيها تسع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سينين وهو جبل

بمدين سمع فيه موسى كلام الله والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد

فالطور من الطيران ١٢

أو من عالم الغيب إلى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف
المكتوبة والمراد به القرآن أو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ أو ألواح موسى أو في قلوب أوليائه
من المعارف والحكم أو ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب
فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والإشعار بأنهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت
المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين أو الضراح وهو في السماء الرابعة
وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة أو قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والإخلاص والسقف المرفوع
يعني السماء والبحر المسجور أي المملوء وهو المحيط أو الموقد من قوله وإذا البحار سجرت
روي أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا تسجر بها جهنم أو المختلط من السجير وهو الخليط
إن عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على ذلك أنها
أمور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق أخباره وضبط أعمال العباد للمجازاة يوم تمور
السماء مورا تضطرب والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف لواقع وتسير
الجبال سيرا أي تسير عن وجه الأرض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين أي إذا وقع ذلك فويل
لهم الذين هم في خوض يلعبون أي في الخوض في الباطل يوم يدعون إلى نار جهنم دعا يدفعون
إليها بعنف وذلك بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون
إلى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور
أو ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون أي يقال لهم ذلك أفسحر هذا
أي كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفهذا المصداق أيضا سحر وتقديم الخبر لأنه المقصود بالإنكار
والتوبيخ أم أنتم لا تبصرون هذا أيضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم
أم سدت أبصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم إنما سكرت أبصارنا اصلوها فاصبروا
أو لا تصبروا أي ادخلوها على أي وجه شئتم من الصبر وعدمه فإنه لا محيص لكم عنها سواء عليكم
أي الأمران الصبر وعدمه إنما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فإنه لما كان الجزاء
واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيانين في عدم النفع إن المتقين في جنات ونعيم

في أية جنات ونعيم أو في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم ووقاهم
ربهم وفاكهين على أنه الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم إن جعل ما مصدرية
أو في خبر أو حال بإضمار قد أو من المستكن في الظرف أو الحال أو من فاعل آتاهم أو مفعوله أو منهما
كلوا واشربوا هنيئا أي أكلا وشربا هنيئا أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه
بما كنتم تعملون بسببه أو بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون
أي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل
والإلصاق أو القرآن ولذلك عطف والذين آمنوا على حور أي قرناهم بأزواج حور ورفقاء
مؤمنين أو للسببية إذ المعنى صيرناهم أزواجا بسببهن وقيل إنه مبتدأ خبره ألحقنا
وقوله واتبعتهم ذريتهم بإيمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالمبالغة
في كثرتهم والتصريح فإنه يقع على الواحد والكثير وقرأ أبو عمرو وأتبعناهم ذرياتهم أي جعلناهم
تابعين لهم في الإيمان وقيل بإيمان حال من الضمير أو الذرية أو منهما وتنكيره للتعظيم أو الإشعار
بأنه يكفي في الإلحاق المتابعة في أصل الإيمان ألحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة أو الدرجة
لما روي مرفوعا أنه عليه الصلاة والسلام قال إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه
لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما ألتناهم وما نقصناهم
بهذا الإلحاق من عملهم من شيء فإنه كما يحتمل أن يكون بنقص مرتبة الآباء أو بإعطاء الأبناء
بعض مثوباتهم يحتمل أن يكون بتنقيص من مرتبة الآباء بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال
لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعن ابن عامر لتناهم من لات يليت وآلتناهم
من آلت يؤلت ولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون
عند الله فإن عمل صالحا فكها وإلا أهلكها وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون أي وزدناهم
وقتا بعد وقت ما يشتهون من أنواع النعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم فيها
كأسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك أنث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم أي لا يتكلمون بلغو

الحديث في أثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك
مثل قوله لا فيها غول وقرأ ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم أي بالكأس غلمان
لهم أي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في
الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده إن فضل
المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون
يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين خائفين من
عصيان الله معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة أو التوفيق
ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا
بالتشديد إنا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده أو نسأله الوقاية
إنه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائي بالفتح الرحيم الكثير الرحمة فذكر
فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما أنت بنعمة ربك بحمد الله وإنعامه بكاهن ولا مجنون
كما يقولون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل
المنون الموت والمنون فعول من منه إذا قطعه قل تربصوا فإني معكم من المتربصين أتربص
هلاككم كما تتربصون هلاكي أم تأمرهم أحلامهم عقولهم بهذا التناقض في القول فإن
الكاهن يكون ذا كلام متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وأمر الأحلام به مجاز عن أدائها
إليه أم هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم أم يقولون تقوله اختلقه من
تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله
مثل القرآن إن كانوا صادقين في زعمهم إذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للأقوال المذكورة
بالتحدي ويجوز أن يكون ردا للتقول فإن سائر الأقسام ظاهر الفساد أم خلقوا من غير شيء أم
أحدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه أو من أجل لا شيء من عبادته ومجازاة
أم هم الخالقون يؤيد الأول فإن معناه أم خلقوا أنفسهم ولذلك عقبه بقوله أم خلقوا السمو

من ا[illegible]
وا

ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله
والشاعر يكون ذا كلام موزون صح

بجزاء
مجازاة

إلى عبده عبد الله وإضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما أوحى جبريل وفيه تفخيم
للموحى به أو الله إليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو
الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره إلى جناب القدس
ما كذب الفؤاد ما رأى ما رأى ببصره من صورة جبريل أو الله تعالى أو ما قال فؤاده لما رآه لم
أعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقيل ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن
تخيلا كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقيل ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل
عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرئ ما كذب
أي صدقه ولم يشك فيه أفتمارونه على ما يرى أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة
واشتقاقه من مري الناقة كأن كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ الكوفيون غير
عاصم ويعقوب أفتمرونه أي أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته أو أفتجحدونه من مراه حقه
إذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فإن المماري والجاحد يقصدان غلبة الخصم ولقد رآه
نزلة أخرى مرة أخرى فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها إشعارا بأن الرؤية
في هذه المرة كانت أيضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه
نازلا نزلة أخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الأخيرة عند سدرة المنتهى
التي ينتهي إليها علم الخلائق وأعمالهم أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت
بالسدرة وهي شجرة النبق لأنهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا أنها في السماء السابعة عندها جنة
المأوى الجنة التي يأوي إليها المتقون أو أرواح الشهداء إذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير
لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة
يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه
بل أثبته إثباتا صحيحا مستيقنا أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها لقد
رأى من آيات ربه الكبرى أي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج

أي ما كذب بصره بما حكاه له قلبه فإن الأمور
القدسية تدرك أولا بالقلب ثم ينتقل منه
إلى البصر صح

يقال مريت الناقة
مريا إذا مسحت ضرعها

بفعلهما صح

[illegible]

قيل نعت ما الملائكة روي عنه عليه السلام
أنه قال رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله تعالى
صح

وقد قيل انها المعنية بما راى ويجوز ان تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا
من آيات ربه او من مزيدة أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات
كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون
للعبادة اي يلتوون اي يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق
بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد فقطعها واصلها تانيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة
من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء
كانهم كانوا يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير
بجناحيه او الاخرى من التاخر في الرتبة ألكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله
وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني
لقوله أفرأيتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو
الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات وصفا وقرأ ابن كثير
بالهمز من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار
الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية
او للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا
يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها العكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم
انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها سميتم بها انتم وآباؤكم بهواكم ما انزل الله بها من
سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق
تقليدا او توهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول
والكتاب فتركوه أم للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما
يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا

نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والاولى يعطي منهما
ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا وكثير من الملائكة لا يغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد ان يأذن الله في الشفاعة
لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع
الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموهم
بنات وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن
لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف
الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم
يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من اعرض عن الله واعرض عن ذكره
وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل
ذلك اي امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصر
همتهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض
اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء
او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال
عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة
او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو
ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك
والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع
ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر
الصغائر باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين

ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله هو اعلم بكم
اعلم باحوالكم منكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم
حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها
بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره
منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام افرأيت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات
عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة
فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل
عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب
فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى وفر واتم ما
التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار
نمروذ حتى اتاه جبرئيل حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان
يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية
كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها
في محل الجر بدلا مما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب
والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله وكتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا
بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة
فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وان
ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار
من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء
الاوفى اي يجزي العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء

يواخذ

وان سعيه سوف يرى

الذي عليه يجزى والجزاء بدل وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما
في الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره
فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى
من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشأة الاخرى الاحياء
بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ وانه هو اغنى واقنى
واعطى القنية وهي ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له
قنية وانه هو رب الشعرى يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد
الرسول صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابي
كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه الصلاة والسلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا
في عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود
وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرأ نافع وابو عمرو بادغام
التنوين في اللام وقالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة وثمود عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ
عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا معطوف عليه من قبل
عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون
به حراك والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها
فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها آلاء من
قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر الاولى
اي هذا القرآن نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت
الآزفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس
قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الآن بتأخيرها الا الله وليس لها كاشفة لوقتها

وفاء بوعده

انذار

تغنو

وقرأ نافع وابو عمرو عادا لولى بضم اللام بحركة الهمزة و مع

وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف ع

اي عالم من كشف ... او مقدمة ع

الا الله فانه لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية أفمن هذا الحديث يعني
القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او
مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود
وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه دون الالهة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا والنجم
اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر

روي ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق
القمر يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل
من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان يروا آية يعرضوا عن تاملها والايمان بها ويقولوا
سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم راوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة
حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته او مستبشع من استمر
اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان
من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر
منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى
الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل
معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الآخرة
ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب
وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ
بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر
نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر
بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون

الداعي فيه كالامر به قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون
او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرا ابن كثير نكر
بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اي يخرجون من قبورهم خاشعا
ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل
وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين
غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا
كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادي
اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح
قبل قومك فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب
كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعدما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو
مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اي هو مجنون وقد
ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبني
قومي فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد ياسه منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى
يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر
منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرا ابن عامر ويعقوب ففتحنا
بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون منفجرة واصله
وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماءان لاختلاف النوعين
والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت او على
حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح
بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من
الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها تؤدي

مدتها تجري بأعيننا بمرأى منا أي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر أي فعلنا ذلك جزاء لنوح
لأنه نعمة كفروها فإن كل نبي نعمة من الله ورحمة على أمته ويجوز أن يكون على حذف الجار
وإيصال الفعل إلى الضمير وقرئ لمن كفر أي للكافرين ولقد تركناها أي السفينة أو الفعلة آية
يعتبر بها إذ شاع خبرها واستمر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الأصل ومذكر بقلب التاء
ذالا والإدغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع
ولقد يسرنا القرآن سهلناه أو هيأناه من يسر ناقته للسفر إذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ
بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر أو للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر
متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وإنذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله أو لمن بعدهم في
تعذيبهم إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا أو شديد الصوت في يوم نحس شؤم مستمر أي استمر شؤمه
أو استمر عليهم حتى أهلكهم أو على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم أحدا أو اشتد مرارته وكان
يوم الأربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي أنهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض
فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كأنهم أعجاز نخل منقعر أصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الأرض
وقيل شبهوا بالأعجاز لأن الريح طيرت رؤوسهم وطرحت أجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث
في قوله أعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الأول لما حاق بهم في الدنيا
والآخرة ولعذاب الآخرة أخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالإنذارات
أو المواعظ أو الرسل فقالوا أبشرا منا من جنسنا أو من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره
ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والأول أوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له أو من آحادهم دون
أشرافهم نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم إياه ما رتبه على
ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة أألقي الذكر الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا
من هو أحق منه بذلك بل هو كذاب أشر حمله بطره على الترفع بادعائه علينا سيعلمون غدا عند نزول
العذاب بهم أو يوم القيامة من الكذاب الأشر الذي حمله أشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل

والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ولعذاب الآخرة أخزى لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا

جمع سعير

أي كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات أو حكاية ما أجابهم به صالح وقرئ
الأشر أي الأبلغ في الشرارة وهو أصل مرفوض كالأخير إنا مرسلو الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة
لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على أذاهم ونبئهم أن الماء قسمة بينهم
مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته أو يحضر عنه غيره
فنادوا صاحبهم قدار بن سالف أحيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها
أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا
عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من
يعمل الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء أي كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة
أي ترميهم إلا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل أو مسحرين نعمة من عندنا إنعاما منا وهو
علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة ولقد أنذرهم لوط بطشتنا أخذتنا
بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم
فطمسنا أعينهم فمسحناها وسويناها بسائر الوجه روي أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم
جبريل صفقة فأعماهم فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر
الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروف على أن المراد بها أول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم
حتى يسلمهم إلى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في
كل قصة إشعارا بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ
واستئنافا للتنبيه والاتعاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ
ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات
التسع فأخذناهم أخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب خير من أولئكم الكفار
المعدودين قوة وعدة أو مكانة ودينا عند الله أم لكم براءة في الزبر أن نزل لكم في الكتب السماوية

والعقر الجرح ثم استعمل في القتل

الأجلها أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة

ويل يومئذ للمكذبين

ان من كفر منكم له براءة امان من العذاب ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر
من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر
اى الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد يولى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة
وعن عمر رضي الله عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ما هو فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه م
يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلى
وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه
وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة
يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اى يقال لهم ذوقوا حر النار
والمها فان مسها سبب التالم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته
اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر اى انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا كل شي م
مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى
هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق
بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة
الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في
اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم
في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير
من الاعمال مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من
النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون والهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق
في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام مقربين م
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر
سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن
لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم
الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشا الشرع واعظم الوحي
واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان
علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير
لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن
عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في
بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات
وتعلم السنون والحساب والنجم النبات الذي ينجم اى يطلع من الارض ولا ساق له والشجر
والذي له ساق يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلف طوعا
وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل
على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما
في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء
رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشا اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع
على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي
حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت السموات و
الارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة
من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر التفاوت ويعرف
به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان لئلا تطغوا فيه اى لا تعتدوا ولا تجاوزوا
الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه

فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه

وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها
مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام
اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار
والتمر والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس
كالتبن وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجنا
اطلب ريحان الله اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد
وذا الريحان فحذف المضاف وهو فيعلان من الروح فقلب الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان
قلب واوه ياء للتخفيف فباي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام
وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة
والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله
من تراب ونحوه وخلق الجان اي الجن او ابا الجن من مارج من صاف من دخان من نار بيان
لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما
في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين
مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال
الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت
الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما
او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة
الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان
حديهما باغراق ما بينهما فباي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره
وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من
مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج

وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان
وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض والباقون بالرفع

تراب جعله طينا

منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ
والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف
الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات
الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او
اللاتي ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل
فباي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية
تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها من على
الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى
وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها
باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال و
الاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فباي آلاء ربكما تكذبان مما
ذكرنا قبل وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب على
فناء الكل من الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والارض
فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال
ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره كل يوم هو في شأن كل وقت
يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شأنه ان
يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي
يوم السبت شيئا فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من
مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك
يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده
سافرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ

سنفرغ لكم اي سنتقصد لكم والثقلان الجن والانس سميا بذلك لثقلهما على الارض
او لرزانة رايهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فباي آلاء ربكما تكذبان يا معشر
الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان
تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا
فاخرجوا لا تنفذون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان
قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون
ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم فباي آلاء ربكما تكذبان
اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد
العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما
شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل
الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرا ابن كثير شواظ بالكسر وهو
لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس و
هو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فباي آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف
والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت
السماء فكانت وردة اي حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب
التجريد كقوله فلئن بقيت وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم
الاحمر فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما يكون بعد ذلك فيومئذ اي فيوم تنشق السماء
لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون
من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله
فوربك لنسالنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه و
ان تاخر لفظا تقدم رتبة فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما انعم الله على عباده المؤمنين

لا تقدرون م

كصحف

لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن و

الجان اسم جمع للجن

في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي
والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فباي آلاء ربكما تكذبان
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم
ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار
اغيثوا منه وقيل فباي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه
للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه باحد المعنيين
فاضاف الى الرب تفخيما او تهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا
ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسي والاخرى للخائف
الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى
لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل
بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان
انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب
من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل قيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل
فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب
يابس فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا
كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف
في الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ
والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرا الكسائي بضم الميم فباي آلاء ربكما تكذبان
كانهن الياقوت والمرجان اي في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فباي آلاء ربكما
تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فباي الآء

الجحيم ح

متكلم

مثنى م

بكسر الجيم فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان جنتان يدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس صح

ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين
جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان
الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين
المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت
فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به
الاوليين وكذا ما بعده فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة
بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة
على ان من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فبأى آلاء ربكما تكذبان
فيهن خيرات اى خيّرات فخففت لان خيرا الذى بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل
حسان حسان الخَلْق والخُلُق فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات قصرن
في خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة او مقصورات
الطرف على ازواجهن في الخيام فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
كحور الاوليين وهم اصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين
على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل
الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقرى حسان العبقرى منسوب الى عبقر
تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شىء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان
حملا على المعنى فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته
فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما فى قوله الى الحول
ثم اسم السلام عليكما ذى الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة
للاسم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الرحمن شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة الا مكية وايها تسع وتسعون بسم الله الرحمن الرحيم
اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب
اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اى لا يكون
حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب فى نفيها كما تكذب الآن واللام
مثلها فى قوله قدمت لحياتى او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق
او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه
عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت
له انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها
فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون يومئذ من خفض اعداء الله ورفع
اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال فى الجو
وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث
ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا
وبست الجبال بسا اى فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت
الملتوت اذا لتّه او سيقت وسيّرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت
هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر
مع صنف آخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة
ما اصحاب المشأمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم
بالميامن وتشأمهم بالشمائل او اصحاب المنازل الميمنة واصحاب المشأمة الذين
يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم
فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم
والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير و

معناها التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون الذين سبقوا الى
الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل
والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت
مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا الى الجنة اولئك
المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم
ثلة من الاولين وقليل من الآخرين اي هم كثير من الاولين يعني الامم السالفة
من لدن آدم الى محمد عليهما الصلوة والسلام وقليل من الآخرين يعني امة محمد
صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ذلك قوله عليه الصلوة والسلام ان امتي يكثرون
سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة
وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين
وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا
انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر
آخر للضمير المحذوف المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او
المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير
في على يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة
الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء بلا عروة
وخرطوم له والابريق اناء له ذلك وكاس من معين من خمر لا يصدعون
عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزفون عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون
بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون
ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدا
محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على

غيرم

والموضونة م

سورة

ولا ينزفوم

الكوب بالضم كوز لا عروة له او لا خرطوم له قاموس

جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب
ينعمون باكواب وقرئ بالنصب على ويؤتون بحورا كامثال اللؤلؤ المكنون
المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اي يفعل ذلك كله
بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم
اي لا يقال لهم اثمتم الا قيلا الا قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون
فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر
والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب
اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك
اذا قطعه او مثني اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو
رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين
منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا
يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب او مصبوب
سائل كانه لما شبه حال السابقين في التنعم باكمل ما يتصور لاهل المدن شبه حال
اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين الحالين
وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة
لا تمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة مرتفعة
وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله انا
انشأناهن انشاء اي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء وفي
الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن
الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن
ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه

واعادة م

الشمط بياض شعر الرأس يخالطها سواد والرمص بالتحريك وسخ يجتمع في الموق صحاح

حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله أترابا فإن كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن لأصحاب اليمين متعلق بأنشأنا أو جعلنا أو صفة لأبكارا أو خبر لمحذوف مثل هن أو لقوله ثلة من الأولين وثلة من الآخرين وهي على الوجه الأول خبر محذوف وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان أسود يفعول من الحمة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفي بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح إنهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها وتحنث إذا تأثم (أي تجنب الإثم) وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على إنكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله أوآباؤنا الأولون للدلالة على أن ذلك أشد إنكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أو بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بإن والهمزة قل إن الأولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون إلى ميقات يوم معلوم إلى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له ثم إنكم أيها الضالون المكذبون أي بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من الأولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم

فإنه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الإبل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الرمال على أنه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر من وجه فلا اتحاد (وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين) هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب أليم لأن النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالأعمال الدالة عليه أو بالبعث فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة أفرأيتم ما تمنون أي ما تقذفونه في الأرحام من النطف وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى أمناها أأنتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم وأقتنا موت كل بوقت معين (وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال) وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته أو لا يغلبنا أحد من سبقته على كذا إذا غلبته عليه على أن نبدل أمثالكم على الأول حال أو علة لقدرنا وعلى معنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على أنا نبدل منكم أشباهكم (أشباهكم فنخلق بدلكم أو نبدل) على أن أمثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق أو صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى فإنها أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس أفرأيتم ما تحرثون تبذرون حبه أأنتم تزرعونه تنبتونه أم نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون أو تندمون

على اجتهاد كعرفية او على بالضم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والمتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر أئنا على الاستفهام بل نحن قوم محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون افرأيتم الماء الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرأيتم النار التي تورون تقدحون ءانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام او تذكيرا او انموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عدها من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة

للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلأنا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه انه قرئ فلأقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اي لنعمة القرآن انكم تكذبون به وتكذبون اي قولكم في القرآن انه سحر وشعر او في المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب اليه ونحن اعلم بحال المحتضر منكم عبر عن العلم

- وهو الهلاك
- وقرأ حمزة والكسائي بموقع النجوم
- في اعتراض فانه اعتراض
- اي تجعلون شكر رزقكم

بالذي هو اقوى بسبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه
فلولا ان كنتم غير مدينين اي مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه
اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون
النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى و
الثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزه دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم
غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان
كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها
الحلقوم فاما ان كان من المقربين اي ان كان المتوفى من السابقين فروح
فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحيوة الدايمة
وريحان ورزق طيب وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام
لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اي من اخوانك يسلمون عليك واما ان
كان من المكذبين الضالين يعني اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا
عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك
ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اي الذي ذكر في السورة
او في شان الفرق لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك
العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة لم يصبه فاقة ابدا سورة الحديد
مدنية وقيل مكية واياتها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما في السموات والارض ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي
وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان ما اسند اليه
ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات

ويجيء المصدر مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على
استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما عدي باللام وهو متعد بنفسه
مثل نصحت له في نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه
وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدا للتسبيح له ملك السموات والارض
فانه الموجد لها والمتصرف فيها يحيي ويميت استيناف او خبر لمحذوف
او حال من المجرور في له وهو على كل شيء من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير
تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها
ومحدثها والاخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن
غيرها او هو الاول الذي تبتدئ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات او الاول
خارجا والاخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن
حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شيء والعالم بباطنه والواو
الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل
شيء عليم يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع
وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك
علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق
على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره
مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما
جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها وهي
في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه

حيث على الانفاق وتوهين له على النفس فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر
كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق
وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير وما لكم لا تؤمنون بالله اي
وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول
يدعوكم اليه بالحجج والآيات وقد أخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم
بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول
يدعوكم وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول إن كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا
موجب لا مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم اي الله او العبد
من الظلمات إلى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وإن الله بكم لرؤوف
رحيم حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية
وما لكم ألا تنفقوا واي شيء لكم في ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه
ولله ميراث السموات والأرض يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان
كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوي
منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين
باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري
الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من
انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام
به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق من الذين أنفقوا من بعد
وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى اي كلا من المنفقين وعد الله
المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اي وكل

القتال م

وعد الله م

وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم
على حسبه والآية نزلت في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن وانفق
في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا من الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه
فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل
الجهات فيضاعفه له اي يعطي اجره اضعافا وله أجر كريم اي وذلك الاجر
المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف
وقد تضاعف اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار
المعنى فكأنه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن
عامر ويعقوب فيضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله
وله او فيضاعف او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم بين أيديهم
وبأيمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم
اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم دخول جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم
من النور والبشرى بالجنات المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات
بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف
او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور
بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم
نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا
نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى
الموقف فانه من ثم يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل

الى الجنة م

البشرى جنات او بشراكم م

انظرونا م

من النظرة وهي الامهال ع

كم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين
والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او
الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه
يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى و
لكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في
الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله
الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب
بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأواكم النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول
لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته
محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان
قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم
على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها
في الدنيا وبئس المصير النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت
وقته يقال انى الامر يأني انيا وانا وانى اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون
النون من آن يئين بمعنى انى يأني والمأيأني روي ان المؤمنين كانوا مجدبين
بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت
وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين
على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع وحفص ويعقوب
نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف
على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي
عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان بطول

اعمارهم او آمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو
الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم
من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب
القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن
القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون كي تكمل عقولكم ان المصدقين و
المصدقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين
صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل
في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة
على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم
معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى
لهم او الى ضمير المصدر والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون
في الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة
لله ولهم او على الامم يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر
والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا
في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم
ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود
في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة
تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر في
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور

ان المتصدقين والمتصدقات

الدنيا وهي ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع
سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم [جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم] عما يهمهم وزينة كالملابس
الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد
والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا
ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال
نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد
اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا راى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه
فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم
هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله وفي الآخرة
عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان تنفيرا عن الانهماك [في الدنيا] وحثا على ما يوجب
كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن
اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة السابقين في المضمار
الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض
اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد
به البسطة كقوله فذو دعاء عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله
فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب
والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب
من مصيبة في الارض كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب
الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله تعالى من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير
للمصيبة او للارض او الانفس ان ذلك ان ثبته في كتاب على الله يسير لاستغنائه

عنه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من
نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان
عليه الامر وقرا ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه
اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد
لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله
والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال
فخور اذ قل من يثبت نفسه حالي الضراء والسراء الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبره
محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لان معناه
ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره
الاعراض عن شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان
الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرا نافع وابن عامر ان الله الغني لقد ارسلنا
رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات
وانزلنا معهم الكتاب ليتبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق
ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده
وقيل انزل الى نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء
كما قال وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آلات الحروب متخذة منه ومنافع
للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله
باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله
فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله بالغيب
حال من المستكن في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر

الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد
ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا
اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم
وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم و
العدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم
قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد
رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او
من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه
الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية
اي وابتدعوا رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة
والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف
من رهب كالركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان
الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل
فانه ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه
دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف
قوله ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا
لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها فما رعوا جميعا حق رعايتها
بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد صلى الله عليه
وسلم ونحوها اليها فآتينا الذين آمنوا آتوا بالايمان الصحيح وحافظوا
حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم منهم من المتسمين باتباعه

اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين آمنوا
بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد عليه الصلوة و
السلام يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد عليه الصلوة والسلام وايمانكم
بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل
الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور
في قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله
غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم
ولان يعلم بادغام النون في الياء الا يقدرون على شيء من فضل الله ان هي المخففة
والمعنى انهم لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا
برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا
في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا [ويؤيده] قوله وان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد
اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون
وان الفضل عطفا على لئلا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغم
النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي والباقي مدني وآيها اثنتان
وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روي ان خولة بنت
ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر

كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب

اولادها وشكت الى الله تع فنزلت هذه الآيات الاربع وقد يشعر بان
الرسول صلى الله عليه وسلم او المجادلة لا يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها
ويفرج كربها عنها وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام عن ابن عامر دال قد
في السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله
سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظهرون منكم من نسائهم الظهار
ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحقه
الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل
الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون
من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي
ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج
الرسول صلى الله عليه وسلم وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم
وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا
محرفا عن الحق فان المزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا
او اذا تيب عنه والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي الى
قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه
وذلك عند الشافعي بامساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه
اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند
ابي حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع
وعند الحسن بالجماع او بالظهار في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون
الظهار اذ كانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري او بتكرار
لفظه وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابي مسلم

او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اي فعليهم
او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب
التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل من
قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى
التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اي ذلكم الحكم بالكفارة
توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه والله
بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية فمن لم يجد اي الرقبة والذي غاب
ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر بغير عذر
لزمه الاستيناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم
ينقطع التتابع عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك فمن لم يستطع اي الصوم لهرم او مرض
مزمن او شبق مفرط فانه عليه الصلوة والسلام رخص للاعرابي المفطر ان
يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة
يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع
الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او لجوازه في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة
ذلك اي ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا
بالله ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض
ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين الذين
لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان
الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير حد
الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا اخزوا او

أهلكوا وأصل الكبت الكب الذين من قبلهم يعني كفار الأمم الماضية وقد أنزلنا
آيات بينات تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به وللكافرين
عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين أو بإضمار اذكر
جميعا كلهم لا يدع أحدا غير مبعوث أو مجتمعين فينبئهم بما عملوا أي على رؤوس
الأشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم أحصاه الله أحاط به عددا لم يغب عنه
شيء ونسوه لكثرته أو تهاونهم به والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء ألم تر أن الله
يعلم ما في السموات وما في الأرض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلاثة ما يقع من
تناجي ثلاثة ويجوز أن يقدر مضاف أو يأول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة
لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الأرض فإن السر أمر مرفوع إلى الذهن
لا يتيسر لكل أحد أن يطلع عليها والاستثناء من أعم الأحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة
إلا هو سادسهم وتخصيص العددين إما لخصوص الواقعة فإن الآية نزلت في تناجي
المنافقين أو لأن الله وتر يحب الوتر والثلاثة أول الأوتار أو لأن التشاور لا بد له
من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب
على الحال بإضمار يتناجون أو تأويل نجوى بمتناجين ولا أدنى من ذلك ولا أقل
مما ذكر كالواحد والاثنين ولا أكثر إلا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب
ولا أكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى أو محل لا أدنى بأن جعلت لا لنفي الجنس
أينما كانوا فإن علمه بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة ثم
ينبئهم بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء إن الله بكل
شيء عليم لأن نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكل على سواء ألم تر إلى الذين نهوا
عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون
فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول أي بما هو إثم
وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروي عن يعقوب
وهو يفتعلون من النجوى وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون
السام عليك أو أنعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على عباده الذين اصطفى
ويقولون في أنفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا بذلك لو كان
محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا أيها الذين
آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنا
وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء
عن معصية الرسول واتقوا الله الذي إليه تحشرون فيما تأتون وتذرون فإنه
مجازيكم عليه إنما النجوى أي النجوى بالإثم والعدوان من الشيطان فإنه
المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين آمنوا بتوهمهم أنها في نكبة أصابتهم وليس
الشيطان أو التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا إلا بإذن الله بمشيئته وعلى
الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا
في المجالس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني أي تنح
وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع أو مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب
منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه
من المكان والرزق والصدر وغيرها وإذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة
أو لما أمرتم به كصلوة أو جهاد أو ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرأ نافع و
ابن عامر بضم الشين فيهما يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا
وإيوائهم غرف الجنان في الآخرة والذين أوتوا العلم درجات ويرفع العلماء

منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي
للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره
وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين امنوا
اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار
ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم للرسول وانتفاع للفقراء والنهي عن الافراط
في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا و
اختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان
اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل
بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم
وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في
مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي ذلك التصدق
خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن
قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اي لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة
بلا تصدق ادل على الوجوب أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات
اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه
من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب
الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله
عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان
فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله
في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون

ربالهنا الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم
ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء
الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا
التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروي
انه عليه الصلوة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل
قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق
فقال عليه الصلوة والسلام علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء
باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم
ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اي التي
حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية دون دمائهم
واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم عن دين الله بالتحريش
والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول
عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له اي لله على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا انهم لمنكم
ويحسبون انهم على شيء من نفعهم الكاذب لان تمكن النفاق في نفوسهم بحيث
يخيل اليهم في الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه
عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون
مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى
عليهم من حذت الابل وحزتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل
فانساهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده

واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد
وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين
في جملة من هو اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة
وقرا نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب
عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله و
رسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم
ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب
الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان اثبته
فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب
يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم بروح منه اي من عند الله
وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه
سبب لحيوة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله
عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله
جنده وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه عليه الصلوة
والسلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم
بدر قالوا انه النبي المنعوت في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد
ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا
سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة اخا كعب من الرضاعة

فقتله

فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا اكثرهم الى
الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل
شيء قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر
اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او في اول حشرهم
للقتال او الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر اليه
او في اول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة
فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج
جمع من مكان الى آخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم
حصونهم من الله اي ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر
واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في
انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم
الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اي
فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا
لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي يرعبها
يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من
آلاتها وايدي المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا
لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن
نقضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو
يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك
الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم ولا
تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث

انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية
له على ما قررناه في الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم
لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار
استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك بانهم
شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب اشارة الى ما ذكر
مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة
اي شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها
النخلة الكريمة وجمعها ليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة
قائمة على اصولها وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو وعلى اصوله فباذن
الله فبامره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي وفعلتم او واذن لكم في القطع
ليجزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي انه عليه الصلوة والسلام لما امر بقطع
نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل
وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم الكفار وقطع اشجارهم زيادة
لغيظهم وما افاء الله على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه
فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم
ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير او من الكفرة
فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من
خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك
ان كان المراد فيء بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها
رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال
ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله

اشارة الى ان اللينة والنخلة اسمان بمعنى واحد قال ابو حيان قاله الحسن ومجاهد وابن زيد وعمرو بن ميمون. محقق

خلاف ما في الكشاف

ديارهم

عادة بمعنى صيره

وهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث ابن الصمة. شق

على من يشاء بقذف الرعب في قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة
بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان
للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله
في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف
الآن سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح
المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه الصلوة والسلام كان
يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور
كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة
ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا
يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم ودولة بالرفع على كان التامة
اي كيلا يقع دولة جاهلية وما اتاكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او من الامر
فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه
منه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفة الرسول ان الله شديد
العقاب لمن خالفه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه
فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خصص الابدال بما بعده
او الفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم
واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب
تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون
الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين
والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا

صرفه الى الامام او الى اهل العساكر والثغور او الى مصالح المسلمين
وقراءة هشام في رواية بالتاء

وقراءة هشام

عطف على الصفة

التبوء جايكا كرفتن وجاى كردن

دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوؤا الدار

الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماءا باردا وقيل سمي المدينة بالايمان
لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين
تبوؤا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون
في صدورهم في انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد
والغيظ مما اوتوا مما اعطي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم و
يقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امراتان نزل عن واحدة
وزوجها من احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه
ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل والذين جاؤا
من بعدهم هم الذين هاجروا بعد حين قوي الاسلام او التابعون باحسان
وهم المؤمنون بعد الفريقين الى القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع
المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اي لاخواننا
في الدين ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف
رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين
كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر والصداقة والموالاة
لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم او خذلانكم احدا ابدا
اي من رسول الله والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون
لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا
ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم
وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير
ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين

او غلبهم او ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد
رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول في صدورهم فانهم
كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان
رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله
حتى يخشوه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود
والمنافقون جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء
جدر لفرط رهبتهم بأسهم بينهم شديد اي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد
بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب في قلوبهم وان الشجاع يجبن
والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى
متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه
صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود
كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية
قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم
سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في الآخرة كمثل الشيطان اي مثل
المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه
على الكفر اغراء الآمر المأمور فلما كفر قال اني بريء منك تبرأ عنه مخافة ان يشاركه
في العذاب ولا ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما
انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد من الانسان الجنس وقيل
ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الآية
وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما وخالدان على انه الخبر
وفي النار لغو يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيامة

سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال
الأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة فكأنه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا
الله تكرير للتأكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك
المحارم لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا
كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا
ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيامة من الهول ما انساهم انفسهم
اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا
النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون
بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية
الله تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد
توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع
التشقق وقرئ مصدعا على الادغام هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة
ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها
وتقدم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود
او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البليغ
في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة
من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ
بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل
من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر حالهم

يعني اصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله
عما يشركون اذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى
حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها
كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابي المسمى بمنتهى
المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما في السموات والارض
لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة
الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة
فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول
الله يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد
وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب الى
اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم جحدت
فسل علي السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ
نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمي اهلي فاردت
ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة
او اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا

او صفة لاولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط
في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين
يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه ان
تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم
الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا في
سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف
دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استيناف معناه اي
طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم
اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله
منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطاه ان يثقفوكم يظفروا بكم
يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء
بما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ
الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادهم حاصلة وان يثقفوكم
لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة
يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون
اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرا حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد
وفتح الفاء وقرا ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم وعاصم
يفصل والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة
اسم لما يؤتسى به في ابراهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال
من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان
انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي

وعاصم يفصل

او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبالهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا
حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابراهيم لابيه
لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس
مما ينبغي ان تأتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من
الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين
بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا ما فرط
ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب
الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التاسي بابراهيم ولذلك
صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم فانه يدل على انه
لا ينبغي لمؤمن ان يترك التاسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله
ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل
بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين
وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على
ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم
لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهيكم عن
مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط
اي العدل ان الله يحب المقسطين العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت
مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول
فنزلت انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على

أرحامكم كمشركي مكة فإن بعضهم سعوا في إخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرجين
أن تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون لوضعهم
الولاية في غير موضعها يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الإيمان
الله أعلم بإيمانهن فإنه المطلع على ما في قلوبهن فإن علمتموهن مؤمنات العلم
الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات وإنما سماه
علما إيذانا بأنه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن إلى الكفار أي إلى أزواجهن
الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة
أو الأول لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستئناف وآتوهم ما أنفقوا ما دفعوا
إليهن من المهور وذلك لأن صلح الحديبية جرى على أن من جاءنا منكم رددناه فلما
تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن إذ روي أنه عليه
الصلاة والسلام كان بعد بالحديبية إذ جاءته سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة
فأقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح
عليكم أن تنكحوهن فإن الإسلام حال بينهن وبين أزواجهن الكفار إذا آتيتموهن
أجورهن شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذانا بأن ما أعطي أزواجهن لا يقوم مقام
المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما تعتصم به الكافرات من عقد ونسب جمع عصمة
والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسّكوا بالتشديد
واسألوا ما أنفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما أنفقوا من مهور
أزواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم استئناف أو حال
من الحكم على حذف الضمير أو جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع

ما تقتضيه حكمته

ما تقتضيه حكمته وإن فاتكم وإن سبقكم وانفلت منكم شيء من أزواجكم أحد من أزواجكم
وقد قرئ به وإيقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم أو شيء من مهورهن
فعاقبتم فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر شبه الحكم بأداء هؤلاء مهور نساء
أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب
في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من مهر المهاجرة
ولا تؤتوه زوجها الكافر روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة أبى المشركون أن
يؤدوا مهور الكوافر فنزلت وقيل معناه إن فاتكم فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة
فآتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون فإن الإيمان
به يقتضي التقوى منه يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن
بالله شيئا نزلت يوم الفتح فإنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال
أخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن يريد وأد البنات
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة
تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا
به تنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن إذا بايعنك
بضمان الثواب على الوفاء بهذه الأشياء واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم
يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار أو اليهود إذ
روي أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا
من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها أو لعلمهم بأنه لا حظ لهم فيها لعنادهم
الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من أصحاب القبور
أي يبعثوا أو يثابوا أو ينالهم خير منهم وعلى الأول وضع الظاهر فيه موضع الضمير
للدلالة على أن الكفر آيسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له

المؤمنين والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى
الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر حذف
الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم
عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على
التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم
مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين
مصدر وصف به كانهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من
المستكن في الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه
واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او وكان كذا اذ قال يا قوم لم تؤذونني بالعصيان و
الرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة
حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق
العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب
والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة
واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب
له فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي
من بعدي اسمه في حال تصديقي من التورية وتبشيري برسول ياتي من بعدي
والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول

فلا يعمل اسمه احمد يعني محمدا صلوات الله عليه والمعنى ديني التصديق بكتب الله
وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم النبيون والنبي الذي هو خاتم
المرسلين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه
وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة
الى عيسى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد
اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع
اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي
ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي
القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا
واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا لها كما في لا اباك او يريدون الافتراء ليطفئوا
نور الله بافواههم يعني دينه او كتابه او حجته بطعنهم فيه والله متم نوره
مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو
كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين
الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان ولو كره
المشركون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل
ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله
ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف مبين للتجارة
وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به الامر
وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم يعني ما ذكر من الايمان و
الجهاد خير لكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله
يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه
الكلام

الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله
جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من
المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى
عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل وقيل قوله النصب خبر
محذوف اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وفتح
على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه
بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على
محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه
قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما آجلا و
عاجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين
واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري
الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن
انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص
والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم
كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون من الحور وهو البياض حين قال
لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا
اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة اي بعيسى فايدنا
الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى فاصبحوا ظاهرين
فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا
عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه سورة الجمعة

مدنية وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات
الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون
ولا يقرؤون رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم
لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه
معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية
وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم
ذلك من معلم وان هي المخففة واللام يدل عليها وآخرين منهم عطف على الاميين او
المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته
وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه
من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه والله ذو الفضل العظيم
الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التوراة علموها وكلفوا
العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم
يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس
المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي مثل الذين كذبوا
وهم المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون الذين
صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها
الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون
نحن ابناء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية
الى محل الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب

بما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت
الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتوخذوا باعمالكم فانه
ملاقيكم لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لا تفوتونه
لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا
نودي للصلوة اذا اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس
فيه للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع
الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة
نزل قبا فاقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف
فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر
الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا
المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة
خير وابقى ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت
الصلوة اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما
حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل
الله ليس بطلب الدنيا وانما هي عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ في الله
واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم
تفلحون بخير الدارين واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه عليه الصلوة
والسلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثني
عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل
الذي كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع

الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع
بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا رأوا
تجارة انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من
اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله خير
الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم
يأتها في امصار المسلمين سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون

قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع
ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب او شهادتهم
هذه فانها تجري مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل
والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم
وصدهم ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى
الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم آمنوا بسبب انهم
آمنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او آمنوا اذا رأوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم
شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة
الايمان ولا يعرفون صحته واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها وان
يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغي الى
كلامهم كأنهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولونه

شبهوا باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر
وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر
وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او
على انه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم
وهلعهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول هم العدو
وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه
يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم
للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم
تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك
ورأيتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا
يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق
هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن
المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي
رأسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل
على هذه القراءة مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن

المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا
اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات
المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك
قال ومن يفعل ذلك اي اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا
العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للآخرة
من قبل ان يأتي احدكم الموت ان يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتني امهلتني
الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك
وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون منصوبا عطفا
على اصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا
ولم يمهلها اذا جاء اجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرأ ابو بكر
بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثمان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات
وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين
للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة
ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي
خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه
موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات
والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة
ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم
بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير

فاحسنوا اسرارکم حتی لا یمسخ بالعذاب ظواهرکم یعلم ما فی السموات والارض ویعلم
ما تسرون وما تعلنون والله علیم بذات الصدور فلا یخفی علیه ما یصح ان یعلم کلیا
کان او جزئیا لان نسبة المقتضی لعلمه الی الکل واحدة وتقدیم تقریر القدرة
علی العلم لان دلالة المخلوقات علی قدرته اولا وبالذات وعلی علمه بما فیها من الاتقان
والاختصاص ببعض الانحاء الم یأتکم ایها الکفار نبؤا الذین کفروا من قبل کقوم
نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر کفرهم فی الدنیا واصله الثقل و
منه الوبیل لطعام یثقل علی المعدة والوابل للمطر الثقیل القطار ولهم عذاب الیم فی
الاخرة ذلک ای المذکور من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشان کانت تأتیهم
رسلهم بالبینات بالمعجزات فقالوا ابشر یهدوننا انکروا وتعجبوا ان یکون الرسل
بشرا والبشر یطلق للواحد والجمع فکفروا بالرسل وتولوا عن التدبر فی البینات
واستغنی الله عن کل شیء فضلا عن طاعتهم والله غنی عن عبادتهم وغیرها حمید یدل
علی حمده کل مخلوق زعم الذین کفروا ان لن یبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلک یتعدی
الی مفعولین وقد قام مقامهما ان بما فی حیزه قل بلی ای بلی تبعثون وربی لتبعثن
قسم اکد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلک علی الله یسیر
لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد صلی الله علیه
وسلم والنور الذی انزلنا یعنی القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغیره مما
فیه شرحه وبیانه والله بما تعملون خبیر فمجاز علیه یوم یجمعکم ظرف لتنبؤن او مقدر
باذکر وقرأ یعقوب نجمعکم لیوم الجمع لاجل ما فیه من الحساب والجزاء والجمع جمع
الملائکة والثقلین ذلک یوم التغابن یغبن فیه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل
الاشقیاء لو کانوا سعداء وبالعکس مستعار من تغابن التجار واللام فیه للدلالة علی
ان التغابن الحقیقی هو التغابن فی امور الآخرة لعظمها ودوامها ومن یؤمن بالله

ویعمل صالحا ای عملا صالحا یکفر عنه سیئاته ویدخله جنات تجری من تحتها الانهار خالدین
فیها ابدا وقرأ نافع وابن عامر بالنون فیهما ذلک الفوز العظیم الاشارة الی مجموع الامرین
ولذلک جعله الفوز العظیم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذین
کفروا وکذبوا بآیاتنا اولئک اصحاب النار خالدین فیها وبئس المصیر کانها والآیة
المتقدمة بیان للتغابن وتفصیل له ما اصاب من مصیبة الا باذن الله الا بتقدیره
وارادته ومن یؤمن بالله یهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ یهد قلبه
بالرفع علی اقامته مقام الفاعل وبالنصب علی طریقة سفه نفسه ویهدأ بالهمزة ای یسکن
والله بکل شیء علیم حتی القلوب واحوالها واطیعوا الله واطیعوا الرسول فان
تولیتم فانما علی رسولنا البلاغ المبین ای فان تولیتم فلا بأس علیه اذ وظیفته
التبلیغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلی الله فلیتوکل المؤمنون لان ایمانهم بان الکل
منه یقتضی ذلک یا ایها الذین آمنوا ان من ازواجکم واولادکم عدوا لکم یشغلکم
عن طاعة او یخاصمکم فی امر الدین او الدنیا فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا
عن ذنوبهم بترک المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترک التثریب علیها وتغفروا باخفائها
وتمهید معذرتهم فیها فان الله غفور رحیم یعاملکم بمثل ما عملتم ویتفضل علیکم
انما اموالکم واولادکم فتنة اختبار لکم والله عنده اجر عظیم لمن آثر محبة الله
وطاعته علی محبة الاموال والاولاد والسعی لهم فاتقوا الله ما استطعتم ای ابذلوا
فی تقواه جهدکم وطاقتکم واسمعوا مواعظه واطیعوا اوامره وانفقوا فی وجوه
الخیر خالصا لوجهه خیرا لانفسکم ای افعلوا ما هو خیر لها وهو تأکید للحث علی امتثال
هذه الاوامر ویجوز ان یکون صفة مصدر محذوف ای انفاقا خیرا او خبرا لکان
مقدرا جوابا للاوامر ویجوز ان یکون ومن یوق شح نفسه فاولئک هم المفلحون
سبق تفسیره ان تقرضوا الله بصرف المال فیما امره قرضا حسنا مقرونا باخلاص

وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعماية واكثر وقرا ابن كثير وابن
عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل
حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تمام القدرة
والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته
فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على
تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وهو الطهر
فان اللام في الازمان وما يشبهها للتاقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام
بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق
المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان
الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم
الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضي الله عنهما لما طلق امراته حائضا امره النبي
عليه السلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها
ثلثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن
من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو
اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على
استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان ياتين بفاحشة
مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط
حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي و
الدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة

ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي لا تدري النفس او
انت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة
او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف
بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف باتقاء الضرار مثل ان يراجعها
ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن
الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه
في الرجعة واقيموا الشهادة ايها الشهود عند الحاجة لله خالصا لوجهه ذلكم
يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء
عما نهي عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها
من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اتقائه بان يجعل
الله له مخرجا مما في شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه
لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما
من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه الصلوة
والسلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها
وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته
اذ قرع ابنه الباب ومعه ماية من الابل غفل عنها العدو فاستاقها ومن يتوكل
على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد وقرا حفص
بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ امره وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل

قوله
وفي رواية ترجع ومعه غنيمات ومتاع م

الصلوة م

او مقدارا

شيء قدرا تقديرا او اجلا لا يتاتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من
تاقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سياتي من مقاديرها واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن
ثلثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء قيل فما عدة
اللائي لم يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اي واللائي لم يحضن بعد كذلك واولات
الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى
عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض
والحكم معلل ها هنا بخلاف ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة
زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجي
ولانه متاخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول
راجح للوفاق عليه ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا
يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم
ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن
السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم
من وجدكم من وسعكم اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم
ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان كن اولات
حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص
استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم
بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف
وليامر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع

له اخرى امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله اي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه
لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب
لقلب المعسر ولذلك وعد له اليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا
وكاين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض
العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا
نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت
وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا
اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المامور بها في قوله
فاتقوا الله يا اولي الالباب وقيل يجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم
واثباتها في صحايف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد انزل الله
اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر الرسول جبرئيل لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو
القرآن او لانه مذكور في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمدا عليه الصلوة والسلام
لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب
عن انزال الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب
بمقدر مثل ارسل او ذكرا والرسول مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة يتلو
عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين ليخرج
الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان
والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة
الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا ندخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجيب

وتعظم لما ذخر لهم من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض
مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر
يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق او يتنزل او مضمر
يعمها فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة
التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عليه الصلوة والسلام خلا بمارية في
يوم عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت
وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم
منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم او
حال من فاعله او استيناف ببيان الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه
لا يجوز تحريم ما احله الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء
فيها بالمشية حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من راى
التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين
فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه الصلوة والسلام اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم
متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر
النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده
لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما نبأت به اي فلما اخبرت حفصة عائشة
بالحديث واظهره الله عليه واطلع النبي عليه الصلوة والسلام على الحديث

اي افشائه به عرّف بعضه عرّف الرسول صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ما فعلت
واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعضه بتطليقه
اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا
غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب للسبب والمخفف بالعكس ويؤيد
الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير فانه اوفق
للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في
المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما
عن الواجب من مخالصة الرسول صلى الله عليه وسلم بحب ما يحبه وكراهة
ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف
فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله و
الملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن
صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص
جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عمم بالاضافة وقوله بعد ذلك
تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم
يطلق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو يبدله
بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات
مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات متعبدات
او متذللات لامر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي
الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف
بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار

يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات وأهليكم بالنصح والتأديب
وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين نارا
وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي أمرها وهم
الزبانية غلاظ شداد غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء
على الأفعال الشديدة لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل
أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا أيها الذين كفروا
لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون أي يقال لهم ذلك عند دخولهم والنهي
عن الاعتذار لأنه لا عذر لهم أو العذر لا ينفعهم يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة
نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة وصفت
على الإسناد المجازي مبالغة أو في النصاحة وهي الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب
وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور أو النصاحة كالثبات
والثبوت تقديره ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا نصوحا لأنفسكم وسئل علي
رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة و
للفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تربي
نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الأنهار ذكر بصيغة الإطماع جريا على عادة الملوك وإشعارا بأنه
تفضل والتوبة غير موجب وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي
الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي عليه الصلوة والسلام إحمادا
لهم وتعريضا لمن ناواهم نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم أي على الصراط يقولون إذا
طفئ نور المنافقين ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير وقيل تتفاوت
أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلا يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف

والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم به إذا بلغ الرفق
مداه ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم أو مأواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح و
امرأة لوط مثل الله حالهم في أنهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
يريد به تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن
النبيان عنهما بحق الزواج إغناء ما وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار
مع الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء وضرب الله مثلا للذين
آمنوا امرأة فرعون شبه حالهم في أن وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية و
منزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله إذ قالت ظرف للمثل المحذوف
رب ابن لي عندك بيتا قريبا من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين بيتا في الجنة ونجني
من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط
التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل
التي أحصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها أي في مريم أو
الجملة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط أصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه
المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه وكتابه وما كتب في اللوح أو جنس الكتب المنزلة
ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه أي بعيسى عليه السلام
والإنجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب و
الإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم أو
من نسلهم فتكون من ابتدائية عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم
يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر

الطعام وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا
سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب
القبر وآيها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها وهو على
كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد
الحيوة وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى
الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر ايها المكلفون ايكم احسن عملا
اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسنكم عقلا واورعكم عن محارم الله واسرعكم في طاعته
جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا
من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف
ما اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء
العمل الغفور الغالب الذي لا يعجزه بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل
اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق
كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد والاختلاف
وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر والجملة
صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه
يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة
والخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر
هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب اي قد نظرت اليها مرة اخرى
متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها و

بالتكليف

قيل التفوت الاعوجاج والتفاوت الاختلاف

والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين
اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك
اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد
عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد
زينا السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة
السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزا في سموات فوقها وجعلناها
رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب
المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون
والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب
السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم من
الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم
وعذاب على عذاب السعير وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا
كصوت الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ
تتفرق غيظا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية
كلما القي فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم هذا
العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله
من شيء ان انتم الا في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى
نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى
الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او
الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب
الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم و

وضلالنا عم ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على إرادة القول فيكون الضلال
ما كانوا عليه في الدنيا أو عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله
جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات أو نعقل فنتفكر في
حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في أصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم
فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف إقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لأنه
في الأصل مصدر أو المراد به الكفر فسحقا لأصحاب السعير فأسحقهم الله سحقا أي أبعدهم
من رحمته والتغليب للإيجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل إن الذين
يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد أو غائبين عنه
أو عن أعين الناس أو بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير تصغر
دونه عائبا عنهم لذائذ الدنيا وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور بالضمائر
قبل أن يعبر عنها سرا وجهرا ألا يعلم من خلق ألا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء
حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه
وما بطن أو ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي
أن يكون ليعلم مفعول ليفيد روي أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء
فيخبر الله به رسوله فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فنبه الله على جهلهم
هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في
في جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فإن منكب البعير ينبو عن أن يطأه
الراكب ولا يتذلل له فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يمشى في مناكبها لم يبق
شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله وإليه النشور المرجع فيسألكم
عن شكر ما أنعم عليكم أأمنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم
أو الله تعالى على تأويل من في السماء أمره وقضاؤه أو على زعم العرب فإنهم زعموا أنه

تعالى في السماء وعن ابن كثير وأمنتم بقلب الهمزة الأولى واوا لانضمام ما قبلها
وآمنتم بقلب الثانية ألفا وهو قراءة نافع برواية ورش ورويس أن يخسف
بكم الأرض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فإذا
هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب أم أمنتم من في السماء
أن يرسل عليكم حاصبا أن يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف إنذاري
إذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف
كان نكير إنكاري عليهم بإنزال العذاب وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
وتهديد لقومه أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات باسطات أجنحتهن في الجو
على خلاف عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها
إذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك
عدل به إلى صيغة الفعل للتفرقة بين الأصيل في الطيران والطارئ عليه
ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع إلا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بأن خلقهن
على أشكال وخصائص هيأتهن للجري في الهواء إنه بكل شيء بصير يعلم كيف
يخلق الغرائب ويدبر العجائب أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون
الرحمن عديل لقوله أولم يروا على معنى ألم ينظروا في أمثال هذه الصنائع فلم
يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وإرسال حاصب أم لكم آلهة تمنعكم من
دوننا إلا أنه أخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم إشعارا بأنهم اعتقدوا
هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف
لجند محمول على لفظه إن الكافرون إلا في غرور لا معتمد لهم أمن هذا الذي
يرزقكم أم من يشار إليه ويقال هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بإمساك
المطر وسائر الأسباب المحصلة والموصلة له إليكم بل لجوا تمادوا في عتو ونفور

في عنادهم

شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى يقال كببته فأكب
وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فأقشع والتحقيق أنهما من باب انفعل بمعنى
صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع و
معنى مكبا أنه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة سالما من العثار على صراط
مستقيم مستوي الأجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين
بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للإشعار بأن ما عليه
المشرك لا يستأهل أن يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل
المراد بالمكب الأعمى فإنه يعتسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا
هو الذي يحشر على وجهه إلى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه
إلى الجنة قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والأبصار
لتنظروا صنائعه والأفئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت
لأجلها قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون للجزاء ويقولون متى
هذا الوعد أي الحشر أو ما وعدوا من الخسف والحاصب إن كنتم صادقين
يعنون النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل إنما أنا نذير مبين والإنذار يكفي فيه العلم
بل الظن لوقوع المحذر منه فلما رأوه أي الوعد فإنه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة
أي قرب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بأن علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب
وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء
أو منه بمعنى تدعون أن لا بعث فهو من الدعوى قل أرأيتم إن أهلكني الله أماتني ومن
معي من المؤمنين أو رحمنا بتأخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم أي لا
ينجيهم أحد من العذاب متنا أو بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون
قل هو الرحمن الذي أدعوكم إليه مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا

بالوثوق عليه والعلم بأن غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والإشعار
به فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرأ الكسائي بالياء قل أرأيتم إن
أصبح ماؤكم غورا غائرا في الأرض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن
يأتيكم بماء معين جار أو ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الملك فكأنما أحيى ليلة القدر سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون
بسم الله الرحمن الرحيم ن وهو الذي عليه
الأرض أو الدواة فإن بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشد سوادا من النقس
يكتب به ويؤيد الأول تكريره وكتبته بصورة الحرف والقلم هو الذي خط
اللوح أو الذي يخط به أقسم به لكثرة فوائده وأخفى ابن عامر والكسائي و
يعقوب النون إجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فإن النون الساكنة تخفى
مع حروف الفم إذا اتصلت بها وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئت
بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الأول
على التعظيم وبالمعنى الثاني على إرادة الجنس وإسناد الفعل إلى الآلة وإجراؤه
مجرى أولي العلم لإقامته مقامه أو لأصحابه أو للحفظة وما مصدرية أو موصولة
ما أنت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما أنت بمجنون منعما عليك
بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون لأن
الباء لا تمنع عمله فيما قبله لأنها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وإن لك لأجرا
على الاحتمال أو الإبلاغ غير ممنون مقطوع أو ممنون به عليك من الناس
فإنه تعالى يعطيك بلا توسط وإنك لعلى خلق عظيم إذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله
أمثالك وسئلت عائشة عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ قد
أفلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون أيكم الذي فتن بالجنون و

الباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين
منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا
الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين
الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم
ودوا لو تدهن لو تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا
فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اي ودوا التداهن
او للسببية اي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية
اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون
طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني ولا تطع كل
حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الراي من المهانة وهي الحقارة
هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس
عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير
الاثم عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد
من مثالبه زنيم دعي ماخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من اذنها
وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه بعد ثماني عشرة من مولده ابوه وقيل
الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين
اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اي قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا
بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل
فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع يعني ولا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرا ابن عامر
وحمزة ويعقوب وابو بكر أأن كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية
بين بين اي الان كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان

بالكسر على ان شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الاولاد
او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغني فكانه شرطه في
الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة
يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه
ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما الانف شين ظاهر او نسود وجهه
يوم القيامة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا
كان دون صنعاء لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم
ما اخطاه المنجل او القته الريح او بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة
فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا
الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا
ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون ولا يقولون
ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور
والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان
يشاء الله وانما سماه استثناء واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان
يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف من ربك بلاء طائف وهم نائمون
فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء
فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها
من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا
مصبحين ان اغدوا على حرثكم اي اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية
الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى
الاستيلاء ان كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما

بينهم وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود والخفاش ان لا يدخلنها اليوم
عليكم مسكين أن مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول
المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك هاهنا وغدوا على حرد قادرين
وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا
منعت درها والمعنى انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون
فيها الا على النكد او غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع
وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا فيها الا على حنق بعضهم لبعض
كقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة
المغلة اي غدوا الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة
فلما رأوها اول ما رأوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل اي بعدما
تأملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم
رأيا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم
وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين
او لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان
يجري في ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم
من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا
انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة و
الاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف
انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها
معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة
العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا

عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اي في الآخرة او في جوار القدس جنات
النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول
الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون
احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجيب من حكمهم
واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأي ام لكم كتاب من السماء
فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله
ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس
او استئنافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة
بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها
احد الظرفين الى يوم القيامة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم
القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان
تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان ام اقسمنا
لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم
شركاء يشاركونهم في هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم
اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا
به من عقل او نقل يدل عليه الاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها
على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل
المؤمنين في الآخرة كأنه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون مما يشركون
الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق
مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب
ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف

عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر او ساق الانسان و
تنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال
ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيامة او يدعون
الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال
القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى
السجود في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحو العلل فيه
فذرني ومن يكذب بهذا الحديث كله الي فاني اكفيكه سنستدرجهم سنستدنيهم من العذاب
درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه
استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضلا لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم
ان كيدي متين لا يدفع بشيء وانما سمي انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته ام تسألهم
اجرا على الارشاد فهم من مغرم مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب
اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم
ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس اذ نادى في
بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا في الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة
من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته اي
تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض
الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها
الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه او استنباه ان صح
انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان
عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والاية نزلت حين هم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان

يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها
والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلقون قدمك ويرمونك
من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون
يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم على ان يعين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر
والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من ز
لقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي ليهلكونك لما سمعوا الذكر اي
القرآن اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة في
امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام
لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة
اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور اي تعرف حقيقتها
او تقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي مبتدا
خبرها ما الحاقة واصله ما هي اي اي شيء هي على التعظيم لشانها والتهويل لها
فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي
اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتدا وادريك
خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار
والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم
بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق

قوله وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر أي شديدة الصوت أو البرد من الصر أو الصر
عاتية شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها أو على عاد
فلم يقدروا ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف أو صفة جيء به لنفي
ما يتوهم من أنها كانت من اتصالات فلكية إذ لو كانت لكان هو المقدر لها و
المسبب سبع ليال وثمانية أيام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة
إذا تابعت بين كيها أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات
قطعت دابرهم ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا أو
المصدر لفعله المقدر حالا أي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت
أيام العجوز من صبيحة أربعاء إلى غروب الأربعاء الآخر وإنما سميت عجوزا لأنها
عجز الشتاء أو لأن عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فأهلكتها
فترى القوم إن كنت حاضرهم فيها في مهابها أو الليالي أو الأيام صرعى
موتى جمع صريع كأنهم أعجاز نخل أصول نخل خاوية متآكلة الأجواف فهل ترى
لهم من باقية من بقية أو نفس باقية أو بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه
وقرأ البصريان والكسائي ومن قبله أي ومن عنده من أتباعه ويدل عليه أنه
قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد أهلها بالخاطئة بالخطأ
أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ فعصوا رسول ربهم أي فعصى كل أمة رسولها
فأخذهم أخذة رابية زائدة في الشدة زيادة أعمالهم في القبح إنا لما طغى الماء
جاوز حده المعتاد أو طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله
حملناكم أي آباءكم وأنتم في أصلابهم في الجارية في سفينة نوح لنجعلها لكم لنجعل
الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة
الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون

العين تشبيها بالكتف والوعي أن تحفظ الشيء في نفسك والإيعاء أن تحفظه في غيرك
أذن واعية من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظها بتذكره وإشاعته مع قلته تسبب
لإنجاء الجم الغفير وإدامة نسلهم وقرأ نافع أذن بالتخفيف فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة
لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على إمكانها عاد إلى
شرحها وإنما حسن إسناد الفعل إلى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة
بالنصب على إسناد الفعل إلى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الأولى التي عندها
خراب العالم وحملت الأرض والجبال رفعت من أماكنها بمجرد القدرة الكاملة أو
بتوسط زلزلة أو ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة
واحدة فيصير الكل هباء أو فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لا عوج فيها ولا أمتا
لأن الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وأرض دكاء للمتسعة
المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وانشقت السماء لنزول
الملائكة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف
بالملك على أرجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان
وانضواء أهلها إلى أطرافها وحواليها وإن كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة أثر
ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء أو فوق الثمانية
لأنها في نية التقديم يومئذ ثمانية أملاك لما روي مرفوعا أنهم اليوم أربعة فإذا كان
يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم
إلا الله ولعله أيضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم
على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض
السلطان العسكر ليعرف أحوالهم وهذا وإن كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان
اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وإدخال

اهل الجنة الجنة و النار النار صح جملة طرفا الكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله
حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد افشاء الحال والمبالغة في العدل او
على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي
كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات
اجودها هاء يا رجل وهاء يا امراة وهاؤما يا رجلان او امراتان وهاؤم يا رجال
وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين
ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء
فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل
اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر به بالظن اشعارا بانه لا يقدح
في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية
غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها
مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية
مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف
وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية ينالها القاعد كلوا و
اشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما
اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا و
اما من اوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتني لم
اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية
القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي
قضيت علي كانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حيوة الدنيا
كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والتبع وما نفي

والمفعول محذوف او استفهام انكار ومفعول اغنى هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي
على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه يقوله الله لخزنة النار فغلوه
ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم
في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على
جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة
على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة انه
كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار
بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا
يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا عن ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر
الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على
تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله
واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام
الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون
اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطاء المضاد للصواب
وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر
واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم
مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول
الخالق والمخلوقات باسرها انه ان القران لقول رسول يبلغه عن الله فان
الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبريل عليهما الصلوة والسلام
وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه
تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما تذكرون

تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي
الكاهنية لان عدم مشابهة القران للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته
للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاني القران
المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل
هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا بعض الاقاويل
سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا
بها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين
بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو
تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو
ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين
بمعنى القوة فما منكم من احد عنه حاجزين دافعين وصف لاحد فانه
عام والخطاب للناس وانه وان القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون
به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين
اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه
فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا
بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا سورة المعارج مكية وآيها
اربع واربعون بسم الله الرحمن الرحيم
سال سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي
الفعل بالباء والسائل نضر بن الحرث فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء
سال له استهزاء او الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل بعذابهم وقرا نافع

ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية او ابو جهل فانه قال

قاله الربيع بن انس ع

وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول
الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده
انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال
واد بعذاب والمضي الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او
في الاخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع
وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على
هذا لتضمين سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته
لتعلق ارادته به ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد
فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او
في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها
تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل
والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين
الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه
ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم واعلى العرش
مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء
الدنيا على ما قيل مسيرة خمسماية عام وثخن كل واحد من السموات
السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف
سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل
في يوم متعلق بواقع او سال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة

واستطالة اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على
الحقيقة كذلك والروح جبريل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا
جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان
عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسأل
لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير
للعذاب او ليوم القيامة بعيدا من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم
تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او
بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي الزيت
وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان
فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته
الريح ولا يسأل حميم حميما ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يُسأل
على بناء المفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه حاله يبصرونهم استيناف
او حال تدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه
من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم
لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او
استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب
الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين
عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته الذين فصل
عنهم التي تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين
او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد
كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار

او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدأ خبره نزاعة للشوى وهو
اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرئ نزاعة بالنصب
على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى
الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تدعو من ادبر وتولى كقول ذي
الرمة تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فرعنها وقيل تدعو
زبانيتها وقيل تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى
عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا
ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر جزوعا
يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ في الامساك والاوصاف الثلاثة
احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف
لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات لها
من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان
بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة
من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلاتهم دائمون لا
يشغلهم عنها شاغل والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان
في اموالهم حق معلوم كالزكوات والصدقات الموظفة للسائل الذي يسأل
والمحروم الذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا
باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر
الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير
مأمون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن من عذاب الله وان بالغ في طاعته
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين

وقرأ حفص عن عاصم

المذكورة بعد من المطبقين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات

فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون سبق في سورة المؤمنين والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم والذين هم بشهاداتهم قائمون لا يخفون
ولا ينكرون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم
لاختلاف الانواع والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون
فرائضها وسننها وتكريره ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة
على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات مبالغات لا تخفى اولئك في
جنات مكرمون بثواب الله فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين
وعن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكأن
كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون
حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه أيطمع كل
امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله
لنكون فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم
مما يعلمون تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس
فمن لم يتكمل بالايمان والطاعة ومن لم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها
او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها
لم يتبوأ في منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية
التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب
المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم ان نهلكهم ونأتي بخلق
امثل منهم او نعطي محمدا صلى الله عليه وسلم بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار
وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون وقرئ يلقوا يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع

ولا يخفون م

اعتزى اليه انتمى نسبت كرديد

سريع كأنهم الى نصب منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر و
حفص نُصُب بالضم على انه تخفيف نَصْب او جمع خاشعة ابصارهم ترهقهم
ذلة يغشيهم ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وآيها تسع او ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر
بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال
معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم
عذاب الآخرة او الطوفان قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون
مر في الشعراء نظيره وفي ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم
وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الآخرة ويؤخركم الى اجل
مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله الذي قدره
اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا
في اوقات الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم
ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحيوة كأنهم شاكون في الموت قال رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد
الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم الى الايمان
لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة
واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة
دعوتي لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على
الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها

واصروا واستكبروا اي انباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم
واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه
امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من
الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعي الدعاء
او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا
فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما امرهم
بالعبادة قالوا ان كنا على الحق فلا نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا ويلطف
بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم
عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس
الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار
عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل
لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء
تحتمل المظلة والسحاب والمطر والمدرار كثير الدرور يستوي في هذا البناء
المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون
له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال تاملون فيها تعظيمه اياكم ولله
بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه
وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال
مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء بان خلقهم اطوارا اي تارات
اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا
ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم
تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك

ما يوجد من آيات الآفاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل
القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن
من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض
كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشاكم منها فاستعير الانبات
للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم
نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا
بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء و
انها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها
سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم
عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم
البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في
الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموالهم واولادهم وادت
بهم الى الخسار وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم و
السكون على انه لغة كالحزن والحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده
والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو
من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن
آلهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء
خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا
تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع
لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع ودا بالضم وقرئ
يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير

للرؤساء او للاصنام لقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على
رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا امر
دينهم او الضياع والهلاك لقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل
خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان
فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما
بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد
شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا
لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا تقدر على
نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو مما
يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما
فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف
شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخاء بنت انوش
وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات
الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها
ووحي على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلاثة والعشرة
والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح
المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه الصلوة

والسلام ما رآهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها
فاخبر الله به رسوله فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن
نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب
فآمنا به بالقرآن ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد
وانه تعالى جد ربنا قراه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول
وكذا ما بعده الا قوله ان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من الموحى
به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام على انه استئناف او مقول وفتح الباقون
الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في
به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان في عيني
اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه
بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ
صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم
سمعوا من القرآن ما نبههم على خطا ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد
وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا وهو البعد ومجاوزة
الحد او هو شطط لفرط ما اشتط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى وانا
ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم
ان احدا لا يكذب على الله وكذبا فيه ومن قرا لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان
التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان
الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم
فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان
اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الجن او الانس

وان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والايتان من كلام الجن بعضهم لبعض او
استيناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد
مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب
كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا
حرسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب
وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن
الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد
فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع
بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات
وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا
وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون
كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او
كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا
علمنا ان لن نعجز الله في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه كائنين في الارض اينما
كنا فيها او لن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا
ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القران امنا به فمن يؤمن بربه فلا
يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها
به بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس لانه لم يبخس حقا
ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقران ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون الجائرون عن الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا
رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا

توقد

توقد بهم كما توقد بكفار الانس على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو
الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب
دني يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف
يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا
باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم
في الفتنة ونعذبهم في كفرانهم ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او
موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه
مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا
فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء
وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه
وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على
ان المراد النهي عن السجود لغير الله واراب السبعة او السجدات على انه جمع
مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي وانما ذكر بلفظ العبد للتواضع فانه
واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه
يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه
تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون
عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض
كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا
كسجد جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا
فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرأ عاصم و

وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا
او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا
بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان ارادني بسوء ولن اجد من دونه
ملتحدا منحرفا او ملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد
وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه
ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله
صفته لا صلته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله
ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على
فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا رأوا ما يوعدون في الدنيا
كوقعة بدر او في الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني
او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار وعصيانهم له فسيعلمون
من اضعف ناصرا واقل عددا هو ام هم قل ان ادري ما ادري اقريب
ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون
حتى اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة
ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على
غيبه احدا اي على الغيب المخصوص علمه الا من ارتضى لعلم بعضه
حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات
وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات
الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة
بتوسط الانبياء والاظهار بما يكون بغير فانه يسلك من بين يديه من بين
يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف

الشياطين

الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه ان
قد ابلغ جبرئيل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان قد ابلغ الانبياء بمعنى
ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط
بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق وكذب به
عتق رقبة

سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل
اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ
به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه
سمي به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا
مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه
صلى الله عليه وسلم كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة فنزل
او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل
الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلوة
او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص
منه قليلا او زد عليه الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة
الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه
كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه وعليه للاقل من النصف كالثلث
فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف
والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل
والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف

محمدا صلى الله عليه وسلم

الارتعاد الاضطراب

وعلى هذه الرواية تكون السورة مدنية فان تزوج عائشة كان بالمدينة كذا في البحر قال الطيبي النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بعائشة الا بالمدينة

والضمير في منه

والناقص عنه والزائد عليه ورتل القرآن ترتيلا اي اقرأه على تؤدة وتبيين
حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل اذا كان مفلجا انا
سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل
على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها
ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه
مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة
معناه او ثقيل على المتامل فيه او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول
عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه
وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على
هذه الاوجه للتعليل مستانف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج
ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة
من نشأ من مكانه اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيهن السرى
والصق منها مثل مائن القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او
العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة
بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت هي اشد وطأ اي
كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء اي مواطأة القلب اللسان
لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا
او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا
تقلبا في مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي
فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو
نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله

ليتناول

ليتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم
وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ولمراعاة
الفواصل وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدأ خبره
لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل
فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل
اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان
تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله كما قال وذرني والمكذبين دعني
واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب
التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا
تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في
الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا
يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح
والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها
والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة
غصة الهجران معذبة بالحرمان عن التجلي بانوار القدس فسر العذاب بالحرمان
عن لقاء الله يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في
لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى
مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر
انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة
والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى ولم يعينه لان المقصود
لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا

ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون
أنفسكم إن كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة
هوله وهذا على الفرض أو التمثيل وأصله أن الهموم تضعف القوى و
تسرع بالشيب ويجوز أن يكون وصف اليوم بالطول السماء منفطر منشق و
التذكير على تأويل السقف أو إضمار شيء به بشدة ذلك اليوم على عظمها و
إحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل
أو لليوم على إضافة المصدر إلى المفعول إن هذه أي الآيات الموعدة
تذكرة عظة فمن شاء أن يتعظ اتخذ إلى ربه سبيلا أي يتقرب الموعدة
إليه بسلوك التقوى إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه
وثلثه استعار الأدنى للأقل لأن الأقرب إلى الشيء أقل بعدا منه وقرأ ابن
كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على أدنى وطائفة من الذين
معك ويقوم ذلك جماعة من أصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم
مقادير ساعاتهما كما هي إلا الله فإن تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر
بالاختصاص ويؤيده قوله علم أن لن تحصوه أي لن تحصوا تقدير الأوقات
ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام
المقدر ورفع التبعة فيه فاقرءوا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم
من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان
التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ
هذا بالصلوات الخمس أو فاقرءوا القرآن بعينه كيف ما تيسر عليكم علم
أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من
فضل الله والضرب في الأرض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل

العلم

العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية
للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال فاقرءوا ما تيسر
منه وأقيموا الصلوة المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة وأقرضوا الله قرضا
حسنا يريد به الأمر بسائر الانفاقات في سبيل الخير أو بأداء الزكوة على
أحسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا
لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا من الذي تؤخرونه
إلى الوصية عند الموت أو من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو
تأكيد أو فصل لأن أفعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف
وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في مجامع أحوالكم
فإن الإنسان لا يخلو من تفريط إن الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر
أي المتدثر وهو لابس الدثار روي أنه عليه الصلوة والسلام قال كنت
بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر شيئا فنظرت فوقي فإذا هو
على عرش بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة
فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر ولذلك قيل هي أول سورة نزلت
وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا أو كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد
بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية أو المختفي فإنه كان بحراء كالمختفي
فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر أي الذي دثر هذا الأمر وعصب به
قم من مضجعك أو قم قيام عزم وجد فأنذر مطلق للتعميم أو مقدر بمفعول

ولعله قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا (وربك فكبر) وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا
روي انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحي وذلك
لان الشيطان لا يامر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط
وكانه قال وما يكن فكبر ربك او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر
بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع
واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به (وثيابك
فطهر) من النجاسات فان التطهير واجب في الصلوة محبوب في غيرها
وذلك بغسلها وبحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها
وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك من
الاخلاق الذميمة فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال
القوة النظرية والدعاء عليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد
والضجر وقلة الصبر (والرجز فاهجر) واهجر العذاب بالثبات على هجر
ما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرا يعقوب وحفص
والرجز بالضم وهو لغة كالذكر (ولا تمنن تستكثر) ولا تعط مستكثرا نهي
عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه
او نهيا خاصا به لقوله عليه الصلوة والسلام المستغزر يثاب من هبته
والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك
مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا
اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من
من بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها

وعلى هذا يجوز ان يكون النزع تخفيفا وابطال عملها كما روي واحضر الوعا
بالرفع (ولربك) ولوجهه او امره (فاصبر) فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف
واذى المشركين (فاذا نقر في الناقور) فاذا نفخ في الصور فاعول من النقر بمعنى
التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفا للسببية كانه قال
اصبر على اذاهم ففي ايديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك
واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله (فذلك يومئذ يوم عسير
على الكافرين) فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر
وهو مبتدا خبره يوم عسير غير يسير تاكيد لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقت
وقوع يوم عسير (غير يسير) تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه
ويشعر بيسره على المؤمنين (ذرني ومن خلقت وحيدا) نزل في الوليد بن المغيرة
ووحيد حال من اليا اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي..
ومن خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تهكما به
او اراد انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان له الزرع والضرع
والتجارة وزنيما (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا او ممدا بالنما وكان
له الزرع والضرع والتجارة (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم
لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم
في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل
كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة
وهشام (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى
لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم (ثم يطمع
ان ازيد) على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه

لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان
لآياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة
آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول
الآية في نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة
المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود
جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه
فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما تخيل طعنا
في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجب
من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه
من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد
ويدعو عليه حاسده بذلك روي انه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم
ويقرأ حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما
هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه
لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد
فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه
فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه
يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر
فهل رايتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه
يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين
منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ
من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اي في امر القرآن مرة بعد اخرى

ثم

ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر
عن الحق او الرسول واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى و
يتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من
غير تلبث وتفكر ان هذا الا قول البشر كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم تعطف
عليها ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادريك ما سقر تفخيم
لشانها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها
معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى
تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئت
بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة يلون
امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل
بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع
دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد
والاقرار والعمل انواعا من العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه
وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك
او صنف او ان الساعات اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة في
الصلوة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب
يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات
فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة كل
عشير جمع يعني نقيبهم او جمع عشرة فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم

ولانهم اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله روي ان ابا جهل لما سمع عليها
تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدة التي
اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم
به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل
تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق
القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا بالايمان به
او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون اي في
ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما عراه
شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما
سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب ماذا اراد الله
بهذا مثلا اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل
لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدي
من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي
المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل
لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب
اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هي اي
سقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها
او انكار لان يتذكروا بها والقمر والليل اذ دبر اي ادبر كقبل بمعنى اقبل
وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذا دبر على المضي والصبح اذا اسفر

اضا

اضاء انها لاحدى الكبر لاحدى البلايا الكبر اي البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة
منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء
بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض
للتاكيد نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اي
كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف لمن شاء منكم ان يتقدم
او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير او التخلف عنه
او لمن شاء خبر ان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول
كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم
بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال في جنات لا يكتنه
وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او ضمير هم في قوله يتساءلون عن
المجرمين اي يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه
اي دعوناه وقوله ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤولين
والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلاة الواجبة ولم نك
نطعم المسكين ما يجب اطعامه وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا
نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اي كنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة
حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو
شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اي معرضين عن التذكير يعني
القرآن او ما يعمه ومعرضين حال كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم
في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اي اسد فعولة

مطلب في التأخير للتعظيم

من النشر وهو النفخ بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر و
تقرأ وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كلا منا بكتاب
من السماء فيه من الله الى فلان اني اتبع محمدا كلا ردع عن اقتراحهم الايات
بل لا يخافون الآخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا
ردع عن اعراضهم انه تذكرة اي تذكرة واي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان
يذكره ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيتهم لقوله وما
تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله وقرا نافع تذكرون
بالتاء وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة
حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به
بمكة

سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيامة
ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شايع في كلامهم قال امرؤ القيس لا
وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقد مر الكلام فيه
في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية
التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيامة على تقصيرها او التي تلوم
نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس
الامارة او بالجنس لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة
ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد
وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت او نفس آدم فانها لم تزل تتلوم
على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اتيانها

لمجازاتها ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب
او الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
امر القيامة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه
العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها
قادرين على ان نسوي بنانه نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت
مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه التي هي اطرافه
فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن
قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان
يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه
ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسال ايان يوم القيامة متى يكون
استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر
الى البرق فدهش بصره وقرا نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع
من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اي انفتح وخسف القمر
وذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول وجمع القمر في ذهاب الضوء (الشمس)
او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل
ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع
الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل
من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان
يومئذ اين المفر اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ
بالكسر وهو المكان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من
الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه

وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم
يدخل من يشاء الجنة ومن شاء النار ينبّأ الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم
من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة عمل بها
بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله وآخره بل الانسان
على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة
على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء
بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير
القياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك
يا محمد به بالقرآن لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتأخذه على عجلة مخافة
ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه واثبات قراءته
في لسانك وهو تعليل للنهي فاذا قرأناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرآنه قراءته
وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه
وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد
التوبيخ على حب العاجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور و
اصل الدين فكيف بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الآيات
وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه
من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى
الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار او التأمل
فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول صلى الله عليه وسلم
عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان

الخطاب

الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن
عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة
تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول
وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه
ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان
المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك
والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه
يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع
اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار
كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس
اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال
حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى
بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر
ان الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق بالساق والتوت
ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة الى ربك
يومئذ المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق
ماله اي فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب
الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا
بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا
وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي خوطب به ابو جهل
واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك

وقيل أفعل من الويل بعد القلب كأدنى من دون أو أفعلى من آل يؤول بمعنى
عقباك النار ثم أولى لك فأولى أي يتكرر ذلك عليه مرة بعد أخرى أيحسب
الإنسان أن يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير إنكاره
للحشر والدلالة عليه من حيث إن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن
القبائح والتكليف لا يتحقق إلا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في
الآخرة ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره
فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والأنثى وهو استدلال آخر
بالابداء على الإعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله أليس أن
ذلك بقادر على أن يحيي الموتى وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها
قال سبحانك بلى وعنه من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم
القيامة أنه كان مؤمنا به سورة الإنسان مكية وآيها إحدى وثلاثون
بسم الله الرحمن الرحيم هل أتى على الإنسان استفهام
تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد وأصله أهل لقوله أهل رأونا بسفح القاع ذي
الأكم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود
لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالإنسانية كالعنصر والنطفة والجملة
حال من الإنسان أو وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالإنسان الجنس لقوله
إنا خلقنا الإنسان من نطفة أو آدم بين أولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه من نطفة
أمشاج أخلاط جمع مشيج أو مشج من مشجت الشيء إذا خلطته ووصف النطفة
به لأن المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الأجزاء في الرقة
والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منها مادة عضو وقيل مفرد كأعشار
وأكياش وقيل ألوان فإن ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اختلطا اخضرا

مشج خلط ومنه مشيج كقتيل وسبب وكتف في لغته ق

أطوارا فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة نبتليه في موضع الحال
أي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره أو ناقلين له من حال إلى حال فاستعار له الابتلاء
فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب
من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله إنا هديناه
السبيل بالدلائل وإنزال الآيات إما شاكرا وإما كفورا حالان من الهاء وإما للتفصيل
أو التقسيم أي هديناه في حاليه جميعا أو مقسوما إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء و
الأخذ فيه وبعضهم كفور بالإعراض عنه أو من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز
وقرئ أما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة
على الفواصل وإشعارا بأن الإنسان لا يخلو عن كفران غالبا وإنما المأخوذ به
التوغل فيه إنا أعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون وأغلالا بها يقيدون وسعيرا
بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لأن الإنذار أهم وأنفع و
تصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر سلاسلا
للمناسبة إن الأبرار جمع بر كأرباب أو بار كأشهاد يشربون من كأس من
خمر وهي في الأصل القدح تكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده
وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور فتكون كالمزوجة
عينا بدل من كافورا إن جعل اسم ماء ومن محل من كأس على تقدير مضاف أي ماء
عين أو خمرها أو نصب على الاختصاص أو بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها
عباد الله أي ملتذا أو ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة أو بمعنى من لأن الشرب
مبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤوا إجراء سهلا يوفون
بالنذر استئناف ببيان ما رزقوه لأجله كأنه سئل عنه فأجيب بذلك وهو
أبلغ من وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه لله

بنصب ص

المؤاخذ به ع

ورويس من طريق أبي الطيب غلام ابن شنبوذ وهشام من طريق الحلواني تيسير

في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور ع

كان اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون يوما كان شره شدايده مستطيرا فاشيا
منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار
بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه
حب الله او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار
فانه عليه الصلوة والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين
فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون
وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه
الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن
وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عايشة رضى الله عنها تبعث
بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء
دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم
او لا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه
الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين
عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق
من القطر والميم مزيدة فوقيهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم
عنه ولقيهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزيهم بما
صبروا بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار
الاموال جنة بستانا ياكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس ان
الحسن والحسين رضي الله عنهم مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر علي

وفاطمة

وفاطمة رضي الله عنها وفضة جارية لهما صوم ثلاث ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض
علي كرم الله وجهه من شمعون الخيبري ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا
واختبزت خمسة اقراص فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه
وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم
فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة وقال
خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك متكئين فيها على الارائك حال من هم في جزاهم او صفة
لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين
والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر
في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان
هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها حال او صفة
اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم
وعدوا جنتين لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها
والجملة صفة او حال وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله او حال من دانية
وتذليل القطوف ان تجعل سهل التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا ويطاف
عليهم بآنية من فضة واكواب واباريق بلا عروة كانت قواريرا قواريرا من
فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة و
لينها وقد نون قواريرا من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها راس الاية
وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قدروها تقديرا اي قدروها في انفسهم
فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت
على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر
اشتهائهم وقرئ قدروها اي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقولا من

قدرت الشي ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ما يشبه الزنجبيل في الطعم
وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عيناً فيها تسمى سلسبيلاً
لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال
وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة البآء والمراد به ان ينفي عنها لذع الزنجبيل
ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلاً فسميت به كتأبط شراً لانه لا يشرب منها
الا من سال اليها سبيلاً بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون دايمون
اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس
شعاع بعضهم الي بعض واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه
عام معناه ان بصرك اينما وقع رأيت نعيماً وملكاً كبيراً واسعاً وفي الحديث ان
ادني اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يري اقصاه كما يري ادناه
هذا وللعارف اكثر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا
الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق
يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه علي الحال من هم في عليهم
او حسبتهم او ملكاً علي تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة
بالرفع علي انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملاً علي سندس بالمعنى
فانه اسم جنس واستبرق بالرفع علي ثياب وقرأ ابو عمرو وابن عامر بالعكس
وقراهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل
الهمزة والفتح علي انه استفعل من البريق جعل علماً لهذا النوع من الثياب وحلوا
اساور من فضة عطف علي ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب
لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم
فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حلياً وانواراً تتفاوت تفاوت

الذهب

الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلي هذا يجوز ان يكون
هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شراباً طهوراً يريد به نوعاً آخر يفوق
علي النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الي الله عز وجل ووصفه بالطهورية
فانه يطهر شاربه عن الميل الي اللذات الحسية والركون الي ما سوى
الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذاً بلقائه باقياً ببقائه وهي منتهى درجات
الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء علي اضمار
القول والاشارة الي ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكوراً مجازى عليه
غير مضيع انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً مفرقاً منجماً لحكمة اقتضته
وتكرير الضمير مع ان لمزيد اختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتأخير
نصرك علي كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم آثماً او كفوراً اي كل واحد
من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه
واو للدلالة علي انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال
به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي علي الوصفين مشعر
بانه لهما وذلك يستدعي ان لا يكون المطاوعة في الاثم والكفر فان
مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلاً
وداوم علي ذكره او دم علي صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل
يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به
صلوة المغرب والعشآء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد الكلفة
والخلوص وسبحه ليلاً طويلاً وتهجد له طائفة طويلة من الليل ان هؤلاء
يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوماً ثقيلاً شديداً
واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلاً واذا شئنا

أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة وشدة الأسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء بإذا
أو بدلنا غيرهم ممن يطيع وإذا لتحقيق القدرة وقوة الداعية إن هذه تذكرة الإشارة
إلى السورة أو الآيات القريبة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا تقرب إليه بالطاعة
وما تشاؤون إلا أن يشاء الله وما تشاؤون ذلك إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر يشاؤون بالياء إن الله كان عليما حكيما بما يستأهل كل
أحد حكيما لا يشاء إلا ما تقتضيه حكمته يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق
للطاعة والظالمين أعد لهم عذابا أليما نصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم مثل أوعد
وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا سورة
المرسلات مكية وآيها خمسون بسم الله الرحمن الرحيم
والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا
فالملقيات ذكرا أقسم الله بطوائف من الملائكة أرسلهن الله بأوامره متتابعة
فعصفن عصف الرياح في امتثال أمره ونشرن الشرائع في الأرض أو نشرن
النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فألقين إلى
الأنبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين أو بآيات القرآن المرسلة بكل عرف
إلى محمد عليه الصلاة والسلام فعصفن سائر الكتب والأديان بالنسخ ونشرن آثار
الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق
فيما بين العالمين أو بالنفوس الكاملة المرسلة إلى الأبدان لاستكمالها فعصفن ما سوى
الحق ونشرن أثر ذلك في جميع الأعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل بنفسه في
يرون كل شيء هالكا إلا وجهه فألقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والألسنة
إلا ذكر الله أو برياح عذاب أرسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو

ففرقن فألقين ذكرا أي فتبين له فإن العاقل إذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله
تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا إما نقيض النكر وانتصابه على العلة أي أرسلن للإحسان
والمعروف أو بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا أو نذرا مصدر
لعذر إذا محا الإساءة وأنذر إذا خوف أو جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى
الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الأولين بالعلية أي عذرا للمحقين ونذرا
للمبطلين أو البدلية من ذكرا على أن المراد به الوحي أو ما يعم التوحيد والشرك
والإيمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص
بالتخفيف إنما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه أن الذي توعدونه من مجيء القيامة
كائن لا محالة فإذا النجوم طمست محقت أو أذهب نورها وإذا السماء فرجت
صدعت وإذا الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف وإذا الرسل أقتت
عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الأمم بحصوله فإنه لا يتعين لهم
قبله أو بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ أبو عمرو وقتت على الأصل
لأي يوم أجلت أي يقال لأي يوم أخرت وضرب الأجل للجمع وهو تعظيم لليوم
وتعجيب من هوله ويجوز أن يكون ثاني مفعولي أقتت على أنه بمعنى أعلمت ليوم
الفصل بيان ليوم التأجيل وما أدراك ما يوم الفصل ومن أين تعلم كنهه ولم تر مثله
ويل يومئذ للمكذبين أي بذلك وويل في الأصل مصدر منصوب بإضمار فعله عدل به
إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه أو صفته ألم نهلك
الأولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى أهلكه ثم نتبعهم
الآخرين ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون
الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك
مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من أجرم ويل يومئذ للمكذبين بآيات الله وأنبيائه

فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول
لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام
العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة مذرة ذليلة فجعلناه في قرار مكين هو
الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله للولادة فقدرنا فقدرنا
على ذلك او على الجملة فنعم القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك
او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام
والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت
وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها احياء وامواتا منتصبان
على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء
والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بجعل على
المفعولية وكفاتا حالا او الحالية فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات
ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم او
الاشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها
ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا خصوصا اي يقال لهم انطلقوا
الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا
على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل دخان جهنم كقوله
وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم
يتفرق ذوائب وخصوصية الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس
الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة
الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك
قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم

فقدرنا ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد صح

[illegible]

بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب
شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ
بشرار وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن
ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والها للشعب كانه جمالات جمع جمال
او جمالة جمع جمل صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان
سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة
والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن
يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال
السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون
اي بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط الدهشة والحيرة
وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين عطف فيعتذرون على يؤذن
ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم
اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه هذا يوم
الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان للفصل فان كان لكم
كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ
للمكذبين اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك لانهم
في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون في انواع
الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي
المحسنين في العقيدة ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم
الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اي الويل ثابت

[illegible]

لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من
ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب
الدائم بالتمتع القليل واذا قيل لهم اركعوا اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا
في الصلوة اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة
فقالوا لا نجبي فانها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود
فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب وان
الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده بعد القرآن
يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني
الشريفة قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه
ليس من المشركين

سورة النبأ مكية وآيها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون
اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون
عنه كانه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون
عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه
استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبإ
العظيم بيان للشان المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به
ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه او
بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون
تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع و
الثاني في القيامة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء
على تقدير قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض

ازواجا

ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث
كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اي انها لكم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم
عليه وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة
استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه
المسبوت للميت واصله القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته
من اراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل
ما تعيشون به او حيوة تبعثون فيه عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا
سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا
متلالئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج
وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات اي شارفت ان تعصرها
الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية
اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات
الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده
انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث
افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ
ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من
التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال
جنة لف وعيش مغدق او لفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضراء وخضر
واخضار او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان في علم الله او في حكمه
ميقاتا حدا تؤقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه ينفخ
في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور

إلى المحشر روي أنه عليه الصلوة والسلام سئل عنه فقال يحشر عشرة
أصناف من أمتي بعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون
على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي
مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم
مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد
نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم
ثم فسرهم بالقتات وأهل السحت وأكلة الربوا والجائرين في الحكم والمعجبين
بأعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين
بالناس إلى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين
الخيلاء وفتحت السماء وشققت وقرأ الكوفيون بالتخفيف فكانت أبوابا فصارت
فكانت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب أو فصارت ذات أبواب وسيرت
الجبال أي في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب إذ ترى على صورة
الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها إن جهنم كانت مرصادا
موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار أو خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم
من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فإنه الموضع الذي يضمر فيه الخيل أو
مجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ أن بالفتح على التعليل
لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح
لبثين وهو أبلغ أحقابا دهورا متتابعة وليس فيها ما يدل على خروجهم
منها إذ لو صح أن الحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة فليس فيه
ما يقتضي تناهي تلك الأحقاب لجواز أن يكون المراد أحقابا مترادفة كلما
مضى حقب تبعه آخر وإن كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال

بعضهم على صورة القردة

مصلوبون

على الخلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما
وغساقا حالا من المستكن في لابثين أو نصب أحقابا بلا يذوقون احتمل
أن يلبثوا فيها أحقابا غير ذائقين إلا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر
من العذاب ويجوز أن يكون جمع حقب من حقب الرجل إذا أخطأه
الرزق وحقب العام إذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين
فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم و
ينفس عنهم حر النار أو النوم وبالغساق ما يغسق أي يسيل من صديدهم
وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد إلا أنه أخر ليتوافق رؤوس
الآي وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا أي جوزوا
بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم أو موافقا لها أو وافقها وفاقا وقرئ وفاقا
فعالا من وفقه كذا إنهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا
الجزاء وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام
الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها و
المرء ينفعه كذابه وإنما أقيم مقام التكذيب للدلالة على أنهم كذبوا في
تكذيبهم أو المكاذبة فإنهم كانوا عند المسلمين كاذبين أو مكاذبين و
وكان المسلمون كاذبين ويؤيده أنه قرئ كذابا عندهم فكان بينهم مكاذبة
أو كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز
أن يكون حالا بمعنى كاذبين أو مكاذبين ويؤيده أنه قرئ كذابا وهو
جمع كاذب ويجوز أن يكون للمبالغة فيكون صفة المصدر أي تكذيبا
مفرطا كذبه وكل شيء أحصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر
لأحصيناه فإن الإحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط أو لفعله

المقدر او حال بمعني مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض
وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم
بالآيات ومجيئه علي طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه
الآية اشد ما في القرآن علي اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او
موضع فوز حدائق واعنابا وكواعب بساتين فيها انواع الاشجار
المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض نساء فلكت ثديهن
اترابا لدات وكاسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون
فيها لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا
يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضي وعده عطاء تفضلا منه اذ لا
يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا
كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتي قال حسبي او علي حسب اعمالهم وقرئ
حسّابا اي محسبا كالدراك بمعني المدرك رب السموات والارض
وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو علي الابتداء الرحمن بالجر
صفة له الا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب ورفعه علي انه خبر محذوف
او مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا
يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون
له علي الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة
باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق
واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن
ارتضي الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون

وبالرفع في قراءة ابي عمرو وقرأ حمزة والكسائي بجر الاول ورفع الثاني

والروح ملك موكل علي الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم من الملائكة
ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الي ربه مآبا بالايمان
والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل
ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يري ما قدمه
من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر
ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية
منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل
يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبي
صلي الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

سورة والنازعات مكية وآيها خمس وست واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا
والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات
امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم
غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا
غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط
الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي
يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الي النار وبارواح
المؤمنين الي الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوا لها ما ادرك
ما اعد لها من الآلام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من
الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الي ما امروا به

الي ثوابه

فيدبرون امرها او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الي المغرب
غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتي تنحط في اقصي الغرب وتنشط
من برج الي برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الي بلد
وتسبح في الفلك فتسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط
بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات
ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى
برج ملائمة سمي الاولى نزعا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس
فتنشط الي عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الي حظاير القدس فتصير لشرفها
وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الي
عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء
فتسبق الى الكمالات حتي تصير من المكملات او انفس الغزاة او ايديهم
تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر
والبحر فيسبقون الي حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم
فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من
دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الي العدو فتدبر امر
الظفر اقسم الله بها علي قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم
ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة
التي تشتد حركتها حينيد كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال
او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولي تتبعها الرادفة
التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في
موقع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف

وهي صفة للقلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب
يقولون ائنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولي يعنون الحيوة بعد الموت
من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها
بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة
بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة ائذا كنا وقرا
نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر عظاما ناخرة بالية وقرا الحجازيان
وابو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة
خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن
اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق
بمحذوف اي لا تستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية
فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا
في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب
يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نايمة او لان
سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتيك حديث موسى اليس قد اتاك
حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب
من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوي قد مر بيانه في سورة
طه اذهب الي فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب
لما في النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان
تتطهر من الكفر والطغيان وقرا الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد
واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات وترك
المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له

فوالينا فاراه الآية الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر ثم ادبر يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعد ما راى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلى اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الآخرة والاولى اخذا منكلا لمن رآه او سمعه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا فسواها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحاها وابرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحاها يريد النهار والارض بعد ذلك دحاها بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعاها ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارساها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التي تطم اي تعلو على سائر

الدواهي الكبرى التي هي اكبر الطامات وهي القيامة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر وآثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هي المأوى هي مأواه واللام فيه سادّ مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي وهي فصل او مبتدأ واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة هي المأوى ليس له سواها مأوى يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكراها في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثره الله بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها مستأنف معناه انت ذكر من ذكراها اي علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهاها اي منتهى علمها انما انت منذر من يخشاها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو

الى الجنة

منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا اي في
الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها اي عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة
من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر
والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلوة المكتوبة

سورة عبس مكية وهي احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول
الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه
على المدينة مرتين وقرئ آان بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألان جاءه الاعمى
فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام الرسول صلى الله
عليه وسلم بالقوم والدلالة على انه احق بالرافة والرفق او لزيادة الانكار كانه
قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى اي واي شيء
يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان
اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك
وقيل الضمير في لعله للكافر اي انك طمعت فيه كاين وقرا عاصم بالنصب جوابا للعل
اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض له بالاقبال عليه واصله تتصدى
وقرا ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تُصدى اي تعرض وتدعى
الى التصدي وما عليك الا يزكى وليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى

وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين

يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك
يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق
لانه اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل
ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه
عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله
انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب
المذكور وتانيث الاول لتانيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او
خبر ثان او خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة مرفوعة القدر مطهرة منزهة
عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من
اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله ورسله او الامة جمع سافر
من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المراة اذا كشفت وجهها
كرام اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة
اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه
في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اي شيء خلقه
بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدا حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب
عنه بقوله من نطفة امشاج خلقه فقدره فهياه لما يصلح له من الاعضاء
والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقته ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه
من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير و
الشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام
دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا
طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره

وعد الامانة والاقبار في النعم لان الامانة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية
واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار
بان وقت النشور غير متعين في نفسه وانما هو موكول الى مشيته كلا ردع للانسان
عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره
الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم
الذاتية الخارجية انا صببنا الماء صبا استيناف مبين لكيفية احداث الطعام
وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات
او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا
كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه لانها تقضب
مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق
لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب
وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له
لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع
المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت
بها مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في
حقهم وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل
من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ
يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفار الصبح ضاحكة
مستبشرة بما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها
قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور

فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة
عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر سورة التكوير مكية
وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى
رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوءها فذهب انبساطه
في الآفاق وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه
مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما
بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت
انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت من كدرت
الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا
العشار النوق اللاتي اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت
تركت مهملة او السحاب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا
الوحوش حشرت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا
او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ
بالتشديد واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض
حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملاه بالحطب ليحميه وقرأ ابن
كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت
بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور
ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموءودة المدفونة حية وكانت
العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت
باي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تع لعيسى

انك قلت للناس وقرئ سالت اي خاصمت عن نفسها و قتلت على
الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت يعني صحف
الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت
نشرت فرقت بين اصحابها وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي
بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة الصحف اوشدة التطاير واذا السما
كشطت قلعت او ازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت
واعتقاب القاف والكاف كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا
شديدا وقرا نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد واذا الجنة
ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا و
انما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام
الساعة قبل فنا الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها
ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من
كسيرة جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر
وهي ماسوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس
اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل
كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه
او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح
اذا تنفس اي اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم انه ان القرآن لقول
رسول كريم يعني جبريل فانه قاله عن الله ذي قوة كقوله شديد القوى
عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على
الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وبما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا

لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل به على
على فضل جبريل على محمد عليهما الصلوة والسلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر
على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه
نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما
والموازنة بينهما ولقد راه ولقد راى رسول الله جبريل صلى الله عليهما
وسلم بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على الغيب
على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة
وهي التهمة وقرا نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن
هو وحد البخل اي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من اصل حافة اللسان
وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظا من طرف اللسان
واصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة
للسمع وهو نفي قولهم انه لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه
في امر الرسول صلى الله عليه وسلم والقران كقولك لتارك الجادة اين تذهب
ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم بتحري الحق وملازمة
الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة
يا من يشاؤها الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيتكم فله الفضل والحق
عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال عليه الصلوة والسلام
من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته سورة

انفطرت مكية وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السما انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة واذا
البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت

قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل
ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من سيئة
او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم اي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة
في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي
والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به
يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل
بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه
اغترارا بكرمه الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة
للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء
سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء
او معدلة بما تستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض
اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت
خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها
وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة
على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين
اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به ورد
لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها يقاسون
حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون

عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادراك ما يوم الدين ثم
ما ادراك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشأن اليوم اي كنه امره بحيث لا يدركه دراية
دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره
اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف
قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من
السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة سورة المطففين مختلف فيها وآيها
ست وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم
ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اي حقير
روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث
خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل
الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا
الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر
الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم
يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس
او اكتيالا يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اي اذا كالوا للناس او وزنوا
لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا
بمعنى جنيت لك وكالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة
ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة
وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره
الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه

القبايح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجب من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما
يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده
القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار والتعجب وذكر الظن
ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات
في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن
البعث والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم
لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادريك ما سجين
كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه
فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما
قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب
السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق
او بذلك الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة
وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة
الله وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك في الشهوات المخدجة
بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه
آياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد
النقل كما لم تنفعه دلايل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم
حب المعاصي بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم
معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال
عليه الصلوة والسلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء

حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام كلا ردع عن
الكسب الراين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن
انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر
مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار و
يصلون بها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول
ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور و
الايفاء بر او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون
كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه
او يشهدون على ما فيه يوم القيامة ان الابرار لفي نعيم على الارائك على الاسرة في
الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعيم والمتفرجات تعرف في وجوههم
نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة
بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اي مختوم
اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطعه
رائحة المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك
يعني الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه
من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا
يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله وتمزج
لساير اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء
كما في يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعني رؤساء قريش كانوا من الذين
آمنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون
يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين

ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون
وإذا رأوا المؤمنين نسبوهم إلى الضلال وما أرسلوا عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون
عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
حين يرونهم أذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب إلى الجنة فيقال لهم
اخرجوا إليها فإذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الأرائك ينظرون
حال من يضحكون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون وقرأ حمزة والكسائي
بإدغام اللام في الثاء قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله
الرحيق المختوم يوم القيامة سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انشقت بالغمام
كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة
وأذنت لربها واستمعت له أي انقادت لتأثير قدرته حين أراد
انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له وحقت أي وجعلت
حقيقة وإذا الأرض مدت بسطت بأن تزال جبالها وآكامها وألقت ما فيها
ما في جوفها من الكنوز والأموات وتخلت وتكلفت في الخلو أقصى جهدها
حتى لم يبق شيء في باطنها وأذنت لربها في الإلقاء والتخلية وحقت للإذن
وتكرير إذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل
بالإبهام أو الاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار أو لدلالة قوله يا أيها الإنسان
إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى الإنسان كدحه أي جهدا
يؤثر فيه من كدحه إذا خدشه أو فملاقيه ويا أيها الإنسان إنك كادح اعتراض
والكدح إليه السعي إلى لقاء جزائه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب
حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب إلى أهله مسرورا إلى عشيرته المؤمنين

أو فريق المؤمنين أو أهله في الجنة من الحور وأما من أوتي كتابه وراء ظهره
أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء
ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى
سعيرا وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلى كقوله وتصلية جحيم وقرئ
ويُصلى كقوله ونصليه جهنم إنه كان في أهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه
فارغا عن الآخرة إنه ظن أن لن يحور لن يرجع إلى الله بلى إيجاب لما بعد لن
بلى إن ربه كان به بصيرا عالما بأعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا أقسم
بالشفق الحمرة التي ترى في أفق المغرب بعد الغروب وعن أبي حنيفة
أنه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه
وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات
لو يجدن سائقا أو طرده إلى أماكنه من الوسيقة والقمر إذا اتسق اجتمع وتم
بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لأختها في الشدة وهو لما طابق
غيره فقيل للحال المطابقة أو مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة
وأهوالها أو هي وما قبلها من الدواهي على أنه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الإنسان باعتبار اللفظ أو الرسول على معنى
لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة أو طبقا من أطباق السماء بعد
طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة
لطبقا أو حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق أو مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون
يوم القيامة وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون أو لا يسجدون
لتلاوته لما روي أنه عليه الصلوة والسلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه
من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم فنزلت واحتج به أبو حنيفة على

وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال
والله ما سجدت فيها الا بعد ان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها
بل الذين كفروا يكذبون اي بالقرآن والله اعلم بما يوعون بما يضمرونه في صدورهم
من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم
اجر غير ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه من وراء ظهره سورة
البروج مكية وآيها اثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها
تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب
سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل
التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود ومن يشهد
في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام
في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او المبالغة في الكثرة كانه
قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي وامته او امته وسائر
الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه
وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او
يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل
انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم
ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت
المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق

ب لظهورها

بالفم شق مستطيل في الارض

في الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر
فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فراى في طريقه
ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب
اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي
من الادواء وعمي جليس الملك فابراه فساله الملك عمن ابراه فقال ربي
فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده
بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا
ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفات السفينة بمن معه
فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتاخذ
سهما من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع
في صدغه ومات فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران
فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست
فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي
الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح
الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار فطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر
نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد
النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة
وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار
قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض
عند الملك بانهم لم يقصروا فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة
حين يشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا منهم وما انكروا منهم الا ان

يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه الذي له ملك السموات
والأرض وهو على كل شيء شهيد للإشعار بما يستحق أن يؤمن به ويعبد
إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالأذى ثم لم يتوبوا فلهم
عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد في الإحراق
بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود وبعذاب الحريق
ما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير إذ الدنيا وما فيها تصغر
دونه إن بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فإن البطش أخذ بعنف
إنه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده أو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا
ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن أطاع ذو
العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك
المجيد العظيم في ذاته وصفاته فإنه واجب الوجود تام القدرة والحكمة
وجره حمزة والكسائي صفة لربك أو للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما
يريد لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره هل أتاك حديث الجنود
فرعون وثمود أبدلهما من الجنود لأن المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد
عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم
مثل ما أصابهم بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الإضراب
أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فإنهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم و
كذبوا أشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط
المحيط بل هو قرآن مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم و

المعنى

المعنى وقرئ قرآن مجيد بالإضافة أي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف
وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما
فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة يكون في الدنيا
عشر حسنات

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق
والكوكب البادي بالليل وهو في الأصل لسالك الطريق واختص عرفا
بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب
المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه أو الأفلاك والمراد الجنس أو معهود
بالثقب وهو زحل عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما
لشأنه إن كل نفس لما عليها حافظ أي إن الشأن كل نفس لعليها حافظ رقيب فإن
هي المخففة واللام الفاصلة وما زائدة وقرأ ابن عامر وحمزة لما على أنها
بمعنى إلا وإن نافية والجملة على الوجهين جواب القسم فلينظر الإنسان
مم خلق لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ أتبعه توصية الإنسان بالنظر في
مبدئه ليعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته خلق من ماء
دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع
والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب
بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح أن النطفة
تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن يتولد
منها مثل تلك الأعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها ببعض عند البيضتين
فالدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الإفراط

في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهي الصلب وشعب كثيرة نازلة
إلى الترائب وهما أقرب إلى أوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين
والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب إنه على رجعه لقادر
والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز بين ما طاب
من الضمائر وما خفي من الأعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له
من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع
في كل دورة إلى الموضع الذي تتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي أوبا
لأن الله يرجعه وقتا فوقتا أو لما قيل من أن السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه
إلى الأرض وعلى هذا يجوز أن يراد بالسماء السحاب والأرض ذات الصدع ما يتصدع
عنه الأرض من النبات أو الشق بالنبات والعيون إنه إن القرآن لقول فصل
فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فإنه جد كله إنهم يعني أهل مكة يكيدون
كيدا في إبطاله وإطفاء نوره وأكيد كيدا وأقابلهم بكيدي في استدراجي لهم
وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم أو لا
تستعجل بإهلاكهم أمهلهم رويدا إمهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية
لزيادة التسكين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله
بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات سورة سبح مكية وآيها تسع عشرة
بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الأعلى
نزه اسمه عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة وإطلاقه على غيره زاعما أنهما فيه
سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت
فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت
سبح اسم ربك الأعلى قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون

في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى
خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه والذي قدر
أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها
فهدى فوجهه إلى أفعاله طبعا أو اختيارا بخلق الميول والإلهامات ونصب
الدلائل وإنزال الآيات والذي أخرج المرعى أنبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد
خضرته غثاء أحوى يابسا أسود وقيل أحوى حال من المرعى أي أخرجه أحوى
من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئا بإلهام
القراءة فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ مع أنك أمي ليكون ذلك آية أخرى
لك مع أن الإخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضا من الآيات وقيل نهي
والألف للفاصلة كقوله السبيلا إلا ما شاء الله نسيانه بأن نسخ تلاوته وقيل
المراد به القلة والندرة لما روي أنه عليه الصلاة أسقط آية في قراءته في الصلاة
فحسب أبي أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أو نفي النسيان رأسا فإن القلة
تستعمل للنفي إنه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من أحوالكم وما بطن أو جهرك
بالقراءة مع جبريل وما دعاك إليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من إبقاء
وإنساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي أو التدين
ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وإنه يعلم
اعتراض فذكر بعد ما استتب لك الأمر إن نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية
إنما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف
عليهم كقوله وما أنت عليهم بجبار الآية أو لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم
أو للإشعار بأن التذكير إنما يجب إذا ظن نفعه ولذلك أمر بالإعراض عمن تولى سيذكر
من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى فإنه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول

العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق
او الاشقى من الكفرة الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه عليه الصلوة والسلام
قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم او ما في الدرك الاسفل منها
ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من
الكفر والمعصية او تكثر بالتقوى من الزكاء او تطهر للصلوة
او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى لقوله اقم الصلوة لذكرى
ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم
ربه كبره يوم العيد فصلى صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم
في الاخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعي
للدنيا اكثر في الجملة وقرا ابو عمرو بالياء والاخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات
خالص عن الغوائل لا انقطاع له ان هذا لفي الصحف الاولى الاشارة الى ما سبق
من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابرهيم وموسى
بدل من الصحف الاولى قال عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الاعلى اعطاه
الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية
الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيامة او النار من قوله و
تغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب
فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في
تلالها ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها
وقرا ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلّى

بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين آنية بلغت اناها في الحر
ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل
شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد
طعامهم ما تتحاماه الابل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من
جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او
متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رات ثوابه في جنة عالية علية
المحل او القدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرا على بناء المفعول بالياء ابن كثير
وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو
او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية
يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او القدر
واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد
جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع
زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا
على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها
عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار
ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتاتى لها قطع البراري والمفاوز
مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات
التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا
النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت بسطت
حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع
المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا

كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به أمر المعاد ورتب عليه
الأمر بالتذكير فقال فذكر إنما أنت مذكر فلا عليك إن لم ينظروا ولم يذكروا إذ ما عليك إلا البلاغ
لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن هشام بالسين على الأصل وحمزة بالإشمام إلا من تولى و
كفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر يعني عذاب الآخرة وقيل متصل
فإن جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه أوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار
في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر أي فذكر إلا من تولى وأصر فاستحق العذاب
الأكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الأول أنه قرئ ألا على التنبيه إن إلينا إيابهم
رجوعهم وقرئ بالتشديد على أنه فيعال مصدر فيعل من الإياب أو فعال من الأوب
قلبت واوه الأولى قلبها في ديوان ثم الثانية للإدغام ثم إن علينا حسابهم في المحشر
وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا سورة الفجر مكية وآيها تسع
وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
والفجر أقسم بالصبح أو فلقه كقوله والصبح إذا تنفس أو بصلاته وليال
عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو عشر رمضان
الأخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالإضافة على أن المراد بالعشر
الأيام والشفع والوتر والأشياء كلها شفعها ووترها أو الخلق لقوله ومن
كل شيء خلقنا زوجين والخالق لأنه فرد ومن فسرهما بالعناصر والأفلاك
أو البروج والسيارات أو شفع الصلوات ووترها أو بيومي النحر وعرفة وقد
روي مرفوعا أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر من أنواع المدلول ما رآه أظهر دلالة
على التوحيد أو مدخلا في الدين أو مناسبة لما قبلهما أو أكثر منفعة موجبة للشكر
وقرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل

إذا يسر إذا يمضي كقوله والليل إذا أدبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة
على كمال القدرة ووفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء
بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وأبو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها
ابن كثير ويعقوب أصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الإطلاق هل في ذلك
القسم أو المقسم به قسم حلف أو محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه
والحجر العقل سمي به لأنه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الإحصاء
وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر كيف
فعل ربك بعاد يعني أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح قوم هود
سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم باسمه إرم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف
أي سبط إرم أو أهل إرم إن صح أنه اسم بلدتهم وقيل سمي أوائلهم وهم عاد
الأولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ذات العماد ذات البناء
الرفيع أو القدود الطوال أو الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد
وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الأمر لشداد وملك المعمورة ودانت
له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحاري عدن جنة وسماها
إرم فلما تم سار إليها بأهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم
صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها
التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة أخرى لإرم والضمير لها سواء جعلت اسم
القبيلة أو البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوا واتخذوه منازل لقوله وتنحتون
من الجبال بيوتا بالواد وادي القرى وفرعون ذي الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم
التي كانوا يضربونها إذا نزلوا أو لتعذيبه بالأوتاد الذين طغوا في البلاد صفة
للمذكورين عاد وثمود وفرعون أو ذم منصوب أو مرفوع فأكثروا فيها الفساد

بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله
الخلط وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات
بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما احل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما
اعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد
المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو
تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد
كانه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد الا السعي لها فاما الانسان فلا يهمه
الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتليه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه ونعمه بالجاه
والمال فيقول ربي اكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدا الذي هو الانسان
والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التاخير كانه قيل
فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتليه
فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتليه بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه
فيقول ربي اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين
وان التوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه
على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه
وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة
وقرا ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن ابي
عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرا ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون
اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين اي بل فعلهم اسوء من قولهم وادل على تهالكهم
بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين
فضلا عن غيرهم ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين

بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره كلا ردع لهم عن
ذلك وانكار وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك
حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اي ظهرت
آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار
هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ
بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها
سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ
بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان اي يتذكر معاصيه
او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها الانسان وانى له الذكرى اي
منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول
التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحياتي هذه
او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال
العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب
عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله اي لا يتولى عذاب الله ووثاقه
يوم القيامة سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية
مثل ما يعذبونه وقراهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول يا ايتها النفس
المطمئنة على ارادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى
في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته
وتستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة التي لا يستفزها
خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعي الى ربك الى امره او موعده بالموت
ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس

اوبالبعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة
عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم او في زمرة المقربين فتستضيء
بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي
التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي اعددت لك عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في ساير الايام
كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد مكية وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد
وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول
صلى الله عليه وسلم فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان
بشرف اهله وقيل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره
او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام
الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابرهيم عليهما الصلوة والسلام
وما ولد ذريته او محمد صلى الله عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى
التعجب كما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد
تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة و
الانسان لا يزال في شدايد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت
وما بعده وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من قريش
والضمير في ايحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته
كابي الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدميه اديم عكاظي ويجذبه عشرة
فيتقطع ولا تزل قدماه او لكل احد منهم او للانسان ان لن يقدر عليه احد
فينتقم منه يقول اي في ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء

اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول صلى الله
عليه وسلم ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه
يعني ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله الم نجعل له عينين
يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمايره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق
والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريقي الخير والشر او الثديين و
اصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة
وهو الدخول في امر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به
من الفك والاطعام في قوله وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي
مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد
المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك
رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب
اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي
فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض
معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم
او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط ساير
الطاعات به وتواصوا بالصبر واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا
بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك اصحاب الميمنة اليمين
او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقران
هم اصحاب المشامة الشمال او الشوم ولتكرير المؤمنين باسم الاشارة والكفار
بالضمير شان لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته
او اغلقته وقرا ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته عن النبي صلى الله

عليه وسلم من قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها ضوؤها إذا أشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد أن ينتصف والقمر إذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها ليلة البدر أو تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار إذا جلاها جلى الشمس فإنها تتجلى إذا انبسط النهار أو الظلمة أو الدنيا أو الأرض وإن لم يجر ذكرها للعلم بها والليل إذا يغشاها يغشى الشمس فيغطي ضوءها أو الآفاق أو الأرض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الأولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها في نحو قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بناها ومن بناها وإنما أوثر على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك أفرد ذكره وكذا الكلام في قوله والأرض وما طحاها ونفس وما سواها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فألهمها فجورها وتقواها بقوله وما سواها إلا أن يضمر فيه اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس أو للتعظيم والمراد نفس آدم وإلهام الفجور والتقوى إفهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الإتيان بهما قد أفلح من زكاها أنماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب

ذاته وكمال صفاته الذي هو أقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل هو استطراد بذكر بعض أحوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دساها نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغواها بسبب طغيانها أو بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية وأصله طغيى وإنما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى إذ انبعث حين قام ظرف لكذبت أو طغوى أشقاها أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو ومن مالأه على قتل الناقة فإن أفعل التفضيل إذا أضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله أي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقياها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب إن فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم بذنبهم بسببه فسواها فسوى الدمدمة بينهم أو عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير أو ثمود بالإهلاك ولا يخاف عقباها أي عاقبة الدمدمة أو عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الإبقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية وآيها إحدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم والليل إذا يغشى أي يغشى الشمس أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه والنهار إذا تجلى ظهر

بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي
خلق صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحوا وقيل ما مصدرية
ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة
واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره
لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس
اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات
الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية
الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى
هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد
الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله و
على الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او
ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها
لا يلزمها مقاساة شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لا يلزمها
ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن
الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها
ويصليها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها
فلا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى
فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد باتيانه مجازاتها
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا
ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات

نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم
ثنا ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه
كلم موسى ربه والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة
بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه
وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف
ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك و
هو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من
قبل ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر
في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره
فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك
من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه
لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعده ما هو اعلى واجل
من ذلك في الآخرة او لنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد
في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال
النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام
للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم
فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على
ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم

عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى
العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا عن علم
الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل
وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك
حليمة وجاءت بك لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك
عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا
تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا
تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة
النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سوره والضحى
لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسايل

سورة الم نشرح مكية وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك
الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق وكان غائبا حاضرا او الم نفسحه
بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك [illegible] رسول الله
صلى الله عليه [illegible] تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما
روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه [illegible] او يوم الميثاق
فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق
ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه
ووضعنا عنك وزرك عبئك الثقيل الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض
وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل
البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من

ضلالة قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين
دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن
اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين
بالصلوة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة
فان مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا
كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا
عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع من المصاحبة المبالغة في
معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين ان مع العسر يسرا تكرير للتأكيد
او استئناف وعدة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم
فرحة ان للصائم فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه
قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد
سواء كان للعهد او الجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد
بالاول فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك
من النعم السالفة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب
في العبادة او فاذا فرغت من الصلوة فانصب في الدعاء والى ربك فارغب
بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اي رغب
الناس الى طلب ثوابه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم نشرح فكانما جاءني
وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون
خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف
سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين

ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه وهذا البلد الامين اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار الى اسفل السافلين وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك اي فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذي يحملك على هذا الكذب أليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة وهي اول سورة نزلت وقيل فاتحة الكتاب ثم هذه

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك اي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به الذي خلق اي الذي له الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان او الذي خلق الانسان فاضمر اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان في معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ وربك الاكرم الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ به ليتقيد به العلوم ويتعلم به البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشعارا اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى اي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي أرأيت

اول هذه السورة يدل على مدح العلم وآخرها على مذمة المال وكفى بذلك مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال

إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت تكرير للأول وكذا الذي في قوله أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسيم له والمعنى أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه أو آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده أو إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما نقول ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فإنه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكأنه قال يا كافر أخبرني إن كان صلاته هدى ودعاؤه إلى الله أمرا بالتقوى أتنهاه ولعله ذكر الأمر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لأن النهي كان عن الصلاة والأمر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلاة لأنه دعوة بالفعل أو لأن دعوة نهي العبد إذا صلى يحتمل أن يكون لها ولغيرها وعامة أحوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن وكتب في المصحف بالألف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الإضافة للعلم بأن المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية المذكور وإنما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الإسناد

المجازي للمبالغة فليدع ناديه أي أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدى فيه القوم روي أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه إلى النار وهو في الأصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع أو زبني على النسب وأصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا ردع أيضا للناهي لا تطعه واثبت أنت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب إلى ربك وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بأن أسند إنزاله إليه وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر وإنزاله فيها بأن ابتدأ بإنزاله فيها أو أنزله جملة من اللوح إلى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى أنزلناه في فضلها وهي في أوتار العشر الأخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها أو لتقدير الأمور فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وذكر الألف إما للتكثير أو لما روي أنه عليه الصلاة والسلام ذكر إسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم

بيان لما له فضلت على الف شهر وتنزلهم على الارض او السماء الدنيا وتقربهم الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تأتيهم البينة الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتي ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم

كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوه وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيامة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد رضي الله عنهم استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها باجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر

بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة والهباء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القران كله

سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي توري النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات تغير اهلها على العدو صبحا اي في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اي ملتبسات به جمعا من جموع الاعدا روي انه عليه الصلوة والسلام بعث خيلا فمضى شهر لم ياته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار

المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز ما في الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيامة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وآيها عشر

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب اليوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فماواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادريك ما هيه نار حامية ذات حمى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة

حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات
عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روي ان بني عبد مناف وبني سهم
تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية
فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما
يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد
الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخراكم
فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي
له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف
تعلمون خطاء رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم
ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او
الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون
ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم
ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم
جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم
منه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للمبالغة او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد
والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين
اي الروية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم الذي الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم
بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل
يعمان اذ كل يسال عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر

كانما قرا الف اية سورة العصر مكية واياتها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم بصلوة
العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما
يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الانسان لفي خسران
في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا
الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية
والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او
عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف
الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه
انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما
عد يؤدي الى الخسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق
بالصبر سورة الهمزة مكية واياتها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز
الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم
وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة
ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة التي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه و
يشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه
الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل او
عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده

تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت او طول
امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو
السعي للآخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار
التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة ما النار
التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده
لا يقدر غيره ان يطفئه التي تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل
عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده تألما او
لانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة انها عليهم مؤصدة مطبقة
من اطبقت الباب اذا اصدته قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها
ابواب صنعاء مؤصدة في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة
مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات
بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك
باصحاب الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك
الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكأنه راها وانما قال
كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله
وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فانها من الارهاصات
اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم
وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي
بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج

رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه
فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل فكان
كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى
هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة
واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا
جميعا وقرئ الم تر جدا اي اظهارا لاثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه
من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل
في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات
جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل
لا واحد لها كعبادید وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير
لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنككل
وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل
ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف ماكول كورق
زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه
او كتبن اكلته الدواب وراثته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وآيها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش
متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط
اذ المعنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل
ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف

الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين
في الشعر اي جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في
مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء
وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث
بالسفن ولا تطاق الا بالنار شبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى
وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم
فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين
والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام و
آمنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم
او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة
واعتكف بها

سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم أرأيت استفهام
معناه التعجب وقرئ اريت بلا همز الحاقا بالمضارع ولعل تصديره
بحرف الاستفهام سهل امرها وارأيتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين
بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله
فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا
ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا
فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ
يدع اي يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده
بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم

عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراءون يرون الناس
اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكاة او ما يتعاور في العادة
والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب
للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة
من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل
او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم
مع الخالق والخلق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة أرأيت غفر له
ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك
وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين
وروي عنه عليه الصلوة والسلام انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير
احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد
واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه
او علماء امته او القران فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهي
عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن
التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع
منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد
والنحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له
اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك
وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ويكتب له

عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر سورة الكافرين
مكية وآيها ست بسم الله الرحمن الرحيم
قل يا أيها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون
روي أن رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فنزلت
لا أعبد ما تعبدون أي فيما يستقبل فإن لا لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الاستقبال
كما أن ما لا تدخل إلا على المضارع بمعنى الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد أي فيما
يستقبل لأنه في قران لا أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم أي في الحال أو فيما سلف
ولا أنتم عابدون ما أعبد أي وما عبدتم في وقت ما أنا عابده ويجوز أن
يكونا تأكيدين على طريقة أبلغ وإنما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لأنهم كانوا
موسومين قبل المبعث بعبادة الأصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله
وإنما قال ما دون من لأن المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون
الحق أو للمطابقة وقيل ما مصدرية وقيل الأوليان بمعنى الذي والأخريان
مصدريتان لكم دينكم الذي أنتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي أنا عليه لا أرفضه
فليس فيه إذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم إلا
إذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب
والجزاء والدعاء والعبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين
فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

سورة النصر مدنية وآيها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله إظهاره
إياك على أعدائك والفتح وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح
مكة وسائر البلاد عليهم وإنما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للإشعار بأن المقدرات
متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من
وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا
جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون
حال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك
فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال أحد حامدا له عليه أو فصل له حامدا على نعمه روي
أنه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات أو فنزهه عما كانت
الظلمة يقولون حامدا له على أن صدق وعده أو فأثن على الله بصفات الجلال
حامدا له على صفات الإكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا
لما فرط منك من الالتفات إلى غيره وعنه عليه الصلوة والسلام إني أستغفر الله في اليوم والليلة
مائة مرة وقيل استغفره لأمتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة
النزول من الخالق إلى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله إنه كان
توابا لمن استغفر منذ خلق المكلفين والأكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة
وأنه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لما قرأها بكى العباس فقال عليه الصلوة
والسلام ما يبكيك قال نعيت إليك نفسك قال إنها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام
الدعوة وكمال أمر الدين فهي كقوله اليوم أكملت لكم دينكم أو لأن الأمر بالاستغفار تنبيه
على دنو الأجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه الصلوة والسلام من
قرأ سورة إذا جاء أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة سورة تبت

مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم
تبت هلكت أو خسرت والتباب خسران يؤدي إلى الهلاك يدا أبي لهب
نفسه كقوله ولا تلقوا بأيديكم وقيل إنما خصتا لأنه عليه الصلوة لما نزل عليه وأنذر
عشيرتك الأقربين جمع أقاربه فأنذرهم فقال المراد بهما دنياه وآخرته وإنما

أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا وأخذ حجرا ليرميه فنزلت وقيل

كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان
من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله او ليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب
كما قيل علي بن ابو طالب وتب اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه
كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه
انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه ما اغنى عنه
ماله نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب
وما كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او
عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق
به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ميتا حتى
انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه
سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يومن
لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامراته عطف على
المستكن في سيصلى او مبتدا وهي ام جميل اخت ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب
جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على
ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها
بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا عاصم بالنصب على الشتم في جيدها حبل
من مسد اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز
او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا
لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع
وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي

لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها وايها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد
الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد
لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سالتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد
صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات
الجلال كما دل الله على جميع صفات الاكرام اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات
عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة
وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية
وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون ولا يجوز
في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم او
موادعة لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان تكون منه واما هذا فتوحيد يقول
به تارة ويومر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه في الحوائج من
صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما
عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير
لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف
لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او
يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده
ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك
لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اي لم يكن احد يكافئه اي يماثله
من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يوخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود
نفي المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا

او خبر اي يكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلث بالعطف لان المراد منها نفي
اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل وقرا حمزة ويعقوب ونافع في رواية
كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة
مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل
ثلث القران فان مقاصده محصورة في بيان العقايد والاحكام والقصص ومن
عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
سمع رجلا يقروها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت
له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق
ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات
فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون و
الامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما
فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم
القيامة والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل
عن العايذ ما يخافه ولفظ الرب هنها اوقع من ساير اسمائه لان الاعاذة من
المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه
لان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق
النار واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق
الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلات دمعا وقيل السيلان
وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه اذا وقب دخل ظلامه
في كل شي وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل

اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف
ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن
عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا
سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض
عليه صلى الله عليه وسلم ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل
عليا كرم الله وجهه فجاء به فقراهما عليه فكان كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد بعض
الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون
بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزايم الرجال بالحيل مستعار
من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة
شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل
بمقتضاه فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره
وتخصيصه لان العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق
ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية
من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلاثة وبالحاسد
الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها
الاسباب القريبة للمضرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان
ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس مختلف فيها وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس قرا ورش
في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة
في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة

من اول القرآن الى اخر هذه السورة ستة الاف وماتان وسبع واربعون اية
وكلماته سبع وسبعون الفا وثلثماية وتسع وثلاثون وحروفه ثلثماية الف
واحدي وعشرون الفا وخمساية وثمانون

في هذه السورة من الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة
ثمه وخصصها بالناس هاهنا وكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الي الناس
بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم بكر الناس ايها الناس عطفا بيان له
فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة علي انه حقيق
بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار علي مراتب الناظر في المعارف فانه
يعلم اولا بما يري عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر
حتي يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شي له ومصارف امره منه فهو
الملك الحق ثم يستدل به علي انه المستحق للعبادة لا غير وتدرج في وجوه الاستعاذة
المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة
المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان
من شر الوسواس اي الوسوسة كالزلزال بمعني الزلزلة واما المصدر فبالكسر
كالزلزال والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة الخناس الذي عادته ان
يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس اذا
غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات
فاذا آل الامر الي النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر
علي الوصف او النصب او الرفع علي الذم من الجنة والناس بيان للوسواس او للذي
او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان
للناس علي ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله يوم يدع
الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا المعوذتين
فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالي ❁ تم التفسير المسمي بانوار التنزيل و
اسرار التأويل الذي صنفه المولى الامام الماضي ولي الله الوالي قاضي القضاة شرقا

وغربا ناصر الحق والشريعة والدين عمر البيضاوي ثم الشيرازي رضي الله تعالي
عنه وارضاه وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزا ❁
علي يد اضعف العباد واحقرهم واحوجهم الي رحمة ❁
الله تعالي عبد الله بن مسعود بن سيدي الكازروني ❁
عفا الله عنهم بفضله ومنه وقد مضي من عمره تسع ❁
واربعون سنه ووقع الاتمام في ذي القعدة ❁
الحرام لسنه اثنين وتسعين وثمانماية ❁
هجرية والحمد لله اولا وآخرا ❁

حسبی الله وحده
من الکتب التی وقفها الفقیر
الی الله ربه ذی المواهب
محمد المدعو بابن الصدور [illegible]
۱۲۷۵ وکفی عبده

T.C. [illegible] 1929 [illegible] Kütüphanesi

لکار جرب

دم اخوین	شاهتره	چشمه زمین مخشر	انزروت
م ۲	م ۳	م ۵	م ۱۰